منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره
صنفها
الفاضل البارع المحقق الشيخ حسن (حسن زاده) الاملى

مؤسسة التاريخ العربي

مكتبة الروضة الحيدرية

www.haydarya.com

نهج البلاغة

خطب، رسائل، كلام، وصايا
عهود، حكم، ومواعظ

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

مِنهاجُ البَراعَة

شَرح

نَهجُ البَلاغَة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

طبعة جديدة

ضبط وتحقيق

علي عاشور

مكتبة الروضة الحيدرية

الرقم ٤٥٠٣

المجلد العاشر

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب. ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والواحد والستون من المختار في باب الخطب

وهو مرويّ في إرشاد المفيد وفي البحار من علل الشّرائع وأمالي الصّدوق على اختلاف تعرفه، قاله عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله عليه السلام كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فقال:

يا أَخا بَني أَسدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ تُرْسِلُ في غَيْرِ سَدَدٍ وَلَكَ بَعْدُ ذِمامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ المَسْأَلَة، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ أَمَّا الاسْتِبْدادُ عَلَيْنا بِهٰذَا الْمَقام وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ صلى الله عليه وآله نَوْطاً فَإِنَّها كانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْها نُفُوس قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْها نُفُوس آخَرينَ، وَالْحَكَمْ اللَّهُ وَالْمَعُوْد إِلَيْهِ القِيامَة ـ وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صيحَ في حَجَراتِهِ ـ.

وَهَلُمَّ الخَطْبَ في أبي سُفْيانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِيَ الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكائِه وَلا غَرْوَ وَاللَّهِ فَيالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ العَجَبَ، وَيُكْثِرُ الأَوَدَ، حاوَلَ القَوْمُ إِطْفاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْباحِه، وَسَدَّ فَوّارِهُ مِنْ يَنْبُوعِه، وَجَدَحُوا بَيْني وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبيئاً، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ البَلْوى أَحْمِلُهُمْ مِنَ الحَقِّ علىٰ مَحْضِه، وإِنْ تَكُنِ الأُخرىٰ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

اللغة

(قلق) قلقاً من باب تعب اضطرب فهو قلق ككتف و**(الوضين)** كما في النّهية بطان منسوج بعضها على بعض يشدّ به الرّحل على البعير كالحزام للسّرج و**(الارسال)** الاطلاق وإهمال التّوجيه و**(السّدد)** محرّكة كالسّداد الصّواب والاستقامة و**(الذّمامة)** بكسر الذّال المعجمة: الحرمة و**(الصهر)** القرابة قال ابن السكّيت: كلّ من كان من قبل الزّوج من أبيه أو أخيه أو أعمامه فهم الأحماء ومن كان من قبل المرأة فهم الأختان، وتجمع الصّنفين الأصهار.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩/ ٤٨٥، وشرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٤١.

و(**استبدّ**) في الأمر انفرد به من غير مشارك له فيه ورجل (**يستأثر**) على أصحابه به أي يختار لنفسه أشياءً حسنة، والاسم الأثرة محرّكة والأثرة بالضمّ والكسر والأثرى كالحسنى و(**المعود**) إمّا اسم لمكان العود أو مصدر بمعناه. وفي بعض النسخ يوم القيامة بإضافة يوم و(**الحجرات**) النّواحي جمع حجرة كجمرة وجمرات و(**هلمّ**) اسم فعل يستعمل بمعنى هات وتعال، فعلى الأوّل متعدّ وعلى الثّاني لازم يستوى فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: هلمّا وهلمّوا.

و(**الأود**) محرّكة الأعوجاج و(**فوّار**) الينبوع بفتح الفاء وتشديد الواو ثقب البئر والفوار بالضمّ والتّخفيف ما يفور من حرّ القدر وبهما قرأ والأوّل أظهر و(**جدحه**) يجدحه من باب منع خلطه ومزجه و(**الشرب**) بالكسر الحظّ من الماء قال تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ و(**الوبيء**) ذو الوباء والمرض.

الإعراب

قوله (لقلق) الوضين صفة حذف موصوفها للعلم به، وجملة (ترسل)، في محلّ الرّفع عطف بيان، (ولك) خبر مقدّم (وذمامة الصهر وحقّ المسألة) مرفوعان على الابتداء، (وبعد)، ظرف لغو متعلّق بذمامة تقديمه عليه للتّوسّع، وجملة (ونحن الأعلون) في محلّ النّصب على الحال، (ونسباً ونوطاً) منصوبان على التميز، وتعدية سخت بعن لتضمين معنى الأعراض، والقيامة في بعض النّسخ بالرّفع وفي بعضها بالنصب، فالأوّل مبنيّ على أنّه خبر لمعود وجعله اسم مكان، والثّاني على كونه ظرفاً له وجعله مصدراً.

والبيت أعني قوله: (ودع عنك نهباً صيح في حجراته)، مطلع قصيدة لامرؤ القيس بن حجر الكندي وتمامه: ولكن حديثاً ما حديث الرّواحل، وقد أثبت المصراع الثّاني أيضاً في بعض النّسخ، والظّاهر أنّه سهو من النّساخ، وأنّه لم يتمثّل إلا صدر البيت وأقام قوله: (وهلمّ الخطب)، مقام المصراع الثّاني كما نبّه عليه الشّارح المعتزلي وغيره.

وكيف كان فقوله: حديثاً ما (ا هـ) انتصب حديثاً بإضمار فعل أي: حدّثني أو أسمع أو هات، ويروى بالرّفع على أنّه خبر محذوف المبتدأ أي غرضي حديث وما ها هنا تحتمل أن تكون إبهاميّة وهي التّي إذا اقترنت بنكرة زادته إبهاماً وشياعاً كقولك: أعطني كتاباً ما تريد، أي: أيّ كتاب كان، وتحتمل أن تكون صلة مؤكدّة كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾.

وأمّا حديث الثّاني فقد ينصب على البدل من الأوّل، وقد يرفع على أن يكون ما موصولة وصلتها الجملة أي: الذي هو حديث الرّواحل، ثمّ حذف صدر الصّلة كما في

«إتماماً على الذي أحسن» أو على أن تكون استفهامية بمعنى أيّ قوله: ولا غرو (لا) لنفي الجنس محذوف خبرها، وقوله: (فيا له خطباً) النّداء للتعجّب والتفخيم و(خطباً) منصوب على التميز من الضمير.

المعنى

إعلم أنّ المستفاد من روايتي العلل والأمالي الآتيتين أنّ هذا الكلام (قاله: لبعض أصحابه) بصفّين (و)ذلك أنّه (قد سأله) وقال له (**كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام**) أي: مقام الخلافة والوصاية (**وأنتم أحقّ به**) منهم ومن غيرهم لعلوّ النسب وشرافة الحسب وماسّة الرّحم ومزيد التقرّب وغزارة العلم ووفور الحلم وملكة العصمة وفضيلة الطّهارة وثبوت الوصيّة وحقوق الوراثة وسائر خصائص الولاية.

(**فقال** عليه السلام) مجيباً للسّائل: (**يا أخا بني أسد إنّك لرجل قلق الوضين**) أي: مضطرب البطان أراد به خفّته وقلّة ثباته كالحزام إذا كان رخواً، لأنّه قد سأله في غير مقامه كما أبان عنه بقوله: (**ترسل في غير سدد**) أي: تطلق عنان دابّتك وتهملها وتوجّهها في غير مواضعها، أي تتكلم في غير موضع الكلام، وتسأل مثل هذا الأمر الذي لا يمكن التصريح فيه بمخّ الحقّ بمجمع النّاس، أو تسأل مثل هذا الأمر الذي يحتاج إلى تفصيل الجواب في مقام لا يسع ذلك، والأخير أظهر بملاحظة ما يأتي في روايتي العلل والأمالي من أنّه سأله بينا هو في أصعب موقف بصفّين.

وكيف كان فلمّا اعترض عليه السلام على السائل يكون سؤاله في غير موقعه المناسب، ولما كان ذلك مظنّة لأن ينكسر منه قلب السائل استدرك عليه السلام ذلك بمقتضى سؤدده ومكارم خلقه فقال استعطافاً وتلطّفاً: (**ولك بعد ذمامة الصّهر وحقّ المسألة**) أي حرمة القرابة وحقّ السؤال.

قال الشّارح المعتزلي: وإنّما قال: لك بعد ذمامة الصّهر، لأنّ زينب بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله كانت أسديّة، وشنّع الشّارح على القطب الرّاوندي حيث علّل ذلك بأنّ أمير المؤمنين قد تزوّج في بني أسد بأنّ عليّاً لم يتزوّج في بني أسد ألبتّة. ثمّ فصل أولاده وأزواجه، ثمّ قال: فهؤلاء أولاده وليس فيهم أحد من أسديّة ولا بلغنا أنّه تزوّج في بني أسد ولم يولد.

وردّه الشّاح البحراني بأنّ الإنكار لا معنى له إذا ليس كلّ ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقّاً ويلزم أن لا يصل إلى غيره.

أقول: الحقّ مع البحراني! إذ عدم نقل التزوّج إلينا لا يكون دليلاً على العدم! لكنّه يبعّده كما لا يخفي هذا.

وأمّا حقّ المسألة فلأنّ للرّعية من الإمام حقّ السؤال وإن لم يفرض عليه الجواب لو لم يكن فيه المصلحة.

يدل على ذلك ما رواه في الكافي عن الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد عن الوشا قال: سألت الرّضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك ـ:

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

فقال عليه السلام: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون، قلت: أفأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم فقلت: حقّاً علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت: حقّاً عليكم أن تجيبونا؟قال: لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل أما تسمع قول الله تبارك وتعالى:

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٣٩].

وما بمعناه أخبار كثيرة مرويّة في الكافي وغيره.

ثمّ تصدّى لجواب السّائل لما علم المصلحة في الجواب فقال: **(وقد استعلمت فاعلم إمّا الاستبداد علينا بهذا المقام)** أي استقلال الغاصبين للخلافة وتفرّدهم بهذا المقام الذي هو مقام الأولياء والأوصياء **(ونحن الأعلون نسباً والأشدّون بالرّسول صلى الله عليه وآله)** أي مع كوننا أولى منهم بهذا المقام وأحقّ به بشرافة النّسب وشدّة التعلّق واللّصوق برسول صلى الله عليه وآله أما شرافة النسب فقد مرّ في ديباجة الشرح، وأما شدّة العلاقة فيكفي في الدّلالة عليها جعل النبيّ صلى الله عليه وآله له منه بمنزلة هارون من موسى وتنزيله منزلة نفسه في آية (أنفسنا)[١] مضافاً إلى سائر ما تضمّنت ذلك المعنى ممّا عرفتها في تضاعيف الشرح وتعرفها بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

(فإنها) أي الخلافة المعلومة من السياق **(كانت أثرة)** أي شيئاً مرغوباً يتنافس فيه النفوس ويريده كلّ لنفسه وأن يخصّ به من دون مشاركة الغير **(شحّت)** أي: بخلت **(عليها نفوس قوم)** أراد بهم أهل السقيفة **(وسخت عنها)** أي: جادت بها وتركتها معرضة عنها **(نفوس آخرين)** أراد بهم أهل البيت عليهم السلام وإعراضهم عنها لعدم رغبتهم في الخلافة من حيث إنّها سلطنة ظاهرية وإمارة على الخلق.

كما يدلّ عليه قوله عليه السلام لابن عباس في عنوان الخطبة الثالثة والثلاثين: والله لهي أحبّ إليّ من أمرتكم إلاّ أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً.

---

(١) الكافي: ١/ ٢١١ ح٣، ووسائل الشيعة: ٢٧/ ٦٤ ح٣٣٢١٠.

(٢) في آية المباهلة.

نعم لو كان متمكّناً من الخلافة وإقامة مراسمها على ما هو حقّها لرغب فيه البتّة لكنّه لم يتمكّن منها لعدم وجود النّاصر كما يومي إليه قوله عليه السلام في الخطبة الثّالثة المعروفة بالشقشقيّة: وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، وقوله في الخطبة السادسة والعشرين: فنظرت فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي فظننت بهم عن الموت (ا هـ)، وغير ذلك ممّا تضمّن هذا المعنى.

(والحكم) الحقّ والحاكم العدل هو **(الله)** سبحانه **(والمعود إليه القيامة)** كما قال:

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ويقضي بين الخلق بالحقّ ويجعل لعنته على الظالمين، وتمثّل عليه السلام بقول امرؤ القيس فقال:

(ودع عنك نهباً صيح في حجراته) ولكن حديثاً ما حديث الرّواحل

وكان من قصّة هذا الشّعر أنّ امرؤ القيس لمّا انتقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جذيلة طيىء يقال له: طريف فأحسن جواره فمدحه فأقام عنده، ثمّ أنّه لم يولّه نصيباً في الجبلين: أجاء وسلمى، فخاف أن لا يكون له منعة فتحول فنزل على خالد بن سدوس بن أصمع النبهاني فأغارت بنو جذيلة على امرؤ القيس وهو في جوار خالد بن سدوس فذهبوا بإبله وكان الذي أغار عليه منهم باعث بن حويص، فلمّا أتى امرؤ القيس الخبر ذكر ذلك لجاره، فقال له: أعطني رواحلك ألحق عليهم القوم فأردّ عليك إبلك، ففعل فركب خالد في أثر القوم حتّى أدركهم فقال: يا بني جذيلة أغرتم على إبل جاري؟ قالوا: ما هو لك بجار، قال: بلى والله وهذه رواحله، قالوا: كذلك، قال: نعم، فرجعوا إليه فأنزلوه عنهنّ وذهبوا بهنّ وبالإبل، وقيل: بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها، فقال امرؤ القيس: دع عنك نهباً، القصيدة، أي أترك عنك منهوباً يعني غنيمة صيح في جوانبه ونواحيه صياح الغارة، ولكن هات حديثاً الذي هو حديث الرّواحل أي النّوق التّي تصلح لأن يشد الرّحل على ظهرها[1].

وغرضه عليه السلام بالتمثيل بالبيت الإشارة إلى أنّ المتخلّفين الثلاثة الماضين قد نهبوا تراثي وأغاروا على حقّي مع صياح عند النّهب والغارة يريد به الاحتجاجات والمناشدات التّي كانت منه عليه السلام ومن أتباعه بعد السقيفة وفي مجلس الشّورى حسبما عرفتها في شرح الخطبة الشقشقيّة وغيرها.

(١) بحار الأنوار: ٢٩/ ٤٨٩، وشرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٤٥.

يقول عليه السلام: دع عنك ذكر تلك الغارة وحديثها ولا تسأل عنها فإنّه نهب صيح في حجراته ومضى وانقضى **(ولكن هلمّ الخطب في ابن أبي سفيان)** أي لكن هات ذكر الحدث الجليل والأمر العظيم الّذي نحن مبتلى به الآن في منازعة معاوية بن أبي سفيان وطمعه في الخلافة، فإنّه حديث عجيب ينبغي أن يتحدّث ويذاكر ويستمع **(فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه)** أي: صرت ضاحكاً ضحك تعجب من تصرّفات الدّهر وتقلّباته وتربيته لأراذل النّاس وجعله مثل ابن النّابغة الآكلة للأكباد والطّليق ابن الطّليق منازعاً لي في الخلافة، ومعارضاً عليّ في الرّياسة مع غاية بعده عنها وانحطاط رتبته عن الطمع في مثلها بعد ما كان بي من الكآبة والحزن لتقدم من سلف.

ومحصّل المراد أنّ الدّهر أضحكني من فرط التعجّب بعد ما أحزنني لأنّه أنزلني ثمّ أنزلني حتّى قيل: ومعاوية وعلي **(ولا غرو والله)** أي لا عجب والله من تقلّبات الدّهر وأحواله وقوّة الباطل وغلبة أهله فيه ممّا بي نزل وإضحاكه بي بعد إبكائه، لأنّ عادته قد جرت دائماً على وضع الأشراف ورفع الأراذل حتّى صار سجيّة له ومجبولاً عليها، وإليه ينظر قول مولانا الحسين عليه السلام ليلة العاشور:

يا دهرُ أفّ لك من خليل ... كم لك بالاشراق والأصيل

(فياله خطباً يستفرغ العجب) كلام مستأنف لاستعظام هذا الأمر، وعلى هذا فالوقف على الله، ويجوز أن لا يكون استئنافاً بل وصلا على سابقه وتفسيراً له فإنّه عليه السلام لمّا أشار إلى أنّ الدّهر أعجبه أتبعه بقوله: ولا غرو، أي ليس ذلك بعجب وفسّر هذا بقوله: فياله خطباً يستفرغ العجب، أي يستنفده ويفنيه أي قد صار العجب لا عجب لأنّ هذا الخطب قد استغرق المتعجّب فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجّب، وهذا من باب الإغراق والمبالغة في المبالغة أي هذا أمر يجلّ عن التعجّب كقول ابن هاني:

قد صرت في الميدان يوم طرادهم ... فعجبت حتّى كدت لا اتعجب

هذا (و)وصف الخطب أيضاً بأنّه **(يكثر الأود)** لأنّ كلّ امرء بعد عن الشريعة ازداد الأمر به اعوجاجاً **(حاول القوم)** أراد به معاوية وأتباعه **(إطفاء نور الله من مصباحه)** أراد بنور الله الولاية والخلافة وبمصباحه نفسه الشّريف الحامل لذلك النّور، يعني أنّ معاوية ومن تبعه أرادوا إطفاء نور الولاية وإزالة الأمر عن الأحقّ به كما أنّ من تقدّم عليهم من المتخلّفين الثلاث وأشياعهم وطلحة والزّبير وأتباعهما كان غرضهم النّور هذا.

(وسدّ فوّاره من ينبوعه) أي سدّ مجراه ومنبعه **(وجدحوا)** أي مزجوا وخلطوا **(بيني وبينهم شرباً وبيئاً)** أراد بالشرب الوبيء الفتنة الحاصلة من عدم انقيادهم له كالشّرب المخلوط بالسمّ.

وقال الشارح البحراني: استعار لفظ الشرب لذلك الأمر ولفظ الجدح للكدر الواقع بينهم والمجاذبة لهذا الأمر، واستعار وصف الوبيء له باعتبار كونه سبباً للهلاك والقتل بينهم **(فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى)** ويجتمعوا على رأي ويتّبعوا أمري **(أحملهم من الحقّ على محضه)** أي خالصه الذي لا يشوبه شبهة وريب **(وأن تكن الأخرى)** أي وإن لم يكشف الله هذه الغمّة وكانت الدّولة والغلبة لأهل الضلال **(فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون)** اقتباس من الآية الشريفة في سورة الفاطر قال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾ الآية.

أي لا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم وضلالهم وإصرارهم على التكذيب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

وفي الصافي عن القمي مرفوعاً قال: «نزلت في زريق وحبتر»[1]، وعليه فالاقتباس بها غير خال من اللّطف والمناسبة.

لطيفة

قال الشارح المعتزلي بعد الفراغ من شرح هذا الكلام: وسألت أبا جعفر يحيى بن محمّد العلوي نقيب البصرة وقت قراءتي عليه عن هذا الكلام وكان على ما يذهب عليه من مذهب العلوية منصفاً وافر العقل فقلت له: من يعني عليه السلام بقوله: كانت أثرة شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين؟ ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى؟ فقال: يوم السقيفة فقلت: أنّ نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان الرسول ودفع النصّ، فقال: وأنا فلا تسامحني نفسي أن أنسب الرّسول إلى إهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس سدى مهملين، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلاّ ويؤمّر عليها أميراً وهو حيّ ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمّر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث؟

ثمّ قال: ليس يشك أحد من الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلاً كامل العقل أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تامّ الحكمة سديد الرّأي أقام ملّة وشرع شريعة فاستجد ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره، وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم بالثارات والذّحول ولو بعد الأزمان المتطاولة، وكان يقتل الرّجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر. فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقرابه يطلّبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثأرهم منه، فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه

(١) تفسير القمي: ٢/ ٢٠٧، والتفسير الصافي: ٤/ ٢٣٢.

وأهله فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة وإن لم يكونوا رهطه الأدنين، والإسلام لم يحل طبائعهم ولا غيّر هذه السجية المركوزة في أخلاقهم والغرائز بحالها.

فكيف يتوهم لبيب أن هذا العاقل وتر العرب وعلى الخصوص قريشاً وساعده على سفك الدّماء وإزهاق الأنفس، وتقلد الضغائن ابن عمه الأدنى وصهره وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس ويتركه بعده وعنده ابنته وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنواً عليهما ومحبّة لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده ولا ينصّ عليه ولا يستخلفه، فيحقن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه.

ألا يعلم هذا العاقل الكامل أنّه إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة رعيّة فقد عرض دماءهم للإراقة بعده، بل يكون هو الّذي قتله وأشاط بدمائهم، لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم، وإنّما يكونون مضغة للأكل وفريسة للمفترس يتخطّفهم النّاس ويبلغ فيهم الأغراض.

فأمّا إذا جعل السّلطان فيهم والأمر إليهم فإنّه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرّياسة الّتي يصولون بها، ويرتدع النّاس عنهم لأجلها، ومثل هذا معلوم بالتّجربة.

ألا ترى أنّ ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل النّاس ووترهم وأبقي في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه ثمّ أهمل أمر ولده وذرّيته من بعده، وفسح للنّاس أن يقيموا مَلكاً من عرضهم وواحداً منهم، وجعل بنيه سوقة كبعض العامّة، لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم سريعاً هلاكهم، ولوثب عليهم النّاس ذوو الأحقاد والثارات من كلّ جهة يقتلونهم ويشردونهم كلّ شرد.

ولو أنّه عين ولداً من أولاده للملك، وقام خواصّه وخدمه، وخوّله بإمرة بعده، لحقنت دماء أهل بيته ولم تطل يد أحد من النّاس إليهم لناموس الملك وأبهة السلطنة وقوّة الرّياسة وحرمة الإمارة.

أفترى ذهب عن رسول الله ﷺ هذا المعنى أم أحبّ أن يستأصل أهله وذريته من بعده؟ وأين موضع الشّفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة إلى قلبه؟! أتقول: إنّه أحبّ أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفّف النّاس؟! وأن يجعل عليّاً المكرّم المعظّم عنده الّذي كانت حاله معه معلومة كأبي هريرة الدّوسي وأنس بن مالك الأنصاري يحكم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده فلا يستطيع الإمتناع وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول يتلظّى أكباد أصحابها عليه ويودّون أن يشربوا دمه بأفواههم ويأكلوا لحمه بأسيافهم قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم، والعهد لم يطل، والقروح لم تنفرق، والجروح لم تندمل؟!.

فقلت: لقد أحسنت فيما قلت إلاّ أنّ لفظه عليه السلام يدلّ على أنّه لم يكن نصّ عليه، ألا

تراه يقول: ونحن الأعلون نسباً والأشدّون بالرّسول نوطاً، فجعل الاحتجاج بالنّسب وشدّة القرب، فلو كان عليه نصّ لقال عوض ذلك: وأنا المنصوص عليّ المخطوب باسمي.

فقال: إنّما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل، الا ترى أنّه سأله فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به، فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه وهم أحقّ به من جهة اللحمة والعترة، ولم يكن الأسدي يتصوّر النصّ ولا يعتقد ولا يخطر بباله، لأنه لو كان هذا في نفسه لقال له: لم دفعك الناس عن هذا المقام وقد نصّ عليك رسول الله ﷺ، ولم يقل له هذا، وإنما قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافة: كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحقّ به أي باعتبار الهاشمية والقربى، فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلّق به الأسدي بعينه تمهيداً للجواب، فقال: إنما فعلوا ذلك مع أنّا أقرب إلى رسول الله ﷺ من غيرنا لأنهم استأثروا علينا ولو قال له: أنا المنصوص عليّ المخطوب باسمي في حياة رسول الله ﷺ لما كان قد أجابه، لأنه ما سأله: هل أنت منصوص عليك أم لا؟ ولا: هل نصّ رسول الله بالخلافة على أحد أم لا، وإنما قال: لِمَ دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم، فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه.

وأيضاً فلو أخذ يصرّح له بالنصّ ويعرّفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه واتّهمه ولم يقبل قوله ولم يتجذّب إلى تصديقه فكان أولى الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس أن يجيب بما لا نفرة منه ولا مطعن عليه فيه، انتهى[1].

أقول: ولله درّ النقيب العلوي فلقد أجاد فيما أفاد، ونهج منهج الرّشاد، وراقب العدل والإنصاف، وجانب العصبية والاعتساف، وكشف الظلام عن وجه المرام وأوضح المقام بكلام ليس فوقه كلام، أودعه من البيان والبرهان ما يجلي الغشاوة عن أبصار متأمّليه، والعمى عن عيون متناوليه، وبعد ذلك فإن كان إذعانه على طبق بيانه فأجزل الله له الجزاء في دار خلده وجنانه، وإلا فليضاعف عليه العذاب في يوم الحساب، ولكن يبعد جدّاً مع هذا التحقيق أن يكون معتقده خلاف المذهب الحق، بل الظاهر من الشارح المعتزلي أيضاً حيث نقل هذا التفصيل عن النقيب وسكت مضافاً إلى نظائره الكثيرة في تضاعيف الشرح أنّ معتقده أيضاً ذلك، ولولا تصريحه في غير موضع من شرحه بعدم النصّ في الخلافة لحكمنا بكونه من الفرقة الناجية، وهو الذي ظنه بعض أصحابنا في حقه وقال: إنّ الشارح شيعيّ المذهب إلاّ أنه سلك في الشرح مسلك أهل السنة من باب الإلجاء والتقية، والله العالم بسرائر العباد والمجازي كلاماً ما يستحقّه يوم التناد، نسأل الله العصمة والسداد، ونعوذ به من الزلل

(١) كتاب الأربعين: ١٨٠، وبحار الأنوار: ٣٨/١٦٦.

والفساد في المذهب والاعتقاد.

تكملة

قد أشرنا إلى أنّ هذا الكلام مرويّ عنه عليه السلام بطرق عديدة مختلفة أحببت أن أوردها جرياً على عادتنا المستمرّة فأقول:

قال المفيد (رض) في الإرشاد: روى نقلة الآثار أن رجلاً من بني أسد وقف على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين العجب فيكم يا بني هاشم كيف عدل بهذا الأمر عنكم وأنتم الأعلون نسباً وسبباً ونوطاً بالرّسول صلى الله عليه وآله وفهماً للكتاب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا ابن دودان إنّك لقلق الوضين، ضيّق المخرم ترسل غير ذي مسد لك ذمامة الصهر وحقّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم: كانت أثرة سخت بها نفوس قوم وشحّت عليها نفوس آخرين فدع عنك نهباً صيح في حجراته وهلمّ الخطب في أمر ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدّهر بعد إبكائه ولا غرو، بئس القوم والله من خفضني وهيّنني وحاولوا الأدّهان في ذات الله، وهيهات ذلك منّي وقد جدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً، فإن تتحسّر عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلا تأس على القوم الفاسقين»[1].

وفي البحار: من علل الشّرائع والأمالي عن الحسين بن عبد الله العسكري عن إبراهيم بن رعد العبشمي، عن ثبيت بن محمّد، عن أبي الأحوص المصري عمّن حدّثه عن آبائه عن أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام عن جماعة من أهل العلم، عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال:

«بينا أمير المؤمنين عليه السلام في أصعب موقف بصفين إذ قام إليه رجل من بني دودان فقال: ما بال قومكم دفعوكم عن هذا الأمر وأنتم الأعلون نسباً وأشدّ نوطاً بالرّسول صلى الله عليه وآله وفهما بالكتاب والسنّة؟ فقال عليه السلام سألت يا أخا بني دودان ولك حقّ المسألة وذمام الصّهر وإنّك لقلق الوضين ترسل عن ذي مسد إنّها إمرة شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله فدع عنك نهباً صيح في حجراته ـ.

وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الدّهر بعد إبكائه ولا أغزو إلاّ جارتي وسؤالها إلا هل لنا أهل سألت كذلك بئس القوم من خفضني وحاولوا الأدهان في دين الله، فإن ترفع عنّا محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأخرى، فلا تأس

---

(١) المسترشد: ٣٧٢ ح١٢٢، ونهج السعادة: ٢/ ٢١٠.

على[١] القوم الفاسقين، إليك عنّي يا أخا بني سيدان»[٢].

بيان

لما في هاتين الرّوايتين من الألفاظ الغريبة التّي لم تكن في رواية السّيد (رض) فأقول:

«دودان» بن أسد بن خزيمة بالضمّ أبو قبيلة فلا ينافي ما في رواية السيّد أنّه كان من بني أسد و«المحزم» بالحاء المهملة وزان منبر والمحزمة كمكنسة والحزام ككتاب ما حزم به قيل: ويقال للرّجل المضطرب في أمره إنّه قلق الوضين أي مضطرب شاكّ فيه ولعلّ ضيق المحزم كناية عن عدم طرفيْته.

و«المسد» حبل مفتول من ليف محكم الفتل ويقال على نفس اللّيف قال سبحانه: في جيدها حبل من مسد، فقوله في رواية الإرشاد: «ترسل غير ذي مسد» أراد به أنك تطلق عنان كلامك من غير تأمّل، وقوله في رواية البحار «ترسل عن ذي مسد» أراد به أنّك تطلق حيواناً له مسد ربط به، فيكون كناية عن التكلّم بما له مانع عن التكلّم به.

و«هينني» أي أهانني واستهان و«حسر» الشيء فانحسر كشفه فانكشف و«امرأة» في رواية الأمالي لعلّه تصحيف إمرة بالكسر أي أمارة وقوم «جارة» وجورة أي جائرون و«الإدهان» كالمداهنة إظهار خلاف ما تضمر والغش.

---

(١) «عن» في نسخة.

(٢) علل الشرائع: ١/١٤٦، وأمالي الصدوق: ٧١٧ ح٩٨٦.

الترجمة

از جمله كلام آن امام انام است به بعض اصحاب خود در حالتى كه سؤال كرد از آن بزرگوار: چگونه دفع كردند شما را قوم شما از مقام خلافت و حال آنكه شما سزاوارتريد به آن؟

پس فرمود: اى برادر بنى اسد، به درستى كه تو مردى هستى كه پاردم تو مضطرب و متحرك است، رها مى كنى افسار گفتار خود را در غير صواب، يعنى در غير موقع مناسب سؤال مى نمايى و با وجود اين كه مر تو را است حرمت قرابت و حقّ مسألت و به تحقيق كه تو طلب آگاهى نمودى، پس بدان و آگاه باش: اما استقلال ايشان بر ضرر ما به مقام خلافت و حال آن كه ما بلندتريم از ايشان از حيثيت نسب و محكم تريم به حضرت رسالت از حيثيت علاقه و قرب منزلت، پس جهتش اين است كه بود خلافت چيز مرغوبى، بخيلى كرد به آن نفوس خسيسه طائفه اى وسخاوت كرد و اعراض نمود از آن نفوس نفيسه طائفه ديگر و حاكم به حق خداى متعال است و بازگشت به سوى او در قيامت است وترك بكن از خودت غارتى را كه در اطراف آن صدا بلند شد؛ (يعنى غارت خلافت را كه پيش از اين ابوبكر و عمر و عثمان غارت كردند).

و بيار امر عظيم را يا اين كه بيا به امر عظيم در خصوص پسر ابوسفيان ملعون، پس به درستى كه خندانيد مرا روزگار بدرفتار بعد از گرياندن او و هيچ تعجّب نيست قسم به خدا خندانيدن بعد از گريانيدن، پس بياييد تعجّب كنيد به اين امر عظيم و عجيب كه فانى كند تعجّب را و بسيار مى كند كجروى را، طلب كردند مخالفان قريش خاموش كردن نور خداوند را از چراغ او و بستن فواره آن از چشمه آن و آميختند ميان من و ميان ايشان شربت وبا آورده، پس اگر برداشته شود از ما و از ايشان محنت هاى بلاها، حمل مى كنم ايشان را از دين حق بر خالص آن و اگر باشد آن حالت ديگر، يعنى غلبه اهل ضلالت و سلطنت ايشان، پس بايد كه هلاك نشود نفس تو بر كار ايشان از جهت حسرت ها بر ضلال ايشان؛ به درستى كه خداوند عالم است به آن چه كه مى كنند و البته جزا خواهد داد بر قبايح اعمال ايشان.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والثانية والستون من المختار في باب الخطب

الْحَمْدُ للّهِ خالِقِ العِبادِ، وَساطِحِ المِهادِ، وَمسِيلِ الوِهادِ، وَمُخَصِّبِ النِّجادِ، لَيْسَ لأَزَلِيَّتِه ابْتداءٌ، وَلاَ لأَزَلِيَّته انْقضاءٌ، هُوَ الأَوَّل لَمْ يَزَلْ، وَالْباقي بِلاَ أَجَلٍ، خَرَّتْ لَهُ الجِباهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفاهُ، حَدَّ الأَشْياءَ عِنْدَ خَلْقِه لَها إِبانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِها، لاَ تُقَدِّرُهُ الأَوْهامُ بِالْحُدُودِ وَالحَرَكاتِ، وَلاَ بِالْجَوارِحِ وَالأَدَواتِ، لا يُقالُ لَهُ مَتى، وَلاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّىٰ، الظّاهِرُ لاَ يُقالُ مِمَّا، وَالْباطِنُ لاَ يُقالُ فِيما، لاَ شَبَحٌ فَيَتَقَضّىٰ، وَلاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوى، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْياءِ بِالْتِصاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْها بافْتِراقٍ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبادِهِ شُخُوص لَحْظَةٍ، وَلا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلاَ ازْدِلاَفُ رَبْوَةٍ، وَلاَ انْبِساطُ خَطْوَةٍ، في لَيْلٍ داجٍ، وَلاَ غَسَقٍ ساجٍ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ المُنيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذاتِ النُّورَ، فِي الأُفوُلِ وَالْكُرُورِ، وَتَقْلِيبِ الأَزْمِنَةِ والدُّهورِ، مِنْ إِقْبالِ لَيْلٍ مُقْبلٍ، وَإِدْبارِ نَهارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إِحْصاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعالىٰ عَمّا يُنْحِلُهُ المُحَدِّدُونَ مِنْ صِفاتِ الأَقْدارِ، وَنَهاياتِ الأَقْطارِ، وَتَأَثُّلِ المَساكِنِ، وَتَمَكُّنِ الأَماكِنِ، فَالْحَدُّ لِخَلْقه مَضْرُوبٌ، وَإِلىٰ غَيرِه مَنْسُوبٌ، لَمْ يَخْلُقِ الأَشْياءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلاَ مِنْ أَوائِلَ أَبَدِيةٍ، خَلَقَ ما خَلَقَ فَأَقامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ ما صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيءٍ مِنْهُ امْتِناعٌ، وَلا لَهُ بِطاعَةِ شَيْءٍ انْتِفاعٌ، عِلْمُهُ بالأَمْواتِ الماضِينَ، كَعِلْمِه بالأَحْياءِ الباقينَ، وَعِلْمُهُ بما فِي السَّمٰواتِ العُلىٰ، كَعِلْمِهِ بِما فِي الأَرَضينَ السُّفلىٰ.

منها

أَيُّها المَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالمُنْشَأُ المَرعيُّ في ظُلُماتِ الأَرْحامِ، وَمُضاعَفاتِ الأَسْتارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طينٍ، وَوُضِعْتَ في قَرارٍ مَكينٍ، إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلوُمٍ، وَأَجلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ في بَطْنِ أُمِّكَ جَنيناً، لا تُحيرُ دُعاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِداءً ثُمَّ أُخرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلىٰ دارٍ لَمْ تَشْهَدْها وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنافِعِها، فَمَنْ هَداكَ لاجتِرارِ الغِذاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وعَرَّفَكَ عِنْدَ الحاجَةِ مَواضِعَ طَلَبِكَ وإِرادَتِكَ، هَيْهاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِز عَنْ صِفاتِ ذِي الهَيْئَة والأَدواتِ، فَهُوَ مِنْ صِفاتِ خالِقِه أَعْجَزُ، وَمِنْ تَناوُلِه بِحُدُودِ المَخْلوُقينَ أَبْعَدُ[١].

(١) بحار الأنوار: ٣٤٨/٥٧ ح٣٤، وشرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٥٧.

اللغة

(**المهاد**) بالكسر الفراش والجمع مهد ككتاب وكتب و(**سال**) الماء سيلاً وسيلاناً إذا طغا وجرى وأسلته إسالة أجريته و(**الوهاد**) جمع وهدة وهي الأرض المنخفضة و(**النجد**) الأرض المرتفعة والجمع أنجاد ونجاد ونجود و(**شخص**) الرّجل بصره إذا فتح عينيه لا يطرف و(**ازدلف**) وتزلف أي تقدمّ واقترب والمزدلفة موضع بين عرفات ومنى سمّى بها لأنّه يتقرّب فيها إلى الله أو لاقتراب الناس إلى منى بعد الإفاضة أو لمجيء النّاس إليها في زلف من اللّيل.

و(**الرّبوة**) بضمّ الرّاء وكسرها والفتح لغة بني تميم المكان المرتفع و(**الغسق**) محركة الظّلام أو ظلمة أوّل اللّيل و(**تفيا**) الظلّ تقلّب ورجع من جانب إلى جانب قال سبحانه: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ و(**عقبت**) زيداً عقباً من باب قتل وعقوباً وعقّبته بالتشديد جئت بعده، ومنه سمّى رسول الله ﷺ العاقب لأنّه عقب من كان قبله من الأنبياء أي جاء بعدهم، وتعقبه الشّمس مضارع عقب بالتخفيف ويروى يعقّبه مضارع عقّب بالتضعيف وفي نسخة الشارح المعتزلي: تعقّبه قال الشارح: أي تتعقّبه فحذف إحدى التاءين كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ و(**تاثّل**) المال اكتسبه و(**احار**) جواباً يحيره ردّه.

الإعراب

(من) في قوله: من عباده، ابتدائية، وقوله: (في ليل)، متعلّق بقوله: يخفي، أو بالشخوص، والكرور والإزدلاف والإنبساط على سبيل التنازع والثاني أظهر وأولى ما لا يخفى، وقوله: (في الأفول والكرور)، ظرف لغو متعلّق بتعقب، وقال الشارح المعتزلي: ظرف مستقرّ في موضع نصب على الحال، أي: وتعقبه كارّاً وآفلاً و(من) في قوله: من إقبال، بيان التقليب.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة مسوقة للثناء على الله سبحانه وتعظيمه وتمجيده بجملة من نعوت جماله وصفات جلاله.

قال الشارح المعتزلي: إعلم أنّ هذا الفنّ هو الذي بان به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة، واستحقّ به الفضل والتقدّم عليهم أجمعين، وذلك لأنّ الخاصة التي يتميّز بها الإنسان عن البهائم هي العقل والعلم، ألا ترى أنه يشاركه غيره من الحيوانات في اللّحمية والدموية والقوّة والقدرة والحركة الكائنة على سبيل الإرادة والاختيار، فليس الإمتياز

إلا بالقوّة الناطقة أي العاقلة العالمة، فكلّما كان الإنسان أكثر حظّاً منها كانت إنسانيته أتمّ.

ومعلوم أن هذا الرّجل انفرد بهذا الفن وهو أشرف العلوم، لأنّ معلومه أشرف المعلومات، ولم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفنّ حرف واحد ولا كانت أذهانهم يصل إلى هذا ولا يفهمونه، فهو بهذا الفن منفرد وبغيره من الفنون وهي العلوم الشرعية مشارك لهم وأرجح عليهم، فكان أكمل منهم، لأنّا قد بيّنا أنّ الأعلم أدخل في صورة الإنسانية، وهذا هو معنى الأفضلية انتهى[١].

أقول: قد مرّ غير مرّة أنه بعد الاعتراف والإذعان بكونه عليه السلام أفضل وأكمل من غيره كيف يجوّز تقديم غيره عليه؟ وبعد الإقرار باختصاص العلم الإلهي به عليه السلام وباشتراكه مع غيره ورجحانه عليهم في سائر العلوم كيف يسوّغ القول بحقية إمامة غيره؟ والحال أنّ ترجيح المرجوح على الرّاجح قبيح عقلاً على أصول العدلية فضلاً عن النقل قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وقال أيضاً: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥].

فيا عجباً عجباً يقوم بالخلافة من لا يعرف معنى عنباً وأبّاً، ويعتزل في جنح بيته من عنده علم الكتاب وله الفضل على غيره من كلّ باب وإلى الله الشكوى من دهر يربي الجهل والضلال، ويمحق الفضل والكمال فلنرجع إلى شرح كلامه فأقول:

إنه حمد الله سبحانه وأثنى عليه بأوصاف كمالية فقال (**الحمد لله خالق العباد**) أي الملائكة والإنس والجنّ وتخصيصهم من سائر المخلوقات بالذكر مع أنه خالق كل شيء تشرّفهم بشرف التكليف (**وساطع المهاد**) أي جعل الأرض فراشاً وبساطاً للناس وسطحها على الماء بقدرته الكاملة ورحمته السابغة، وفي ذلك من دلائل القدرة وآثار الكبرياء والعظمة ما لا يحصى، ومن الفوائد التامة والعوائد العامة التي للناس ما لا يستقصى حسبما مرّت الإشارة في شرح الفصل السادس من الخطبة التسعين المعروفة بالأشباح.

(**ومسيل الوهاد مخصب النجاد**) أي مجرى السّيل في الأراضي المنخفضة وجاعل المرتفعة ذوات خصب ورفاه ليكمل معاش الإنسان والدوابّ بما أنبت فيها من الحبّ والنّبات والفواكه والجنات.

(**ليس لأوّليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء**) لأنّه تعالى واجب الوجود لذاته فلو كان لكونه أوّلاً للأشياء حدّ تقف عنده أوّليته وتنتهي به لكان محدثاً ولا شيء من المحدث بواجب

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٥٧.

الوجود، لأنّ المحدث ما كان مسبوقاً بالعدم وواجب الوجود يستحيل عليه العدم أي ذاته لا يقبل العدم، ومن ذلك علم أيضاً أنّه ليس لأزليته انقضاء إذ كلّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، والأزليّة عبارة عن القدم، وربّما يفسّر بأنّها المصاحبة لجميع الثّابتات المستمرّة الوجود في الزّمان.

(هو الأوّل لم يزل والباقي بلا أجل) وغاية هاتان الجملتان مؤكدتان لسابقتيهما يعني أنّه سبحانه لم يزل ولا يزال إذ وجوده أصل الحقيقة وذاته عين البقاء، وهو الأوّل والآخر لأنه كلّ شيء وغايته لا أوّل لأوليّته ولا غاية لبقائه.

(خرّت له الجباه ووحّدته الشّفاه) أي سقطت الجباه ساجدة له، ونطقت الشّفاه بتوحيده لكمال الوهيّته وعظمته واستحقاقه للعبوديّة واختصاصه بالفردانية **(حد الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها)** وإبانة لها من شبهه وقد تقدّم توضيح ذلك وتحقيقه في شرح الخطبة المائة والثانية والخمسين فليراجع ثمّة.

(لا تقدّره الأوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والأدوات) لمّا كان شأن الوهم بالنّسبة إلى مدركاته أن يدركها بحدّ أو حركة أو جارحة أو أداة، وكان الله سبحانه منزّهاً عنها كلّها، لكونها من عوارض الأجسام، صحّ بذلك سلب إدراك الأوهام وتقديرها أي تعيينها وتشخيصها له تعالى، وقد قال الباقر عليه السلام: «كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مصنوع مثلكم مردود إليكم»، وقد مرّ في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الأولى توضيح هذا المعنى.

(ولا يقال له متى ولا يضرب له أمد بحتّى) وقد تقدّم تحقيق ذلك أيضاً هنالك، فليراجع إليه.

(الظّاهر لا يقال ممّا والباطن لا يقال فيما) يعني أنّ اتّصافه بالظهور والبطون ليس بالمعنى المتبادر منهما في غيره، فإنّ المتبادر من ظهور الأجسام كونها ظاهرة بارزة من مادّة وأصل، ومن بطونها اختفاؤها في حيّز ومكان، والله سبحانه منزه عن ذلك، بل اطلاق الظّاهر والباطن عليه واتّصافه تعالى بهما باعتبار آخر عرفته تفصيلاً في شرح الخطبة الرّابعة والسّتين.

(لا شبح فيتقضّى ولا محجوب فيحوى) أي ليس بجسم وشخص فيتطرّق إليه الفناء والانقضاء، ولا مستور بحجاب جسمانيّ حتّى يكون الحجاب حاوياً له وساتراً.

(لم يقرب من الأشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق) إشارة إلى أنّ قربه وبعده بالنسبة إلى الأشياء ليس على نحو الالتصاق والإفتراق كما هو المتصوّر في الأجسام، بل على وجه آخر تقدم تحقيقه في شرح الفصل الخامس والسادس من الخطبة الأولى، وفي شرح الخطبة

التاسعة والأربعين.

(لا يخفى عليه) سبحانه شيء من مخلوقاته، بل هو عالم بها كليّاتها وجزئيّاتها، ذواتها وماهيّاتها، عوارضها وكيفيّاتها، وصفاتها وحالاتها، فلا يعزب عنه **(من عباده شخوص لحظة)** أي مدّ البصر من دون حركة جفن **(ولا كرور لفظة)** أي رجوعها وإعادتها **(ولا ازدلاف ربوة)** الظّاهر أنّ المراد مجيء إنسان إليها في زلف من اللّيل أو تقدّمهم أي صعودهم إليها.

قال الشّارح البحراني: ازدلاف الرّبوة تقدّمها وأراد الرّبوة المتقدّمة أي في النّظر والبادية عند مدّ العين، فإن الرّبى أوّل ما يقع في العين من الأرض انتهى.

وهو تفسير بارد سخيف، والمتبادر ما قلناه مضافاً إلى أنّ سوق كلام، المفيد لكون الشّخوص والكرور والانبساط في قوله **(ولا انبساط خطوة)** صفة للعباد كون الازدلاف أيضاً من صفاتهم لا من صفات نفس الرّبوة كما هو مقتضى تفسير الشّارح على أنّ غرض أمير المؤمنين عليه السلام من تعداد هذه الصّفات الإشارة إلى خفايا أوصاف العباد وحالاتهم، وتقدّم الربوة في النظر ليس شيئاً مخفيّاً فافهم.

وبالجملة فالمقصود بذلك كلّه تمجيد الله باعتبار إحاطة علمه وعدم خفاء شيء من هذه الأمور عليه سبحانه **(في ليل داج)** ظلماني **(ولا غسق ساج)** ساكن كما يخفى فيهما على غيره تعالى، وذلك لأنّ معرفة غيره تعالى بهذه الأشياء من العباد وإدراكه لها إنّما هو بواسطة آلات جسمانيّة كالباصرة والسامعة ونحوها، وأقواها الباصرة، والظلمة مانعة عن إدراكها البتّة، وأما الله الحيّ القيوم فلا يتفاوت علمه بالنسبة إلى نهار وليل، وشهادة وغيب بل يعلم السرّ وأخفى.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

(يتفيأ عليه القمر المنير) أي يتقلّب على الغسق القمر المنير ذاهباً وجائياً في حالتي أخذه في الضّوء إلى التّبدّر وأخذه في النّقص إلى المحاق **(وتعقبه)** أي القمر **(الشمس ذات النّور)** أي تعاقبه **(في الأفول والكرور)** يعني إنّها تطلع عند أفوله ويطلع عند أفولها **(وتقليب الأزمنة والدهور من إقبال ليل مقبل وإدبار نهار مدبر)** أي أنّهما يتعاقبان ويجيء أحدهما بعد الآخر ويقلّبان الأزمان ويجعلان اللّيل نهاراً والنّهار ليلاً.

ثمّ عاد إلى وصفه سبحانه أيضاً بقوله: **(قبل كلّ غاية ومدّة وكلّ إحصاء وعدّة)** لأنه سبحانه خالق الكل وموجده ومبدؤه فوجب تقدّمه وقبليّته عليه جميعاً **(تعالى)** وتقدّس **(عمّا ينحله)** ويعطيه **(المحدّدون)** الجاعلون له حدوداً من المشبّهة والمجسّمة **(من صفات الأقدار)**

أي المقادير **(ونهايات الأقطار)** طولاً وعرضاً وصغراً للحجم وكبراً **(وتأثل المساكن وتمكّن الأماكن)** أي اكتساب المساكن واستقرار الأحياز ونحوها مما هو من صفات المخلوقات المنزّه المتعالى عنها خالق الأرض والسماوات تنزّهاً ذاتياً وعلوّاً كبيراً.

(فالحدّ لخلقه مضروب وإلى غيره منسوب) يعني أنه سبحانه جاعل الحدود والنهايات ومبدئها وموجدها فأبدأها وضربها لمخلوقاته وأضافها إلى مبدعاته وجعل لكلّ منها حداً معيّناً وقدراً معلوماً، فهي أوصاف للممكنات وحضرة القدس مبرّأة عنها.

روى في الكافي عن سهل بن زياد عن بشر بن بشّار النّيسابوري قال: كتبت إلى الرّجل أنّ من قبلنا قد اختلفوا في التّوحيد فمنهم من يقول إنّه جسم ومنهم من يقول إنّه صورة، فكتب عليه السلام: «سبحان من لا يحدّ ولا يوصف ولا يشبهه شيء وليس كمثله شيء وهو السّميع البصير».

(لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة ولا من أوائل أبديّة) قال العلامة المجلسيّ: ردّ على الفلاسفة القائلين بالعقول والهيولى القديمة.

وقال الشّارح المعتزلي: الردّ في هذا على أصحاب الهيولى والطّينة الّتي يزعمون قدمها وقيل: إنّ معناه ليس لما خلق أصل أزليّ أبديّ خلق منه من مادّة وصورة كما زعمت الفلاسفة.

وقال الشّارح البحراني: إنّه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون أصلاً.

ومحصّل ما ذكروه أنّ خلقه للأشياء على محض الإبداع والاختراع وأن لا مبدأ لصنعه إلاّ ذاته، إذ لو كان خلقه لها مسبوقاً بمادّة أو مثال فإن كانا قديمين لزم تعدّد القدماء، وإلاّ لزم التسلسل في الأمثلة والمواد.

وأوضح هذا المعنى بقوله **(بل خلق ما خلق فأقام حدّه وصوّر ما صوّر فأحسن صورته)** يعني أنّه المخترع لإقامة حدود الأشياء على ما هي عليها من المقادير والأشكال والنهايات والآجال والغايات على أبلغ نظام. ومصوّرها على أحسن إتقان وإحكام **(ليس لشيء منه امتناع)** لعموم قدرته وغاية قهره وقوّته **(ولا له بطاعة شيء انتفاع)** إذ هو الغنيّ المطلق عمّا عداه والمتعالي عن الإفتقار إلى ما سواه، فلو كان منتفعاً بطاعة مخلوقاته لزم أن يكون مستكملاً بغيره فاقداً للكمال بذاته.

وهو أيضاً **(علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين)** لأنّه لا يتفاوت علمه بالنّسبة إلى الحاضرين الموجودين والغائبين المعدومين كما يتفاوت في حقّنا وذلك لأنّ علمنا بالأشياء كما أنّا نعلم قبل وجود زيد أنّ زيداً معدوم، فإذا وجد نعلم أنّه موجود، ثمّ إذا عدم

بعد وجوده نعلم أنّا كان موجوداً فقد تغيّر علمنا بتغيّر المعلوم وحصل التّفاوت بين الحالين ومن شأن ذلك أنّ علمنا زماني وأنه مستفاد من الموجودات وأحوالها وأمّا الله الحيّ القيّوم فهو إنّما يعلم كلّ شيء جزئي أو كليّ من ذاته ولا يجوز أن يكون يعلم الأشياء من الأشياء، وإلا يلزم أن يستفيد علمه من غيره ويكون لولا أمور من خارج لم يكن عالماً فيكون لغيره تأثير في ذاته، والأصول الإلهيّة تبطل ذلك مضافاً إلى استلزامه التّغيّر في ذاته بتغيّر معلوماته.

(و) من ذلك علم أيضاً أنّ **(علمه بما في السّماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السّفلى)** من دون تفاوت بينهما وأمّا غيره تعالى من أهل الأرض فعلمهم بما في الأرضين أقوى من علمهم بما في السّماوات، كما أنّ أهل السّماوات أعلم بها من أهل الأرض، ومنشأ ذلك التّفاوت تفاوت الأمكنة كما أنّ منشأ التفاوت فيما سبق تفاوت الأزمنة قرباً وبعداً.

وبالجملة لما كان نسبة ذات الباري إلى جميع أجزاء الزّمان والزّمانيّات وجميع أصقاع المكان والمكانيّات على حدّ سواء، كان علمه بالنسبة إلى الجميع كذلك.

ثمّ خاطب الإنسان بما فيه من بدائع الصّنع وعجائب الإبداع ليتخلّص منه إلى عظمة المبدع سبحانه وكمال قدرته وجلاله فقال: **(أيها المخلوق السّوي)** أي: مستقيم القامة معتدل الخلقة **(والمنشأ المراعى)** المحفوظ **(في ظلمات الأرحام ومضاعفات الاستار)** العطف كالتفسير والمراد بها ما أشير إليه في قوله: ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر: ٦] أي ظلمة البطن والرّحم والمشيمة أو الصّلب والرّحم والبطن والأوّل مرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

(بدئت من سلالة من طين وضعت في قرار مكين) قال الشّارح المعتزلي: الكلام الأوّل لآدم الّذي هو أصل البشر، والثاني لذرّيته.

أقول: بل كلاهما لذرّيته كما عرفته في شرح الفصل السّابع من فصول الخطبة الثّانية والثّمانين، والمراد بالقرار المكين الرّحم متمكّنة في موضعها برباطاتها، لأنّها لو كانت متحرّكة لتعذّر العلوق أي وضعت في الرّحم منتهياً **(إلى قدر معلوم وأجل مقسوم)** قال الشّارح المعتزلي: أي مقدار معلوم طوله وشكله إلى أجل مقسوم مدّة حياته.

أقول: بل الظّاهر أنّ المراد بالأجل المقسوم هو المدّة المضروبة لبقائه في الرّحم من سبعة أشهر أو تسعة ونحوهما، وبالقدر المعلوم هو صغر حجمه وكبره ومقدار قطره طولاً وعرضاً إذ كان جنيناً في بطن أمّه، لا الحياة المقسوم له في الدّنيا ومقداره المعلوم فيها كما زعمه الشّارح لأنّه عليه السلام لم ينتقل بعد إلى بيان نشأته الدّنياويّة كما يومي إليه قوله **(تمور في**

بطن أمّك جنيناً) أي: تضطرب وتتحرّك فيه **(لا تحير دعاء ولا تسمع نداء)** أي لا تقدر على أن تردّ جواباً لدعوة من دعاك، وعلى محاورته كما لا تقدر على سماع ندائه.

(ثمّ أخرجت من مقرّك) أي: القرار المكين **(إلى دار لم تشهدها)** أي: الدّار الّتي لم تكن شاهدتها قبل خروجك إليها **(ولم تعرف سبل منافعها)** ثمّ اهتديت إليها.

(فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمك) ولالتقام حلمة الثدي وامتصاصها **(وعرّفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك)** ومعلوم أن الهادي للإجترار والمعرّف لمحالّ الطلب ليس إلاّ الله سبحانه، فالغرض من الاستفهام التّنبيه على وجود الخالق الهادي إلى المطالب، والمرشد إلى المآرب، وهذا القدر من العلم بالصّانع ضروري في النّفوس وإن احتاج إلى أدنى تنبيه وما وراء ذلك بمعنى صفات الكمال ونعوت الجلال أمور لا تطّلع عليها العقول البشريّة بالكنه.

وإليه أشار بقوله **(هيهات)** أي بعد الوصول إلى كنه معرفة الخالق والغور في تيّار بحار جلاله وكبريائه فـ**(إنّ من يعجز عن)** معرفة **(صفات)** نفسه في حال تخليقه والاطّلاع على منافع أجزائه وأعضائه ومعرفة من هو مثله من سائر **(ذي الهيئة والأدوات)** والجوارح والآلات مع كونها محسوسة مشاهدة له **(فهو عن)** معرفة **(صفات خالقه)** الّتي هي أبعد الأشياء مناسبة له **(أعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين)** وإدراكه له سبحانه بالمقايسة إليهم والتشبيه بهم **(أبعد)** كما هو ظاهر بالعيان، غنيّ عن البيّنة والبرهان.

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن حضرت است در حمد و ثنای خداوند ذوالجلال و وصف او با صفات عزّ و کمال می فرماید:

حمد و ستایش معبود به حقّی را سزا است که خالق بندگان است و گستراننده زمین و روان کننده زمین های نشیب است به باران و فراخ سالی دهنده زمینهای بلند است به رویانیدن گیاهان، نیست اوّلیت او را ابتدایی و نه ازلیّت او را نهایت و انتهایی؛ او است اوّل بی زوال و باقی بی غایت؛ افتادند از برای سجده او پیشانی های مکلّفان و به توحید او مشغول شد لبهای پیران و جوانان؛ حدّ معیّنی قرار داد همه اشیاء را هنگام آفریدن آنها به جهت ابداء مباینت و جدایی خود از مشابهت آنها؛ تقدیر و تشخیص نمی تواند بکند او را وهم ها به نهایت ها و حرکت ها و نه به عضوها و آلت ها؛ گفته نمی شود که او از کیست به جهت تنزّه او از احاطه زمان و زده نمی شود از برای او مدّتی به کلمه حتّی که افاده انقضاء و انتها می نماید؛ ظاهر است، گفته نمی شود از چه ظاهر شد، به جهت این که منزّه است از مادّه و امکان و پنهان است، گفته نمی شود که در چه پنهان است، به جهت این که مبرّا است از مکان، نه جثّه و جسمی است که فانی و منقضی بشود و نه مستور است و محجوب که چیزی بر او احاطه نماید نزدیك نیست به اشیاء به چسبیدن و دور نیست از آنها به جدا شدن، پنهان نمی ماند بر او از بندگان مدّ بصری و نه مکرّر کردن لفظی و خبری و نه بلند شدن ایشان به پشته کوهی و نه گستردن گامی در شب تاریك و نه در ظلمت برقرار که برمی گردد به آن ظلمت و تاریکی ماه نوربخش و در عقب ماه می آید آفتاب صاحب نور در غروب و رجوع و در برگردانیدن آن زمانها و روزگارها که عبارت است از اقبال کردن شب اقبال کننده و از ادبار نمودن روز ادبارنماینده، موجود است پروردگار عالم پیش از هر نهایتی و مدّتی و قبل از هر شمردنی و تعدادی، منزّه است از آن چه که بخش می کنند به او تحدیدکنندگان او از صفت های مقدارها و از جوانب قطرها و از کسب نمودن مسکن ها و تمکّن یافتن وطن ها، پس حدّ و نهایت مر خلق او را زده شده

و به سوى غير او نسبت داده شده؛ نيافريد چيزها را از اصل هايى كه ازلى باشد و نه از اوّلهايى كه ابدى باشد، بلكه آفريد آن چه كه آفريد، پس برپا داشت حدّ آن را و تصوير نمود آن چه كه تصوير فرمود، پس نيكو گردانيد صورت آن را؛ نيست هيچ چيز را از امر او امتناعى و نيست مراورا به طاعت چيزى انتفاعى؛ علم او بر مردگان گذشتگان مثل علم او است بر زندگان باقى ماندگان واحاطه او به آن چيزى كه در آسمان هاى بلندها است مثل احاطه او است به چيزهايى كه در زمين هاى پستها است.

از جمله فقرات اين خطبه است، مى فرمايد:

اى مخلوقى كه مستوى الاعضاء است و ايجاد شده اى كه محفوظ بوده است در ظلمت هاى رحم ها و در پرده هاى متضاعفه، ابتدا كرده شدى از خلاصه گل و نهاده شدى در قرار محكم تا اندازه معلوم و مدّت قسمت كرده شدهِ در حالتى كه مضطرب بودى در شكم مادر خود در حالت بچگى كه نمى توانستى جواب بدهى دعوت كننده را و نمى توانستى بشنوى طلب نماينده را، پس از آن بيرون آورده شدى از قرارگاه خودت به سوى خانه اى كه نديده بودى آن را و نه شناخته بودى راه هاى منافع آن را، پس كه هدايت نمود تو را به كشيدن غذا از پستان مادرت؟ و شناساند تو را هنگام احتياج تو مواضع طلب تو و اراده تو را؟ خيلى دور است معرفت ذات او و از جهت اين كه كسى كه عاجز بشود از معرفت صفات صاحب صورت و اعضا، پس از معرفت صفات آفريننده خود عاجزتر است و از ادراك ذات او به حدود و نهاياتى كه مخلوقات را است دورتر و مهجورتر.

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والثالث والستون من المختار في باب الخطب

وقد رواه في شرح المعتزلي عن أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري مثل ما أورده السّيد هنا مع إضافات تطّلع عليه، وقد تكلّم بذلك الكلام لمّا اجتمع النّاس عليه وشكوا ممّا نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه السلام عليه فقال:

إنَّ النّاسَ وَرائي وَقَد اسْتَسْفَرُوني بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللّهِ ما أدْري ما أقُولُ لَكَ، ما أعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُه، وَلاَ أدُلُّكَ علىٰ أمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ، إنَّكَ لتَعْلَمُ ما نَعْلَمُ، مَا سَبَقْناكَ إلىٰ شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنا فَنُبَلِّغُكَهُ، وَقدْ رَأيْتَ كَمَا رَأينا، وسَمِعْتَ كما سَمِعْنا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله كَمَا صَحِبْنا، وَمَا ابْنُ أبي قُحافَةَ وَلاَ ابْنُ الخَطّابِ أوْلىٰ بِعَمَلِ الحَقِّ مِنْكَ، وَأنْتَ أقْرَبُ إلىٰ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وَشيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُما، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْره ما لَمْ يَنالاَ، فَاللّهَ اللّهَ في نَفْسِكَ فَإنَّكَ واللّهِ ما تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإنَّ الطُّرُقَ لَواضِحَةٌ، وَإنَّ أعلامَ الدِّينِ لَقائِمَةٌ، فَاعْلَمْ أنَّ أفْضَلَ عِبادِ اللّهِ عِنْدَ اللّهِ إمامٌ عادِلٌ هُدِيَ وَهَدىٰ، فَأقامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وأماتَ بِدْعَةً مَجْهولَةً، وَإنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَها أعْلامٌ، وإنَّ البِدَعَ لَظاهِرَةٌ لَها أعلامٌ، وَإنّ شَرَّ النّاسِ عِنْدَ اللّهِ إمامٌ جائِرٌ ضَلَّ وضُلَّ بِهِ، فَأماتَ سُنَّةً مَأخُوذَةً وأحْيىٰ بِدْعَةً مَتْرُوكَةً.

وَإنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: يُؤْتىٰ يَوْمَ القِيامَةِ بالإمامِ الجائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصيرٌ وَلا عاذِرٌ فَيُلْقىٰ في نارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فيها كَما تَدُورُ الرَّحىٰ ثُمَّ يُرْتَبَطُ في قَعْرِها.

وإنّي أُنْشِدُكَ أنْ تَكُونَ إمامَ هٰذِهِ الأُمَّةِ المَقْتُولَ فإنهُ كانَ يُقالُ: يُقْتَلُ في هٰذِهِ الأُمَّةِ إمامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا القَتْلُ وَالقِتالُ إلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ وَيَلْبَسُ أُمُورُها عَلَيْها وَيَبُثُّ الفِتَنُ فيها فَلاَ يُبْصِرُونَ الحَقَّ مِنَ الباطِلِ، يَمُوجُونَ فيها مَوجاً، ويَمْرُجُون فيها مَرْجاً، فَلا تَكُونَنَّ لِمَرْوانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شاءَ بَعْدَ جَلالِ السِّنِّ وتَقَضّي العُمْرِ[1].

فقال له عثمان: كلّم النّاس في أن يؤجّلوني حتّىٰ أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام:

ما كانَ بِالْمَدينَةِ فَلاَ أجَلَ فيهِ، وَما غابَ فَأجَلُهُ وُصُولُ أمْرِكَ إلَيْهِ.

(1) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٦٢، وبحار الأنوار: ٣١/ ٤٨٩ ح٩.

اللغة

(نقمت) عليه أمره ونقمت منه نقماً من باب ضرب ونقوماً ومن باب تعب لغة إذا عتبته وكرهته أشدّ الكراهة لسوء فعله و**(الاستعتاب)** طلب العتبي وهو الرّضا والرّجوع و**(الوشيجة)** عرق الشّجرة والواشجة الرّحم المشتبكة وقد وشجت بك قرابة فلان، والاسم الوشيج كما عن الصّحاح و**(يرتبط)** أي يشدّ وعن بعض النسخ يرتبك بدلها أي ينشب و**(يلبّس)** أمورها من التلبيس وفي بعض النّسخ تلبس أمورها من اللّبس بالضمّ وهو الإشكال و**(مرج)** أمره اختلط واضطرب ومنه الهرج والمرج و**(السيّقة)** بتشديد الياء المكسورة ما استاقه العدوّ من الدّواب و**(جلّ)** يجلّ جلالة وجلالاً أسنّ.

الإعراب

(الواو) في قوله: وأنت أقرب، للحال وتحتمل العطف، والجملة في معنى التّعليل لسابقه كما هو ظاهر، و(وشيجة رحم) منسوب على التّميز، و(الله الله) منصوبان على التحذير، وجملة (يموجون فيها) (ا هـ) تأكيد معنويّ لسابقتها ولذلك ترك العاطف و(الفاء) في قوله: فلا تكوننّ، فصيحة.

المعنى

إعلم أنّه قد تقدّم في شرح الفصل الرّابع من الخطبة الثالثة والتّذييل الثّاني من شرح الكلام الثّالث والأربعين أنّ عثمان أحدث في الدّين أحداثاً، وأبدع بدعاً، واستعمل الفسّاق وأرباب الظلم على الأمصار، وتقدّم في شرح الكلام الثّلاثين أنّه لمّا شاع الظّلم والفساد منه ومن عمّاله في المدينة وسائر البلاد أوجب ذلك إجلاب النّاس عليه وتحريض بعضهم بعضاً على خلعه من الخلافة وقتله.

وأقول هنا: إنّه لمّا تكاثرت أحداثه وتكاثر طمع الناس فيه كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق إنكم كنتم تريدون الجهاد فهلمّوا إلينا فإنّ دين محمّد قد أفسده خليفتكم فاخلعوه، فاختلف إليه القلوب وجاء المصريون وغيرهم إلى المدينة فاجتمعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكلّموه وسألوه أن يكلّم عثمان.

و**(لما اجتمع الناس إليه وشكوا مما نقموه)** وكرهوه **(على عثمان وسألوا)** منه عليه السلام **(مخاطبته عنهم واستعتابه لهم)** أي أن يطلب لهم منه الرّجوع إلى الحق والارتداع عن أحداثه والإقلاع عن بدعه، استجاب عليه السلام مسألتهم **(فدخل عليه)** وكلّمه بما أورده السيد رحمه الله في الكتاب.

وقد رواه عنه عليه السلام أيضاً محمّد بن جرير الطبري في تاريخه الكبير كما في شرح المعتزلي قال: إن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تكاتبوا فكتب بعضهم إلى بعض أن أقدموا فإنّ الجهاد بالمدينة لا بالرّوم، فاستطال الناس على عثمان ونالوا منه في سنة أربع وثلاثين ولم يكن أحد من الصحابة يذبّ عنه ولا ينهي إلاّ نفر منهم زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، فاجتمع الناس فكلّموا عليّ بن أبي طالب وسألوه أن يكلّم عثمان فدخل عليه **(فقال عليه السلام)** له:

(انّ الناس ورائي وقد استسفروني) أي: اتّخذوني سفيراً **(بينك وبينهم ووالله ما أدري ما أقول لك)** وبأيّ لسان أتكلّم معك يؤثّر فيك **(ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه)** يعني أنّ قبائح هذه الأعمال وفضائح تلك البدعات ليست بحيث تختفي على أحد، بل هي واضحة للصبيان غنيّة عن التنبيه والبيان.

وهذا هو مراده أيضاً بقوله **(إنك لتعلم ما نعلم)** أي: تعلم من شناعة تلك الأحداث خاصّة ما نعلمه، وليس المراد بيان وفور علمه وأنه يعلم كلّما يعلمه عليه السلام كما توهمه البحراني حيث قال: وحاصل الكلام استعتابه باللّين من القول فأثبت له منزلته من العلم أي بأحكام الشريعة والسنن المتداولة بينهم في زمان الرّسول صلى الله عليه وآله والظهور على كلّ ما ظهر عليه من مرئيّ ومسموع.

(وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلّغكه) يعني أنك قد أدركت من صحبة الرّسول ما أدركناه، وعرفت من سيره وسلوكه وسياساته المدنيّة ما عرفناه، لم نكن منفردين بذلك، ولم تكن غائباً عن شيء منه حتى نبلّغكه وندلك عليه.

وأكد ذلك بقوله: **(وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله** كما صحبنا) ثمّ خرج إلى ذكر الشيخين تهييجاً له وإلهاماً فقال **(وما)** أبو بكر **(ابن أبي قحافة ولا)** عمر **(ابن أبي الخطاب بأولى بعمل الخير)** وفي بعض النسخ بعمل الحقّ **(منك و)** ذلك لأنك **(أنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله** وشيجة رحم منهما) أي من حيث النسب فأنت أولى بالتأسّي به من غيره والأخذ بسنّته صلى الله عليه وآله وسيرته.

وإنّما جعله أقرب نسباً لاشتراكه مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الجدّ الأدنى أعني عبد مناف، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وعثمان هو ابن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف.

وأمّا هما فيشتركان معه صلى الله عليه وآله في الجدّ الأعلى أعني كعب بن لؤي، فإنّ عبد مناف هو ابنُ قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب، وأبا بكر بن أبي قحافة: عثمان بن عمرو بن كعب بن

سعد بن تيم بن مرّة بن كعب، وعمر بن الخطّاب: ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن زراح بن عديّ بن كعب، هذا.

ولا يخفى عليك أن تشريك الثلاثة مع النبي ﷺ في النسب إنّما هو بحسب الظاهر ومن باب المماشاة وجرياً بما هو المعروف عند الناس، وإلا فقد علمت في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثّالثة الطعن في نسب عمر، وفي شرح الكلام السادس والسبعين الطّعن في نسب عثمان وسائر بني أميّة فتذكّر.

ثمّ أثبت له القرب بالمصاهرة فقال: **(وقد نلت من صهره ﷺ** ما لم ينالا) لأنّه قد تزوّج رقية بنت النبي ﷺ وبعد موتها عقد على بنته الأخرى أمّ كلثوم، ولذلك لقب عند العامة بذي النورين، وأما عند أصحابنا فظلمه في حقهما مشهور والأخبار بذلك عن طريق أهل البيت مأثور.

قال المحدّث الجزائري: إنّ طوائف العامة والخاصة رووا أنّ عثمان قد ضرب رقية زوجته ضرباً مبرحاً أي مؤلماً حتى أثرت السياط في بدنها على غير جناية تستحقها ولما أتت النبيّ ﷺ شاكية تكلّم عليها، وقال ﷺ: لا يليق بالمرأة أن تشكو من زوجها وأمرها بالرّجوع إلى منزله، ثمّ كرّر عليها الضرب فأتت النبي ﷺ ثمّ ردّها، ثمّ ضربها الضرب الذي كان السبب في موتها فأمر النبي ﷺ علياً أن يخرجها من منزل عثمان فأتى بها إلى بيت النبيّ ﷺ وماتت فيه.

ثمّ حذّره عليه السلام من الله سبحانه وخوّفه من عقابه فقال: **(فالله الله في)** شأن **(نفسك فإنك والله ما تبصّر من عمى ولا تعلّم من جهل)** أي: لا تحتاج إلى التبصرة والتعليم **(و)** الحال **(أنّ الطرق)** أي طرق الشرع المبين **(لواضحة وأنّ أعلام الدّين لقائمة)** والإتيان بالجملات مؤكدة بأنّ واللام وغيرهما لعدم جرى المخاطب بمقتضى علمه.

ولذلك شدّد التأكيد بالتنبيه على فضل الإمام العادل على الإمام الجائر تنفيراً له عن الجور وترغيباً إلى العدل فقال: **(فاعلم أنّ أفضل عباد الله إمام عادل هدي)** بنور الحقّ **(وهدى)** غيره كما قال سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام في رواية عبد الله بن سنان: هم الأئمة صلوات الله عليهم **(فأقام سنّة معلومة)** بالتصديق على حقّيتها والقيام بوظائفها **(وأمات بدعة مجهولة)** بالتنبيه على بطلانها والارتداع عنها **(وأنّ السنن)** النبوية والشرائع المصطفوية **(لنيّرة لها أعلام)** ومنار **(وأنّ البدع)** المستحدثة **(لظاهرة لها أعلام)** وآثار لا يخفى ما في حسن التعبير والخطابة بالنيرة في السنن وبالظاهرة في البدع.

(وأنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ) في نفسه **(وضلّ)** غيره **(به)** كما قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ قال الصادق عليه السلام في رواية معلّى بن خنيس: «هو من يتخذ دينه برأيه بغير هدى إمام من أئمة الهدى» **(فأمات سنة مأخوذة)** وسعى في إطفاء نور الحقّ **(وأحيا بدعة متروكة)** وجدّ في ترويج الباطل، هذا.

وتقسيم الإمام على القسمين أعني الإمام العادل والإمام الجائر قد ورد في الكتاب العزيز وغير واحد من الأخبار.

مثل ما رواه في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم بإسناده عن جعفر بن محمّد عن أبيه رحمه الله قال: الأئمة في كتاب الله إمامان: إمام عدل وإمام جور، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]، لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، وقال ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ يقدمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله ويأخذون بأهوائهم خلافاً لما في كتاب الله.

وفيه من بصائر الدّرجات مسنداً عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يصلح الناس إلا إمام عادل وإمام فاجر إنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾.

ثمّ إنّه شدّد التنفير عن الجور بالتّنبيه على عقوبة الإمام الجائر بما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله فقال: **(وإنّي سمعت رسول الله** صلى الله عليه وآله **يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير)** ينجيه من نار الجحيم **(ولا عاذر)** يدفع عنه العذاب الأليم **(فيلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرّحى ثمّ يرتبط)** ويشدّ **(في قعرها)** فلا يكون له مخلص ولا منجاة عنها.

ثمّ حذّره عن القتل بما لاح له عليه السلام من الأسباب المؤدّية إليه فقال: **(وإنّي أنشدك الله)** أي أسألك وأقسم عليك **(أن تكون إمام هذه الأمّة المقتول)** أراد الإمام الدّاعي إلى النّار **(فإنه كان يقال)** الظّاهر أنّ القائل هو النبيّ صلى الله عليه وآله وأبهم لاقتضاء المصلحة **(يقتل في هذه الأمّة إمام يفتح عليها)** أي على هذه الأمّة **(باب القتل والقتال إلى يوم القيامة)** بقتله **(ويلبّس أمورها عليها)** أي يدلّس ذلك الإمام ويلبّس أمور الأمة عليهم ويوقعهم في اللّبس والإشكال **(ويبث الفتن)** وينشرها **(فيها فلا يبصرون الحقّ من الباطل يموجون فيها)** أي في تلك الفتن **(موجاً ويمرجون)** أي يختلطون ويطربون **(فيها مرجا)**.

أقول: وقد وقع مصداق هذا الخبر الذي رواه أمير المؤمنين عن النبيّ صلى الله عليه وآله على طبق ما رواه، فإنّ عثمان لما ولّي وأوطأ رقاب الناس بني أبي معيط وبني أمية وولاّهم على البلاد انتشر الهرج والمرج والفساد، وتظاهر الفتن، وانجزم حبل الدّين، وتزعزع سوارى اليقين، وخمل الهدى، وشمل العمى، وضاق المصدر وعمي المخرج، حتى أشتدّ الظلم والمحن

والبلوى، وبلغ الغاية القصوى كما قال عزّ من قائل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

إلى أن انتكث على عثمان قتلته، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، وقتل شرّ قتلة، فكان قتله عنواناً للناكثين والقاسطين والمارقين، وانفتح على الأمة باب القتل والقتال والتخاصم والجدال إلى أن قام ابن أبي سفيان وآل حرب حزب الشيطان بالخلافة، واستقلّ بالإمارة، فمنحته الدّنيا درّها، وأوردته صفوها، فتمادى في الظلم والطغيان، ولم يدع لله محرّماً إلاّ استحله، ولا عقداً إلا حلّه، حتى لم يبق بيت مدر ولا وبر إلاّ دخله ظلمه، ونبا به سوء رعيه، فقتل من المهاجرين والأنصار وسائر المسلمين مائة ألف أو يزيدون، وحذا حذوه ابنه اللعين، فقتل بالطفّ سبط سيد المرسلين وأنصاره المظلومين، وتبعهم سائر بني أمية وبني مـروان: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩].

ثمّ إنه لما محض النصح لعثمان وأراه وجه الصواب والسداد ودله على نهج الحقّ والرّشاد وحذّره من القتل، وكان مروان بن الحكم اللعين طريد رسول ربّ العالمين أقوى الأسباب الباعثة لنكبه عن طريق الحقّ إلى الباطل والضلال، ولإيقاعه في المعاطب والمهالك. لا جرم نهاه عن اتّباعه والرّجوع إليه والأخذ برأيه وقال: **(فلا تكونن سيّقة لمروان يسوقك حيث شاء بعد جلال السن)** وكبره **(وتقضي العمر)** وفنائه.

(فقال له عثمان: كلم الناس في أن يؤجلوني) أي يمهلوني **(حتى أخرج إليهم من مظالمهم)** وأردّ ظلامتهم **(فقال** عليه السلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك إليه**)** قال الشارح المعتزلي: هذا كلام فصيح لأنّ الحاضر أيّ معنى لتأجيله والغائب فلا عذر بعد وصول الأمر في تأخيره، لأنّ السلطان لا يؤخر أمره[١].

تكملة

في الشرح بعد روايته عن محمّد بن جرير الطبري في تاريخه تمام هذه المخاطبة بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين عثمان حسبما أشرت إليه وأنهاها إلى آخرها قال:

فقال عثمان: وقد علمت أنك لتقولنّ ما قلت أما والله لو كنت مكاني ما عنّفتك ولاعبت عليك ولم آتِ منكراً إنّما وصلت رحماً وسددت خلّة وأويت ضائعاً وولّيت شبيهاً بمن كان عمر يولّيه، أنشدك الله يا عليّ ألا تعلم أنّ مغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: بلى،

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/٢٦٤، وبحار الأنوار: ٣١/٤٨٩ ح٩.

قال: أفلا تعلم أنّ عمر ولاّه؟ قال: بلى، قال: فلم تلومني إن ولّيت ابن عامر في رحمه وقرابته؟.

فقال عليّ عليه السلام إنّ عمر كان يطأ على صماخ من يولّيه ثمّ يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أقصى العقوبة وأنت فلا تفعل ضعفت ورققت على أقربائك.

قال عثمان: أفلا تعلم أنّ عمر ولّى معاوية فقد وليّته.

قال عليّ عليه السلام: أنشدك الله ألا تعلم أنّ معاوية كان أخوف لعمر من يرفاء غلامه له؟ قال: بلى، قال: فإنّ معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للنّاس هذا بأمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلاتغيّر عليه.

ثمّ قام عليّ عليه السلام فخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر فخطب النّاس وقال: أمّا بعد فإنّ لكل شيء آفة ولكلّ أمر عاهة، وإنّ آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النّعمة عيّابون طعّانون يرونكم ما تحبّون ويسرّون عنكم ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون أمثال النّعام يتبع أوّل ناعق، أحبّ مواردها إليها البعيد لا يشربون إلاّ نغصاً ولا يردون إلاّ عكراً أما والله لقد عبتم علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ولنت لكم وأوطأتكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم عليّ، أم والله لأنا أقرب ناصراً وأعزّ نفراً وأكثر عدداً وأحرى إن قلت هلمّ أن يجاب صوتي، ولقد أعددت لكم أقراناً، وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خُلقاً لم أكن أحسنه ومنطقاً لم أكن أنطق، فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم، فما الذي تفقدون من حقكم؟ والله ما قصرت عن بلوغ شأو من كان قبلي، وما وجدتكم تختلفون عليه، فما بالكم.

فقال مروان بن الحكم فقال: وإن شئتم حكّمنا بيننا وبينكم السيف.

فقال عثمان: اسكت دعني وأصحابي ما منطقك في هذا، ألم أتقدّم إليك أن لا تنطق؟ فسكت ونزل عثمان[1]، هذا.

وفي الشرح: أيضاً عن الطبري في شرح الكلام الثلاثين قال:

وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره فأشاروا أن يرسل إلى عليّ عليه السلام يطلب إليه أن يردّ الناس ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه الإمداد فقال إنهم لا يقبلون التعليل وقد كان مني في المرّة الأولى ما كان، فقال مروان: أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فإنهم قوم قد بغوا عليك ولا عهد لهم.

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٣٧٨، والبداية والنهاية: ٧/ ١٨٩.

فدعا علياً وقال له: قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي فارددهم فإني أعطيتهم ما يريدون من الحقّ من نفسي ومن غيري.

فقال عليّ عليه السلام: إنّ الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإنهم لا يرضون إلاّ بالرّضا وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تف به فلا تغرر في هذه المرّة فإنّي معطيهم عنك الحقّ.

قال: أعطهم فوالله لأفينّ لهم.

فخرج عليّ عليه السلام إلى الناس فقال: إنكم إنّما تطلبون الحقّ وقد أُعطيتموه وإنّه منصفكم من نفسه.

فسأله الناس أن يستوثق لهم وقالوا: إنا لا نرضى بقول دون فعل.

فدخل عليه السلام إليه فأعلمه.

فقال: أضرب بيني وبين الناس أجلاً فإني لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد.

فقال عليّ عليه السلام: أمّا ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وأما ما غاب فأجله وصول أمرك إليه.

قال: نعم فأجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام.

فأجابه إلى ذلك وكتب بينه وبين الناس كتاباً على ردّ كلّ مظلمة وعزل كلّ عامل كرهوه فكفّ الناس عنه.

وجعل يتأهب سرّاً للقتال ويستند بالسلاح والجند جدّاً، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغيّر شيئاً ثار به الناس وخرج قوم إلى من بذي خشب من المصريين فاعلموهم الحال فقدموا المدينة وتكاثر الناس عليه وطلبوا منه عزل عماله وردّ مظالمهم، فكان جوابه لهم: إني إن كنت استعمل من تريدون لا من أُريد فلست إذاً في شيء من الخلافة والأمر أمركم فقالوا لتفعلنّ أو لتخلعنّ أو لنقتلنك، فأبى عليهم وقال: لا أنزع سربالاً سربلنيه الله، فحصروه وضيقوا الحصار وأدّى الأمر إلى قتله، على ما مرّ منا في شرح الكلام الثلاثين.

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام و نصیحت انجام آن حضرت است در حینی که جمع شدند مردمان به سوی او و شکایت کردند از چیزی که ناخوش می گرفتند بر عثمان بن عفّان و خواهش کردند از آن حضرت که از جانب ایشان سؤال و جواب نماید و طلب کند از عثمان که رجوع به حق نماید و ایشان را خوشنود سازد، پس داخل شد آن بزرگوار بر عثمان، پس فرمود:

به درستی که مردمان در عقب منند و به درستی که ایلچی اخذ نموده اند مرا در میان تو و میان خودشان و به خدا سوگند نمی دانم چه گویم تو را و نمی دانم چیزی را که تو ندانی آن را و نمی توانم دلالت کنم تو را بر چیزی که نشناسی آن را، به درستی که تو می دانی آن چه که ما می دانیم، سبقت نیافته ایم از تو به چیزی تا خبر بدهیم به تو از آن و تنها نشده ایم به چیزی تا ابلاغ بکنیم به تو آن را و به تحقیق که تو دیده ای چنان چه ما دیده ایم و شنیده ای چنان چه ما شنیده ایم و صحبت کرده ای با رسول خدا (ﷺ) چنان چه ما صحبت داشته ایم و نه بود پسر ابوقحافه و نه پسر خطاب سزاوارتر به عمل خیر از تو و حال آن که تو اقرب هستی به رسول خدا (ﷺ) از حیثیّت رگهای خویشی از ایشان، پس بترس از خدای قهّار در نفس خود، پس به درستی که تو قسم به خدا بصیرت داده نمی شوی از کوری و تعلیم یافته نمی شوی از جهالت و به درستی که راه های شریعت هرآینه واضح و هویدا است و به درستی که علامت های دین هرآینه ثابت و برپا است، به درستی افضل بندگان خدا در نزد خدا امام عادلی است که هدایت شده باشد و هدایت نماید، پس برپا دارد سنّت و طریقه معلومه را و بمیراند و برطرف سازد بدعت مجهوله را و به درستی که سنّتها هرآینه تابانند و درخشان، مرآنها را است علامت ها و به درستی که بدعت ها ظاهر است و هویدا، مرآن ها را است علامت ها و به درستی که شریرترین مردمان در نزد خدا امام جائری است که گمراه باشد و گمراه شوند به سبب او، پس بمیراند سنّت مأخوذه را و زنده گرداند بدعت متروکه را.

و به درستی که من شنیدم از حضرت ختمی مآب (ﷺ) که می فرمود: آورده می شود در روز قیامت امام جورکننده را در حالتی که نباشد با او یاری دهنده ای و نه عذرآورنده ای، پس انداخته شود در آتش دوزخ، پس دور می کند در آن آتش چنان چه دور می کند آسیا، پس از آن بسته شود در قعر جهنم.

و به درستی که من قسم می دهم تو را به خدا که باشی امام این امّت که کشته شوی به واسطه ظلم و ستم، پس به درستی که بود گفته می شد که کشته خواهد شد در این امّت امامی که فتح می شود بر این امت قتل و قتال تا روز قیامت و تلبیس نماید کارهای ایشان را بر ایشان و منتشر و پراکنده می کند فتنه ها را در میان ایشان، پس نمی بینند حق را از باطل و مضطرب می شوند در آن فتنه ها مضطرب شدنی و آمیخته به هم می شوند در آن فتن آمیختنی، پس البته مباش ای عثمان از برای مروان بن حکم مثل چارپایی که می رانند آن را دشمنان هنگام غارت که براند تو را مروان هرجا که بخواهد بعد از بزرگی سن و سال و به سر آمدن عمر.

پس گفت مر آن حضرت را عثمان که: تکلّم کن با مردمان در این خصوص که مرا مهلت بدهند تا خارج بشوم به سوی ایشان از عهده مظلمه های ایشان، پس آن حضرت فرمود:

آن چه که در مدینه است پس مهلت نیست در او و آن چه که غایب است، پس مهلت او رسیدن حکم تو است به سوی او.

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها خلقة الطاووس وهي المائة والرابعة والستون من المختار في باب الخطب

وشرحها في ضمن فصلين:

الفصل الأول

إِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوانٍ ومَواتٍ، وساكِنٍ وذي حَرَكاتٍ، وأَقامَ مِنْ شَواهِدِ البَيِّناتِ عَلىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِه وعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا انْقادَتْ لَهُ العُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِه، ومُسَلِّمَةً لَهُ، ونَعَقَتْ فِي أَسْماعِنا دَلائِلُهُ عَلىٰ وَحْدانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ[1] صُوَرِ الأَطْيارِ الَّتي أَسْكَنَها أَخادِيدَ الأَرْضِ وخُرُوقَ فِجاجِها، ورَواسِي أَعْلامِها، مِنْ ذَواتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وهَيْئاتٍ مُتَبايِنَةٍ، مُصَرَّفَةً في زِمامِ التَّسْخِيرِ، ومُرَفْرِفَةً بِأَجْنِحَتِها في مَخارِقِ الجَوِّ المُنْفَسِحِ، والفَضاءِ المُنْفَرِجِ، كَوَّنَها بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ في عَجائِبِ صُوَرٍ ظاهِرَةٍ، ورَكَّبَها في حِقاقِ مَفاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ ومَنَعَ بَعْضَها بِعَبالَةِ خَلْقِه أَنْ يَسْمُو في السَّماءِ[2] خُفُوفاً، وجَعَلَهُ يَدُفُّ دَفِيفاً، ونَسَقَها عَلَى اخْتِلافِها في الأَصابِيغِ، بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، ودَقِيقِ صَنْعَتِه، فَمِنْها مَغْمُوسٌ في قالِبِ لَوْنٍ لاَ يَشُوبُهُ غَيرُ لَوْنِ ما غُمِسَ فيهِ، ومِنْها مَغْمُوسٌ في لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلافِ ما صُبِغَ بِهِ.

ومِنْ أَعْجَبِها خَلْقاً أَلطَّاوُوسُ الَّذِي أَقامَهُ في أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، ونَضَّدَ أَلْوانَهُ في أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَناحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وذَنَبٍ أَطالَ مَسْحَبَهُ، وإِذا دَرَجَ إِلَى الأُنْثىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّه، وسَما بِهِ مُطِلاًّ عَلىٰ رَأْسِهِ، كَأَنَّهُ قِلْعُ دارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ، يَخْتالُ بِأَلْوانِه، ويَمِيسُ بِزَيَفَانِه، يُفْضي كَإِفْضاءِ الدِّيَكَةِ، ويَؤُرُّ بِمُلاقَحَةٍ أَرَّ الفُحُولِ المُغْتَلِمَةِ لِلْضِرّابِ، أُحِيلُكَ مِنْ ذلِكَ عَلى مُعايَنَةٍ لا كَمَنْ يُحِيلُ عَلى ضَعِيفِ إِسْنادِه، وَلَوْ كانَ كَزُعْمِ مَنْ يَزْعَمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُها[3] مَدامِعُهُ فَتَقِفُ في ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ وأَنَّ أُنْثاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ تَبِيِّضُ لاَ مِنْ لِقاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ المُتَبَجِّسِ[4] لَما كانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطاعَمَةِ الغُرابِ، تَخالُ قَصَبَهُ مَدارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وما أُنْبِتَتْ عَلَيْها مِنْ عَجِيبِ داراتِه وشُمُوسِه خالِصَ العِقْيانِ وفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ.

فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ وَإِنْ ضاهَيْتَهُ بِالْمَلابِسِ فَهُوَ

---

(١) «اختلاف» في نسخة.
(٢) «الهواء» في نسخة.
(٣) «تنشجها» في نسخة.
(٤) «المنبجس» في نسخة.

كَمَوْشِي الحُلَلِ أَوْ مَوْنِقِ عُصْبِ اليَمَنِ، وإِنْ شاكَلْتَهُ بالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذاتِ أَلوانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ المُكَلَّلِ، يَمْشي المَرِحِ المُخْتالِ، ويَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وجَناحَهُ فَيُقَهْقِهُ ضاحِكاً لِجَمالِ سِرْبالِه، وأَصابيغِ وِشاحِه، فَإِذا رَمىٰ بِبَصَرِه إِلىٰ قَوائِمِه زَقا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغاثَتِه، ويَشْهَدُ بصادِقِ تَوَجُّعِ، لأَنَّ قَوائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوائِمِ الدِّيَكَةِ الخِلاسِيَّةِ، وقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ ساقِه صَيْصِيَةٌ خَفِيَّةٌ.

وَلَهُ في مَوْضِعِ العُرْفِ قُنْزَعَةٌ خَضْراءُ مُوشاةٌ[1]، وَمَخْرَجُ عُنُقِه كَالإِبْرِيقِ، ومَغْرِزُها إِلى حَيْثُ بَطْنِهِ كَصِبْغِ الوَسْمَةِ اليَمانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلَبَّسَةٍ مِرْآتاً ذاتَ صِقالٍ، وكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إِلاّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مائِهِ وشِدَّةِ بَرِيقِه أَنَّ الخُضْرَةَ النّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِه، وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِه خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ القَلَمِ في لَوْنِ الأُقْحُوانِ أَبْيَضُ يَقِقٌ فَهُوَ بِبَياضِه في سَوادِ ما هُنالِكَ يَأْتَلِقُ.

وَقَلَّ صِبْغٌ إِلاَّ وقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وعَلاهُ بِكَثْرَةِ صِقالِه وبَرِيقِه، وبَصِيصِ دِيباجِه ورَوْنَقِه، فَهُوَ كَالأَزاهِيرِ المَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّها أَمْطارُ رَبِيعٍ وَلا شُمُوسُ قَيْظٍ، وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِه وَيَعْرى مِنْ لِباسِه فَيَسْقُطُ تَتْرىٰ وَيَنْبُتُ تِباعاً فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِه إِنْحِتاتَ أَوْراقِ الإِغْصانِ، ثُمَّ يَتَلاحَقُ نامِياً حَتَّى يَعودَ كَهَيْئَتِه قَبْلَ سُقُوطِه، لا يُخالِفُ سالِفَ أَلْوانِه، وَلا يَقَعُ لَوْنٌ في غِيرِ مَكانِه، وإِذا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعْراتِ قَصَبِه أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وتارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وأَحْياناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً.

فَكَيْفَ تَصِلُ إِلىٰ صِفَةِ هَذا عَمائِقُ الفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرائِحُ العُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوالُ الواصِفِينَ، وأَقَلُّ أَجْزائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الأَوْهامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، والأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ.

فَسُبْحانَ الَّذي بَهَرَ العُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، ومُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِه، وقَعَدَ بِها عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِه، وسُبْحانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوائِمَ الذَّرَّةِ والهَمَجَةِ إِلىٰ ما فَوْقَهُما مِنْ خَلْقِ الحِيتانِ والْفِيَلَةِ، ووَأىٰ عَلىٰ نَفْسِهِ أَلاّ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمّا أَوْلَجَ فيهِ الرُّوحَ إِلاّ وَجَعَلَ الحِمامَ مَوْعِدَهُ، والفَناءَ غايَتَهُ[2].

قال السيد (رض): بعد إيراد الخطبة بتمامها: تفسير ما جاء فيها من الغريب «ويؤرّ بملاقحة» ألارّ كناية عن النّكاح يقال ارّ المرأة يؤرّها إذا نكحها، وقوله: «كأنّه قلع داري عنجه نوتيّه» القلع شراع السفينة، وداريّ منسوب إلى دارين وهي بلدة على البحر يجلب منها الطيّب، وعنجه أي عطفه يقال: عنجت النّاقة أعنجها عنجاً إذا عطفتها، والنوتيّ الملاّح

(١) «موشاة» في نسخة.

(٢) بحار الأنوار: ٦٢/ ٣٢، وميزان الحكمة، ٢٩٥٨/٤ ح٣٧٢٠.

وقوله: ضفّتي جفونه» أراد جانبي جفونه، والضّفتان الجانبان وقوله: «وفلذ الزّبرجد» الفلذ جمع فلذة وهي القطعة وقوله: كبائس اللّؤلؤ الرطب» الكباسة العذق «والعساليج» الغصون واحدها عسلوج.

اللغة

(**الحيوان**) محركة جنس الحيّ أصله حييان وقد تكون بمعنى الحياة والمراد هنا الأوّل و(**نعق**) بغنمه من بابي ضرب ومنع نعقاً ونعيقاً ونعاقاً صاح بها وزجرها هكذا في القاموس، وفي مصباح اللّغة للفيومي من باب ضرب إلاّ أنّ الموجود فيما رأيته من نسخ النهج نعقت بكسر العين.

و(**رفرف**) الطائر بسط جناحيه عند السقوط على الشيء يحوم عليه لتقع فوقه و(**حقاق المفاصل**) بكسر الحاء جمع حقّ بالضمّ رأس الورِك الّذي فيه عظم الفخذ ورأس العضد الذي فيه الوابلة قال الشّارح المعتزلي: هو مجمع المفصلين من الأعضاء فيكون أعم و(**سحبه**) على الأرض سحباً من باب منع جرّه عليها فانسحب و(**طوى**) الصّحيفة يطويها طيّاً قال سبحانه: ﴿نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾ وأنّه لحسن الطيّة بالكسر وفي بعض النسخ من طيه بالكسر.

و(**قلع داريّ**) قال الفيومي: القلاع شراع السفينة، والجمع قلع، مثل كتاب وكتب، والقلع مثله، والجمع قلوع مثل حِمل وحمول، وفي القاموس القلع بالكسر الشراع كالقلاعة ككتابة، والداري المنسوب إلى دارين قال البحراني: وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال إنّ الطيب كان يجلب إليها من الهند وهي الآن خراب لا عمارة بها ولا سكنى، وفيها آثار قديمة وفي القاموس الدّارين موضع بالشام.

و(**ماس**) في مشيه تبختر و(**الزيفان**) التبختر في المشي و(**الملاقحة**) مفاعلة من ألقح الفحل الناقة أي أحبلها، وفي بعض النسخ (**بملاحقة**) بصيغة الجمع مضافاً إلى الضمير أي بآلات التناسل والأعضاء و(**غلم**) كفرح غَلماً وغُلمة بالضمّ واغتلم غلب شهوة، وغلم البعير واغتلم أي هاج من شهوة الضرّاب، فهو غَلِم وغلّيم والأنثى غلِمة وغلّيمة ومغتلمة.

و(**سفحت**) الدّم أي أرقته والدّمع أسلته وفي بعض النّسخ تنشجها بدل تسفحها مضارع نشج من باب ضرب يقال: نشج القدر أي غلا ما فيه حتّى سمع له صوت قال العلامة المجلسي: ولعلّ الأوّل أوضح، فإن الفعل ليس متعدّياً بنفسه على ما في كتب اللّغة و(**تطعم**) على صيغة الأوّل أوضح، فإن الفعل ليس متعدّياً بنفسه الماء تبجيساً فجره فتبجّس وانبجس، وفي بعض النّسخ المنبجس من باب الانفعال.

و(**المداري**) بالدال المهملة جمع المدرى قال ابن الأثير: المدرى والمدارة شيء من حديد أو خشب على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر الملبّد ويستعمله من لا مشط له، وفي نسخ الشّارح البحراني بالذّال المعجمة قال: وهي خشبة ذات أطراف كأصابع الكفّ ينقي بها الطّعام.

و(**دارات**) جمع الدّارة دارة القمر وغيره سميّت بذلك لاستدارتها و(**العقيان**) بالكسر كما في القاموس وقال العلامة المجلسي بالضمّ: الذّهب الخالص أو الذّهب النّابت من الأرض و(**جنيت**) التّمرة والزّهرة واجتنيتها والجنيّ فعيل منه، وفي بعض النّسخ جنى كحصى وهو ما يجنى من الشّجر ما دام غصناً بمعنى فعيل ولفظة الفعل المجهول ليست في بعض النّسخ.

و(**زهر**) النّبات بالفتح نوره، والواحدة زهرة كتمر وتمرة قالوا ولا يسمّي زهراً حتى تفتح و(**شيت**) الثوب وشيئاً من باب رمى نقشته فهو موشيّ وزان مرميّ أي منقّش، والأصل على مفعول و(**الحلل**) كصرد جمع حلة بالضمّ وهي إزار ورداء من برد أو غيره فلا تكون حلة إلاّ من ثوبين أو ثوب له بطانة.

و(**العصب**) وزان فلس قال الفيومي: برد يصنع غزله ثمّ ينسج، ولا يثنى ولا يجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليه فيقال: برد عصب وبرود عصب، والإضافة للتخصيص، ويجوز أن يجعل وصفاً فيقال: شريت ثوباً عصباً، وقال السهلي: العصب صبغ لا ينبت إلاّ باليمن.

و(**الفصوص**) جمع فصّ كفلس وفلوس قال ابن السكيت: كسر الفاء رديّ، وكذا قال الفارابي، وفي القاموس الفص الخاتم مثلثة والكسر غير لحن و(**كلل**) فلاناً أي: ألبس الإكليل وهو بالكسر التاج وشبه عصابة زين بالجوهر و(**الوشاح**) ككتاب شيء ينسج من أديم ويرصّع شبه القلادة تلبسه النساء.

ورجل (**أحمش**) الساقين أي أدقهما و(**الخلاسي**) بكسر الخاء المعجمة الديك بين دجاجتين هندية وفارسية، والولد بين أبوين أبيض وأسود و(**الظنبوب**) حرف العظم اليابس من قدم الساق و(**الوسمة**) بكسر السين كما في بعض النسخ وهي لغة الحجاز وأفصح من السكون، وأنكر الأزهري السكون، وبالسكون كما في بعضها و(**اللفاع**) ككتاب الملحفة أو الكساء أو كُلما تتلفع به المرأة، وتلفع الرّجل بالثوب إذا اشتمل به وتغطى، وفي بعض النسخ متقنع من القناع و(**أبيض يقق**) بالتحريك وبالكسر أيضاً وزان كتف شديد البياض.

و(**يتحسّر**) في بعض النسخ مضارع تفعل يقال: تحسّر البعير أي سقط من الأعياء، وفي بعض النّسخ تنحسر على صيغة الإنفعال تقول: حسره كضربه فانحسر أي كشفه فانكشف

و(**سالف ألوانه**) في بعض النسخ بدلها سائر ألوانه والأوّل أظهر و(**العسجد**) كجعفر الذّهب و(**العمق**) بالضمّ والفتح قعر البئر ونحوها و(**الفطن**) كعنب جمع فطنة بالكسر وهي الحذق والعلم بوجوه الأمور و(**جلاّه**) بالتّشديد والتخفيف على اختلاف النّسخ أي كشفه و(**الهمجة**) محرّكة واحدة الهمج بالتّحريك أيضاً وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير والنعاج الهرمة.

الإعراب

قوله: و(نعقت) مستأنفة، وتحتمل أن تكون معطوفة على جملة انقادت وعلى الأوّل فالضمير في دلائله راجع إلى الله، وعلى الثّاني فهو راجع إلى ما، وقوله: و(ما ذرأ)، عطف على قوله: ما انقادت، أو على الضّمير في دلائله كما قاله الشّارح البحراني وقوله: (من ذوات)، بيان للأطيار، ومصرّفة، ومرفرفة منصوبان على الحال، وفي بعض النّسخ بالجرّ على أنّهما صفتان لذوات أجنحة.

وجملة (كوّنها) في المعنى تأكيد لجملة ذرأ، ولكمال الاتصال ترك العاطف بينهما، وتحتمل الاستئناف البياني، وقوله: (في لون صبغ)، بجر لّون مضافاً إلى صبغ على الإضافة البيانية، وفي بعض النّسخ بالجرّ والتّنوين وصبغ على صيغة الماضي المجهول، أي صبغ ذلك المغموس، و(الواو) في قوله: ومن أعجبها، استئنافيّة وقوله: بجناح، إمّا بدل من أحكم تعديل أو عطف بيان، ويحتمل تعلّقه بقوله أحسن تنضيد.

وجملة (عنجه)، مرفوعة المحل صفة لقلع، و(مغرزها)، مبتدأ خبره كصبغ الوسمة، و(بطنه) بالرّفع مبتدأ محذوف الخبر أي مغرزها إلى حيث بطنه موجوداً وممتدّاً ومنتهى إليه كصبغ.

وحيث تضاف إلى الجملة غالباً وإضافتها إلى المفرد تشذّ في الشّعر، وهو في المعنى مضافة إلى المصدر الّذي تضمّنته الجملة قالوا: حيث وإن كانت مضافة إلى الجملة في الظّاهر، لكن لمّا كانت في المعنى مضافة إلى المصدر فإضافتها إليها كلا إضافة، ولذا بنيت على الضمّ كالغايات على الأعرف قال نجم الأئمة: قد حذف خبر المبتدأ الذي بعد حيث غير قليل، والتّنوين في قوله: بقسط، للتّفخيم، وجملة: (علاه) عطف على جملة أخذ.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة على غاية بلاغتها وبديع أسلوبها وعجيب نظمها مسوقة لشرح أوصاف الطّير لا سيّما الطّاووس، والغرض منه التّنبيه على عظيم قدرته سبحانه ولطيف

صنعته والإشارة إلى عجائب ما أبدعه سبحانه في الملك والملكوت، لتنبّه من رقدة الغفلة، ويتحصّل لك كمال المعرفة.

وافتتح عليه السلام بمطلق دلائل القدرة ثمّ تخلّص إلى ذكر الطّاووس فقال: **(ابتدعهم)** أي أبدع الموجودات لا عن مادّة أو على غير مثال سابق **(خلقاً عجيباً)** على أصناف مختلفة وأنواع متكثّرة وهيئات عجيبة وأوصاف بديعة **(من حيوان وموات وساكن وذي حركات)** أي بعضها ذو حياة كأصناف الملائكة والحيوان والجنّ والإنس، وبعضها ذو ممات كالشّجر والجماد والنّبات وغيرها ممّا ليس لها حياة، وبعضها متّصفة بالسكون كالأرض والجبال، وبعضها متّصفة بالحركة الإراديّة كالإنسان والحيوان ونحوهما، أو طبيعيّة كالماء والنّار والكواكب والأفلاك.

(وأقام من شواهد البيّنات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما) أي شاهد صدق وبرهان حتّى **(انقادت له)** أي: لذلك الشّاهد **(العقول معترفة به)** أي: بهذا الشّاهد أو بالله سبحانه **(ومسلّمة له)** غير جاحدة لحقيّته **(ونعقت)** أي صاحت **(في أسماعنا دلائله)** سبحانه **(على وحدانيته)** قال الشّارح البحراني: استعار لفظ النّعيق في الأسماع لظهور تلك الدّلائل في صماخ العقل **(وما ذرأ)** أي: أقام من شواهد البيّنات أو نعقت دلائل ما ذرأه وخلقه **(من اختلاف صور الأطيار الّتي أسكنها أخاديد الأرض)** كالقطاء ونحوه ممّا يسكن الشّقوق في الأرض **(وخروق فجاجها)** كالقبج وشبهه ممّا يسكن الفجاج أي الطرق الواسعة بين الجبلين **(ورواسي أعلامها)** كالعقبان والصّقور تأوي في الجبال الرّاسيات أي: الثّابتات المستقرّات **(مَن ذوات أجنحة مختلفة وهيئات متباينة)** فهذا غراب، وهذا عقاب، وهذا حمام، وهذا نعام خلقها الله سبحانه على أشكال مختلفة وطبائع متضادّة.

ولكنّها كلّها على تباين طبائعها وتضادّ أجناسها مقهورة تحت ذلّ القدرة مشدودة بربق الطّاعة **(مصرّفة)** ومتقلّبة **(في زمام التسخير)** كما قال عزّ من قائل:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل: ٧٩].

قال الرّازي: هذا دليل على كمال قدرة الله وحكمته: فإنّه لولا أنّه تعالى خلق الطّير خلقة معها يمكنه الطّيران فيها لما أمكن ذلك، فإنّه أعطى الطّير جناحاً يبسطه مرّة ويكسره أخرى، مثل ما يعمل السّابح في الماء، وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل خرقه والنّفاد فيه ولولا ذلك لما كان الطّيران ممكناً، وجسد الطّير جسم ثقيل والجسم الثّقيل يمتنع بقاؤه في الجوّ معلّقاً من غير دعامة ولا علاقة فوقه، فوجب أن يكون الممسك له في ذلك الجوّ هو الله سبحانه.

(ومرفرفة بأجنحتها في مخارق الجوّ المنفسح والفضاء المنفرج) أي باسطة جناحيها في أمكنتها الّتي تخرق الهواء الواسع فتدخلها قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝١٩﴾ [الملك: ١٩].

قيل في تفسيره: أي باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها، فإنّهنّ إذا بسطنها صفقن قوادمها ـ ويقبضن ـ أي ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتاً بعد وقت للاستظهار به على التّحرك، ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتّفرقة بين الأصيل في الطيران والطّارى عليه ـ ما يمسكهنّ ـ في الجوّ على خلاف طبعهنّ ـ ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ ـ الشامل رحمته كلّ شيء بأن خلقهن على أشكال وخصائص هيئاتهنّ للحركة في الهواء ـ ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ـ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبّر العجائب.

(كونّها) كسائر المكوّنات والمخلوقات **(بعد إذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة)** وهيئات بديعة غير مستورة **(وركبّها في حقاق مفاصل محتجبة)** مستترة باللّحم والجلد ونحوهما **(ومنع بعضها بعبالة خلقه)** وضخامة جثّته كالنّعامة واللّقلق ونحوهما **(أن يسمو في السّماء خفوقاً)** أي يعلو في جهة العلوّ بسرعة **(وجعله يدفّ دفيفاً)** أي يحرّك جناحيه للطّيران قال الفيومي: معناه ضرب بهما دفّيه وهما جنباه، يقال ذلك إذا أسرع مشياً ورجلاه على وجه الأرض ثمّ يستقلّ طيراناً **(ونسقها)** أي نظمها **(على اختلافها في الأصابيغ)** والألوان **(بلطيف قدرته ودقيق صنعته)** أي جعل كلاّ منها على لون خاصّ على وفق حكمته البالغة.

(فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه) أي بعضها ذو لون واحد كالأسود والأبيض والأحمر، فعبر عنه بالغمس في قالب اللّون إشارة إلى إحاطة اللون الواحد به بجميع أجزائه كما يحيط القالب بالأشياء المصنوعة بالصبّ فيه من نحاس ونحوه.

(ومنها مغموس في لون صبغ قد طوّق بخلاف ما صبّغ به) أي بعضها ذو لونين فما زاد كالقبج والفاختة والبلبل ونحوها ممّا يخالف لون عنقه لون سائر جسده، والغرض بذلك كلّه حسبما عرفت التّنبيه على عظمة الله سبحانه وكمال قدرته ولطيف صنعته وبديع حكمته.

وقد شرحه: الصّادق عليه السلام وأفصح عنه في حديث المفضّل.

قال عليه السلام: تأمّل يا مفضّل جسم الطّائر وخلقته فإنّه حين قدر أن يكون طائراً في الجوّ خفّف جسمه وأدمج خلقه فاقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن منفذين للزّبل والبول على واحد يجمعهما، ثمّ خلق ذا جوء جوء محدّد يسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعل السّفينة بهذه الهيئة لتشقّ الماء وتنفذ فيه، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطّيران، وكسى كله الرّيش

ليداخله[١] الهواء فيقلّه.

ولما قدّر أن يكون طعمه الحبّ واللحم يبلعه بلعاً بلا مضغ نقص من خلقة الأسنان وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعامه فلا ينسحج من لقط الحبّ ولا يتقصف من نهش اللحم، ولما عدم الأسنان وصار يزدرد الحبّ صحيحاً واللحم غريضاً أُعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعام طحناً يستغنى به عن المضغ.

واعتبر بأنّ عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحاً ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر.

ثمّ جعل مما يبيض بيضاً ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران، فإنه لو كانت الفرخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كلّ شيء من خلقه شاكلاً للأمر الذي قدّر أن يكون عليه.

ثمّ صار الطائر السابح في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيخرّ له أسبوعاً وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة، ثمّ يقبل عليه فيزقه لتتسع حوصلته للغذاء، ثمّ يربّيه ويغذيه بما يعيش به، فمن كلفه أن يلفظ الطعام ويستخرجه بعد أن يستقرّ في حوصلته ويغذو به فراخه؟ ولأيّ معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر؟ ولا يأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العزّ والرّفد وبقاء الذكر وهذا من فعل هو يشهد بأنه معطوف على فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره.

انظر إلى الدّجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطىء بل تنبعث وتنتفخ وتقوقى وتمتنع من الطعام حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ، فلم كان ذلك منها إلاّ لإقامة النّسل، ومن أخذها بإقامة النسل؟ ولا روية ولا فكر لولا أنها مجبولة على ذلك.

واعتبر بخلق البيضة وما فيها من المحّ الأصفر الخاثر، والماء الأبيض الرّقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ، وبعضه ليغذي به إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير، فإنه لو كان نشوء[٢] الفرخ في تلك القشرة المستحضنة التي لا مساغ لشيء إليها لجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي إلى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل

---

(١) «ليتداخله» كما في نسخة.

(٢) «انشق» في نسخة.

النفقة إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

فكر في حوصلة الطائر وما قدر له، فإنّ مسلك الطعم إلى القانصة ضيّق لا ينفذ فيه الطعام إلاّ قليلاً قليلاً، فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الأولى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه، فإنما يختلسه اختلاساً لشدّة الحذر، فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة أمامه ليوعى فيها ما أدرك من الطعام بسرعة ثمّ تنفذه إلى القانصة على مهل، وفي الحوصلة أيضاً خلة أخرى فإنّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون رده للطعام من قرب أسهل عليه.

قال المفضل: فقلت إنّ قوماً من المعطلة يزعمون أنّ اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنما يكون من قبيل امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها بالمزج والإهمال.

فقال ﷺ: يا مفضّل هذا الوشي الّذي تراه في الطواويس والدّراج والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يخطّ بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف، لو كان بالإهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً.

تأمل ريش الطير كيف هو؟ فإنّك تراه منسوجاً كنسج الثّوب من سلوك دقاق قد ألّف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط والشّعرة إلى الشّعرة، ثمّ ترى ذلك النّسج إذا مددته ينفتح قليلاً ولا ينشق لتدخله الرّيح فيقل الطّائر إذا طار، وترى في وسط الرّيشة عموداً غليظاً معيّناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشّعر ليمسكه بصلابته، وهو القصبة التي في وسط الرّيشة، وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطّائر ولا يعوقه عن الطيران.

هل رأيت يا مفضّل هذا الطّائر الطّويل السّاقين وعرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه؟ فإنّه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء، فتراه لساقين طويلين كأنه ربيئة فوق يرقب وهو يتأمّل ما يدبّ في الماء، فإذا رأى ممّا يتقوّت به خطا خطوات رقيقاً حتّى يتناوله، ولو كان قصير السّاقين وكان يخطو نحو الصّيد ليأخذه تصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرّق عنه، فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه.

تأمّل ضروب التّدبير في خلق الطّائر فإنّك تجد كلّ طائر طويل السّاقين طويل العنق، وذلك ليتمكّن من تناول طعامه من الأرض، ولو كان طويل السّاقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، وربما أعين مع تطول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولة له وإمكاناً، أفلا ترى أنّك لا تفتّش شيئاً من الخلقة إلاّ وجدته في[1] غاية الصّواب

(١) «على» في نسخة.

والحكمة[١]؟.

وإذا عرفت وجه التدبير والحكمة في مطلق الطير فلنعد إلى شرح عجائب خلقة الطاووس على ما فصّله الإمام عليه السلام بقوله: (**ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه**) الله سبحانه (**في أحكم تعديل**) أي أعطي كلّ شيء منه في الخلق ما يستحقّه وخلقه على وجه الكمال خالياً من نقص (**ونضّد**) أي رتّب (**ألوانه في أحسن تنضيد**) وترتيب كما قال الشّاعر:

سبحان مَنِ من خلقه الطاووس ... طير على أشكاله رئيس
كأنّه في نقشه عروس ... في الرّيش منه ركّبت فلوس
تشرق في داراته شموس ... في الرّأس منه شجر مغروس
كأنّه بنفسج يميس ... أو هو زهر حرمُ يبيس

فقد رتّب تعالى ألوانه (**بجناح أشرج قصبه**) أي ركب عروق جناحه وأصولها بعضها في بعض كما يشرج العيبة أي يداخل بين أشراجها (**وذنب أطال مسحبه**) على وجه الأرض (**وإذا**) أراد السفاد و(**درج إلى الأنثى نشره**) أي نشر ذنبه (**من طيّه وسما به مطلاً**) أي رفعه مشرفاً (**على رأسه كأنه قلع داري**) شبّه عليه السلام ذنبه بشراع السفينة من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس، لأنه عند إرادة السفاد يبسط ذنبه وينشره ثمّ يرفعه وينصبه فيسير كهيئة الشراع المرفوع.

وأوضح وجه الشبه بقوله (**عنجه نوتيه**) وذلك لأنّ الملاّح الذي يدّبر أمر السفينة يعطف الشراع ويصرفه تارة بالجذب وتارة بالإرخاء وتارة بتحويله يميناً وشمالاً بحسب انصرافه من بعض الجهات إلى بعض (**يختال**) أي يتكبر ويعجب (**بألوانه ويميس**) أي يتبختر (**بزيفانه**) والتبختر بمشيته.

ثمّ وصف عليه السلام هيئة جماعه بقوله (**يفضي**) ويسفد (**كإفضاء الدّيكة ويارّ**) أي يجامع (**بملاقحة**) مثل (**ارّ الفحول المغتلمة**) وذات الغلم والشبق.

ثمّ أكّد كون سفاده مثلى سفاد الدّيك والفحل بآلات التناسل كسائر أصناف الحيوان تنبيهاً به على ردّ من زعم أن سفاده بتطعم الدّمع فقال: (**أحيلك من ذلك على معاينة**) أي مشاهدة برأي العين (**لا كمن يحيل على ضعيف إسناده**) ويزعم أن لقاحه بالتطعم اعتماداً على سند ضعيف وإحالة عليه.

ثمّ دفع الاستبعاد عن ذلك الزعم الفاسد بقوله (**ولو كان**) الأمر (**كزعم من يزعم أنه**

---

(١) التوحيد: ٧١، وبحار الأنوار: ٣/١٠٦.

يلقح) أي يحبل **(بدمعة تسفحها)** وتسكبها **(مدامعة فتقف في ضفتي جفونه)** وجانبيها **(وأنّ أنثاه تطعم ذلك ثمّ تبيض لا من لقاح فحل سوى الدّمع المتبجس)** المنفجر **(لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب)**.

قال الشّارح المعتزلي: واعلم أنّ قوماً زعموا أنّ الطاووس الذّكر يدمع عينه فتقف الدّمعة بين أجفانه فتأتي الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدّمعة، وأمير المؤمنين عليه السلام لم يحل ذلك ولكنّه قال: ليس بأعجب من مطاعمة الغراب، والعرب تزعم أنّ الغراب لا يسفد، ومن أمثالهم: أخفى من سفاد الغراب، يزعمون أنّ اللّقاح من مطاعمة الذّكر والأنثى وانتقال جزء من الماء الذي في قانصته إليها من منقاره، وأمّا الحكماء فقلّ أن يصدقوا بذلك، على أنّهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا؟ قال ابن سينا: والقبجة تحبلها ريح تهبّ من ناحية الحجل الذّكر ومن سماع صوته، انتهى(١).

أقول: أمّا كلام أمير المؤمنين عليه السلام فلا يخفى أنّ ظهوره في كون سفاد الطاووس باللّقاح، حيث شبهه بإفضاء الدّيكة وبأرّ الفحول، وعبّر عن القول الآخر بالزّعم كظهوره في كون سفاد الغراب بالمطاعمة، وأما المثل فلا يدلّ على أنّ الغراب لا يسفد بل الظّاهر منه خلافه، على أنّي قد شاهدت عياناً غير مرّة سفاد العراب الأبقع، فلا بدّ من حمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على سائر أصناف العراب وإن كان ظاهره الاطلاق والله العالم بحقائق الخبيئات وأولياؤه عليهم السلام.

ثمّ أخذ عليه السلام في وصف أجنحة الطاووس فقال: **(تخال قصبه)** أي عظام أجنحته **(مداري من فضّة)** في الصّفاء والبياض **(وما أنبتت عليها من عجيب داراته وشموسه)** التي في الرّيش **(خالص العقيان)** أي الذّهب في الصّفرة الفاقعة والرّونق والبريق والجلا **(وفلذ الزبرجد)** في الخضرة والنّضارة.

(فإن شبّهته بما أنبتت الأرض) من الأزهار والأنوار **(قلت جنيّ جنى من زهرة كلّ ربيع)** ونوره في اختلاف ألوانه وأصباغه **(وأن ضاهيته)** أي شاكلته وشبّهه بالملابس **(فهو كموشيّ الحلل)** المنقّشة بكلّ نقش في البهجة والنضارة **(أو)** كـ**(موشق عصب اليمن)** أي كبرد يمانيّ مصبوغ معجب **(وأن شاكلته بالحليّ فهو كفصوص ذات ألوان)** مختلفة **(قد نطّقت باللّجين المكلّل)** أي جعلت الفضّة كالنّطاق لها.

قال الشارح البحراني: شبّهه بالفصوص المختلفة الألوان المنقطّة في الفضة أي المرصعة في صفائح الفضة والمكلّل الذي جعل كالإكليل بذلك الترصيع، فيكون حاصل

---

(١) بحار الأنوار: ٦٢/ ٣٦، وشرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٧٠.

كلامه عليه السلام تشبيهه قصب ريشه بصفائح من فضة رصّعت بالفصوص المختلفة الألوان فهي كالإكليل بذلك الترصيع، ولكنّ الأظهر أن المكلّل وصف للّجين فافهم.

ثمّ أخذ في وصف مشيه وضحكه فقال عليه السلام: **(يمشي مشي المرح المختال)** أي كمشي الفرحان المعجب بنفسه **(ويتصفّح)** أي يقلب جناحه وذنبه **(فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله)** أي حسن قميصه **(وأصابيغ وشاحه)** أي ألوان لباسه **(فإذا رمى ببصره نحو قوائمه)** ورأى سماجتها **(زقا)** وصاح **(معولاً بصوت)** أي رافعاً صوته بالبكاء والنّياح **(يكاد يبين)** أي يظعن ويرتحل وهو كناية عن الموت **(عن استغاثته ويشهد)** عويله **(بصادق توجعه)** ويفصح عن شدّة تفجّعه وذلك **(لأن قوائمه حمش)** دقاق **(كقوائم الدّيكة الخلاسية)** التي عرفت معناها **(وقد نجمت)** أي طلعت **(من طنبوب ساقه صيصية)** وهي في الأصل شوكة الحائك التي يسويّ بها السّداة واللحمة، فاستعيرت لصيصية الطائر التي في رجله **(خفية)** ليست بجلية كما للدّيك.

ثمّ أخذ في وصف قنزعته بقوله: **(وله في موضع العرف)** مستعار عن عرف الدّابة وهو شعر عنقه **(قنزعة)** وهي رويشات يسيرة طوال في مؤخّر رأسه بارزة عن ريش رأسه استعارة عن قنزعة الصّبي وهي الخصلة من الشّعر يترك على رأسه **(خضراء موشاة)**.

ثم أخذ في وصف عنقه بقوله: **(ومخرج عنقه كالإبريق)** أي محلّ خروج عنقه كمحلّ خروج عنق الإبريق فيشعر بأنّ عنقه كالإبريق أو أنّ خروجه كخروج عنق الإبريق على أنه مصدر فيكون الأشعار أقوى **(ومغرزها)** أي مثبت عنقه، وتأنيث الضمير على لغة أهل الحجاز **(إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية)** في الخضرة الشديدة الضاربة إلى السواد **(أو كحريرة سوداء ملبسة مرآتاً ذات صقال)** في لونها المخصوص ومخالفة بصيص المرآة لها **(وكأنه متلفع)** أي مكتس **(بمعجز أسحم)** أي بثوب كالعصابة ذي سحم وسواد **(إلا أنه يخيّل لكثرة مائهِ وشدّة بريقه أنّ الخضرة الناضرة ممتزجة به)**.

ثم وصف الخط الأبيض عند محلّ سمعه فقال: **(ومع فتق سمعه خطّ)** دقيق **(كمستدقّ القلم في)** لون مثل **(لون الأقحوان)** أي البابونج **(أبيض يقق فهو)** أي ذلك الخطّ **(ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق)** ويلمع.

ثمّ أجمل في تعداد ألوانه فقال: **(وقلّ صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط)** وافر **(وعلاه)** أي زاد على الصبغ وغلب عليه **(بكثرة صقاله وبريقه)** أي جلائه ولمعانه **(وبصيص ديباجه ورونقه)** أي حسنه وبهائه **(فهو كالأزاهير المبثوثة)** المتفرّقة **(لم تربها أمطار ربيع ولا شموس قيظ)** لما كان من شأن الأزاهير أن تربيتها وكمالها بالشّمس والمطر، وشبّه عليه السلام ألوان هذا الطائر بالأزاهير المبثوثة أتى بهذه الجملة تنبيهاً على أن تربيتها ليست بالشّموس والأمطار وإنّما هي بتدبير الفاعل المختار ففيه من الدّلالة على عظمة الصانع تعالى وقدرته ما لا يخفى.

والظاهر أنّ الجمع في الأمطار باعتبار الدّفعات، وفي الشّموس بتعدّد الإشراق في الأيام، أو باعتبار أنّ الشّمس الطالع في كلّ يوم فرد على حدة لاختلاف التّأثير في تربية الأزهار والنباتات باختلاف الحرّ والبرد وغير ذلك.

ثمّ بيّن له حالة أخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصّانع وقدرته فقال: **(وقد يتحسّر)** ويتعرّى **(من ريشه ويعرى من لباسه)** وذلك في الخريف عند سقط أوراق الأشجار **(فيسقط تترى)** أي شيئاً بعد شيء **(وينبت تباعاً)** بدون فترة بينهما **(فينحت)** أي يسقط **(من قصبه انحتات أوراق الأغصان ثمّ يتلاحق نامياً)** وذلك في الرّبيع إذا بدأ طلوع الأوراق **(حتّى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف)** لون ريشه الثّاني **(سالف ألوانه ولا يقع لون في غير مكانه)**.

ثمّ أشار إلى ما هو ألطف وأدقّ مما مضى وأعظم في الدّلالة على قدرة الصّانع المتعال فقال: **(وإذا تصفحت شعرة واحدة من شعرات قصبه أرتك)** تلك الشعرة من شدّة بصيصها ألواناً مختلفة فتارة **(حمرة وردية وتارة)** أخرى **(خضرة زبرجدية وأحياناً صفرة عسجدية)**.

ثمّ عقّب ذلك باستبعاد وصول الأذهان الثاقبة إلى وصفه وقال: **(فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن)** أي الفطن العميقة التي من شأنها إدراك دقائق الأشياء أو العلم بوجوه الأمور على ما ينبغي **(أو تبلغه قرائح العقول)** أي تناله العقول بجودة الطّبيعة من قولهم لفلان قريحة جيّدة يراد استنباط العلم بجودة الطبع **(أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين و)** الحال أن **(أقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه والألسنة أن تصفه)** ولا ريب أنّ الشّعرة أقلّ الأجزاء الّتي بها قوام الحيوان.

والمراد بيان عجزها عن إدراك علل هذه الألوان على اختلافها واختصاص كلّ من مواضعها بلون غير الآخر وعلل هيئاتها وسائر ما أشار إليه، أو إظهار عجزها عن إدراك جزئيات الأوصاف المذكورة وتشريح الهيئات الظاهرة والخصوصيات الخفيّة في خلق ذلك الحيوان، فإنّ ما ذكره عليه السلام في هذه الخطبة تشريحه وإن كان على غاية البلاغة وفوق كلّ بيان في وصف حاله إلاّ أنّ فيه وراء ذلك جزئيات لم يستثبتها الوصف.

وهذا هو الأقرب والأنسب بما عقّبه من تنزيهه تعالى أعني قوله: **(فسبحان الذّي بهر العقول)** وغلبها **(وعن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدوداً مكوّناً)** أي موصوفاً بالحدود والتكوين و**(مؤلّفاً)** من الأجزاء **(ملوّناً)** بالألوان المختلفة **(وأعجز الألسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته)** والغرض الدّلالة على عجز العقول عن إدراك ذاته سبحانه، فإنّها إذا عجزت عن إدراك مخلوق ظاهر للعيون على الأوصاف المذكورة فهي بالعجز عن إدراكه سبحانه ووصفه أخرى، وكذلك الألسن عن تلخيص صفته وتأدية نعته أعجز.

(وسبحان من أدمج) أي أحكم **(قوائم الذّرة)** وهي صغار النّمل **(والهمجة)** وهو صغير الذّباب **(إلى ما فوقهما من خلق)** البرّ والبحر من **(الحيتان والفيلة)** ونحوها **(ووأى)** أي وعد وألزم **(على نفسه ألا يضطرب شبح)** ولا يتحرك شخص **(مما أولج)** أي أدخل **(فيه الروح إلاّ وجعل الحمام)** والموت **(موعده والفناء غايته)**.

تتميم في نوادر وصف الطاووس

روى في الكافي عن سليمان الجعفري عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: «الطاووس مسخ، كان رجلاً جميلاً فكابر امرأته رجل مؤمن تحبه فوقع بها، ثمّ راسلته بعد، فمسخهما الله عزّ وجلّ طاووسين أنثى وذكراً فلا تأكل لحمه ولا بيضه»[١].

وفي البحار من الخرائج عن محمّد بن إبراهيم الحارث التّميمي، عن الحسين عليه السلام أنّه قال: «إذا صاح الطاووس يقول: مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفر لي»[٢].

قال الدّميري في حياة الحيوان: الطاووس طائر معروف وتصغيره طويس بعد حذف الزّوائد، وكنيته أبو الحسن وأبو الوشى، وهو في الطير كالفرس في الدّواب عزّاً وحسناً وفي طبعه العفّة وحبّ الزّهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه، وعقده لذنبه كالطّاق لا سيّما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه، والأنثى تبيض بعد أن يمضي لها من العمر ثلاث سنين، وفي ذلك الأوان يكمل ريش الذّكر ويتمّ لونه، وتبيض الأنثى مرّة واحدة في السنة اثنتي عشرة بيضة وأقل وأكثر، لا تبيض متتابعاً، ويسفد في أيّام الرّبيع، ويلقي ريشه في الخريف كما يلقى الشّجر ورقه، فإذا بدأ طلوع الأوراق في الشّجر طلع ريشه، وهو كثير العبث بالأنثى إذا حضنت، وربّما كسر البيض ولهذه العلّة يحضن بيضه تحت الدّجاج ولا تقوى الدّجاجة على حضن أكثر من بيضتين منه، وينبغي أن تتعاهد الدّجاجة بجميع ما تحتاج إليه من الأكل والشّرب مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء، والفرخ الذي يخرج من حضن الدّجاجة يكون قليل الحسن وناقص الجثّة ومدّة حضنه ثلاثون يوماً، وفرخه يخرج من البيضة كالفروج كاسياً، وأعجب الأمور أنّه مع حسنه يتشأمّ به، وكان هذا والله أعلم إنّه لما كان سبباً لدخول إبليس الجنّة وخروج آدم عليه السلام منها وسبباً لخلوّ تلك الدّار من آدم مدّة دوام الدّنيا كرهت إقامته في الدّور لذلك.

---

(١) الكافي: ٦/٢٤٧ ح١٦، ووسائل الشيعة: ٢٤/١٠٦ ح٣٠٠٩٤.

(٢) الخرائج والجرائح: ١/٢٤٩، وبحار الأنوار: ٦١/٢٧ ح٨.

الترجمة

از جمله خطب بلاغت نظام آن امام است که ذکر می فرماید در آن عجایب و غرایب خلقت طاووس را به این مضامین:

اختراع کرد و آفرید خدای تعالی مخلوقات را آفریدنی عجیب از ذی روح و از غیر ذی روح و از ساکن و از صاحب حرکت و برپا داشت از علامات باهرات بر لطیف صنعت و عظیم قدرت خود شاهد صادقی را که انقیاد نمود مراورا عقل ها، درحالتی که اعتراف کننده بودند به او و گردن نهنده بودند بر او و صدا کرد در گوش های ما دلیل های او بر وحدانیت و یگانگی او سبحانه و دلیل های آن چه که آفریده از صورتهای مختلفه مرغهایی که ساکن گردانید آن ها را در شکافهای زمین و در فرجه های واقعه در میان کوه های آن و در سرهای کوه های بلند از صاحبان بال های گوناگون و هیئت های متباین در حالتی که متقلبند در افسار تسخیر و گستراننده اند بال های خود را در شکاف های هوای فسیح و فضای وسیع.

ایجاد فرمود آن ها را بعد از این که موجود نبودند در عجایب صورت های آشکار و ترکیب داد آن ها را در مجامع مفصلهایی که پوشیده اند در تحت پرده ها و منع فرمود بعض از مرغان را به جهت سنگینی و ضخامت جثّه آن از آن که بلند شود به هوا به سرعت و خفّت و گردانید آن را که می پرد بر روی زمین پریدنی که نزدیك باشد به زمین تا بلند شود ومنظّم نمود مرغان را با اختلاف ایشان در رنگها با قدرت لطیفه خود و صنعت دقیقه خود.

پس بعضی از آنها غوطهور شده در قالب یکرنگی که اصلا مخلوط نیست به آن غیر رنگی که غوطهور شده در آن و بعضی از آن ها فرو برده شده در رنگی که طوق گردن آن به خلاف رنگی است که رنگ داده شده به آن.

و از عجیب ترین مرغان از حیثیّت خلقت طاووس است که برپا داشته او را حق تعالی در محکم ترین تعدیل اجزا وترتیب داده رنگ های آن را در احسن ترتیب، با بالی که درهم کرده قصب ها و اصل های آن را و با دمی که دراز کرده

جای کشیدن آن را، وقتی که بگذرد طاووس نر بر طاووس ماده پراکنده سازد آن دم را از پیچیدگی آن و بلند می کند آن را در حالتی که مشرف باشد بر سر آن، گویا که آن دم بادبان کشتی است که منسوب است به شهر دارین که میل داده است آن را کشتیبان آن؛ می نازد به رنگ های مختلفه خود و می خرامد به نازش های خود، مباشرت می کند همچو مباشرت خروسان و مجامعت می کند با آلات تناسل مثل مجامعت نرهای شدیدالجماع. حواله می کنم تو را از این امر مذکور بر دیدن رأی العین، نه مانند کسی که حواله می کند بر سندهای ضعیف خود و اگر باشد این امر مثل گمان کسی که گمان می کند که طاووس آبستن می سازد ماده خود را با اشکی که می ریزد آن را کنج های چشم آن، پس می ایستد آن اشك در پلك های چشم او و آن که ماده او می لیسد آن را، پس از آن تخم می نهد، نه از جماع طاووس نر غیر از اشك بیرون آمده از چشم، هرآینه نمی باشد این گمان عجب تر از مطاعمه زاغها که نر و ماده منقار به منقار می گذارند و جزئی از آب که در سنگدان نر است به دهن ماده می رسد و از آن آبستن می شود، چنان چه اعتقاد عرب ها این است، خیال می کنی اصل پرده های طاووس را شانه ها از نقره بیضا و آن چه رسته بر آن از دایره های عجیبه و شمسه های غریبه آن طلای خالص و پارهای زبرجد.

پس اگر تشبیه کنی طاووس را به چیزی که رویانیده است آن را زمین، گویی که گلهایی است چیده شده از شکوفه هر بهاری و اگر تشبیه کنی آن را به لباسها، پس آن همچو حلّه های زینت داده شده است با طلا یا همچو جام های برد خوش آینده یمن است و اگر تمثیل کنی آن را به زیورها، پس او مانند نگین هایی است صاحب رنگ ها که کشیده در اطراف آن، یعنی مدور شده مانند نطاق به نقره مزیّن به جواهر.

راه می رود طاووس مثل راه رفتن شادی کننده متکبّر خرامان و می نگرد به نظر دقّت به دم و بال خود، پس قهقهه می زند در حالتی که خندان است از جهت حسن پیراهن رنگین خودو زنگ های لباس خود، پس چون اندازد نظر خو را به سوی پای های سیاه باریك خود، بانگ کند در حالتی که گریه کننده باشد به آواز بلند که نزدیك باشد روح از بدنش مفارقت نماید از شدت فریاد خود، زیرا که پاهای او زشت است و باریك همچو خروسان خلاسی که متولّد می شوند میان

مرغ هندی و فارسی در حالتی که برآمده است از طرف ساق او خاری که پنهان است، چنانچه در پای خروسان می روید.

و مراورا است در موضع پس گردن کاکلی سبز مزیّن با نقش و نگار و موضع بیرون آمدن گردن او مانند ابریق است و جای فرو رفتن گردن آن تا که منتهی شود به شکم او مثل رنگ وسمه یمانی است یا همچو حریر پوشیده شده بر آینه صاحب صیقل و جلا و گویا که طاووس پیچیده است به مقنعه سیاه، لکن خیال کرده می شود از جهت کثرت تر و تازگی او و شدت برّاقی او این که سبزی با طراوت آمیخته است به آن.

و با شکاف گوش او است خطّی مثل باریکی سر قلم در رنگ گل بابونج که سفید است در غایت روشنی، پس آن خط به سفیدی خود در میان سیاهی آن چه که آن جا است می درخشد و کم رنگی است از رنگ ها مگر این که اخذ نموده است از آن به نصیب کامل و بلند برآمده و تفوّق پیدا کرده آن رنگ بر او و به بسیاری روشنی و درخشیدن آن و برّاقی زیبای آن و خوبی آن.

پس طاووس مانند شکوفه هایی است گسترانیده که تربیت نداده آن را باران های بهاری و نه آفتاب های تابستانی وگاهی هست که عاری می شود از پر خود و برهنه می شود از لباس خود، پس می افتد آن پرها پیاپی ومی روید روییدنی، پس می ریزد آن پرها از قلم پر او همچو ریختن برگهای شاخه های درخت، بعد از آن متلاحق می شود در عقب یکدیگر در حالتی که نمودکننده است تا آن که برمی گردد به هیئت و صورتی که پیش از ریختن داشت. مخالف نمی باشد رنگ های لاحق به رنگ های سابق و واقع نمی شود هیچ رنگی در غیر جای خود.

و چون نظر کنی به تأملّ در هر مویی از موهای قلم او، می نمایاند آن موی تو را سرخی که به لون گل سرخ است و بار دیگر سبزی که به رنگ زبرجد است و گاهی زردی به رنگ طلای خالص.

پس چگونه می رسد به صفت این مرغ خوش رنگ فکرهای عمیقه؟ یا چگونه می رسد به کنه معرفت او عقلهای باذکاوت؟ یا چگونه به نظم می آورد وصف آن را اقوال وصف کنندگان و حال آن که کمترین جزءهای او عجز آورده است وهم ها را از ادراك آن و زبان ها را از وصف آن.

پس پاكا پروردگارى كه غالب شد به عقل ها از وصف كردن مخلوقى كه روشن و آشكار گردانيد آن را به چشم ها، پس ادراك كردند آن چشم ها آن مخلوق را، در حالتى كه صاحب حدّ معينى بود آفريده شده و صاحب تركيبى بود به رنگ هاى گوناگون.

پس منزّه پروردگارى كه محكم ساخت پاهاى مورچه و پشه كوچك را با آن چه فوق آن ها است از خلق ماهى ها و فيل ها و وعده كرده و لازم نموده بر نفس خود كه نجنبد هيچ جنبنده اى از موجوداتى كه داخل فرموده روح را در آن، مگر اين كه گردانيده مرگ را وعده گاه او و فنا را پايان كار او.

الفصل الثاني منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ ما يُوصَفُ لَكَ مِنْها، لَعزَفَتْ نَفْسُكَ مِنْ بَدائِعِ ما أُخرِجَ إِلىٰ الدُّنيا مِنْ شَهَواتِها ولَذّاتِها، وَزَخارِفِ مَناظِرِها ولَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ في إِصْطِفاقِ أَشْجارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُها في كُثْبانِ المِسْكِ عَلىٰ سَواحِلِ أَنْهارِها، في تَعْلِيقِ كَبائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ في عَسالِيجِها وأَفْنانِها، وطُلوُعِ تِلْكَ الثِّمارِ مُخْتَلِفَةً في غُلُفِ أَكْمامِها، تُجْنىٰ مِنْ غَيرِ تَكَلُّفٍ فَتأتي عَلىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيها، وَيُطافُ عَلىٰ نُزّالِها في أَفْنِيَةِ قُصُورِها بِالأَعْسالِ المُصَفَّقَةِ، وَالخُمُورِ المُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الكَرامَةُ تَتَمادىٰ بِهِمْ حَتّى حَلوُّا دارَ القَرارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفارِ، فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّها المُسْتَمِعُ بِالوُصُولِ إِلىٰ ما يَهْجِمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ المَناظِرِ المُونِقَةِ، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْها، ولَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسي هَذا إِلىٰ مُجاوَرَةِ أَهْلِ القُبُورِ اسْتِعْجالاً بِها، جَعَلَنا اللّٰهُ وإِيّاكُمْ مِمَّنْ سَعىٰ بِقَلْبِهِ إِلىٰ مَنازِلِ الأَبْرارِ بِرَحْمَتِهِ[1].

اللغة

قال السيد عليه السلام: قوله: «كبائس اللّؤلؤ الرّطب» **(الكباسة)** العذق و**(العساليج)** الغصون واحدها عسلوج.

(عزفت) بالعين المهملة والزّاء المعجمة أي زهدت وانصرفت و**(اصطفاق)** الأشجار اضطرابها من الصّفق وهو الضّرب يسمع له صوت يقال: صفق يده على يده صفقة أي ضربها عليها، وذلك عند وجوب البيع، وفي بعض النسخ اصطفاق أشجار أي انتظامها صفاً، وفي بعضها اصطفاف أغصان بدل أشجار.

و**(الكباسة)** العذق التام بشماريخه ورطبه و**(الأكمام)** كالأكمة والكمام جمعَ كم وكمامة بالكسر فيهما وهو وعاء الطّلع وغطاء النّور و**(فناء)** البيت ما اتّسع من أمامه والجمع أفنية و**(التّصفيق)** تحويل الشّراب من إناء إلى إناء ممزوجاً ليصفو و**(الرّواق)** الصّافي من الماء وغيره والمعجب و**(النّقلة)** بالضمّ الانتقال.

الإعراب

قوله: رميت ببصر قلبك، (الباء) زائدة، وفي تعليق، عطف على قوله في اصطفاق أشجار، وجملة (تجني) منصوبة المحل حال من الثّمار، و(قوم)، خبر محذوف المبتدأ

---

(١) ميزان الحكمة: ٣/ ٢٦٠١، وبحار الأنوار: ٨/ ١٦٣.

وجملة (جعلنا الله)، دعائية لا محلّ لها من الإعراب، وقوله: (برحمته)، متعلّق بقوله: جعلنا أو بقوله: سعى.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة حسبما ذكره الرضيّ وارد في صفة الجنّة دار النّعيم والرّحمة قال عليه السلام: **(فلو رميت ببصر قلبك)** أي نظرت بعين بصيرتك **(نحو ما يوصف لك منها)** أي إلى جهة ما وصف الله لك ورسوله في الكتاب والسنّة من نعيم الجنّة وما أعدّ الله فيها لأوليائه المؤمنين **(لعزفت نفسك)** وأعرضت **(عن بدائع ما أخرج إلى الدّنيا من شهواتها ولذّاتها وزخارف مناظرها)** ولم تجد لشيء منها وقعاً عندها **(ولذهلت)** مغمورة **(بالفكر في)** عظيم ما أعدّ في دار الخلد من **(اصطفاق أشجار)** واهتزازها بريح **(غيبت عروقها في كثبان المسك)** أي في تلال من المسك بدل الرّمل **(على سواحل أنهارها)** ولذهلت بالفكر **(في تعليق كبائس اللّؤلؤ الرّطب في عساليجها وأفنانها)** أي فروعها وأغصانها.

(و) في **(طلوع تلك الثمار)** وظهورها **(مختلفة في غلف أكمامها)** يجوز أن يراد باختلاف الثمار اختلافها باعتبار اختلاف الأشجار بأن يحمل كلّ نوع من الشّجر نوعاً من الثمر كما في أشجار الدّنيا فيكون ذكر الاختلاف إشارة إلى عدم انحصار ثمر الجنّة بنوع أو نوعين، وأن يراد به اختلافها مع وحدة الشّجرة، فذكر الاختلاف للدّلالة على عظيم قدرة المبدأ سبحانه.

ويدلّ على الاحتمال الأوّل ما في البحار من تفسير الإمام عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] قال عليه السلام: هي شجرة تميّزت بين سائر أشجار الجنّة إنّ سائر أشجار الجنّة كان كلّ نوع منها يحمل نوعاً من الثمار والمأكول وكانت هذه الشّجرة وجنسها تحمل البرّ والعنب والتين والعنّاب وسائر أنواع الفواكه والثمار والأطعمة، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم: هي برّة، وقال آخرون: هي عنبة، وقال آخرون: هي عنّابة.

وعلى الثاني ما في الصّافي من العيون بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت للرّضا عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن الشّجرة الّتي نهي منها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف النّاس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال عليه السلام: كلّ ذلك حقّ، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً، وكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب ليست كشجرة الدّنيا فافهم[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٧٣ ح١٥، وتفسير الميزان: ١/ ١٤٣.

(تجنى من غير تكلّف فتأتي على مُنية مجتنيها) حسبما تشتهيه نفسه لا يترك له منية أصلاً كما قال سبحانه: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قال عليّ بن إبراهيم القمّي: قال: **دليت عليهم ثمارها** ينالها القائم والقاعد.

وفي الصافي من الكافي عن النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار وهو متكىء(١).

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قال في مجمع البيان: الجنى الثمر المجتنىّ أي تدنو الثمرة حتّى يجنيها وليّ الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً عن ابن عباس، وقيل: أثمار الجنّتين دانية إلى أفواه أربابها، فيتناولونها متكئين، فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين، لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك عن مجاهد(٢).

(ويطاف على نزّالها في أفنية قصورها بالأعسال المصفقة) المصفاة **(والخمور المروّقة)** المتصفة بالصفاء.

كما أخبر به سبحانه في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٥ ـ ١٨].

وقوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧] أي يطوف عليهم ولدان مخلّدون بكأس من خمر معين ظاهر للعيون جارية في أنهار ظاهرة، وقيل: شديدة الجري، ووصفها بكونها بيضاء لأنها في نهاية الرقّة والصفاء واللّطافة النورية التي بها لذيذة للشاربين ليس فيها ما يعترى خمر الدّنيا من المرارة والكراهة، لا فيها غول أي لا يغتال عقولهم فيذهب بها، ولا يصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرّأس ويقال: للوجع غول لأنه يؤدّي إلى الهلاك، ولا هم عنها ينزفون من نزف الرّجل فهو منزوف ونزيف إذا ذهب عقله بالسكر.

ولما وصف نعيم الجنة وما منّ الله بها على نازليها أشار إلى نزّالها فقال عليه السلام: **(قوم)** أي هم قوم **(لم تزل الكرامة تتمادى بهم)** أي متمادية بهم ممتدّة لهم متوسعة في حقهم **(حتى حلّوا)** ونزلوا **(دار القرار وآمنوا نقلة الأسفار)** أي من انتقالها وهو كناية عن خلاصهم عن مكاره عوالم الموت والبرزخ والقيامة وشدائدها وأهوالها.

---

(١) الكافي: ٨/ ٩٩، وبحار الأنوار: ٨/ ١٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ٨/ ١٠٤، وتفسير مجمع البيان: ٩/ ٣٤٧.

روى في البحار من معاني الأخبار عن ابن عباس أنه قال: دار السلام الجنة وأهلها. لهم السلامة من جميع الآفات والعاهات والأمراض والأسقام، ولهم السلامة من الهرم والموت وتغير الأحوال عليهم، وهم المكرّمون الذين لا يهانون أبداً، وهم الأعزّاء الذين لا يذلون أبداً، وهم الأغنياء الذين لا يفقرون أبداً، وهم السعداء الذين لا يشقون أبداً، وهم الفرحون المسرورون الذين لا يغتمون ولا يهتمون أبداً، وهم الأحياء الذين لا يموتون أبداً فمنهم من في قصور الدرّ والمرجان أبوابها مشرعة إلى عرش الرّحمٰن، والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار[1].

ثمّ أخذ في تحضيض المخاطبين وتشويقهم إلى طلب الجنة والقصد إليها بقوله: (**فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك**) أي يدخل عليك على غفلة منك (**من تلك المناظر المونقة**) المعجبة (**لزهقت نفسك**) أي بطلت وهو كناية عن الموت (**شوقاً إليها**) وحرصاً عليها (**ولتحملت**) وارتحلت (**من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها**) أي بتلك المناظر المونقة.

ومحصل المراد أنك لو تفكرت في درجات الجنان وما أعدّ الله سبحانه فيها لأوليائه المقرّبين، وعباده الصالحين من جميع ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين لمتّ من فرط الشوق والشغف ولأزعجت بكلّيتك عن الدّنيا، وساكنت المقابر وجاورت أهل القبور انتظاراً للموت الممدّ إليها.

ثمّ دعا عليه السلام له ولهم بقوله: (**جعلنا الله وإياكم ممن سعى إلى منازل الأبرار**) ومساكن الأخيار (**برحمته**) ومنّته إنه وليّ الإحسان والكرم والإمتنان.

تبصرة

آيات الكتاب العزيز والأخبار المتضمنتان لوصف الجنة والتشويق إليها فوق حدّ الإحصاء ولنورد بعض الأخبار المتضمنة له والمشتملة على مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وبعض فضائل شيعته لعدم خلوّه عن مناسبة المقام فأقول:

روى الشارح المعتزلي عن الزمخشري في ربيع الأبرار قال: ـ ومذهبه في الاعتزال ـ ونصرة أصحابنا معلوم وكذا في انحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقالاتهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما أسري بي أخذني جبرائيل فأقعدني على درنوك من درانيك الجنة ثمّ ناولني سفرجلة فبينما أنا أقلبها انفلقت فخرجت منها جارية لم أر أحسن منها فسلّمت فقلت من أنت؟ قال أنا الرّاضية المرضية خلقني الجبار من ثلاثة أصناف أعلاي من عنبر وأوسطي من كافور

(١) معاني الأخبار: ١٧٦، وشرح أصول الكافي: ٢١/١٢.

وأسفلي من مسك ثمّ عجنني بماء الحيوان وقال لي كوني فكنت خلقني لأخيك وابن عمك عليّ بن أبي طالب[١].

أقول: ورواه في غاية المرام من كتاب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لموفق بن أحمد أخطب خوارزم مثله، وعن عيون الأخبار للصدوق نحوه ومن أمالي الصدوق بتفاوت يسير وزيادة قليلة.

وروى في البحار من كشف الغمة عن موفق بن أحمد الخوارزمي أيضاً بسنده عن بكر بن أحمد عن محمّد بن عليّ عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام عن أبيها وعمها الحسن بن عليّ عليهما السلام قالا: أخبرنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أدخلت الجنة رأيت الشجرة تحمل الحليّ والحلل أسفلها خيل بلق، وأوسطها حور العين، وفي أعلاها الرّضوان قلت: يا جبرائيل لمن هذه الشجرة قال: هذه لابن عمك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إذا أمر الله الخليقة بالدّخول إلى الجنة يؤتى بشيعة عليّ عليه السلام حتى ينتهي بهم إلى هذه الشجرة، فيلبسون الحليّ والحلل، ويركبون الخيل البلق وينادي مناد: هؤلاء شيعة عليّ صبروا في الدّنيا على الأذى فحبوا هذا اليوم[٢].

وفي البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن الحسين بن سعيد معنعناً عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ في الجنة لشجرة يقال لها طوبى ما في الجنة دار إلاّ فيها غصن من أغضانها أحلى من الشّهد وألين من الزّبد أصلها في داري وفرعها في دار عليّ بن أبي طالب**»[٣].

وفيه منه أيضاً عن إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم الفارسي معنعناً عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لما أسرى بي إلى السّماء فصرت في سماء الدّنيا حتّى صرت في السماء السّادسة فإذا أنا بشجرة لم أر شجرة أحسن منها فقلت: لجبرائيل يا حبيبي ما هذه الشجرة؟ قال: هذه طوبى يا حبيبي، قال: قلت: ما هذا الصوت العالي الجهوري؟ قال هذا صوت طوبى قلت: أي شيء يقول؟ قال: يقول: واشوقاه إليك يا عليّ بن أبي طالب**»[٤].

وفيه منه أيضاً عن الحسين بن القاسم والحسين بن محمّد بن مصعب وعليّ بن حمدون وزاد بعضهم الحرف والحرفين ونقص بعضهم الحرف والحرفين والمعنى واحد إن شاء الله.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٩/ ٢٢٩ ح٤، والغدير: ٣/ ١٢٣ ح٤١.

(٢) اليقين: ١٥٦، وبحار الأنوار: ٨/ ١٣٩ ح٥١.

(٣) بحار الأنوار: ٨/ ١٥١ ح٩٠، ومجمع البحرين: ٣/ ٨٠.

(٤) بحار الأنوار: ٨/ ١٥١، وتفسير فرات الكوفي: ٢١٠ ح٢٨٤.

قالوا: حدّثنا عيسى بن مهران معنعناً عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: لمّا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى لهم وحسن مآب» قام المقداد بن الأسود الكندي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: يا مقداد شجرة في الجنّة لو يسير الرّاكب الجواد لسار في ظلّها مائة عام قبل أن يقطعها، ورقها وقشورها برد خضر وزهرها رياش صفر، وأفنانها سندس واستبرق وثمرها حلل خضر، وطعمها زنجبيل وعسل وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرّد أخضر وترابها مسك وعنبر وحشيشها منيع والنجوج[1] يتأجّج من غير وقود، ويتفجّر من أصلها السلسبيل والرّحيق والمعين وظلّها مجلس من مجالس شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يألفونه ويتحدثون بجمعهم وبينا هم في ظلّها يتحدثون إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباء جبلت من الياقوت ثمّ نفخ الروح فيها مزمومة بسلاسل من ذهب كأنّ وجوهها المصابيح نضارة وحسناً وبزّها خزّ أحمر ومزعزى أبيض مختلطتان لم ينظر الناظرون إلى مثله حسناً وبهاء وذلّل من غير مهلة نجباء من غير رياضة عليها رحال ألواحها من الدّر والياقوت المفضّضة باللّؤلؤ والمرجان صفائحها من الذهب الأحمر ملبّسة بالعبقري والأرجوان فأناخوا تلك النجائب إليهم. ثمّ قالوا لهم: ربّكم يقرءكم السلام ويراكم وينظر إليكم ويحبّكم وتحبّونه ويزيدكم من فضله ورحمته فإنّه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم فيتحوّل كلّ رجل منهم على راحلته فينطلقون صفاً واحداً معتدلاً ولا يمرّون بشجرة من أشجار الجنّة إلاّ أتحفتهم بثمارها ورحلت لهم عن طريقهم كراهية يثلم بطريقتهم وأن يفرق بين الرّجل ورفيقه.

فلما وقعوا إلى الجبّار جلّ جلاله قالوا: ربّنا أنت السلام ولك يحقّ الجلال والإكرام فيقول الله تعالى مرحباً بعبادي الذين حفظوا وصيتي في أهل بيت نبيّي ورعوا حقي وخافوني بالغيب وكانوا مني على كلّ حال مشفقين قالوا: وعزّتك وجلالك ما قدرناك حق قدرك، وما أدّينا لك كلّ حقك فأذن لنا بالسجود قال: لهم ربهم إني وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت عليكم أبدانكم وطال ما نصبتم لي الأبدان وعنتّم الوجوه فالآن أفضيتم إلى روحي ورحمتي فاسألوني ما شئتم، وتمنوا عليّ أعطكم أمانيكم فإني لن أجزيكم اليوم بأعمالكم ولكن برحمتي وكرامتي وطولي وارتفاع مكاني وعظيم شأني ولحبكم بأهل بيت نبيّي.

فلا يزال يرفع أقدار محبي عليّ بن أبي طالب في العطايا والمواهب حتى أنّ المقصر من شيعته ليتمنى في أُمنيته مثل جميع الدّنيا منذ خلقها الله إلى يوم فنائها فيقول لهم ربّهم: لقد قصرتم في أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فانظروا إلى مواهب ربّكم.

---

(١) وهو عود البخور.

فإذا بقباب وقصور في أعلا علّيين من الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض يزهر نورها فلولا أنها مسخّرة إذ اللمعت الأبصار منها فما من تلك القصور من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعبقري الأحمر وما كان منها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر وما كان منها من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض وما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالرياش الأصفر مبثوثة مطرّزة بالزمرّد الأخضر، والفضة البيضاء والذّهب الأحمر، قواعدها وأركانها من الجوهر يثور من أبوابها وأعراصها نور، شعاع الشمس عندها مثل الكوكب الدّري في النهار المضيء.

وإذا على باب كلّ قصر من تلك القصور جنتان مدهامّتان، فيهما عينان نضّاختنان، وفيهما من كلّ فاكهة زوجان.

فلمّا أرادوا أن ينصرفوا إلى منازلهم ركبوا على براذين من نور بأيدي ولدان مخلّدين، بيد كلّ واحد منهم حكمة برزون من تلك البراذين، لجمها وأعنّتها من الفضّة البيضاء، وأثفارها من الجوهر.

فلمّا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهنّؤنهم بكرامة ربّهم، حتّى إذا استقرّ واقرارهم، قيل لهم: هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً قالوا: نعم ربّنا رضينا فارض عنّا قال: برضاي عنكم وبحبّكم أهل بيت نبيّي أحللتكم داري، وصافحتم الملائكة فهنيئاً هنيئاً غير محذور وليس فيه تنغيص فعندها قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور».

قال أبو موسى: فحدّثت به أصحاب الحديث عن هؤلاء الثمانية فقلت لهم: أنا أبرأ إليكم من عهدة هذا الحديث لأنّ فيه قوماً مجهولين ولعلّهم لم يكونوا صادقين فرأيت ليلتي أو بعده كأنّه أتاني آت ومعه كتاب فيه من مخول بن إبراهيم والحسن بن الحسين، ويحيى بن الحسن بن فرات وعليّ بن القاسم الكندي، ولم ألق عليّ بن القاسم، وعدّة بعد لم أحفظ أسماءهم كتبنا إليك من تحت شجرة طوبى وقد أنجز لنا ربنا ما وعدنا فاستمسك بما عندك من الكتب، فإنك لن تقرأ منها كتاباً إلا أشرقت له الجنة(١).

---

(١) بحار الأنوار: ٨/ ١٥٤، وتأويل الآيات: ١/ ٢٣٥ ح١٢.

الترجمة

فصل ثانى از این خطبه در فضل بهشت عنبر سرشت است، می فرماید:

پس اگر بیندازی تو دیده قلب خود را به جانب چیزی که وصف کرده می شود از برای تو از بهشت، هرآینه اعراض کند نفس تو از عجایب آن چه که بیرون آورده به سوی دنیا از پرده غیب از شهوات و لذّات آن و زینت های منظره های آن و هرآینه غفلت کنی به سبب فکر کردن در آواز کردن و به هم خوردن درختانی که غایب شده اند ریشه های آن ها در تلّ های مشك بر اطراف نهرهای آن و درآویختن خوشه های مروارید تروتازه در شاخ های بزرگ آن ها و شاخ های کوچك آن و در ظاهر شدن آن میوه ها، در حالتی که مختلفند در لون و طعم در غلاف ها و غنچه های آن میوه ها، درحالتی که چیده می شوند بی زحمت و مشقت، پس می آیند آن میوه ها بر خواهش چیننده های خود و طواف کرده می شوند بر نازلان آن پیرامون قصرهای آن با عسل های صاف کرده شده از کدورات و خمرهای صافیه.

ایشان جماعتی هستند که همیشه کرامت کشیده می شود به ایشان تا فرود آیند به سرای برقراری و ایمن شوند از انتقال جایی به جایی، پس اگر مشغول گردانی قلب خود را ای گوش دهنده، به رسیدن به سوی آن چه هجوم آور می شود از آن منظره های تعجب آورنده خوش آینده، هرآینه برآید جان تو به جهت اشتیاق به سوی آن و هرآینه متوجه می شوی از این مجلس من به همسایگی اهل قبرستان از جهت شتافتن به آن نعیم بی پایان؛ بگرداند خدای تعالی ما را و شما را از کسانی که سعی می کند به منزلهای نیکوکاران به رحمت بی نهایت و بخشش بی غایت خود.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والخامسة والستون من المختار في باب الخطب

والظاهر أنها ملتقطة من خطبة طويلة قدّمنا روايتها في شرح الخطبة السابعة والثمانين من الكافي فليراجع هناك وهذه متضمن لفصلين:

الفصل الأول

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُم بِكَبِيرِكُم، وَلاَ تَكُونُوا كَجُفاةِ الجاهِلِيَّةِ، لاَ فِي الدِّينِ تَتَفَقَّهُونَ، وَلاَ عَنِ اللَّهِ تَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ بِيْضٍ في أداحٍ يَكُونُ كَسرُها وِزراً، ويَخرُجُ حِضانُها شَرّاً.

الفصل الثاني منها

إفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَما مَالَ مالَ مَعَهُ، عَلىٰ أَنَّ اللَّهَ تَعالىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَما تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكاماً كَرُكامِ السَّحابِ، ثُمَّ يَفْتَحِ اللَّهُ لَهُمْ أَبْواباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثارِهِمْ كَسَيْلِ الجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ لَهُ أَكمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ وَلاَ حِدابُ أَرْضٍ، يُذَعْذِعُهُمُ اللَّهُ في بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنابِيعَ فِي الأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيارِ قَوْمٍ.

وَأَيْمُ الله لَيَذُوبَنَّ ما في أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَما تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النّارِ.

يا أَيُّهَا النّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الباطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلُكُم، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، تُهْتُمْ مَتاهَ بَنِي إِسْرائيلَ، وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ، مِنْ بَعْدِي أَضْعافاً خَلَّفْتُمُ الحَقَّ وَراءَ ظُهُورِكُم، وقَطَعْتُمُ الأَدْنىٰ ووَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُم إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهاجَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، وَكُفِيتُمْ مَؤُنَةَ الإِعْتِسافِ، ونَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الفادِحَ عَنِ الأَعْناقِ(١).

اللغة

(تتفقّهون) و**(تعقلون)** في بعض النسخ بصيغة الخطاب وفي بعضها بصيغة الغيبة و**(قيض**

---

(١) شرح أصول الكافي: ١١/ ٤٠٤، وميزان الحكمة: ٣/ ٢٣٢٣.

البيض) بالفتح قشرة البيض العليا اليابسة وقيل: الّتي خرج ما فيها من فرخ.

وقال الشارح البحراني: تبعاً للشارح المعتزلي **(قيض البيض)** كسره تقول قضت البيضة كسرتها و**(انقاضت)** تصدّعت من غير كسر، و**(تقيّضت)** تكسّرت فلقاً فعلى قولهما يكون القيض مصدراً وعلى ما ذكرناه اسماً وهذا أظهر وأولى بقرينة قوله عليه السلام: يكون كسرها وزراً فافهم.

و**(الأداح)** مخفّف أداحي جمع أُداحي بالضمّ مثل خرطوم وخراطيم، وعرقوب وعراقيب، وقد يكسر وهو الموضع الّذي تبيض فيه النّعامة وتفرخ، وهو أُفعول من دحوت لأنّها تدحوه برجلها أي تبسطه ثمّ تبيض فيه وليس للنعام عشّ و**(حضن)** الطائر بيضه حضناً وحضاناً بكسرهما ضمّه تحت جناحه فهي حاضن لأنّه وصف مختصّ وحكى **(حاضنة)** على الأصل و**(القزع)** القطع من السحاب المتفرّقة والواحدة قزعة مثل قصب وقصبة و**(الركام)** بالضمّ ما تراكم من السحاب وكثف منها وبالفتح جمع شيء فوق آخر والموجود في النسخ بالضمّ و**(المستثار)** موضع الثوران والهيجان و**(القارة)** بالقاف الجبل الصّغير و**(الحداب)** بالكسر جمع حدبة وهي كالحدب محرّكة ما ارتفع من الأرض قال سبحانه: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ و**(الألية)** بفتح الهمزة وجمعها أليات بالتحريك والتثنية أليان بغير تاء و**(المتاه)** مصدر ميميّ بمعنى التيه و**(فدحه)** الدّين اثقله.

الإعراب

الضمير في (كسرها) راجع إلى القيض والتأنيث أمّا لكونها بمعنى القشرة أو باعتبار كسبها التأنيث عن المضاف إليه وهي قاعدة مطّردة قال الشاعر: كما شرفت صدر القناة من الدّم و(حضانها) بالضمّ فاعل يخرج وعلى في قوله: «على أن الله» بمعنى مع كما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨] وقوله: كقيض بيض، بدل من قوله: كجفاة الجاهلية، والباقي واضح.

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة على ما التقطها السيد رحمه الله على فصلين:

الفصل الأول

مسوق لنصح المخاطبين وهدايتهم على ما فيه انتظام أمورهم وصلاح عملهم من حيث الدّين والدّنيا وهو قوله: **(ليتأسّ صغيركم بكبيركم)** أمر الصغار بتأسيّ الكبار لأنّ الكبير أكثر تجربة وأكيس فهو أليق بأن يتأسى به **(وليرؤف كبيركم بصغيركم)** أمر الكبار بالرّأفة على

الصغار لأنّ الصغير مظنة الضعف فهو أحقّ بأن يرحم عليه ويرأف.

قال الكندري في محكى كلامه ليتأس من صغر منزلته في العلم والعمل بمن له متانة فيهما، وليرحم كلّ من له جاه ومنزلة في الدّنيا بالمال والقوة كل من دونه **(ولا تكونوا كجفاة الجاهليّة)** أي كأهل الجاهلية الموصوفين بالجفاء والقسوة والفظاظة والغلظة **(لا في الدّين تتفقّهون، ولا عن الله تعقلون)** أشار إلى وجه الشّبه الجامع بين الفرقتين وهو جهلهم بمعالم الدّين، وغفلتهم عن أحكام ربّ العالمين قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

قال الشارح المعتزلي: وجه الشبه أنها إن كسرها كاسر أثم لأنه يظنه بيض النعام وإن لم يكسرها يخرج حضانها شراً إذ يخرج أفعياً قاتلاً، واستعار لفظ الأداحي للأعشاش مجازاً لأنّ الأداحي لا تكون إلاّ للنعام[1].

وقال الشارح البحراني: نهاهم عليه السلام أن يشبهوا جفاة الجاهليّة في عدم تفقّههم في الدين، فيشبهون إذاً بيض الأفاعي في أعشاشها ووجه الشّبه أنه إن كسر كاسر أثم لتأذّى الحيوان به فكذلك هؤلاء إذا شبّهوا جفاة الجاهليّة لا يحلّ أذيهم لحرمة ظاهر الإسلام، وإن أُهملوا وتركوا على الجهل خرجوا شياطين.

أقول: وببيان أوضح إنّ الأفاعي كما أنّ في كسرها سلامة من شرّ ما يخرج منها لو أبقيت على حالها إلا أنّ فيه وزراً على كاسرها وفي عدم كسرها لا يكون على أحد وزر إلاّ أنّ ما يخرج منها تكون منشأ الشّرور والأذى فكذلك هؤلاء إن أُقيمت فيهم مراسم السّياسة المدنيّة بالتّأديب والتعزيز والتّعذيب لاستقامت الأمور وانتظمت وظائف الخلافة لكن في إقامتها وزراً على المقيم لأنّ فيه مخالفة لأمر الله سبحانه أو نهيه كما قال عليه السلام في الكلام الثامن والستّين: وإنّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ولكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي، وإن تركوا على حالهم كانوا منشأ الشرور والمفاسد فيضلّون كثيراً ويضلوا عن سواء السبيل.

والفصل الثاني منها

إشارة إلى اختلاف شيعته وأصحابه من بعده وهو قوله: **(افترقوا بعد ألفتهم)** أي بعد إئتلافهم واجتماعهم عليّ **(وتشتّتوا عن أصلهم)** أي تفرّقوا عن إمام الحقّ الذي يحقّ الائتمام به، فصار بعضهم كيسانيّاً وبعضهم زيدياً وبعضهم فطحياً وغيرها **(فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه)**.

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٨٢ بتفاوت.

قال الشّارح المعتزلي: أي يكون منهم من يتمسك بمن أخلفه من بعدي من ذرّية الرّسول ﷺ أينما سلكوا سلكوا معهم، وتقدير الكلام: ومنهم من لا يكون هذه حاله لكنّه لم يذكره اكتفاء بذكر القسم الأوّل دالّ على القسم الثّاني.

ثمّ أخبر عليه السلام أنّ الفريقين يجتمعان فقال: **(على أنّ الله)** سبحانه **(سيجمعهم لشرّ يوم لبني أُميّة)**.

قال الشارح المعتزلي: وكذا كان حال الشيعة الهاشمية اجتمعت على إزالة ملك بني مروان من كان منهم ثابتاً على ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن حاد منهم عن ذلك، وذلك في أواخر أيام مروان الحمار عند ظهور الدّعوة الهاشمية.

أقول: قد تقدّم في شرح الخطبة السابعة والثمانين، أنّ ما أخبر عليه السلام به قد وقع في سنة اثنين وثلاثين ومائة عند ظهور أبي مسلم المروزي الخراساني صاحب الدّعوة، وفي هذه السنة ظهر السفّاح بالكوفة، وبويع له بالخلافة وكان استئصال بني أمية بيده كما عرفت تفصيلاً في شرح الخطبة المائة والرابعة.

ويعجبني أن أورد هنا نادرة لم يسبق ذكرها أوردها الدّميري في حياة الحيوان.

قال: لما قتل إبراهيم بن الوليد بويع لمروان بن محمّد المنبوز بالحمار بالخلافة وفي أيامه ظهر أبو مسلم الخراساني، وظهر السفّاح بالكوفة، وبويع له بالخلافة وجهّز عمه عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عباس لقتال مروان بن محمّد، فالتقى الجمعان بالزاب زاب الموصل، واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم مروان وقتل من عسكره وغرق ما لا يحصى وتبعه عبد الله إلى أن وصل إلى نهر الأردن فلقي جماعة من بني أمية وكانوا نيّفاً وثمانين رجلاً فقتلهم عن آخرهم.

ثمّ جهّز السفاح عمه صالح بن علي على طريق السماوة فلحق بأخيه عبد الله وقد نازل دمشق ففتحها عنوة وأباحها ثلاثة أيام ونقض عبد الله ثغورها حجراً حجراً وهرب مروان إلى مصر فتبعه صالح حتى وصل أبي صير وهي قرية عند الفيوم، قال ما اسم هذه القرية قالوا أبو صير قال فإلى الله المصير.

ثمّ دخل الكنيسة التي بها فبلغه أنّ خادماً نمّ عليه فأمر به فقطع رأسه وسلّ لسانه وأُلقى على الأرض فجاءت هرّة فأكلته ثمّ بعد أيام هجم على الكنيسة التي كان نازلاً بها عامر بن إسماعيل فخرج مروان من باب الكنيسة وفي يده سيف وقد أحاطت به الجنود وخفقت حوله الطبول فتمثل ببيت الحجاج بن حكيم السلمي وهو.

متقلدين صفائحاً هندية ... يتركن من ضربوا كان لم يولد

ثمّ قاتل حتى قتل فأمر عامر برأسه فقطع في ذلك المكان وسلّ لسانه وألقى على الأرض فجاءت تلك الهرّة بعينها فخطفته فأكلته فقال عامر لو لم يكن في الدنيا عجب إلا هذا لكان كافياً لسان مروان في فم هرّة؟ وقال في ذلك شاعرهم.

قد يسّر الله مصراً عنوة لكم وأهلك الكافر الجبارإذا ظلما

فلاك مقوله هرّ يجرجره وكان ربك من ذي الظلم منتقما

قال الدّميري: وكان قتل مروان في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء بني أمية وأوّلهم معاوية بن أبي سفيان وكانت مدّة خلافتهم نيّفاً وثمانين سنة وهي ألف شهر ويقتل مروان انقرضت دولة بني أمية لعنهم الله قاطبة.

(كما تجتمع قزع الخريف) من ها هنا وهناك **(يؤلف الله بينهم)** وهو كناية عن اتفاق آرائهم وكلمتهم على إزالة ملك بني أمية **(ثمّ يجعلهم ركاماً كركام السحاب)** أي يجعلهم متراكمين مشتركين مجتمعين منضماً بعضهم إلى بعض كالمتراكم من السحاب **(ثمّ يفتح الله لهم أبواباً)**.

قال الشارح البحراني: الأبواب إشارة إما إلى وجوه الآراء التي تكون أسباب الغلبة والانبعاث على الاجتماع أو أعمّ منها كسائر الأسباب للغلبة من إعانة بعضهم لبعض بالأنفس والأموال وغير ذلك **(يسيلون من مستثارهم)** استعارة تبعيّة أي يخرجون من موضع ثورانهم وهيجانهم **(كسيل الجنتين)** اللّتين أخبر الله بهما في كتابه العزيز وستعرف قصّتها تفصيلاً ووجه الشّبه الشدّة في الخروج وإفساد ما يأتون إليه كقوّة ذلك السيل **(حيث لم تسلم عليه قارة ولم تثبت عليه أكمة)** أي لم يقاوم له جبل ولا تلّ **(ولم يردّ سننه)** أي طريقه **(رصّ طود)** أي جبل مرصوص شديد الالتصاق **(ولا حداب أرض)** أي الرّوابي والنجا **(ويذعذعهم الله في بطون أوديته ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض)**.

قال سبحانه: ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض، والمراد أنّ الله سبحانه كما ينزل من السّماء ماء فيكنّه في أعماق الأرض ثمّ يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرّقهم الله في بطون الأودية وغوامض الأرض ثمّ يظهرهم بعد الاحتفاء أو كناية عن إخفائهم بين النّاس في البلاد ثمّ إظهارهم بالإعانة والتأييد **فـ(سيأخذ بهم من قوم)** ظالمين **(حقوق قوم)** مظلومين والمراد بهم آل الرّسول صلى الله عليه وآله **(ويمكن لقوم)** من بني هاشم **(في ديار قوم)** من بني أميّة.

ثمّ أقسم بالقسم البارّ فقال: **(وأيم الله ليذوبن ما في أيديهم)** أي أيدي بني أميّة أو بني العباس من الملك والسلطنة **(كما يذوب الألية على النّار)** وجه الشبه الاضمحلال والفناء.

ثمّ عاد إلى توبيخ المخاطبين فقال: (**أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق**) أراد به نفسه لأنّ الحقّ معه وهو مع الحق كما ورد في صحيح الخبر (**ولم تهنوا عن توهين الباطل**) أراد به معاوية وأصحابه (**لم يطمع فيكم**) وفي بلادكم (**من ليس مثلكم**) في البأس والقوّة (**ولم يقو من قوي عليكم**) ولم يشنّ الغارات على بلادكم وأصقاعكم ولكنّكم (**تهتم متاه بني إسرائيل**) أي تحيرتم مثل تحيرهم وستعرف تيههم إن شاء الله بعد الفراغ من شرح الخطبة (**ولعمري ليضعفنّ لكم التيه**) والضلال (**من بعدي أضعافاً**) وكذا كان لأنّ تيه بني إسرائيل كان أربعين سنة وتيه هؤلاء جاوز الثمانين مدّة ملك بني أُمية بل زاد على ستمائة مدّة ملك بني العباس بل ممدّ إلى ظهور الدّولة القائمية بما (**خلّفتم الحق وراء ظهوركم**) ونكبتم عن الصراط المستقيم (**وقطعتم الأدنى**) أي الأقرب من رسول الله ﷺ نسباً وصهراً وأراد به نفسه (**ووصلتم الأدنى**) أراد به معاوية أو من تقدّم عليه من المتخلّفين.

ثمّ أرشدهم إلى وجه الرّشاد والسداد فقال: (**واعلموا أنكم أن اتبعتم الدّاعي لكم**) أراد به نفسه أو القائم عليه السلام وفي بعض النسخ الرّاعي بالراء وقد تقدّم فيما ذكرناه سابقاً أنّ الإمام راع لرعيّته، وظهر لك وجه المناسبة في إطلاق الرّاعي عليه (**سلك بكم منهاج الرسول**) أي جادة الشريعة (**وكفيتم مؤنة الاعتساف**) في طرق الضلال (**ونبذتم الثقل الفادح**) أي الأثم والعذاب في الآخرة (**عن الأعناق**).

تنبيهان

الأول في قصة قوم سبأ وسيل الجنتين

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧].

قال عليّ بن إبراهيم القميّ قال: إنّ بحراً كان في اليمن وكان سليمان عليه السلام أمر جنوده أن يجروا لهم خليجاً من البحر العذب إلى بلاد هند، ففعلوا ذلك وعقدوا له عقدة عظيمة من الصخر والكلس حتّى تفيض على بلادهم، وكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه وكانت لهم جنّتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة أيّام فيها يمرّ المارّ لا تقع عليه الشمس من التفافها.

فلمّا عملوا بالمعاصي وعتوا عن أمر ربّهم ونهاهم الصالحون فلم ينتهوا بعث الله على ذلك السدّ الجزر وهي الفارة الكبيرة فكانت تقلع الصخرة التي لا يستقلّها الرّجل وترمي به

فلمّا رأى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد فما زال الجزر تقلع الحجر حتّى خربوا ذلك السدّ فلم يشعروا حتّى غشيهم السّيل وخرب بلادهم وقلع أشجارهم.

وقال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير الآية: ثمّ أخبر سبحانه عن قصّة سبأ بما دلّ على حسن عاقبة الشّكور وسوء عاقبة الكفور فقال: ـ لقد كان لسبأ ـ المراد بسبأ هنا القبيلة الذين هم أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ـ في مسكنهم ـ أي في بلدهم ـ آية ـ أي حجّة على وحدانيّة الله عزّ وجلّ وكمال قدرته وعلامة على سبوغ نعمته ثمّ فسّر سبحانه الآية فقال: ـ جنّتان عن يمين وشمال ـ أي بستانان عن يمين من أتاهما وشماله وقيل: عن يمين البلد وشماله(1).

وقيل: أنّه لم يرد جنّتين اثنتين والمراد إنه كانت ديارهم على وتيرة واحدة إذ كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم متّصلة بعضها ببعض وكانت من كثرة النّعم أنّ المرأة تمشي والمكتل على رأسها فيمتلىء بالفواكه من غير أن تمسّ بيدها شيئاً.

وقيل: الآية المذكورة هي أنّه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حيّة، وكان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمّل ودوابّ ماتت عن ابن زيد.

وقيل: أنّ المراد بالآية خروج الأزهار والثّمار من الأشجار على اختلاف ألوانها وطعومها.

وقيل: أنها كانت ثلاث عشرة قرية في كلّ قرية نبيّ يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ: 15] أي كلوا ممّا رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم (بلدة طيبة) أي هذه بلدة مخصّبة نزهة أرضها عذبة تخرج النّبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوامّ المؤذية.

وقيل: أراد به صحة هوائها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وأنّه ليس فيها حرّ يؤذي في القيظ، ولا برد يؤذي في الشتاء (وربّ غفور) أي كثير المغفرة للذّنوب (فأعرضوا) عن الحقّ ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا ممّن دعاهم إلى الله من أنبيائه (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وذلك أنّ الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن، وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فسدّوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السدّ بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم وبساتيهم فلمّا كذّبوا رسلهم وتركوا أمر الله بعث الله جرزاً نقب ذلك الرّدم وفاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب.

---

(1) بحار الأنوار: 14/ 145.

وقال البيضاوي: سيل العرم أي سيل الأمر العرم أي الصّعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد أو الجزر أضاف إليه لأنه نقب عليهم سكراً ضربته لهم بلقيس، فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه نقباً على مقدار ما يحتاجون إليه أو المسناة التي عقدت سكراً على أنّه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة.

وقيل: اسم وادٍ جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمّد (وبدّلناهم بجنتيهم) اللّتين فيهما أنواع الفواكه والخيرات (جنّتين) أخراوين (ذواتي أُكل خمط) مرّ بشع فإنّ الخمط كلّ نبت أخذ طعماً من مرارة.

وقيل: الأراك أو كلّ شجر له شوك (وأثل وشيء من سدر قليل) والأثل الطرفا، لا ثمر له، ووصف السدر بالقلّة فإن جناه وهو النبق ممّا يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ بكفرانهم النّعمة أو بكفرهم بالرّسل (وهل نجازي إلاّ الكفور) أي البليغ في الكفران أو الكفر.

الثاني في قصة تيه بني إسرائيل

قال تعالى حكاية عن موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦].

روى في الصّافي عن العياشي، عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذّة، بالقذّة حتّى لا تخطأون طريقهم، ولا تخطّاكم سنّة بني إسرائيل.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: قال موسى لقومه: يا قوم أدخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم فردّوا عليه وكانوا ستمائة ألف فقالوا: يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين الآيات قال: فعصى أربعون ألفاً وسلم هارون وابناه ويوشع بن نون وكالب بن يوحنّا فسمّاهم الله فاسقين فقال: لا تأس على القوم الفاسقين فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا فكانوا حذو النعل بالنعل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض لم يكن على أمر الله إلا عليّ والحسن والحسين وسلمان

والمقداد وأبو ذر فمكثوا أربعين حتّى قام عليّ فقاتل من خافه(١).

وقال الطبرسي وغيره في تفسير الآية ما ملخّصه: قوله حكاية عن خطاب موسى لقومه: ـ يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة ـ هي بيت المقدس والعياشي عن الباقر عليه السلام: أي لا ترجعوا عن الأرض التي أُمرتم بدخولها ـ مدبرين فتنقلبوا خاسرين ـ عن ثواب الدّارين ـ قالوا: يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين ـ شديدو البطش والبأس لا يتأتّى لنا مقاومتهم.

قال ابن عباس: بلغ من جبرية هؤلاء القوم أنّه لمّا بعث موسى من قومه إثني عشر نقيباً ليخبروه خبرهم همّ رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم في كمّه مع فاكهة كلّها كان يحملها من بستانه وأتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال للملك تعجّباً منهم: هؤلاء يريدون قتالنا؟ فقال الملك: ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا.

قال: وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب، ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال ـ وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان ـ هما يوشع بن نون وكالب بن يوحنا بن عمه كذا عن الباقر عليه السلام ـ من الذين يخافون ـ الله ويتقونه ـ أنعم الله عليهما ـ بالإيمان والتثبت: أدخلوا عليهم الباب ـ باب قريتهم ـ فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ـ لتعسر الكم عليهم في المضايق من عظم أجسامهم ولأنهم أجسام لا قلوب فيها ـ وعلى الله فتوكلوا ـ في نصرته على الجبارين ـ أن كنتم مؤمنين ـ به ومصدّقين لوعده(٢).

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قالوها استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ لأنه يجيبني إذا دعوته ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ـ يسيرون فيها متحيرين ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لأنهم أحقاء بذلك لفسقهم.

قال الطبرسي: قال المفسرون: لما عبر موسى عليه السلام وبنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم الله سبحانه بدخول الأرض المقدسة فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا من الدخول فبعث من كلّ سبط رجلاً وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ فعاينوا من عظم شأنهم وقوّتهم شيئاً عجيباً فرجعوا إلى بني إسرائيل فأخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بن يامين وقيل: إنه كان من

(١) بحار الأنوار: ١٣/ ١٨٠، والتفسير الصافي: ٢/ ٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٠٨، وتفسير الصافي: ٢/ ٢٥.

سبط يوسف عليه السلام وكالب بن يوحنا من سبط يهودا وعصى العشرة وأخبروا بذلك[١].

وقيل: كتم الخمسة منهم وأظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا: إن دخلنا عليهم تكون نساؤنا وأهالينا غنائم لهم، وهموا بالانصراف إلى مصر وهموا بيوشع وكالب وأرادوا أن يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي فأوحى الله إليه إنهم يتيهون في الأرض أربعين سنة وإنما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه أربعين سنة في ستة عشر فرسخاً وقيل: تسع فراسخ وهم ستمائة مقاتل لا تتخرّق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المنّ والسلوى.

وقال الطبرسي في تفسير قوله (وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى): وكان السبب في إنزال المنّ والسلوى عليهم أنه لما ابتلاهم الله بالتيه إذ قالوا لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة فوقعوا في التيه صاروا كلّما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ أو ستة فكلّما أصبحوا صاروا غادين فأمسوا فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدّة وبقوا في التيه أربعين سنة[٢].

وفي الصافي عن العياشي عن الصادق عليه السلام قال: فحرّم الله عليهم ـ أي دخول الأرض المقدسة ـ أربعين سنة وتيههم فكان إذا كان العشاء وأخذوا في الرّحيل نادوا الرّحيل الرحيل الوحا الوحا، فلم يزالوا كذلك حتى تغيب الشمس حتى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله تعالى للأرض دوري بهم، فلم يزالوا كذلك حتى إذا سحروا، وقارب الصبح قالوا أنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا فإذا تيههم ومنازلهم التي كانوا فيها بالأمس، فيقول بعضهم لبعض يا قوم لقد ضللتم وأخطأتم الطريق فلم يزالوا كذلك حتى أذن لهم فدخلوها[٣].

وفي الكافي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ موسى كليم الله مات في التيه فصاح صائح في السماء مات موسى وأي نفس لا تموت؟.

قال الطبرسي: فلمّا حصلوا في التّيه ندموا على ما فعلوا فألطف الله لهم بالغمام لمّا شكوا حرّ الشمس وأنزل عليهم المنّ والسلوى فكان يسقط عليهم المنّ من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس كانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليومهم وكان الله تعالى يبعث لهم السّحاب بالنّهار فيدفع عنهم حرّ الشمس وكان ينزل عليهم باللّيل من السّماء عموداً من نور يضيء لهم مكان السّراج وإذا ولد فيهم مولود كان عليه ثوب بطوله كالجلد[٤]، ويأتي إن شاء الله تفصيل

(١) بحار الأنوار: ١٣/ ١٦٩، وتفسير مجمع البيان: ٣/ ٣٠٨.
(٢) تفسير كنز الدقائق: ١/ ٢٥٢.
(٣) التفسير الصافي: ٢/ ٢٦، وتفسير نور الثقلين: ١/ ٦٠٨ ح١١٦.
(٤) جامع البيان: ٩/ ٦٥، بتفاوت.

المنّ والسلوى في شرح الخطبة المائة والحادية والتسعين.

وماتت النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات أكثرهم ونشأ ذراريهم وخرجوا إلى حرب أريحا وفتحوها.

الترجمة

. از جمله خطب شريفه آن امام مبين و وليّ مؤمنين است در نصيحت مخاطبين و اخبار از وقايع آتيه روزگار، مى فرمايد:

بايد كه متابعت نمايند كوچكان شما به بزرگان شما و بايد كه مهربانى نمايند بزرگان شما بر كوچكان شما و نباشيد مثل جفاكاران ايام جاهليت كه نه در دين دانا شويد و نه از خداى تعالى كسب معرفت نماييد، مانند پوست بيرون تخم ها در مواضع بچه بيرون آوردن كه مى باشد شكستن آن تخمها وزر و وبال و بيرون مى آيد بچه هاى آن ها شرارت و فساد.

و از جمله فقرات اين خطبه است، مى فرمايد:

متفرّق مى شوند بعد از ائتلاف ايشان و پراكنده مى شوند از اصل خودشان، يعنى از امام مفترض الطاعة، پس بعضى از ايشان اخذكننده باشد شاخه را از آن اصل كه هرجا ميل كند آن شاخه آن هم ميل مى كند با او، با وجود اين كه به درستى خداى تبارك و تعالى زود باشد كه جمع كند ايشان را از براى بدترين روزى از براى بنى اميه ملعونين، چنان چه مجتمع مى شوند ابرهاى متفرقه در فصل پاييز.

الفت مى دهد خداى تعالى در ميان ايشان، پس مى گرداند متراكم و برهم نشسته مثل ابرهاى متراكم، پس از آن بگشايد خداوند عزّوجلّ از براى ايشان درهايى كه روان شوند از جاى هيجان ايشان مانند سيل دو بستان شهر سبا، به حيثيّتى كه سلامت نماند بر آن سيل كوه كوچكى و ثابت نشود مرآن را تلّى و بازنگرداند راه آن را كوه محكمى و نه پشته هاى زمينى، متفرّق مى سازد ايشان را خداى تعالى در درون هاى وادى هاى خود، پس دربرد ايشان را در چشم هاى

زمين و بگيرد به ايشان از قومى حق هاى قوم ديگر را و جاى دهد قومى را در ممالك قومى و سوگند به خدا، هرآينه البته گداخته مى شود آن چه كه در دست بنى اميه است از ملك و سلطنت چنان چه گداخته شود دنبه بر آتش.

اى مردمان اگر خذلان نميورزيديد از نصرت حق و سستى نمى كرديد از اهانت باطل، هرآينه طمع نمى كردند در شما كسانى كه مثل شما نبودند و قوّت نمى يافت كسى كه قوّت يافت بر شما و لكن شما حيران و سرگردان شديد مثل حيرانى بنى اسرائيل و قسم به زندگانى خودم، هرآينه افزون كرده شود از براى شما حيرانى و سرگردانى بعد از من افزونى فراوان، به سبب اين كه واپس گذاشتيد حق را در پس پشتهاى خود و بريديد نزديك تر به سوى پيغمبر را و پيوند كرديد دورتر از آن را.

و بدانيد اين كه اگر شما تبعيت نماييد دعوت كننده خودتان را كه منم، ببرد شما را به راه راست پيغمبر خدا و كفايت كرده شويد از مشقت كجروى و مى اندازيد بار گران ثقيل را كه عبارت است از وزر و عذاب آخرت از گردن هاى خودتان.

قال الشّارح عفى الله عنه: ليكن هذا آخر هذا المجلّد وهو المجلّد الرّابع من مجلّدات منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة وقد طال بنا شرح ما تضمّنه هذا المجلّد حتّى بلغت مدّة الاشتغال به ضعفي مدّة الاشتغال بسائر المجلّدات لابتلائي بأمور تشيب الوليد، وتذيب الحديد، وتعجز الجليد، وبرزايا لم يكد يشاهد مثلها على صفائح الأيام أو يثبت على الصّحائف بالمحابر والأقلام بل قلّما أن يؤثر نظيرها عن الأمم الماضية أو ينقل قرينها عن القرون الحالية وأعظم تلك المصائب الحسد والأذى من أقارب كالعقارب، وإجلابهم عليّ كتيبة وكتائب.

رماني الدهر بالإرزاء حتّى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النّصال على النّصال

إلى الله أشكو من دهر إذا أساء أصرّ على إساءته، وإذا أحسن ندم من ساعته، ومن معشر جلّ بضاعتهم الأود والعناد، وكلّ صناعتهم اللّدد والفساد، ومن الله أسأل دفع كيد الخائنين وإصلاح نفوس الحاسدين، وانقطاع ألسن المعاندين وأسأله التوفيق لشرح المجلّدات الآتية بجاه محمّد صلى الله عليه وآله وعترته الطّاهرة.

وقد منّ الله عليّ بالفراغ من هذا المجلّد بعد الأياس لتفرّق الحواس صبيحة يوم الاثنين وهو الرّابع والعشرون من شهر جمادىٰ الآخرة من شهور ثلاث عشرة وثلاث مائة وألف سنة من الهجرة النبويّة على مهاجرها ألف صلاة وسلام وتحيّة والحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الأطيبين.

هذا هو المجلد الخامس من مجلدات منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الّذِي سَلَكَ بِنا نَهَجَ البَلاغَةِ لِلإِهْتِداءِ إِلىٰ مَناهِجِ ٱلْبَيانِ، وَأَلْهَمَنا مِنْهاجَ البَراعَةِ للإِرْتِقاءِ إِلىٰ مَعارِجِ ٱلمَعانِ، وَالصَّلوٰةُ وَالسَّلامُ عَلىٰ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي طابَتْ فَرْعاً وأَصْلاً، ووَشيجَةِ الرِّسالَةِ الَّتِي سَمَتْ رِفْعَةَ وَنبْلاً، عَيْنِ السَّيادَةِ وَالْفَخارِ، وخَدَيْنِ الشَّرَفِ الَّذِي أَظْهَرَ الخيلاءُ في مُضَرِ ونَزارِ، مُحَمَّدٍ المُخْتارِ مِنْ سُلالَةِ عَدْنان، وأَحْمَدِ المُسْتاثَر بِمُكْرَماتِ الفُرْقانِ، وآلِهِ المَوْصُوفينَ بِالعِصْمَةِ والطَّهارَةِ، وَالمَهْتُوفينَ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَخارَةِ، والمَوْسُومِينَ بِالْخِلافَةِ وَالإِمَامَةِ، وَالمَرْسُومينَ بِالشَّرافَةِ وَالكَرامَةِ، لا سِيَّما ابْنِ عَمِّه وأَخيهِ المُنْتَجَبِ ووَزيرِهِ، الحائِزِ قَصَبَ السَّبْقِ في مِضْمارِ العِزِّ وَالشَّرَفِ، وَالْبارِعِ عَلَىٰ الأَقْرانِ في السُّؤْدَدِ فَما لَهُ عَنْهُ مُنْصَرَفٌ، المَخْصُوصِ بِإِمارَةِ المُؤْمِنينَ، وَالمَنْصُوصِ بِالإِمامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّ العالَمينَ، عَلىٰ رَغمِ كُلِّ ناصِبَ جاحِدٍ، وَعَمْى عَيْنِ كُلِّ مُنافِقٍ مُعانِدٍ.

يا آل طه الأكرمين ألية ... بكم وما دهري يمين فجار
إنّي منحتكم المودّة راجياً ... نيلي المنى في الخمسة الأشبار
فعليكم منّي السّلام فأنتم ... أقصى رجاي ومنتهى إيثاري

أما بعد: هذا هو المجلّد الخامس من مجلّدات منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة إملاء المفتاق إلى غفران ربّه الغنيّ حبيب الله بن محمّد بن هاشم الهاشمي العلوي الموسوي وفقّه الله سبحانه وأعانه على إتمامه وختامه، ببداعة أسلوبه ونظامه وجعله ممحاة لذنوبه وآثامه، يوم حشره، وقيامه، إنّه لما يشاء قدير، وبالإجابة حقيق جدير.

فأقول: قال السيّد الرّضي رضي الله عنه:

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والسادسة والستون من المختار في باب الخطب

وهي مروية في البحار من كامل ابن الأثير بيسير اختلاف وتغيير حسبما تطّلع عليه إنشاء الله.

إنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ أَنْزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فيهِ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الخَيرِ تَهْتَدُوا، واصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا والفَرائِضَ الفَرائِضَ أَدُّوها إِلىٰ اللّهِ تَؤدُّكُم إِلىٰ الجَنَّةِ، إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَراماً غَيرَ مَجْهُولٍ، وأَحَلَّ حَلالاً غَيرَ مَدْخُولٍ، وفَضَّلَ حُرْمَةَ المُسْلِمِ عَلىَ الحُرَمِ كُلِّها وَشَدَّ بِالإِخْلاصِ وَالتَّوْحيدِ حُقُوقَ المُسْلِمينَ في مَعاقِدِها، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِه إلاّ بِالْحَقِّ، وَلاَ يَحِلُّ أَذَى المُسْلِمِ إلاّ بِما يَجِبُ، بادِرُوا أَمْرَ العامَّةِ وخاصَّةَ أَحَدِكُم وَهُوَ المَوْتُ، فَإِنَّ النّاسَ أَمامَكُم وَإِنَّ السّاعَةَ تَحْدُوكُم، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإنَّما يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُم آخِرُكُمْ، إتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبادِهِ وبِلادِهِ، فَإِنَّكُمْ مسْؤُولُونَ حَتّىٰ عَنِ البَقاعِ وَالبَهائِمِ أطيعُوا اللَّهَ وَلاَ تَعْصُوهُ وإذا رَأَيْتُمُ الخَيرَ فَخُذُوا بِهِ وإذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَاصْدِفُوا عَنْهُ[١].

اللغة

(صدفت) عنه أصدف من باب ضرب أعرضت و**(قصد)** في الأمر قصداً من باب ضرب أيضاً توسّط وطلب الأسدّ ولم يجاوز الحدّ وهو على قصد أي رصد وطريق قصد أي سهل و**(دخل)** عليه بالبناء على المفعول إذا سبق وهمه إلى شيء فغلط فيه من حيث لا يشعر و**(البقعة)** من الأرض القطعة وتضمّ الباء في الأكثر فتجمع على بقع مثل غرفة وغرف وتفتح فتجمع على بقاع بالكسر مثل كلبة وكلاب.

الإعراب

قوله: **(والفرائض)** الفرائض بالنصب على الإغراء، والفاء في قوله عليه السلام **(فالمسلم)** فصيحة، وقوله (خاصة أحدكم) عطف على أمر والفاء في قوله: **(فإنّ النّاس)** تعليل وكذا في قوله: **(فإنكم مسؤولون)**.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤١، وميزان الحكمة: ٢/ ١٢١٢.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة كما قاله السّيد ﷺ وغيره خطب بها في أوّل خلافته، وصدّر كلامه بالتنبيه على فضل الكتاب المجيد فقال: (**إن الله سبحانه أنزل**) على نبيّه أشرف المرسلين (**كتاباً هادياً**) إلى نهج الحق اليقين، كما قال عزّ من قائل: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (**بين فيه الخير**) المقرّب إلى رضوانه (**والشرّ**) المبعّد عن جنانه (**فخذوا نهج الخير**) لـ(**تهتدوا**) إلى الصراط المستقيم المؤدّي إلى نضرة النعيم (**وأصدفوا عن سمت الشرّ**) أي أعرضوا عن طريقه لـ(**تقصدوا**) أي تطلبوا السداد، وتسلكوا سبيل الرّشاد.

ثمّ حثّ على مواظبة الفرائض والواجبات والمراقبة عليها في جميع الحالات فقال ﷺ: (**والفرائض الفرائض أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنة**) أي أوصلوها إليه سبحانه لتوصلكم إلى الجنة، وهو من باب المشاكلة إذ المراد بإيصالها إلى الله التقرّب بها إليه وطلب الزّلفى بها لديه، ونسبة التأدية إلى الجنّة إليها من باب المجاز العقلي والإسناد إلى السبب (**إنّ الله حرّم**) في كتابه وسنّة نبيه ﷺ (**حراماً غير مجهول**) ولا خفيّ بل هو واضح جليّ فلا عذر لمن جهله (**وأحلّ حلالاً غير مدخول**) أي ليس فيه عيب ولا ريب، فلا بأس على من تناوله (**وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها**) كما أفصح عنه لسان النبوّة قال ﷺ: حرمة المسلم فوق كلّ حرمة دمه وماله وعرضه[1] (**وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها**) أي ربطها بهما في مرابطها، فأوجب على المخلصين الموحدين المحافظة على حقوق المسلمين ومراعاة مواضعها هكذا قال الشارح البحراني والعلامة المجلسي ﷺ وهو ظاهر الشارح المعتزلي، ويجوز أن يصوبه أنه سبحانه شدّ حقّ المسلم في معقده بسبب إخلاصه الوحدانية وتوحيده لله سبحانه.

يعني أنّ إسلامه وتوحيده أوجب ترتيب أحكام الإسلام عليه كما قال الصادق ﷺ في رواية المفضل لمروية في الكافي: «الإسلام يحقن به الدّم وتؤدّي به الأمانة وتستحلّ به الفروج»[2].

وفي رواية أخرى عن سماعة عن الصادق ﷺ قال: الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله والتصديق برسول الله ﷺ به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث[3]، هذا.

ولكن الأظهر ما ذكروه بقرينة التفريغ بقوله: (**فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلاّ بالحقّ**) وإن كان يمكن توجيهه على ما ذكرناه أيضاً بنوع تكلّف فافهم هذا.

---

(١) شرح أصول الكافي: ٩/ ٤٣، وشرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٨٩.
(٢) الكافي: ٢/ ٢٤، وشرح أصول الكافي: ٨/ ٧٣.
(٣) شرح أصول الكافي: ٨/ ٧٨، ووسائل الشيعة: ١/ ٤٤.

وقوله: (إلاّ بالحقّ) تنبيه على أنه لا يجب كفّ اليد واللّسان عن المسلم إذا استحقّ عدمه وقد ورد نظير هذا الاستثناء في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] قال المفسرون: أي بإحدى ثلاث إما زناً بعد إحصان أو كفر بعد إيمان أو قتل المؤمن عمداً ظلماً.

وقوله: **(ولا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب)** تأكيد لما سبق على أنّ الما مصدرية أي لا يجوز أذاه إلاّ مع وجوبه، فيكون مساقه مساق قوله: إلاّ بالحقّ، ويجوز أن يكون تأسيساً فإنه دلّ الكلام السابق على جواز عدم الكفّ عنه عند الاستحقاق نبّه بهذا الكلام على أنه لا يجوز أذاه عند الاستحقاق أيضاً إلاّ بما يجب من الأذى كماً وكيفاً فتكون ما موصولة ومحصلة التنبيه على جواز أذيته من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقدار مخصوص يستحقه أو كيفية خاصة تستحقها على ما تقرّر في باب الحسبة هذا.

وقد تلخص مما ذكره عليه السلام وجوب مراعاة حرمة المسلم والمحافظة على حقوقه وقد أُشير إليها في أخبار أهل البيت عليهم السلام.

ففي الوسائل عن الكلينيّ عن أبي المعزا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ: ﴿رحماء بينكم﴾ متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعن معلّى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: «له سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلا وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه من نصيب». قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلّى إني عليك شفيق أخاف أن تضيّع ولا تحفظ أو تعلم ولا تعمل قلت: لا قوّة إلاّ بالله.

قال: «أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

والحقّ الثاني: أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره.

والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والحقّ الرّابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

والحقّ الخامس: أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.

والحقّ السّادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فوجب أن تبعث خادمك فيغسّل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهّد فراشه.

والحقّ السابع: أن تبرّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته وإذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه إلى أن يسلكها ولكن تبادره مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»(١).

وفي الوسائل عن محمّد بن عليّ الكراجكي في كنز الفوائد عن الحسين بن محمّد بن عليّ الصّيرفي عن محمّد بن عليّ الجعابي عن القاسم بن محمّد بن جعفر العلوي عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «للمسلم على أخيه ثلاثون حقّاً لا براءة له منها إلاّ بالأداء أو العفو:

يغفر زلّته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويردّ غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمّته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافي صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمّت عطسته، ويرشد ضالته ويردّ سلامه، ويطيب كلامه، ويبرّ إنعامه، ويصدّق أقسامه، ويوالي وليّه، ويعادي عدوّه.

وينصره ظالماً ومظلوماً فأمّا نصرته ظالماً فيردّه عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقّه، ولا يسلمه ولا يخذله ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه، ويكره له من الشرّ ما يكره لنفسه»(٢).

ثمّ قال عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالب به يوم القيامة فيقضى له وعليه».

ثمّ أمر عليه السلام بالمبادرة إلى الموت مؤيّداً به البدار إلى تهيّئة أسبابه فقال: **(وبادروا أمر العامّة وخاصة أحدكم وهو)** أي ذلك الأمر **(الموت)**.

قال الشّارح المعتزلي: سمّاه المواقعة العامّة لأنّه يعمّ الحيوان كلّه ثمّ سمّاه خاصّة أحدكم لأنه وأن كان عامّاً إلاّ أنّ له مع كلّ إنسان بعينه خصوصيّة زائدة على ذلك العموم **(فإنّ الناس أمامكم)** أي سبقوكم إلى الموت، وفي بعض النسخ فإنّ البأس أمامكم بالباء الموحدة أي الفتنة **(وإن الساعة تحدوكم)** أي يسوقكم من خلفكم **(تخففوا)** بالقناعة من الدّنيا باليسير وترك الحرص عليها وارتكاب المآثم **(تلحقوا)** فإنّ المسافر الخفيف أحرى بلحوق أصحابه وبالنجاة **(فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم)** أي للبعث والنشور.

---

(١) الكافي: ٢/١٦٩ ح٢، والخصال: ٣٥١.

(٢) وسائل الشيعة: ١٢/٢١٣، وبحار الأنوار: ٧١/٢٣٦ ح٣٦.

وقد مضى هذا الكلام بعينه في الخطبة الحادية والعشرين وتقدّم شرحه هناك بما لا مزيد عليه.

ثمّ أمرهم بالتقوى لأنّه الزّاد إلى المعاد فقال: **(اتقوا الله في عباده)** ورعاية ما يجب مراعاته من حقوقهم **(وبلاده)** بترك العلوّ والفساد فيها قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٧٣] **(فإنكم مسؤولون)** لقوله: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٧٣] وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٤] **(حتّى عن البقاع)** فيقال لم استوطنتم هذه وتركتم هذه.

وقد ورد النّهي عن الإقامة في بلاد الشرك مع إمكان الخروج منها وإذا لم يتمكن من القيام بوظائف الإسلام وكذا عن مجالسة أهل البدع والمعاصي كما مرّ في شرح الخطبة الخامسة والثمانين **(والبهائم)** فيقال: لم ضربتم هذه وأوجعتم هذه فإنّه تعالى قد جعل للبهائم حقاً على صاحبها.

روى في الوسائل من عقاب الأعمال للصّدوق عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أنّ امرأة عذبت في هرّة ربطتها حتّى ماتت عطشاً[1].

ومن مكارم الأخلاق للحسن بن الفضل الطبرسي نقلاً من كتاب المجالس عن الصّادق عليه السلام قال: «أقذر الذّنوب قتل البهيمة وحبس مهر المرأة، ومنع الأجير أجره»[2].

وفي الوسائل عن الصدوق بإسناده عن السكوني بإسناده أن النبيّ صلى الله عليه وآله أبصر ناقة معقولة عليها جهازها فقال صلى الله عليه وآله: أين صاحبها مروه فليستعدّ غداً للخصومة[3].

وفيه عن محمّد بن محمّد المفيد في الإرشاد مسنداً عن إبراهيم بن عليّ عن أبيه قال حججت مع عليّ بن الحسين عليه السلام فالتاثت عليه النّاقة في سيرها فأشار إليها بالقضيب، ثمّ قال: آه لولا القصاص، وردّ يده عنها[4].

وفيه عن الصّدوق قال: روى أنه ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ قال: «اضربوها على العثار ولا تضربوها على النفار، فإنّها ترى ما لا ترون»[5].

---

(١) وسائل الشيعة: ١١/ ٥٤٤، وبحار الأنوار: ٦١/ ٢٦٧ ح٢٥.
(٢) وسائل الشيعة: ١٩/ ١٠٨ ح٢٤٢٥٧، وميزان الحكمة: ٢/ ٩٨٩.
(٣) مكارم الأخلاق: ٢٦٣، وبحار الأنوار: ٧/ ٢٧٦.
(٤) الإرشاد للمفيد: ٢/ ١٤٤، وبحار الأنوار: ٦١/ ٢١٦.
(٥) مكارم الأخلاق: ٢٦٣، ومجمع البحرين: ٤/ ٣٤٥.

وفيه عن الصّدوق بإسناده عن إسماعيل بن أبي زياد بإسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «للدابّة على صاحبها خصال يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به، ولا يضرب وجهها فإنّها تسبّح بحمد ربّها، ولا يقف على ظهرها إلاّ في سبيل الله ولا يحمّلها فوق طاقتها ولا يكلّفها من المشي إلا ما تطيق»[١].

وعن الصّدوق مرسلاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تتوركوا على الدوابّ ولا تتخذوا ظهورها مجالس[٢].

ثمّ أمرهم بالإطاعة ونهاهم عن المعصية على سبيل الإجمال فقال: (**أطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به**) لأنّه ينفعكم في العاجل والآجل (**وإذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه**) لأنه يسوقكم إلى الجحيم ويؤدي إلى العذاب الأليم.

تكملة

روي في مجلّد الفتن من البحار من كامل ابن الأثير هذه الخطبة باختلاف يسير قال: وبويع عليه السلام يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين من الهجرة وأوّل خطبة خطبها عليه السلام حين استخلف حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال عليه السلام:

«إنّ الله أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ فخذوا الخير، ودعوا الشرّ الفرائض أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنّة، إنّ الله حرّم حرمات غير مجهولة، وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلّها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلاّ بالحقّ ولا يحلّ دم امرء مسلم إلاّ بما يجب.

بادروا أمر العامة وخاصّة أحدكم الموت، فإنّ النّاس أمامكم وإنّما خلفكم السّاعة تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا فإنما ينتظر الناس بآخركم.

اتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده، إنّكم مسؤولون حتّى عن البقاع والبهائم وأطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوه وإذا رأيتم الشرّ فدعوه»[٣].

---

(١) الخصال: ٣٣٠ ح٢٨، ووسائل الشيعة: ١١/ ٤٧٨ ح١٥٣٠٥.

(٢) الكافي: ٦/ ٥٣٩ ح٨، وبحار الأنوار: ٦١/ ٢١٤ ح٢٣.

(٣) بحار الأنوار: ٣٢/ ٩ ح٢، والبداية والنهاية: ٧/ ٢٥٤.

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار و ولیّ کردگار است در اوّل خلافت خود فرموده:

به درستی که خدای عزّ و علا نازل فرموده کتابی که هدایت کننده است بیان فرموده در آن نیك و بد را، پس اخذ نمایید راه خیر را تا هدایت یابید و اعراض کنید از راه شر تا میانه رو باشید، مواظبت نمایید به فرائض، برسانید آن ها را به سوی پروردگار تا این که برساند آن ها شما را به سوی بهشت عنبرسرشت.

به درستی که خداوند تبارك و تعالی حرام فرموده حرامی که مجهول نیست و حلال کرده حلالی را که بی عیب است وتفضیل داده احترام مسلمان را بر جمیع حرمت ها و بسته به اخلاص و توحید حق های مسلمانان را در مواضع بستن آن ها، پس مرد مسلمان آن کسی است که سلامت باشند مسلمانان از زبان آن و از دست آن مگر به وجه حقانیت و حلال، نیست اذیت و آزار مسلمان مگر به آن چه که واجب باشد.

مبادرت نمایید بر کاری که عام است و شامل به همه عالمیان و بر آن چه که مختص است به هریکی از شما و آن مرگ است، پس به درستی که مردم در پیش شمایند و به درستی که ساعت می راند شما را از پس شما به آخرت، سبکبار بشوید تا لاحق باشید به گذشتگان، پس به درستی که انتظار می کشد به سبب اوّل شما آخر شما.

بپرهیزید و بترسید از خدا در خصوص بنده های او و شهرهای او، پس به تحقیق که شما مسؤول خواهید شد از هر خوب و بد حتّی از بقعه های زمین و از چهارپایان. اطاعت کنید خدا را و معصیت ننمایید و زمانی که ببینید خیر و خوبی را، پس بگیرید آن را و اخذ نمایید و چون مشاهده کنید بد را، پس اعراض کنید از آن و اجتناب نمایید.

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والسابع والستون من المختار في باب الخطب

بعدما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصّحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان فقال عليه السلام:

يا إِخْوَتاه إِنّي لَسْتُ أَجْهَلُ ما تَعْلَمُونَ وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ وَها هُمْ هٰؤُلاءِ قَدْ ثارَتْ مَعَهُمْ عِبْدانُكُم وَالْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرابُكُم وِهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ ما شاؤُوا وِهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلىٰ شَيْءٍ تُريدُونَهُ وَإِنَّ هَذا الأَمْر أَمْرُ جاهِلِيَّةٍ وإِنَّ لِهَؤُلاءِ الْقَوْمِ مادَّةً إِنَّ النّاسَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلىٰ أُمورٍ: فِرْقَةٌ تَرىٰ ما تَرَوْنَ، وفِرْقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وفِرْقَةٌ لاَ تَرىٰ هَذا، وَلاَ هٰذا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النّاسُ، وتَقَعَ الْقُلوُبُ مَواقِعَها وَتُؤْخَذُ الحُقُوقُ مُسْمِحَةً فَاهْدَؤُا عَنّي وَانْظُرُوا ماذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْري، وَلاَ تَفْعَلُوا فِعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً وتُسْقِطُ مُنَّةً وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً، وسَأُمْسِكُ الأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَإِذا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّواءِ الكَيُّ[1].

اللغة

(**أجلبوا**) عليه أي تألبوا واجتمعوا و(**الحدّ**) منتهى الشيء، ومن كلّ شيء حدّته، وفي بعض النسخ (**على جدّ**) بالجيم المكسورة اسم من جدّ في الأمر من باب ضرب وقتل إذا اجتهد وسعى فيه، ومنه يقال فلان محسن جدّاً أي نهاية ومبالغة (**وعبدان**) بالكسر جمع عبد مثل جحش وجحشان وبالضمّ أيضاً مثل تمر وتمران والأشهر في جمعه أعبد وعبيد وعباد و(**سام**) فلاناً الأمر إذا كلّفه إياه، أكثر ما يستعمل في العذاب والشرّ قال سبحانه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩] و(**هدأ**) القوم والصوت يهدأ من باب منع سكن و(**سمح**) سماحة جاد وأعطى أو وافق ما أريد منه وأسمح بالألف لغة وقال الأصمعي: سمح ثلاثياً بماله واسمح بقياده و(**المنة**) بالضمّ كالقوّة لفظاً ومعنى.

الإعراب

جواب (لو) في قوله لو عاقبت محذوف، بقرينة المقام و(الهاء) في قوله: يا إخوتاه للسّكت، قال نجم الأئمة الرّضي أمّا هاء السّكت فهي هاء تزاد في آخر الكلمة الموقوف

(١) بحار الأنوار: ٣١/٥٠٣، وشرح نهج البلاغة: ٩/٢٩١ ح١٦٩.

عليها إذا كان آخرها ألفاً والكلمة حرف أو اسم عريق في البناء نحو: لاوذاً وهنا، وذلك لأنّ الألف خفيّة فأُريد بيانها فإذا جئت بعدها بهاء ساكنة ـ فلا بدّ من مدّ الألف إذا جئت بعدها وذلك في الوصل بحرف آخر ـ تبيّن النطق بها وإذا لم تأت بعدها بشيء وذلك في الوقف خفيت حتّى ظنّ أن آخر الكلمة مفتوحة فلذا وقلت ليبيّن جوهرها.

واختاروا أن يكون ذلك الحرف هاء لمناسبتها بالخفاء لحرف اللّين فإذا جاءت ساكنة بعد الألف فلا بدّ من تمكين مدّ الألف ليقوم ذلك مقام الحركة فيمكن الجمع بين ساكنين، فيبقين الألف بذلك التمكين والمدّ.

وقال في باب المنادى المندوب: وإذا ندبت يا غلامي بسكون الياء فكذا تقول عند سيبويه يا غلامياه لأنّ أصلها الفتح عنده وأجاز المبرّد يا غلاماه بحذف الياء للساكنين قال ابن الحاجب والحذف ليس بوجه مؤيّد لقول المبرّد وشاهد له.

قال نجم الأئمة: إلحاق هاء السّكت بعد زيادة الندبة واواً كانت أو ياء أو ألفاً جائز في الوقف لا واجب وبعضهم يوجبها لئلاّ يلتبس المندوب بالمضاف إلى ياء المتكلّم المقلوبة ألفاً نحو يا غلاماه، وينبغي أن لا يجب عند هذا القائل مع الواو لأنها يكفي في الفرق بين الندبة والنداء، وليس ما قال بوجه لأنّ الألف المنقلبة عن ياء المتلّم قد يلحقها الهاء في الوقف كما مرّ فاللبس إذاً حاصل مع الهاء أيضاً والفارق هو القرينة.

أقول: ويكفي في ردّ هذا القائل قوله ﷺ: يا إخوتاه، فإنّ الألف فيه مقلوبة عن ياء المتلكّم وقد لحقها هاء السّكت كما قاله الرّضي.

وقوله ﷺ (على حدّ شوكتهم) ظرف مستقرّ حال من ضمير المجلبون وإضافة حدّ إلى شوكتهم لاميّة على رواية حدّ بالحاء وبمعنى (في) على روايته بالجيم كما هو غير خفي.

و(الهاء) في قوله ﷺ (وها هم هؤلاء) للتّنبيه وهي تدخل الجمل وتدخل في جميع المفردات أسماء الإشارة نحو: هذا وهاتا وهؤلاء، وكثيراً ما يفصل بينها وبين اسم الإشارة بالقسم نحو: ها الله ذا وبالضمير المرفوع المنفصل نحو: ها أنتم أُولاء وبغيرهما قليلاً نحو قولهم: هذا لها ها وذالياً أي وهذا ليا.

وذهب الخليل إلى أنّ (هاء) المقدمة في جميع ذلك كانت متّصلة باسم الإشارة أي كان القياس الله هذا، وأنتم هؤلاء والدّليل على أنّه فصل حرف التنبيه عن اسم الإشارة ما حكى أبو الخطاب عمّن يوثق به: هذا أنا أفعل في موضع ها أنا ذا أفعل، وحدّث يونس هذا أنت تقول ذا.

وجوّز بعضهم أن يكون (هاء) المقدّمة في نحو: ها أنت ذا تفعل غير منويّ دخولها

على ذا استدلالاً بقوله تعالى ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [آل عمران: ٦٦] ولو كانت هي التي كانت مع اسم الإشارة لم تعد بعد أنتم.

قال نجم الأئمة: ويجوز أن يعتذر للخليل بأنّ تلك الإعادة للبعد بينهما كما أُعيد في ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ بعد قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٨] وأيضاً قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] دليل على أنّ المقدّم في ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ هو الذي كان مع اسم الإشارة، ولو كان في صدر الجملة من الأصل لجاز من غير اسم إشارة ها أنت زيد.

وما حكى الزمخشري من قولهم: ها أن زيداً منطلق، وها أنا أفعل كذا مما لم أعثر له على شاهد فالأولى أن نقول ها التنبيه مختصّ باسم الإشارة، وقد يفصل منه كما مرّ ولم يثبت دخوله في غيره.

وقال نجم الأئمة أيضاً: واعلم أنّه ليس المراد من قولك: ها أنا ذا أفعل، أن تعرّف المخاطب نفسك وأن تعلمه أنت لست غيرك لأنَّ هذا محال بل المعنى فيه وفي: ها أنت ذا تقول: وها هوذا يفعل، استغراب وقوع مضمون ذلك الفعل المذكور بعد اسم الإشارة من المتكلّم أو المخاطب أو الغائب كأنّ معنى: ها أنت ذا تقول أو يضربك زيد، أنت هذا الذي أرى من كنّا نتوقّع منه أن لا يقع منه أو عليه مثل هذا الغريب ثمّ بيّنت بقولك تقول وقولك: يضربك زيد الذي استغربته ولم تتوقّعه.

قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ فالجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الحال المستغربة ولا محل لها إذ هي مستأنفة.

وقوله: وهم خلالكم يسومونكم جملة (هم يسومون) مبتدأ وخبر في محلّ النّصب على الحال و(خلالكم) ظرف مستقرّ حال من مفعول يسومون قدّمت على ذيها للتوسّع.

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من شرح المعتزلي أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام أوّل مسير طلحة والزبير إلى البصرة (**بعدما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب وأعان على**) قتل (**عثمان**) لكان حسناً لما فيه من قطع عذر الناكثين إذ عمدة متمسّكهم في النكث كان المطالبة بدم عثمان (**فقال** عليه السلام): معتذراً عما أشير عليه (**يا إخوتاه**) إنّي على غزارة علمي (**لست أجهل ما تعلمون**) بل أعلم ما كان وما هو كائن وما يكون (**ولكن كيف لي بقوة** على القصاص والإنتقام (**والقوم المجلبون**) المجتمعون المتألبون (**على حدّ شوكتهم**) أي على غاية شوكتهم أو مع كونهم مجدّين في الشوكة مبالغين في شدّة البأس (**يملكوننا ولا نملكهم**) أي هم مسلّطون علينا ولسنا مسلطين عليهم وصدقه عليه السلام في هذا الجواب ظاهر لأنّ أكثر أهل

المدينة كانوا من المجلبين عليه، وكان من أهل مصر ومن الكوفة وغيرهم خلق عظيم، حضروا من بلادهم وقطعوا المسافة البعيدة لذلك، وانضمّ إليه أعراب البادية وعبيد المدينة، وثاروا ثورة واحدة فكانوا على غاية الشوكة ولذلك اعتذر عليه السلام بعدم التمكّن والقوة.

وقد روى أنّه عليه السلام جمع النّاس ووعظهم ثمّ قال: لتقم قتلة عثمان فقام النّاس بأسرهم إلاّ القليل وكان ذلك الفعل استشهاداً منه على صدق قوله، ونبّه أيضاً على صدقه عليه السلام بإحالة المشيرين عليه إحالة معاينة وبإشارة حضوريّة إلى كثرة المجلبين وشدّتهم فقال عليه السلام: **(وها هم هؤلاء ثارت)** وهاجت **(معهم عبدانكم والتفت)** وانضمت **(إليهم أعرابكم وهم خلالكم)** أي بينكم غير متباعدين عنكم **(يسومونكم ما شاؤوا)** كيف شاؤوا ليس لهم رادع ولا دافع **(وهل ترون)** والحال هذه **(موضعاً لقدرة على شيء تريدونه)**.

ثمّ قال: **(أنّ هذا الأمر)** أي أمر المجلبين **(أمر جاهلية)** لأنّ قتلهم لعثمان كان عن عصبيّة وحميّة لا لطاعة أمر الله وإن كان في الواقع مطابقاً له.

ويمكن أن يكون المراد به أنّ ما تريدون من معاقبة القوم أمر جاهليّة نشأ عن تعصّبكم وحميّتكم وأغراضكم الباطلة وفيه إثارة للفتنة، وتهييج للشرّ، لكنّ الأوّل أنسب بسياق الكلام إذ غرضه من إيراد تلك الوجوه إسكات الخصم وعدم تقوية شبه المخالفين الطالبين لدم عثمان.

وأكّد تأكيد تضعيف رأيهم بقوله **(وأنّ لهؤلاء القوم مادّة)** أي مدداً ومعينين و**(إنّ النّاس من هذا الأمر إذا حرّك)** عن موضعه وأريد معاقبة المجلبين **(على أمور)** ثلاثة أشار إليها بقوله **(فرقة منهم ترى ما ترون)** ويحكمون بحسن العقاب **(وفرقة ترى ما لا ترون)** وتزعم أنّ في العقاب عدولاً عن الصّواب **(وفرقة)** ثالثة **(لا ترى هذا ولا هذا)** ولا يحكمون فيه بصواب ولا خطأ.

ولما بيّن اختلاف الآراء وتشتت الأهواء في التخطئة والتصويب وكان الاقتصاص والإنتقام مع وجود هذا الاختلاف مظنّة فتنة أخرى كالأولى بل وأعظم منها وكان الأصوب في التدبير والذي يوجبه العقل والشرع الصبر وإمساك النكير إلى حين سكون الفتنة، وتفرّق تلك الشعوب من المدينة، لا جرم أمرهم بالصّبر فقال: **(فاصبروا حتّى يهدأ النّاس)** ويسكنوا **(وتقع القلوب مواقعها)** وتؤوب إلى النّاس أحلامهم **(وتؤخذ الحقوق مسمحة)** منقادة بسهولة **(فاهدؤا)** متفرقين **(عنّي وانظروا ماذا يأتيكم به أمري)** ولا تستعجلوه ولا تسرعوا **(ولا تفعلوا فعلة)** أي نوع فعل **(تضعضع)** وتهدم **(قوّة وتسقط منّة وتورث وهنا وذلة)** فإنّ الأمور مرهونة بأوقاتها ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها لا تذوق إلاّ مرارة منها.

قال الشارح المعتزلي: وكان عليه السلام يؤمّل أن يطيعه معاوية وغيره وأن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم ويعيّنون قوماً بأعيانهم بعضهم للقتل وبعضهم للتسوّر كما جرت عادة المتظلّمين إلى الإمام والقاضي فحينئذٍ يتمكّن من العمل بحكم الله فلم يقع الأمر بموجب ذلك وعصى معاوية وأهل الشّام والتجأ ورثة عثمان إليه وفارقوا حوزة أمير المؤمنين عليه السلام ولم يطالبوا بالقصاص طلباً شرعيّاً وإنّما طلبوه مغالبة وجعلها معاوية عصبيّة الجاهلية ولم يأت أحد منهم الأمر من بابه[١].

وقبل ذلك ما كان من أمر طلحة والزّبير ونقضهما البيعة ونهبهما أموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصّالحين من أهلها وجرت أُمور كلّها يمنع الإمام عن التصدّي للقصاص واعتماد ما يجب اعتماده لو كان الأمر وقع على القاعدة الصحيحة من المطالبة بذلك على وجه السكوت والحكومة.

وقد قال هو عليه السلام لمعاوية: وأما طلبك قتلة عثمان فادخل في الطاعة وحاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله وسنّة رسول صلى الله عليه وآله هذا.

وأمّا قوله عليه السلام: **(وسأمسك الأمر ما استمسك وإذا لم أجد بدّاً فآخر الدّواء الكيّ)** هكذا في نسخة الشارحين البحراني والمعتزلي، قال ثانيهما وهو مثل مشهور ويقال آخر الطبّ ويغلط فيه العامة فيقول: آخر الدّاء، والكيّ ليس من الدّاء ليكون آخره.

وفي نسخة البحار: آخر الدّاء، قال العلامة المجلسي رحمه الله هكذا في أكثر النسخ المصحّحة ولعلّ المعنى بعد الدّاء الكيّ إذا اشتدّ الداء ولم يزل بأنواع المعالجات فيزول بالكيّ وينتهى أمره إليه[٢].

ثمّ قال الشارح المعتزلي: وليس معناه وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن الصبر فإذا لم أجد بدّاً عاقبتهم ولكنّه كلام قاله أولّ مسير طلحة والزّبير إلى البصرة فإنّه حينئذٍ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر بما قد ذكر.

ثمّ قال: وسأمسك الأمر ما استمسك أي أمسك نفسي عن محاربة هؤلاء النّاكثين للبيعة ما أمكن وأدفع الأيام بمراسلتهم وتخويفهم وإنذارهم وأجتهد في ردّهم إلى الطاعة بالترغيب والترهيب، فإذا لم أجد بدّاً من الحرب فآخر الدواء الكيّ أي الحرب لأنها الغاية التي ينتهي أمر العصاة إليها[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ٣١/ ٥٠٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٩٤.

قال العلامة المجلسي رحمه الله بعد حكاية ما حكيناه عن الشارح أقول: ويحتمل أن يكون ذلك تورية منه عليه السلام ليفهم بعض المخاطبين المعنى الأوّل ومراده المعنى الثاني.

أقول: قد تقدّم في شرح الكلام الثّلاثين تفصيلاً أنّه عليه السلام كان بناؤه على إبهام المرام، واستعمال التورية في الكلام، في أمر عثمان لمصالح قاضية بذلك مانعة عن الإبانة والتصريح فليراجع ثمة.

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام آن امام است (عليه السلام)، بعد از اين كه بيعت كرده شد به خلافت، درحالتى كه گفتند او را گروهى از صحابه كه اگر عقاب بفرمايى قومى را از آن كسانى كه جمعيت نمودند بر قتل عثمان خوب مى شود. پس فرمود آن حضرت در جواب ايشان:

اى برادران من، به درستى كه من نيستم كه ندانم چيزى را كه شما مى دانيد و ليكن چگونه مرا قوّت باشد در انتقام و حال آن كه قومى كه جمعيت كردند بر غايت شوكت ايشان مسلّط و مالك هستند و ما بر ايشان تسلّط نداريم و بدانيد كه ايشان اين جماعت اند كه هيجان آمده اند با ايشان بندگان شما و پيوسته اند به ايشان اعراب باديه نشينان شما و حال آن كه ايشان در ميان شما تكليف مى كنند به شما آن چه دلشان بخواهد و آيا مى بينيد با وجود اين حالت محلى از براى قدرت بر چيزى كه مى خواهيد؟ به درستى كه اين كار كار جاهليت است و به درستى كه از براى آن قوم است ماده بسيار از اعوان و انصار.

به درستى كه مردمان در اين كار هرگاه حركت داده شود بر چند امر مى باشند؛ طايفه اى رأى ايشان مطابق رأى شما خواهد شد و طايفه ديگر رأيشان مخالف رأى شما مى باشد و طايفه سوّم رأيشان نه اين است و نه آن، پس صبر و تحمّل نماييد تا آرام گيرند مردمان و واقع شود قلب ها در مواضع وقوع خود و گرفته شود حق ها به سهولت و آسانى، پس آرام گيريد و كنار شويد از من و نظر كنيد به آن چيزى كه بيايد به شما فرمان من به آن و نكنيد كارى را كه ويران كند قوّت و قدرت را و بيندازد طاقت و توانايى را و باعث بشود به سستى و ذلّت و البته نگاهدارى مى كنم اين امر را مادامى كه نگاه داشته شود و چون چاره نيابم، پس آخر دوا داغ است (يعنى غير از محاربه علاجى نيابم لابدّ بايد محاربه كنم).

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والثامنة والستون من المختار في باب الخطب

عن مسير أصحاب الجمل إلى البصرة:

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولاً هادِياً بِكِتابٍ ناطِقٍ وَأمْرٍ قائِمٍ، لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ إِلاَّ هالِكٌ وإِنَّ المُبْتَدَعاتِ المُشَبَّهاتِ هُنَّ المُهْلِكاتُ إِلاّ ما حَفِظَ اللَّهُ مِنْها وَإِنَّ في سُلْطانِ اللَّهِ عِصْمَةً لأمْرِكُم فَأعْطُوهُ طاعَتَكُمْ غَيرَ مَلوُمَةٍ، وَلا مُسْتكْرَهٍ بِها وَاللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ أوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطانَ الإسْلامِ ثُمَّ لاَ يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أبَداً حَتّى يَأرِزَ الأمْرُ إِلىٰ غَيرِكُم إِنَّ هَؤُلاَءِ قَدْ تمالَؤُا عَلىٰ سَخْطَةِ إِمارَتي وسَأصْبِرُ ما لَمْ أخَفْ عَلىٰ جَماعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُّوا عَلىٰ فِيالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظامُ المُسْلِمينَ وَإِنَّما طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيا حَسَداً لِمَنْ أفاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَأرادُوا رَدَّ الأُمُورِ عَلَىٰ أدْبارِها وَلَكُمْ عَلَيْنا العَمَلُ بِكِتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رَسُولِه صلى الله عليه وآله وَالقِيامِ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ[1].

اللغة

(المشبّهات) في بعض النسخ بصيغة المفعول وفي بعضها بصيغة الفاعل وفي بعضها **(المشتبهات)** بدلها يقال شبّهت الشيء بالشيء أي جعلته شبيهاً به فهو مشبّه بالفتح وشبّهته عليه تشبيهاً مثل لبّسته تلبيساً وزناً ومعنى فأنا مشبّه بالكسر واشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميز ولم تظهر قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

و**(غير ملومة)** في بعض النسخ بالتخفيف من لام يلوم وفي بعضها بالتّضعيف للمبالغة، وفي بعضها **(ملويّة)** بدلها أي غير معوّجة من لوّيت العود إذا عطفته و**(أرز)** يأرز من باب ضرب انقبض واجتمع وأرزت الحيّة أي لاذت بجحرها ورجعت إليه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الإسلام ليأرز إلى المدينة كما يأرز الحية على جحرها **(وتمالؤا)** على الأمر تعاونوا.

وقال ابن السكيت: اجتمعوا و**(فال)** رأيه يفيل فيلولة وفيلة أخطأ وضعف كتفيّل ورجل فيل الرّأي بالكسر والفتح ككيس وفاله وفاءله وفاءل من غير إضافة ضعيفة جمعه أفيال وفي رواية بدل فيالة **(فيولة)**.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٨١، وشرح نهج البلاغة: ٩/ ٢٩٥ ح١٧٠.

الإعراب

(الباء) في قوله (بكتاب للمصاحبة) كما في: دخلت عليه بثياب السفر، و(غير ملومة) بالنصب حال من الطاعة والسين في قوله وسأصبر ليست لتخليص المضارع للاستقبال كما هو غالب موارد استعمالها وإنما هي لتأكيد وقوع الصبر كما نبّه به الزمخشري حيث قال: إنها إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة.

وقال في تفسير قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧] معنى السين أنّ ذلك كأين لا محالة وأن تأخر إلى حين، وفي تفسير ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١] السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة وهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت: سأنتقم منك، و(حسداً) منصوب على المفعول لأجله.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة حسبما ذكره الرضيّ خطبها عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة والغرض منها التنبيه على ضلال الناكثين والكشف عن فساد نيّتهم وسوء عقيدتهم وأنّ مقصودهم في الخروج والبغي عليه عليه السلام هو الدّنيا لا الدّين وصدّرها بأمور نفعها عامّ تذكيراً للمخاطبين وإنقاذاً لهم من الضّلالة وإيقاظاً من رقدة الجهالة.

فقال عليه السلام: **(إنّ الله بعث رسولاً هادياً)** إلى شرائع الدّين ومعالم الشرع المبين **(بكتاب ناطق)** بالحقّ لهج بالصّدق **(وأمر قائم)** مستقيم ليس بذي عوج أو باق حكمه بين الأمّة مستمرّاً إلى يوم القيامة **(لا يهلك)** معرضاً **(عنه إلا هالك)** أي من بلغ الغاية في الهلاك فالتنكير لقصد النوع كما في قوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾.

قال العلامة التفتازاني: أي ظنّاً حقيراً ضعيفاً إذ الظنّ ممّا يقبل الشدّة والضّعف فالمفعول المطلق هنا للنوعية لا للتأكيد وبهذا الاعتبار صحّ وقوعه بعد الاستثناء مفرّغاً مع امتناع ما ضربته إلاّ ضرباً على أن يكون المصدر للتأكيد لأنّ مصدر ضربته لا يحتمل غير الضرب والمستثنى منه يجب أن يكون متعدّداً يحتمل المستثنى وغيره **(وإنّ المبتدعات المشبّهات)** أي البدعات المحدثات في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المشبّهات بالسّنن وليس منها والملبّسات الأمر على الناس أو الملتبسات عليهم على اختلاف روايات المتن حسبما تقدّم **(هنّ المهلكات)** في الآخرة لخروجها عن الكتاب والسنّة وقوله: **(إلا ما حفظ الله منها)** استثناء من بعض متعلّقات المهلكات أي أنها مهلكة في جميع الأحوال إلا حال حفظ الله منها بالعصمة عن ارتكابها أو أنّ ما بمعنى من أي مهلكة لكلّ أحد إلاّ من حفظه الله سبحانه.

ثمّ قال: **(وإن في سلطان الله)** أي سلطان دين الله وهو سلطان الإسلام الذي سيصرح به

أو أراد به السلطنة الإلهية التي قوامها به لكونه خليفة الله في عباده وبلاده وولي أمره في أرضه فالإضافة من باب التشريف والاعتزاز (**عصمة لأمركم**) وحفظاً له عن التزلزل والاختلال (**فأعطوه طاعتكم غير ملومة**) صاحبه (**ولا مستكره بها**) أي أطيعوه طوعاً وبالأخلاص عن صميم القلب لا كرهاً ينسب صاحبها إلى الرياء والنفاق فيستحق اللؤم والملام (**والله لتفعلن**) ولتطيعن (**أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام**) أي الخلافة (**ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الأمر**) أي ينقبض ويرجع (**إلى غيركم**).

فإن قيل: كيف قال عليه السلام: (**لا ينقله إليكم أبداً**) وقد عاد إليهم بالدولة العباسية قلنا: قد أجيب عنه بوجوه:

أولها: ما قاله الشّارح المعتزلي: وهو أنّ الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة، فإنّ أكثرهم أطاعوه غير ملومة ولا مستكره بها وإذا لم يتحقق الشرط لم يتحقّق المشروط.

الثاني: إنه خاطب به الشيعة الطالبية فقال: إن لم تعطوني الطاعة المحضة نقل الخلافة عن هذا البيت حتى يأرز وينضم إلى بيت آخر وهكذا وقع فإنها انضمت إلى بيت آخر من بني هاشم.

الثالث: إنه أراد بقوله (**أبداً**) المبالغة كما تقول: أحبس هذا الغريم أبداً والمراد بالقوم الذين يأرز إليهم بنو أُمية كأنّه قال: إن لم تفعلوا نقل الله الخلافة عنكم حتّى يجعلها في قوم آخرين وهم أعداؤكم من أهل الشّام وبني أميّة ولا يعيدها إليكم إلى مدّة طويلة وهكذا وقع.

الرابع: إنه قيد بالغاية فقال: لا يصير إليهم حتى يصير في قوم آخرين وظاهر إنه كذلك بانتقاله إلى بني أمية.

والخامس أن القوم الذين خاطبهم من أصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدولة إليهم أبداً فإن أولئك بعد انقضاء دولة بني أمية لم يبق منهم ثم لم يرجع إلى أحد من أولادهم أصلاً.

أقول: وأحسنها الوجه الثالث والرابع وأحسنهما ثانيهما كما هو غير خفي على الناقد الزكي.

ثم نبه على ضلال طلحة والزبير وعائشة وإياهم أراد بقوله: (**إن هؤلاء القوم قد تمالؤا**) أي تعاونوا وتساعدوا واجتمعوا (**على سخطة إمارتي**) وكراهية سخيمة ومقتاً (**وسأصبر**) على بغيهم وخروجهم (**ما لم أخف على**) حوزة (**جماعتكم**) وعلى انفصام حبل الإسلام (**فإنهم إن تمموا**) ما أرادوه وبلّغوه أجله مستقرّين (**على فيالة هذا الرأي**) يعني أنهم إن أتموا ما قصدوه في مسيرهم ومخالفتهم وبقوا على هذا الرأي الضعيف (**انقطع نظام المسلمين**) وانفصم حبل الدين، وتضعضع سواري المتقين.

ثم بين علة سخطهم لإمارته بقوله: **(وإنما طلبوا هذه الدنيا)** يعني أن علة تمالُئهم علي ليست ما أظهروه من الطلب بدم عثمان وإنما هي تنافسهم في الدنيا وطلبهم لها **(حسداً لمن أفاءها الله عليه)** وردّها إليه.

قال الشارح المعتزلي بعد تفسير الفيء بمعنى الرجوع: وهذا الكلام لا يشعر بأنه عليه السلام كان يقصد أن الأمر له وأنه غلب عليه ثم رجع إليه ولكنه محمول على أنه من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الجزء من الكل وأنهما من جوهر واحد فلما كان الوالي قديماً هو ورسول الله صلى الله عليه وآله ثم تخلل بين ولايتهما ولايات غريبة سمى ولايته فيئاً ورجوعاً لأنها رجعت إلى الدوحة الهاشمية انتهى[١].

وأنت خبير بأن كلامه عليه السلام صريح في ما ذكره الشارح أولاً وإنكار الشارح للإشعار عجيب والحمل الذي تحمله غريب، وكم له عليه السلام في هذا الكتاب من كلام صريح في اغتصاب الخلافة، وانتهاب الوراثة، وكفى بذلك شهيداً الخطبة الثالثة، والكلام السادس، والخطبة السادسة والعشرين، فضلاً عن غيرها.

بل قد ادعى الشارح نفسه في شرح الخطبة المائة والإحدى والسبعين تواتر الأخبار الواردة عنه عليه السلام في هذا المعنى وهو كذلك وسنحكي كلامه إذا بلغ الشرح محله وما أدرى ماذا أعده الشارح للجواب يوم الحساب، مع علمه بالأخبار المتواترة في هذا الباب، لو لم يكن ما يمحّله من التكلفات والتأويلات، تقيّة من ذوي الأذناب، والله عالم بالسرائر خبير بالضمائر هذا.

وقوله: **(فأرادوا رد الأمور على أدبارها)** أي أرادوا انتزاع أمر الخلافة منه عليه السلام بعد إقباله إليه كما انتزعت أولاً أسوة بما وقع من قبل ثم أخبر بما لهم عليه إن قاموا بوظائف الطاعة فقال **(ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله** والقيام بحقه) أي بحق الرسول صلى الله عليه وآله الواجب علينا القيام به **(والنعش لسنته)** أي الرفع لشريعته والإعلاء لكلمته صلوات الله وسلامه عليه وآله.

---

(١) شرح النهج: ٩/ ٢٩٨.

الترجمة

از جمله خطب فصیحه آن ولیّ مؤمنین و وصیّ خاتم النبیّین است نزد رفتن اصحاب جمل به سوی بصره، می فرماید:

به درستی که خدای تعالی مبعوث فرمود پیغمبر را که هدایت کننده بود به طریق نجات، با کتابی که ناطق بود به حقّ و با شریعتی که باقی بود تا قیامت، هلاك نمی شود از آن مگر کسی که بالغ شود به منتهای هلاکت، آگاه باشید و به درستی که بدعت هایی که تشبیه شده اند به سنت آنهایند هلاك کننده ها، مگر آن چه که خدا حفظ فرماید از آن.

و به درستی که حجت خدا نگه داشتن است مرکار شما را، پس ببخشید به او اطاعت خودتان را، در حالتی که ملامت کرده نشده است و به کراهت داشته نشده به آن و به خدا سوگند البته باید اطاعت آن را نمایید والاّ هرآینه محققاً نقل می کند خدای تعالی از شما سلطنت اسلام را، پس از آن نقل نمی کند آن را به سوی شما هرگز تا این که پناه ببرد آن امر خلافت به سوی غیر شما.

و به درستی که این قوم جمل اجتماع کرده اند و معین همدیگر شده اند بر غضب و بغض امارت و خلافت من و البته صبر می کنم بر این حرکت ایشان مادامی که نترسم بر جماعت شما، پس به درستی که ایشان اگر به انجام برسانند مقصود خودشان را بالای آن رأی ضعیف که دارند، بریده شود نظام مسلمانان و غیر از این نیست که ایشان طلب کرده اند این دنیا را از روی حسد بردن بر کسی که برگردانده حق تعالی آن را به او، پس اراده کردند بازگردانیدن کارها را بر پشتهای آن و مرشمارا است بر ذمّه ما عمل نمودن به کتاب الهی و طریقه حضرت رسالت پناهی و قائم شدن به حقّ آن بزرگوار و بلندکردن سنّت آن برگزیده پروردگار.

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والتاسع والستون من المختار في باب الخطب

كلّم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب منها ليعلم لهم منه عليه السلام حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم، فبين له من أمره معهم ما علم به أنه على الحق ثم قال عليه السلام له: بايع فقال: أني رسول قوم ولا أُحدث حدثاً حتى أرجع إليهم فقال:

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذينَ ورَاءَكَ بَعَثُوكَ رائِداً تُبْتَغي لَهُمْ مَساقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلاٰ وَالْمَاءِ فَخالَفُوا إِلىٰ الْمَعاطِشِ وَالْمَجادِبِ ما كُنْتَ صانِعاً؟ فَقالَ كُنْتُ تارِكَهُمْ ومُخالِفَهُمْ إِلَى الْكَلاٰ وَالْمَاءِ، فقال عليه السلام: فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ، فَقالَ الرَّجُلُ: وَاللّٰهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ[1].

والرجل يعرف بكليب الجرمي.

اللغة

(الرائد) المرسل في طلب الكلأ **(والكلأ)** بالهمز العشب رطباً كان أو يابساً الفيّومي عن ابن فارس وغيره والجمع أكلاء مثل سبب وأسباب.

وقال الشارح المعتزلي: الكلأ النبت إذا طال وأمكن أن يرعى وأوّل ما يظهر يسمّى الرطب فإذا طال قليلاً فهو الخلاء فإذا طال شيئاً آخر فهو الكلأ فإذا يبس فهو الحشيش **(والجرمي)** منسوب إلى الجرم بالفتح وهو ابن زبان بطن في قضاعة.

قال الشارح المعتزلي: منسوب إلى بني جرم بن زبان وهو علاف بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة من حمير.

الإعراب

الهمزة في قوله: أرأيت للتقرير، وجملة **(تبتغي)** في محل النصب صفة لرائداً جيئت بها للإيضاح وجملة **(ما كنت صانعاً)** جواب لو، وقوله **(فامدد إذاً يدك)** قال ابن هشام: والصحيح أن نونها أي نون إذن تبدل عند الوقف عليها ألفاً، وقيل يوقف عليها بالنون لأنها كنون أن

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٢٤، وبحار الأنوار: ٣٢/ ٨٣ ح٥٥.

ولن روى عن المازني والمبرّد، والجمهور يكتبونها بالألف وكذا رسّمت في المصاحف والمازني والمبرد.

المعنى

أعلم أن هذا الكلام كما ذكره الرضي (**كلم** عليه السلام **به بعض العرب**) وهو الكليب الجرمي الذي صرّح الرّضي به آخرها (**وقد أرسله قوم من أهل البصرة**) إلى حضرة أمير المؤمنين (**لما قرب** عليه السلام **منها** ليعلم لهم منه عليه السلام حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم) أي نفوس أهل البصرة (**فبين** عليه السلام) للرجل المرسل (**من أمره معهم**) أي مع أهل الجمل (**ما**) أي برهاناً وافياً ودليلاً شافياً (**علم به**) أي علم الرجل بذلك البيان والبرهان (**أنه** عليه السلام **على الحق**) وأنّ أصحاب الجمل على الباطل (**ثم قال** عليه السلام **له بايع فـ**) ـاعتذر الرجل و(**قال إني رسول قوم ولا**) ينبغي أن (**أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم**) وأخبرهم بما جرى بيني وبينك.

فلما سمع عذره أراد دفعه بحجة لا محيص عنها وضرب مثلاً هو ألطف المثال وأوضحها وأحسنها في مقام الاحتجاج (**فقال أرأيت**) أي أخبرني ماذا رأيك (**لو أن الذين وراءك**) أي خلفك (**بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث**) والمرعى (**فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلاء والماء فخالفوك**) وظعنوا (**إلى المعاطش والمجادب**) أي مواضع العطش والجدب (**ما كنت صانعاً**) أتتركهم وتخالفهم وتطلب ما شاهدت ورأيت من الماء والكلأ أم تذهب معهم إلى المجادب والمعاطش؟ (**فقال**) الرجل: (**كنت تاركهم ومخالفهم**) متوجهاً (**إلى الكلأ والماء، فقال** عليه السلام: (**فامدد إذاً يدك**) لأنّك إذا كنت تاركاً أصحابك ومفارقهم عند وجدان الكلاء والماء اللذين بهما غذاء الأبدان ومادة حياة الأجسام فتركك إيّاهم ومفارقتك منهم عند وجدان نور العلم والمعرفة والهداية الذي هو مادة حياة الأرواح والنفوس أحرى وأولى (**فقال الرجل: والله ما استطعت أن أمتنع**) من البيعة (**عند قيام الحجة علي فبايعته**).

أقول: هكذا يؤثر الموعظة لأهلها ويهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال ومثل اهتداء هذا الرجل رسول أهل البصرة بنور الولاية اهتداء رسول عائشة واهتداء رجل آخر من بني قيس رسول الزّبير وطلحة واستبصارهما بعد ما قامت عليهما الحجة.

أما رسول عائشة فقد روى في مجلد الفتن من البحار وفي كتاب مدينة المعاجز تأليف السيّد المحدّث السيّد الهاشم البحراني جميعاً عن محمد بن الحسن الصفار في البصائر عن أحمد بن محمد والحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن محمد بن سنان رفعه قال: إنّ عائشة قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل حتى أبعثه إليه، قال: فأتيت به فمثل بين يديها فرفعت إليها رأسه فقالت له: ما بلغت من عداوتك لهذا الرجل؟ فقال: كثيراً

ما أتمنى على ربي أنه وأصحابه في وسطي فضربت ضربة بالسيف يسبق[١] السيف الدم قالت: فأنت له، إذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً رأيته أو مقيماً. أما أنك إن رأيته ظاعناً رأيته راكباً على بغلة رسول الله ﷺ متنكباً قوسه معلقاً كنانته على قربوس سرجه، وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا وإن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولنّ منه شيئاً فإنّ فيه السحر.

قال: فاستقبلته راكباً فناولته الكتاب ففض خاتمه ثم قراه فقال: تبلغ إلى منازلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا، فنكتب جواب كتابك، فقال: هذا والله ما لا يكون قال: فسار خلفه وأحدق به أصحابه ثم قال له: أسألك؟ قال: نعم، وتجيبني؟ قال: نعم.

قال: فنشدتك الله هل قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل فأتيت بك؟ فقالت لك: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل فقلت: كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنه وأصحابه في وسطي وأنّي ضربت ضربة سبق[٢] السّيف الدّم؟ قال: اللهمّ نعم.

قال: فنشدتك الله أقالت لك: اذهب بكتابي هذا فأدفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً أما إنك إن رأيته راكباً رأيته على بغلة رسول الله ﷺ متنكّباً قوسه معلّقاً كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف قال: اللهم نعم.

قال عليه السلام: فنشدتك الله هل قالت لك: إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولنّ منه شيئاً فإن فيه السحر؟ قال: اللهم نعم.

قال: فتبلغ أنت عني؟ فقال: اللهمّ نعم فإني قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إليّ منك وأنا الساعة ما في الأرض خلق أحب إلي منك فمر بي بما شئت.

قال عليه السلام: أرجع إليها بكتابي هذا، وقل لها: ما أطعت الله ولا رسوله حيث أمرك الله بلزوم بيتك فخرجت تردّدين في العسكر، وقل لهما[٣]: ما أنصفتما الله ورسوله، حيث خلفتم حلائلكم في بيوتكم وأخرجتم حليلة رسول الله ﷺ.

قال: فجاء بكتابه فطرحه إليها وأبلغها مقالته ثم رجع إليه فأصيب بصفين، فقالت: ما نبعث إليه بأحد إلا أفسده علينا[٤].

---

(١) «يصبغ» في نسخة.
(٢) «صبغ» في نسخة.
(٣) أي طلحة والزبير.
(٤) بحار الأنوار: ٣٢/ ١٠٩ ح٨١، وتفسير نور الثقلين: ٤/ ٢٧٠ ح٨٢.

وأما رسول طلحة والزبير ففي الكافي عن محمد بن يعقوب الكلينيّ عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن سلام بن عبد الله، ومحمد بن الحسن، وعلي بن سهل بن يزاد، وأبو علي الأشعري، عن محمد بن حسان جميعاً، عن محمد بن عليّ عن عليّ بن أسباط عن سلام بن عبد الله الهاشمي قال محمد بن علي: وقد سمعته منه عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«بعث طلحة والزبير رجلاً من عبد القيس يقال له خداش إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالا له: إنّا نبعثك إلى رجل طال ما نعرفه وأهل بيته بالسّحر والكهانة وأنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك وأن تحاجّه لنا حتى تقفه على أمر معلوم.

واعلم أنه أعظم النّاس دعوى فلا يكسرنّك ذلك عنه، ومن الأبواب التي يخدع بها الناس الطعام والشراب والعسل والدهن وأن يخالي الرجل فلا تأكل له طعاماً، ولاتشرب له شراباً، ولا تمسّ له عسلاً ولا دهناً، ولا تخل معه، واحذر هذا كله منه وانطلق على بركة الله.

فإذا رأيته فاقرأ آية السخرة وتعوّذ بالله من كيده وكيد الشيطان، فإذا جلست إليه فلا تمكنه من بصرك كله ولا تستأنس به ثم قل له: إن أخويك في الدين وابني عمك في القرابة يناشدانك القطيعة، ويقولان لك أما تعلم أنا تركنا الناس لك، وخالفنا عشائرنا فيك منذ قبض الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله فلما نلت أدنى مناك ضيّعت حرمتنا، وقطعت رجاءنا.

ثم قد رأيت أفعالنا فيك، وقدرتنا على الناس عنك، وسعة البلاد دونك، وأن من كان يصرفك عنا وعن صلتنا كان أقل لك نفعاً وأضعف عنك دفعاً منا، وقد وضح الصبح لذي عينين.

وقد بلغنا انتهاك لنا ودعاء علينا فماالذي يحملك على ذلك؟ فقد كنا نرى أنك أشجع فرسان العرب أتتخذ اللّعن ديناً وترى أن ذلك يكسرنا عنك؟.

فلما أتى خداش إلى أمير المؤمنين عليه السلام صنع ما أمراه فلما نظر إليه علي عليه السلام وهو يناجي نفسه ضحك وقال عليه السلام: ههنا يا أخا عبد قيس وأشار له إلى مجلس قريب منه، فقال: ما أوسع المكان أريد أن أُؤدي إليك رسالة، قال عليه السلام: بل تطعم وتشرب وتحل[1] ثيابك وتدّهن، ثمّ تؤدي رسالتك، قم يا قنبر فأنزله.

قال: ما بي إلى شيء مما ذكرت حاجة، قال: فأخلو بك، قال: كلا سرّ لي علانية،

(١) «تخلى» في نسخة.

قال: فأُنشدك بالله الذي هو أقرب إليك من نفسك، الحائل بينك وبين قلبك، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أتقدّم الزبير بما عرضت عليك؟ قال: اللهمّ نعم.

قال: لو كتمت بعد ما سألتك ما ارتدّ إليك طرفك فأنشدك الله هل علّمك كلاماً تقوله إذا أتيتني؟ قال: اللهم نعم، قال عليه السلام آية السخرة؟ قال نعم.

قال: فاقرأها فقرأها وجعل علي عليه السلام يكررها ويردّدها ويصحّح عليه إذا أخطأ حتى إذا قرأها سبعين مرة.

قال الرجل: ما يرى أمير المؤمنين عليه السلام بتردّدها سبعين مرة، قال له: أتجد قلبك اطمأن؟ قال: أي والذي نفسي بيده قال: فما قالا لك؟ فأخبره، فقال: قل لهما كفى بمنطقكما حجّة عليكما ولكن الله لا يهدي القوم الظالمين: زعمتما أنكما أخواي في الدّين وابنا عمّي في النسب فأمّا النسب فلا أنكره وإن كان النسب مقطوعاً إلاّ ما وصله الله بالإسلام، وأمّا قولكما أنكما أخواي في الدين، فإن كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله عزّ وجل، وعصيتما أمره بأفعالكما في أخيكما في الدّين، وإلاّ فقد كذبتما وافتريتما بادّعائكما أنكما أخواي في الدّين.

وأمّا مفارقتكما الناس منذ قبض الله محمد صلى الله عليه وآله فإن كنتما فارقتماهم بحق فقد نقضتما ذلك الحق بفراقكما إيّاي أخيراً وإن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكما مع الحدث الذي أحدثتما.

مع أنّ صفتكما بمفارقتكما الناس لم يكن إلاّ لطمع الدّنيا، زعمتما وذلك قولكما فقطعت رجاءنا، لا تعيبان بحمد الله من ديني شيئاً.

وأما الذي صرفني عن صلتكما فالذي صرفكما عن الحق وحملكما على خلعه من رقابكما كما يخلع الحرون لجامه، وهو الله ربّي لا أُشرك به شيئاً فلا تقولا أقلّ نفعاً وأضعف دفعاً فتستحقّا اسم الشرك مع النفاق.

وأمّا قولكما: إنّي أشجع فرسان العرب وهربكما من لعني ودعائي، فإنّ لكل موقف عملاً وإذا اختلفت الأسنّة وماجت لبود الخيل وملأ سحراً كما أجوافكما فثمّ يكفيني الله بكمال القلب.

وأمّا إذا أبيتما بأني أدعو الله فلا تجزعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سحرة زعمتما.

اللّهم أقعص الزبير بشرّ قتلة، وأسفك دمه على ضلالة، وعرّف طلحة المذلّة وادّخر

لهما في الآخرة شراً من ذلك إن كانا ظلماني وافتريا عليّ وكتما شهادتهما وعصياك وعصياً رسولك فيّ، قل آمين قال خداش: آمين.

ثمّ قال خداش لنفسه ما رأيت لحية قطّ أبين خطأً منك حامل حجّة ينقض بعضها بعضاً لم يجعل الله لها مساكاً أنا أبرأ إلى الله منهما.

قال علي عليه السلام: ارجع إليهما واعلمهما ما قلت، قال: لا والله حتى تسأل الله أن يردّني إليك عاجلاً وأن يوفّقني لرضاه فيك، ففعل، فلم يلبث أن انصرف وقتل معه يوم الجمل رحمه الله»[1].

(١) الكافي: ١/ ٣٤٥ ح١، ونهج السعادة: ٨/ ٣٧٨.

الترجمة

از جمله کلام آن حضرت است که تکلّم فرموده به آن با بعض عرب که کلیب جرمی بود، وقتی که فرستاده بود او را قومی از اهل بصره، زمانی که آن حضرت نزدیك بصره بود تا بداند ازبرای ایشان از رأی آن حضرت حقیقت حال او را با اصحاب جمل تا زایل شود شبهه از نفوس ایشان.

پس بیان فرمود به او از کار خود با ایشان آن چیزی را که دانست او به آن چیز، این که آن حضرت به حق است و ایشان به باطل، بعد از آن فرمود به او که بیعت کن، پس گفت به او که من ایلچی قومی هستم، کاری نمی کنم بی مشورت ایشان تا برگردم به طرف ایشان، پس فرمود آن حضرت:

خبر ده مرا اگر کسانی که در پس توأند بفرستند تو را در حالتی که طلب کننده آب و گیاه باشی که طلب نمایی از برای ایشان مواضع افتادن باران را، پس برگردی به سوی ایشان و خبردهی ایشان را از آب و گیاه، پس مخالفت نمایند و متوجه شوند به مکان های بی آب و علف، چه کار خواهی کرد در این صورت؟

عرض کرد که می باشم ترك کننده ایشان و مخالف ایشان و می روم به سوی آب و گیاه، پس فرمود: حالا که این طور است، دراز کن دست خود را (یعنی بیعت نما)، پس گفت آن مرد: قسم به حق خدا نتوانستم خودداری کنم نزد تمام شدن حجّت بر من، پس بیعت نمودم با آن حضرت.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والسبعون
من المختار في باب الخطب

وذلك في اليوم الرابع من الوقعة سابع شهر صفر من سنة سبع وثلاثين على ما يأتي في رواية نصر بن مزاحم ورويته عنه باختلاف تطلع عليه.

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهارِ، ومَجْرى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، ومُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وجَعَلْتُ سُكَّانَهُ سِبطاً مِنْ مَلاَئِكَتِكَ لاَ يَسْأَمُونَ مِنْ عِبادَتِكَ.

ورَبَّ هٰذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَها قَراراً لِلأَنامِ، ومَدْرَجاً لِلْهَوامِّ وَالأَنْعامِ، وَمَا لا يُحْصَىٰ مِمَّا يُرَىٰ وَما لا يُرَى.

وَرَبَّ الْجِبالِ الرَّواسِيَ الَّتي جَعَلْتَها لِلأَرْضِ أَوْتاداً، ولِلْخَلْقِ اعْتِماداً إِنْ أَظْهَرْتَنا عَلَىٰ عَدُوِّنا فَجَنِّبْنا عَنِ الْبَغْيِ وسَدِّدْنا لِلْحَقِّ، وإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فَارْزُقْنا الشَّهادَةَ، وَاعْصِمْنا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ الْمانِعُ لِلذِّمارِ، وَالْغائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفاظِ العار[1] وَراءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أمامَكُمْ.

اللغة

(غاض) الماء يغيض غيضاً ومغاضاً قلّ ونقص قال سبحانه: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ وقال: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ أي ما تنقص من تسعة أشهر والغيضة الأجمة ومجتمع الشجر و(الذمار) ما يلزمك حفظه من الأهل والمال والولد و(غار) على امرأته وهي عليه تغار غيرة وغيراً وغاراً فهو غائر وغيران وهي غيرى.

الإعراب

جملة (لا يسأمون) في محلّ النّصب صفة لقوله: سبطاً أو حال لأنّه نكرة غير محضة، فيجوز في الجملة التالية لها الوجهان كما صرح به علماء الأدبيّة ولو وقعت بعد النكرة المحضة فوصف فقطّ وبعد المعرفة المحضة فحال لا غير.

(١) «النّار» في نسخة.

المعنى

أعلم أنّ اللازم على العبد أن يكون توجهّه في جميع حالاته من الشدّة والرّخاء، والسرّاء والضرّاء، والضيق والسعة، إلى معبوده لاسيّما حالة البؤس والشدّة لأن دفع الضّرر الموجود والمتوقّع واجب عقلاً ونقلاً مع القدرة، والدّعاء محصّل لذلك وهو مقدور فيجب المصير إليه.

أمّا مقدوريّته فلا غبار عليه، وأمّا أنه محصّل لذلك فلما دلت عليه الأدلّة النقليّة من الكتاب والسنّة من أنّه يدفع به البلاء الحاصل، ويكشف به السوء النازل.

قال سبحانه: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال الكاظم عليه السلام: «عليكم بالدعاء فإنّ الدعاءِ والطّلب إلى الله يردّ البلاء وقد قدّر وقضى فلم يبق إلاّ إمضاؤه فإذا دعي الله وسئل صرفه»[١].

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ألا أدلّكم على شيء لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله قلت: بلى، قال: الدّعاء يرد القضاء وقد أُبرم إبراماً» وضمّ أصابعة[٢].

وعن سيّد العابدين عليه السلام: «إنّ الدّعاء والبلاء ليتوافقان إلى يوم القيامة إنّ الدّعاء ليردّ البلاء وقد أُبرم إبراماً»[٣].

وعنه عليه السلام: «الدّعاء يدفع البلاء النازل، وما لم ينزل».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تدعون ربّكم باللّيل والنهار». وقال: «سلاح المؤمن الدّعاء»[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الدعاء ترس المؤمن، ومتى تُكثر قرع الباب يفتح لك»[٥].

وقال الصادق عليه السلام: «الدّعاء أنفذ من السنان الحديد»[٦].

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٧٠ ح٨، وبحار الأنوار: ٩٠/ ٢٩٥.
(٢) دعائم الإسلام: ٢/ ١٣٦، وشرح أصول الكافي: ١/ ٢٥٨.
(٣) جواهر الكلام: ٢٨/ ١٢٢، ومستدرك سفينة البحار: ١٠/ ١٠١.
(٤) الرسالة السعدية: ١٢٨، والكافي: ٢/ ٤٦٨ ح٣.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٦٨ ح٤، وشرح أصول الكافي: ١٠/ ٢٣٤ ح٤.
(٦) الكافي: ٢/ ٤٦٩ ح٧، وبحار الأنوار: ٩٠/ ٢٩٥.

هذا كلّه مضافاً إلى ما تقدمت في شرح الكلام السّادس والأربعين من الأدلّة الواردة في الحثّ والترغيب عليه.

إذا عرفت ذلك فأقول: لما كان مقام الحرب والجدال، ولقاء الشجعان والأبطال أحقّ المواقع التي يتوسل فيها إلى الله بالتخلّص إليه، والتوجّه له، وكان الدّعاء إليه بمقتضى الأدلّة السّابقة أفضل ما يتوقّى به من الدّواهي والمكاره، وترس من الأعداء، وجنّة لا شيء أوقى منه، وأنفذ عليهم من السّنان الحديد، وأشدّ تأثيراً من الضرب بالمشرفي والمهنّد والطعن بالخطى والقنى المسدّد لا جرم توجّه أمير المؤمنين عليه السلام إليه سبحانه بالدّعاء لما عزم لقاء القوم بصفّين فقال:

(**اللّهمّ ربّ السقف المرفوع**) أي السّماء التي رفعها بغير عمد ترونها، وإطلاق السقف عليها إما حقيقة أو من باب الاستعارة تشبيهاً لها بسقف البيت في الإرتفاع والإحاطة (**والجو المكفوف**) أي الفضاء الذي كفها بقدرته وجعله محلاً لسماواته وأرضه.

قال الشارح البحراني بعد تفسير السقف المرفوع بالسماء: وكذلك الجو المكفوف، وقال الشارح المعتزلي: الجو المكفوف السماء أيضاً كفّه أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، ويمرّ في كلامه عليه السلام نحو هذا وأن السماء هواء جامد وماء جامد، انتهى[١].

وفيه نظر لما قد دلّت عليه الفصل الثامن من الخطبة الأولى صريحاً أن الجو غير السماء وأنه محل لها حيث قال عليه السلام هناك:

ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكائك الهواء ـ إلى أن قال: ـ فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق فسوّى منه سبع سماوات فانظر ماذا ترى، هذا.

مضافاً إلى أن كون الجو بمعنى السماء لم يذكره أحد من اللّغويّين وغيرهم فيما رأيتهم بل هم بين مفسّر له بالهواء وبين مفسّر بالفضاء وبعضهم بما بين السماء والأرض، اللّهم إلاّ أن يوجّه ما ذكره الشارحان بأنّه أُريد منه في خصوص هذا المقام السّماء مجازاً بعلاقة الحال والمحل أو المجاورة بقرينة قوله: (**الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار**) مع المعطوفات عليه التالية له فإنّ هذه كلها من أوصاف السّماء فلا بدّ من ارتكاب المجاز حتّى يصحّ الوصف بها إذ على إرادة الحقيقة امتنع جعلها صفاتاً له واحتمال كونها صفاتاً للسقف المرفوع مدفوع باستلزامه الفصل بين التابع والمتبوع بالأجنبي وهو خلاف القواعد الأدبيّة فافهم.

وكيف كان فمعنى كونه مغيضاً للّيل والنهار أنّه محلّ لنقصان كلّ منهما مع زيادة الآخر وذلك لأنّ حصول اللّيل إنّما هو بحركة الشّمس عن فوق الأرض إلى ما تحتها، وحصول

(١) بحار الأنوار: ٥٥/٩٤، بتفاوت.

النّهار بحركتها عن تحتها إلى ما فوقها، وبكيفيّة حركتها في الفلك يختلفان زيادة ونقصاناً.

فكلما قربت الشمس إلى المعدّل يطول النهار ويقصر اللّيل وكلّما بعدت يكون بالعكس قال سبحانه في سورة لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [لقمان: ٢٩] وفي الزمر ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] ولذلك ترى كلّ بلد يكون عرضه الشمالي أكثر يكون أيامه الصيّفيّة أطول ولياليه الصيّفية أقصر وأيامه ولياليه الشتوية بالضدّ من ذلك.

فلما كان ظلام الليل وضوء النهار واختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان باختلاف حركة الشّمس، وكان محلّ الحركة هو السّماء صحّ بذلك الاعتبار جعله مغيضاً لهما. ويقرب مما ذكرته ما قاله الشارح البحراني فإنّه بعد تفسيره المغيض بالمغيب قال: لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس إلى وجه الأرض يكون سبباً لغيبوبة الليل واستلزام حركته لحركتها عن وجه الأرض يكون سبباً لغيبوبة النهار فكان كالمغيض لهما فاستعار له لفظ المغيض.

وأما ما قاله الشارح المعتزلي: من أن معناه أنّه جعله غيضة لهما وهي في الأصل الأجمة يجتمع إليها الماء وينبت فيها الشجر كأنّه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها، ووجه المشاركة تولد الشجر من الغيضة وتولد الليل والنهار من جريان الفلك فليس بشيء كما لا يخفي هذا.

وقوله: **(ومجرى للشمس والقمر)** أي محلاً لجريانهما قد ظهر تفصيل الكلام فيه في شرح الفصل الثامن من الخطبة الأولى كما تقدم تفصيلاً والكلام في قوله: **(ومختلفاً للنجوم السيارة)** أي محلاً لاختلافها في السّير بالسرعة والبطء والحركة والخصوصة لكل منها في شرح الفصل المذكور أيضاً وكذا في شرح الفصل الرابع من الخطبة التسعين فليراجع المقامين **(وجعلت سكانه سبطاً)** أي قبيلاً **(من ملائكتك لا يسأمون من**[1] **عبادتك)** وقد عرفت أيضاً شرح حال الملائكة واختلاف فرقها وعدم ملالهم من عبادة الرب سبحانه في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى والفصل الخامس من الخطبة التسعين.

(وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام ومدرجاً للهوام) والحشرات **(والأنعام)** والبهايم **(وما لا يحصى)** من المصنوعات العجيبة والمخلوقات الغريبة **(مما يرى ومما لا يرى)** وتقدم الكلام في عجائب خلقة الأرض ودحوها على الماء والمنافع التي للنّاس فيها في شرح الفصل السادس من الخطبة التسعين.

---

(١) «عن» في نسخة.

قال الشارح البحراني: قال بعض العلماء. من أراد أن يعرف حقيقة قوله: ما يرى وما لا يرى، فليوقد ناراً صغيرة في فلاة في ليلة صيفيّة وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره، قال الشارح وأقول: ويحتمل أن يريد بقوله: وما لا يرى، ما ليس من شأنه أن يرى إمّا لصغره أو لشفّافيّته.

(ورب الجبال الرّواسي) أي الثابتات **(التي جعلها للأرض أوتاداً)** كما عرفت في شرح الفصل الثالث من الخطبة الأولى **(وللخلق اعتماداً)** لأن فيها ينابيع المعادن ومعادن الينابيع وفيها المرابض والمراتع، يرعون فيها الأنعام ويسرحون فيها الأغنام، وقد جعل فيها أكناناً وكهوفاً وغيراناً يأوون فيها في الصّيف والشتاء ويتوقون بها في شدة الحر وصبارة القرّ.

ويزرعون فيها الزراعات الدّيمية، وينالون منها بركات كثيرة فصحّ بذلك كونها اعتماداً للخلائق وكون اتكالهم عليها بما لهم فيه من المعائش والمرافق هذا.

ولما نادى الربّ المتعال بما تدل على اتصافه بالقدرة والعظمة والجلال تخلّص إلى ما دعاه لأجله فقال: **(إن أظهرتنا)** ونصرتنا **(على عدونا فجنبنا عن)** الظلم و**(البغي وسدّدنا لـ)** ـلصواب ولـ**(لمحقّ)** ولا تجعلنا كسائر المحاربين من الملوك والسلاطين يحاربون الأعداء للدّنيا فإذا غلبوا أعداءهم يظلمون وعن البغي والطغيان لا يمسكون **(وإن أظهرتهم)** وجعلتهم غالبين **(علينا فارزقنا)** عظيم الزلفى و**(الشهادة واعصمنا من)** الضلال و**(الفتنة)**.

ثمّ أخذ في تحريض أصحابه على القتال بلفظ مهيج لهم على إيقاد نار الحرب وإضرامها فقال: **(أين المانع للذّمار)** اللام للجنس والاستفهام للإلهاب **(والغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ)** أي صاحب الغيرة والحمية من أهل المحافظة عند نزول الشدائد والنوازل الثابتة **(العار وراءكم)** وفي بعض النسخ النار بدل العار **(والجنة أمامكم)** يعني في الهرب والإدبار من الحرب عار في الأعقاب ونار يوم الحساب وفي الإقبال والتقدم عليه الجنّة وحسن المآب، فمن تولّى عنه خسر وخاب ومن سعى إليه نال عظيم الثواب.

تذييل

روى العلامة المجلسي رحمه الله في البحار هذا الكلام له عليه السلام من كتاب صفّين لنصر بن مزاحم قال: قال نصر حدّثنا عمر بن سعد عن عبد الرحمان بن جندب عن أبيه قال: لما كان غداة الخميس لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين وصلى علي عليه السلام الغداة فغلّس، ما رأيت علياً عليه السلام غلّس بالغداة أشدّ من تغليسه يومئذ وخرج بالناس إلى أهل الشام فزحف نحوهم وكان هو يبدئهم ويسير إليهم فإذا رأوه قد زحف استقبلوه بزحوفهم[1].

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٦١ ح٤٠١، وشرح نهج البلاغة: ٥/ ١٧٧.

وعن عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال لمّا خرج علي عليه السلام إليهم غداة ذلك اليوم فاستبقلوه رفع يديه إلى السماء فقال:

اللهمّ رب هذا السقف المحفوظ المكفوف، الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر، ومنازل الكواكب والنجوم، وجعلت سكانه من الملائكة لا يسأمون العبادة.

ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام، وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى من خلقك العظيم.

ورب الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ورب البحر المسجور المحيط بالعالمين ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعاً إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة.

قال: فلما رأوه قد أقبل تقدّموا إليه بزحوفهم وكان على ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعلي عليه السلام في القلب في أهل المدينة جمهورهم الأنصار ومعه من خزاعة وكنانة عدد حسن.

قال نصر: ورفع معاوية قبّة عظيمة وألقى عليه الكرابيس وجلس تحتها وكان لهم قبل هذا اليوم ثلاثة أيام وهو اليوم الرابع من صفر، فخرج في هذا اليوم محمد ابن الحنفية في جمع من أهل العراق فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمع من أهل الشام فاقتتلوا فطلب عبيد الله محمداً إلى المبارزة فلما خرج إليه دعاه علي عليه السلام وخرج بنفسه راجلاً بيده سيفه وقال: أنا أبارزك فهلمّ، فقال عبيد الله: لا حاجة بي إلى مبارزتك فرجع عليه السلام إلى صفّه هذا[1].

وقد تقدّم جمل وقائع صفين في شرح الكلام الخامس والستّين وغيره مما نبّهناك عليه هناك.

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٤٦٢.

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام انام است در حینی که عزم فرمود به ملاقات نمودن با قوم شام در جنگ صفّین که به این مضامین دعا نمود:

بارالها، ای پروردگار سقف برافراشته و آسمان بازداشته، چنان آسمانی که گردانیدی آن را محلّ نقصان از برای شب و روز و محلّ جریان از برای مهر و ماه و محلّ اختلاف از برای ستاره های سیرکننده و گردانیدی ساکنان آن را قبیله ای از فرشتگان خود، در حالتی که ملال نمی آورند از عبادت تو.

و ای پروردگار این زمین که گردانیدی آن را قرارگاه از برای مردمان و محلّ رفتار حشرات زمین و چهار پایان و آن چه که شمرده نمی شود از مخلوقاتی که دیده می شود و از مخلوقاتی که دیده نمی شود.

و ای پروردگار کوه های ثابت استوار که گردانیدی آن ها را از برای زمین میخ ها و از برای خلق تکیه گاه، اگر غالب گردانی ما را بر دشمنان ما، پس کنار گردان ما را از تعدّی و ستم و راست دار ما را از برای حق واگر غالب گردانی ایشان را بر ما، پس روزی کن به ما شهادت را و حفظ کن ما را از ضلالت و فتنه.

کجا است منع کننده چیزی که لازم است بر جوانمرد حفظ کردن آن؟ و کجا است صاحب غیرت، هنگام نازل شدن شداید امور که کاشف است از حقایق کار از اهل حمیّت و فتوّت؟ عار و سرزنش در پشت شما است اگر روگردان باشید از محاربه و بهشت عنبرسرشت در پیش شما است اگر اقدام نمایید بر مقاتله.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والحادية والسبعون من المختار في باب الخطب

والظاهر أنها ملتقطة من الخطبة الطويلة التي قدمنا روايتها في شرح الفصل الثالث من الخطبة السادسة والعشرين إلاّ أن صدرها المتضمّن للحمد على الله سبحانه ليس فيها.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي لاَ تُواري عَنْهُ سَماءٌ سَماءً، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً.

منها: وَقَدْ قالَ لي قائِلٌ: إِنَّكَ يَا بْنَ أبي طالِبٍ عَلَىٰ هَذا الأَمْرِ لَحَرِيصٌ فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَحْرَصُ وَأَبْعَدُ وَأَنَا أَخَصُّ وأَقْرَبُ وإِنَّما طَلَبْتُ حَقًّا هُوَ لي، وأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْني وبَيْنَهُ، وتَضْرِبُونَ وَجْهي دُونَهُ، فَلَما قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ في الْمَلأِ الْحاضِرينَ هَبَّ[١] كَأَنَّهُ لاَ يَدْري ما يُجيبُني بِه.

اللَّهُمَّ إِنّي أَسْتَعْديكَ عَلَى قُرَيْش وَمَنْ أعانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمي وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتي، وأَجْمَعُوا عَلىٰ مُنازَعَتي أمْراً هُوَ لي، ثُمَّ قالُوا ألاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ نَأْخُذَهُ، وفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

ومنها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله كَمَا تُجَرُّ الأُمَةُ عِنْدَ شِرائِها مُتَوَجِّهينَ بِها إِلَى الْبَصْرَةِ فَحَبَسا نِساءَهُما في بُيُوتِهِما وأَبْرَزا حَبِيسَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله لَهُمَا ولِغَيْرِهِما في جَيْشٍ ما مِنْهُمْ رَجُلٌ إلاّ وَقَدْ أَعْطانِي الطّاعَةَ وسَمَحَ لي بِالبَيْعَةِ طائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا على عامِلي بها، وخُزانَ بَيْتِ مالِ الْمُسْلِمِينَ وغَيرِهِمْ مِنْ أَهْلِها وقَتَلُوا طائِفَةً صَبْراً وطائفةً غَدْراً فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ألا رَجُلاً واحِداً مُتَعمِدينَ لِقَتْلِهِ بِلاَ جُرْم جَرَّه، لَحَلَّ لي قَتْلُ ذَلِكَ الْجيشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا بِلِسانٍ وَلا يد، دَعْ ما أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتي دَخَلُوا بِها عَلَيْهِمْ[٢].

اللغة

(**الملأ**) وزان جبل وجوه الناس وأشرافهم الذين يرجع إليهم لامتلائهم بالرأي والتدبير و(**هبّ**) من النوم انتبه وتنبه و(**سمح**) الرّجل من باب منع سماحاً وسماحة جاد وكرم.

(١) «بُهِتَ» في نسخة.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢/ ٩٢، وشرح نهج البلاغة: ٩/ ٣٠٩.

الإعراب

في نسخة الشارح المعتزلي: فوالله أن لو لم يصيبوا. قال الشارح **(فأن)** زائدة ويجوز أن يكون مخففة من الثقيلة، وجملة **(لحلّ لي)** جواب للقسم استغنى به عن جواب الشرط لقيامه مقامه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ١٠٣] وقولك **(والله لو جئتني لجئتك)**، **(فاللام)** جواب القسم لا جواب لو، قال نجم الأئمة: إذا تقدّم القسم أول الكلام ظاهراً أو مقدراً وبعده كلمة الشرط سواء كانت أن أو لولا أو اسم الشرط فالأكثر والأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب لقسم، وما في قوله **(دع ما أنهم)** زائدة كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] و﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥] و﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] وقيل: إنّها نكرة والمجرور بدل منها.

المعنى

أعلم أنّ ما أورده السيد رحمه الله من خطبته عليه السلام في المتن يدور على فصول ثلاثة.

الفصل الأول

افتتح كلامه بحمد الله سبحانه باعتبار إحاطة علمه بالسماوات والأرضين فقال: **(الحمد لله الذي لا توارى)** أي لا تحجب ولا تستر عنه **(سماء سماء ولا أرض أرضاً)** لكونه منزهاً عن وصف المخلوقين الذين في إدراكهم لبعض الأجرام السماويّة والأرضية محجوبون عما وراءها وذلك لقصور ذاتهم وقصور قوتهم المدركة وأمّا الرب تعالى فلكمال ذاته فله العلم بكل ما سواه كما قد عرفت في شرح الفصل السادس والفصل السابع من الخطبة الأولى وفي شرح الخطبة التاسعة والأربعين وغيرهما.

وأقول هنا مضافاً إلى ما سبق روى في الكافي عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ولا خمسة إلاّ هو سادسهم» فقال عليه السلام: هو واحدي الذات بأين من خلقه، وبذلك وصف نفسه وهو بكلّ شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالإحاطة والعلم لا بالذات لأنّ الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمته.

يعني أنّه سبحانه لوحدانية ذاته ومباينته من خلقه كما وصف به نفسه في كتابه العزيز حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤] لأن غيره من المخلوقات لكونه مكانياً يلزمه أنّ حصوله في مكان وحضوره عند جماعة يستلزم خلوّ سائر الأمكنة عنه وغيبته عن جماعة أخرى كما هو شأن المكانيات وهو ليس كذلك بل حصوله

ههنا وحضوره لهؤلاء الأنفس حصوله هناك وحضوره لأولئك.

وقوله: لا بالذات، يعني أنه ليست بالذات لأن الأماكن محدودة بحدود أربعة وهي: القدّام، والخلف، واليمين، والشّمال، لعدم تحيّزها إلاّ باعتبار عدُّ الجميع حدّين والفوق والتحت حدين فصارت أربعة فلو كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكّن وإن كانت بالانطباق لزم كونه محيطاً بالتمكن كالمكان وكلاهما باطل، هذا.

وقوله: **(ولا أرض أرضاً)** قال الشارح المعتزلي: هذا الكلام يدل على إثبات أرضين بعضها فوق بعض كما أن السماوات كذلك ولم يأت في الكتاب العزيز ما يدل على هذا إلا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وهو قول كثير من المسلمين وقد تأول ذلك أرباب المذاهب الأخر القائلون بأنها أرض واحدة فقالوا أنها سبعة أقاليم فالمثليّة من هذا الوجه لا من تعدد الأرضين في ذاته.

ويمكن أن يتأول مثل ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيقال إنها وإن كانت أرضاً واحدة لكنها أقاليم وأقطار مختلفة، وهي كروية الشكل فمن على حدبة الكرة لا يرى من تحته ومن تحته لا يراه ومن على أحد جانبيها لا يرى من على الجانب الآخر والله يدرك ذلك كله أجمع لا يحجب عنه بشيء منها شيء منها انتهى.

ونحو ذلك قال الطبرسي في تفسير الآية حيث قال: أي وفي الأرض خلق مثلهن في العدد لا في الكيفية لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الأرض وليس في القرآن آية تدلّ على أن الأرضين سبع مثل السماوات إلا هذه الآية ولا خلاف في السماوات أنها سماء فوق سماء وأما الأرضون فقال قوم إنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات لأنها لو كانت مصمتة لكانت أرضاً واحدة وفي كلّ أرض خلق خلقهم الله كيف شاء[١].

وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهنّ البحار وتظلّل جميعهن السماء والله سبحانه أعلم بصحة ما استأثر بعلمه واشتبه على خلقه.

وقال الفخر الرّازي: قال الكلبي: خلق سبع سماوات بعض فوق بعض كالقبة ومن الأرض مثلهنّ في كونها طبقات متلاصقة كما هو المشهور أن الأرض ثلاث طبقات طبقة أرضية محضة، وطبقة طينيّة وهي غير محضة وطبقة منكشفة بعضها في البر وبعضها في البحر، وهي كالمعمورة، ولا يبعد من قوله: ومن الأرض مثلهنّ، كونها سبعة أقاليم على

(١) بحار الأنوار: ٥٧/ ٧٤، وتفسير مجمع البيان: ١٠/ ٥٠.

سبع سماوات وسبعة كواكب فيها، وهي السيارة، فإنّ لكلّ واحد من هذه الكواكب خواصّ تظهر آثار تلك الخواص في كل أقاليم الأرض فتصير سبعة بهذا الاعتبار.

الفصل الثاني منها

في ذكر ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر **(وقد قال لي قائل: إنك يابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص)** أي على أمر الخلافة قال الشارح المعتزلي: والذي قال له ذلك سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وهذا عجب فأجاب عليه السلام بقوله **(فقلت بل أنتم والله أحرص وأبعد وأنا أخص وأقرب)** فليس للبعيد التعريض على القريب والتعبير بكثرة الحرص وأراد بكونه أخصّ وأقرب مزيد اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله **(وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه)** كناية عن منعهم منه ودفعهم له عنه **(فلما قرعته)** أي صدمته **(بالحجة في الملأ الحاضرين)** هب أي انتبه واستيقظ عن غفلته **(كأنّه بهت)** هكذا في نسخة الشارح المعتزلي بزيادة بهت بعد لفظة كأنّه أي صار مبهوتاً متحيّراً **(لا يدري ما يجيبني)** به.

ثمّ إنّه شكى بثّه إلى الله سبحانه واستمدّ منه فقال: **(اللّهم إنّي أستعديك على قريش)** أي أستغيثك وأستنصر منك عليهم **(و)** على **(من أعانهم)** من غيرهم **(فإنّهم قطعوا رحمي)** ولم يراعوا قربي من رسول الله صلى الله عليه وآله **(وصغروا عظيم منزلتي)** حيث جعلوني قريناً للأدغال والطغام والسفلة الأرذال **(وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي)** أي في أمر الخلافة الذي هو حقّ لي ومختصّ بي بالنصوص المستفيضة بل المتواترة الواردة فيه لا بمجرّد الأفضليّة فقطّ كما زعمه الشارح المعتزلي وفاقاً لسائر المعتزلة.

(ثم) إنّهم لم يقتصروا على أخذ حقّي ساكتين عن الدّعوى بل **(قالوا ألا إن في الحق أن نأخذه وفي الحق أن تتركه)** أي ادعوا أنّ الحق لهم وأن الواجب عليّ أن أترك المنازعة فيه معهم فليتهم أخذوه مذعنين بأنه حقي فكانت المصيبة أهون والتحمل بها أسهل.

قال الشارح البحراني: وروي: نأخذه ونتركه، بالنون في الكلمتين، وعليه نسخة الرّضي والمراد أنا نتصرف فيه كما نشاء بالأخذ والترك دونك.

الفصل الثالث منها

في ذكر أصحاب الجمل والتنبيه على ضلالهم **(فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله)** أي حرمه وهو في الأصل ما لا يحلّ انتهاكه، وكنّى به هنا عن زوجته عائشة **(كما تجرّ الأمة عند شرائها)** أي بيعها ووجه الشبه أن بائع الأمة يجرّها من بلد إلى بلد ويديرها في الأسواق

ويعرضها على المشترين، فكذلك هؤلاء أخرجوها وأداروها في البلدان وشهّروها في الأصقاع لينالوا بذلك إلى ما راموه (**متوجهين بها إلى البصرة فحبسا**) أي طلحة والزبير (**نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله ﷺ**) وهو أيضاً كناية عنها وفي ذلك أيضاً من الدّلالة على فرط ضلالهما وخطأهما ما لا يخفى لأن الرسول ﷺ أمرها بالاحتباس في بيتها بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فهؤلاء مضافاً إلى عدم رعايتهم لحرمة رسول الله ﷺ وحمايتهم عن عرضه ومخالفتهم لأمره خالفوا أمر الله سبحانه ونبذوا كتابه وراء ظهورهم حيث أبرزاها (**لهما ولغيرهما**) من الناس (**في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح**) أي جاد (**لي بالبيعة**) وهذا إشارة إلى وجه ثان لضلالهم، وهو نقضهم للعهد بعد التوكيد ونكثهم للطاعة بعد البيعة.

وقوله: (**طائعاً غير مكره**) من باب الاحتراس الذي مرّ ذكره في ضمن المحسنات البديعية في ديباجة الشرح والغرض إبطال توهّم كون بيعتهم على وجه الإكراه كما ادعاه طلحة والزبير حسبما عرّفه في شرح الكلام الثامن وغيره (**فقدموا على عاملي بها**) وهو عثمان بن حنيف الأنصاري كان عامله يومئذ بالبصرة (**وخزان بيت مال المسلمين**) وهم سبعون رجلاً أو أربعمائة رجل كما في رواية أبي مخنف الآتية (**وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة**) منهم (**صبراً**).

قال شيخنا في الجواهر بعد قول المحقق: ويكره قتله أي الكافر صبراً لا أجد فيه خلافاً لما في صحيح الحلبي عن الصادق عليه السلام لم يقتل رسول الله ﷺ رجلاً صبراً غير عقبة بن أبي معيط وطعن ابن أبي خلف فمات بعد ذلك ضرورة إشعاره بمرجوحيّته التي لا ينافيها وقوعه من رسول الله ﷺ المحتمل رجحانه لمقارنة أمر آخر على أن الحكم مما يتسامح في مثله[1].

قال: والمراد بالقتل صبراً أن يقيّد يداه ورجلاه مثلاً حال قتله وحينئذ فإذا أُريد عدم الكراهة أطلقه وقتله ولعل هذا هو المراد مما فسّره به غير واحد بل نسبه بعض إلى المشهور من أنه الحبس للقتل.

وفي القاموس: وصبر الإنسان وغيره على القتل أن يحبس ويرمى حتى يموت.

وأما ما قيل من أنه التعذيب حتى يموت أو القتل جهراً بين الناس أو التهديد بالقتل ثم القتل أو القتل وينظر إليه آخر أو لا يطعم ولا يسقي حتى يموت بالعطش والجوع فلم أجد ما يشهد لها بل الأخير منها مناف لما سمعته من وجوب الإطعام والسقي.

---

(١) جواهر الكلام: ٢٠/١٦٢.

وكيف كان فقد ظهر بذلك أن في قوله عليه السلام: فقتلوا طائفة صبراً من الدلالة على عظم خطيئتهم ما لا يخفى لأنه إذا كان قتل الكفّار المحاربين بهذه الكيفية المخصوصة مكروهاً أو حراماً على اختلاف تفسير الصبر فكيف بالمؤمنين مضافاً إلى أنّهم لم يقنعوا بذلك بل **(و)** قتلوا **(طائفة)** أُخرى **(غدراً)** وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة مائلاً شدقه حتى يدخل النار».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث أصبغ بن نباتة وهو يخطب على منبر الكوفة: أيّها النّاس لولا كراهة الغدر لكنت من أدهى الناس ألا إنّ لكلّ غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار[1]، هذا وسنقص عليك قتلهم طائفة صبراً وطائفة غدراً في ثاني التنبيهين الآتيين إنشاء الله.

ثمّ إنّه عليه السلام لما أبدى العذر في قتالهم ووجوب قتلهم بثلاث كبائر موبقة أحديها إخراجهم لحبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وهتكهم لناموسه، وثانيتها نكثهم البيعة بعد سماحهم للطاعة، وثالثها قتلهم للمسلمين صبراً وغدراً أقسم بالقسم البار بحلّية قتلهم إزاحة للشبهة عمن كان في قلبه مرض فقال:

(فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً متعمدين لقتله) أي متعمدين له **(بلا جرم جرّه)** أي بدون استحقاقه للقتل بجرم اجتراء **(لحل لي قتل ذلك الجيش كله)** هذا الكلام بظاهره يدل على جواز قتل جميع الجيش بقتل واحد من المسلمين معلّلاً بقوله **(إذ حضروه فلم ينكروه ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد)** فيستفاد منه جواز قتل من ترك النهي عن المنكر مع التمكن من إنكاره ودفعه.

فإن قلت: أفتحكمون بجواز ذلك حسبما يدل عليه ذلك الكلام؟

قلت: نعم لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان شرعاً فالتارك لهما تارك للواجب وعامل للمنكر، فيجوز للإمام عليه السلام ردعه عنه بأي وجه أمكن كسائر من ترك الواجبات وأتى بالمحرمات فإذا علم من أوّل الأمر أنه لا يجدي في الرّدع إلاّ القتل لجاز ذلك للإمام اتّفاقاً وإن اختلف الأصحاب في جواز ذلك أي القتل الذي هو آخر مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغيره عليه السلام من دون إذنه.

ويدلّ على ما ذكرته من أنّ في ترك إنكار المنكر إخلال بالواجب وإقدام على المنكر ما رواه الصدوق رحمه الله في عقاب الأعمال مسنداً عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن

(١) الكافي: ٢/٣٣٨ ح٦، ووسائل الشيعة: ١٥/٧٠ ح٢١.

أبيه ﷺ قال قال علي ﷺ: «أيها الناس إنّ الله عز وجل لا يعذب العامة بذنب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامة، فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهاراً فلم يغير ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة من الله عزّ وجلّ».

وقال ﷺ: «لا يحضرنّ أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً ولا مقتولاً ولا مظلوماً إذا لم ينصره لأن نصرة المؤمن فريضة واجبة، فإذا هو حضره والعافية أوسع ما لم يلزمك الحجة الحاضرة».

قال: ولما وقع التقصير في بني إسرائيل جعل الرجل منهم يرى أخاه على الذنب فينهاه فلا ينتهي فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وجليسه وشريبه حتى ضرب الله عز وجل قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن حيث يقول عز وجل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ الآية.

ويدل على جواز قتل فاعل المنكر ما يأتي في أواخر الكتاب في ضمن كلماته القصار من قوله: أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرء، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسّيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق ونوّر في قلبه اليقين ورواه في الوسائل من روضة الواعظين مرسلاً ويدل عليه أخبار أُخر لا حاجة بنا إلى روايتها.

فقد ظهر بذلك كلّه أن تعليله ﷺ حل قتل الجيش بحضورهم قتل المسلم من دون إنكار له ودفع عنه موافق بظاهره لأصول المذهب ولقواعد الشرع ولا حاجة إلى التوجيه وتمحل التأويلات التي تكلّفها شراح النهج كالشارح المعتزلي والقطب الراوندي والشارح البحراني، ولا بأس بالإشارة إلى ملخّص كلامهم والتنبيه على ما يتوجه عليهم فأقول:

قال الشارح المعتزلي: ويسأل عن قوله ﷺ: لو لم يصيبوا إلا رجلاً واحداً لحل لي قتل ذلك الجيش بأسره لأنهم حضروه فلم ينكروا فيقال: أيجوز قتل من لم ينكر المنكر مع تمكّنه من إنكاره.

والجواب أنه يجوز قتلهم لأنهم اعتقدوا ذلك القتل مباحاً فإنهم إذا اعتقدوا إباحته فقد اعتقدوا إباحة ما حرّم الله فيكون حالهم حال من اعتقد أن الزنا مباح وأن شرب الخمر مباح.

واعترض عليه الشارح البحراني: بأن القتل وإن وجب على من اعتقد إباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة كشرب الخمر والزنا فلما قلت: أنه يجب على من اعتقد إباحة ما

علم تحريمه من الدين بالتأويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا، وخروجهم لما خرجوا له،؟ فإنّ جميع ما فعلوه كان بتأويل لهم وإن كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء لإباحة ما فعلوه، انتهى.

أقول: وأنت خبير بما في هذا الجواب والاعتراض كليهما من الضعف والفساد.

أما الجواب فلأنّ اعتقاد إباحة ما علم حرمته من الدّين ضرورة كقتل المسلم عمداً وإن كان مجوّزاً للقتل البتّة إلاّ أنّه عليه السلام لم يعلّل جوازه بذلك، بل علّله بالحضور على قتل المسلم وعدم الإنكار، وهو أعمّ من اعتقاد الإباحة وعدمه، وقد ظهر لك أن مجرّد ذلك كاف في جواز القتل من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا حاجة إلى التقييد أو التخصيص بصورة الاعتقاد مع عدم الداعي إليهما وكونهما خلاف الأصل.

وأما الإعتراض فلأنّ ملخص كلام المعترض أن خروج الناكثين وقتلهم للمسلمين إنّما نشاء من زعمهم جواز ذلك واعتقادهم حلّه لشبهة سنحت لهم وإن كان زعماً فاسداً واعتقاداً كاسداً.

وفيه: أولاً منع كون خروجهم عن وجه الشبهة والتأويل وإنما كان خروج خوارج النهروان بالتأويل وزعمهم الباطل حقّاً ولذلك قال عليه السلام في الكلام الستين: «لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه».

وثانياً: هب أن خروجهم كان بالتأويل وشبهة مطالبة دم عثمان ظاهراً وأمّا قتلهم للمسلمين فأيّ تأويل يتصوّر فيه مع أن المقتولين لم يكونوا قاتلي عثمان ولا من الحاضرين لقتله ولا ناصرين لقاتليه، ولم يقع بعدُ حرب الجمل عند قتلهم طائفة صبراً وطائفة غدراً فلم يكن قتلهم لهؤلاء إلاّ من محض البغي والعدوان والتعدّي والطغيان، ومتعمّدين فيه، فجاز قتلهم لذلك كما يجوز قتل معتقد حلّ الخمر والزّنا.

اللهمّ إلاّ أن يقال إن التأويل المتصوّر في قتلهم هو أنّهم لما زعموا أن أمير المؤمنين عليه السلام بحمايته عن قتلة عثمان خلافته خلافة باطلة، وإمامته إمامة جور وبيعة إمام الجور ومتابعته باطلة لا جرم زعموا إباحة قتل خزّان بيت المال ومن حذا حذوهم باعتبار كونهم من مبايعيه ومتابعيه، مستحفظين لبيت المال لأجله عليه السلام وحفظ بيت المال لأجل الإمام الجائر إعانة الإثم على زعمهم الباطل، فافهم جدّاً.

وبعد الغضّ عن جميع ذلك أقول: إنّ التأويل إذا كان معلوم الفساد حسبما اعترف به الشارح نفسه لم يبق موقع للتأمّل في جواز القتل، ولذلك أمر سبحانه بقتلهم وقتالهم مطلقاً في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى

﴿تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾.

وقال القطب الرّاوندي: إن حل قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ الآية.

واعترض عليه الشارح المعتزلي: بأنه عليه السلام علّل استحلال قتلهم بأنهم لم ينكروا المنكر ولم يعلّل بعموم الآية.

وأورد عليه الشارح البحراني: بأنّ له أن يقول إنّ قتل المسلم الذي لا ذنب له عمداً إذا صدر من بعض الجيش ولم ينكر الباقون من تمكّنهم وحضورهم كان ذلك قرينة دالّة على الرضا من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصاً إذا كان معروفاً بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الإمام العادل محاربة لله ورسوله، وقتلهم لعامله وخزّان بيت مال المسلمين وتفريق كلمة أهل العصر وفساد نظامهم سعى في الأرض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية.

أقول: أمّا ما قاله الراوندي فلا غبار عليه، وأما اعتراض الشارح المعتزلي فلا وجه له لأنّه عليه السلام وإن علّل استحلال القتل بالحضور وعدم الإنكار ولم يعلّله لعموم الآية إلاّ أن مآل العلّتين واحد، ومقصود الراوندي التنبيه على أن مرجع العلّة المذكورة في كلامه إلى عموم الآية ففي الحقيقة التعليل بتلك العلّة تعليل بذلك العموم.

وهذا مما لا ريب فيه لظهور أنّ قتل خزّان بين المال وإتلاف ما فيه من الأموال لم يكن إلاّ من أجل نصبهم العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام وكونهم في مقام المحاربة معه، فيدخلون في عموم الآية.

لأنّ المراد بمحاربة الله ورسوله فيها هو محاربة المسلمين، جعل محاربتهم محاربة لهما تعظيماً للفعل وتكريماً للسملم، فيجوز حينئذ قتله بحكم الآية.

بل ولو لم يكن المقتول منهم إلاّ واحداً كما فرضه عليه السلام في كلامه لجاز أيضاً قتل جميع الجيش كلّهم لأنّ المفروض أن قتل ذلك الواحد إنما كان محادة لله ورسوله ومحاربة لولي المؤمنين ولمن ائتم به من المسلمين فحيث إن الباقين حضروا ذلك القتل ولم ينكروه ولم يدفعوا عنه مع تمكّنهم منه يكون ذلك كاشفاً عن كونهم في مقام المحاربة أيضاً.

ولعل هذا هو مراد الشارح البحراني بالإيراد الذي أورده على الشارح المعتزلي وإن كانت عبارته قاصرة عن تأدية المراد لظهور أن صدور قتل المسلم عن بعض الجيش مع حضور الآخرين وعدم إنكار منهم وإن كان قرينة على رضا الجميع بالقتل، إلا أن ذلك بمجرّده لا يكفي في جواز قتل الرّاضين حتّى ينضمّ إليه المقدّمة الأخرى أعني كون صدور

القتل عن وجه المحاربة، وكون رضاهم بذلك كاشفاً عن كونهم محاربين جميعاً كما قلناه.

وعلى هذا فإن كان مراده بقوله **(والراضي بالقتل شريك القاتل)** هو ما ذكرناه فنعم الوفاق وإلا فيتوجّه عليه أنه إن أراد المشاركة في الإثم فهو مُسلم لما ورد في غير واحد من الروايات من أن الراضي بفعل قوم كالداخل فيهم، وأن العامل بالظلم والراضي به والمعين به شركاء ثلاثة وأن من رضي أمراً فقد دخل فيه ومن سخطه فقد خرج منه إلا أن هذه المشاركة لا تنفعه في دفع الاعتراض.

وإن أراد المشاركة في جواز قتل الرّاضي كما يجوز قتل القاتل فهو على إطلاقه ممنوع، لأن قتل القاتل بعنوان القصاص جايز دون الراضي.

نعم يجوز قتله من باب الحسبة على ما قلنا ومن أجل كونه في مقام المحاربة حسبما قاله الراوندي، كما يجوز قتل القاتل بهذين الوجهين أيضاً فافهم جيّداً هذا.

ولمّا نبّه عليه السلام على جواز قتل الجيش جميعاً بقتل واحد من المسلمين أردف ذلك بالتنبيه على مزيد استحقاقهم لهم حيث إقدامهم على جمع كثير منهم فقال: **(دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليم)**[١].

تنبيهان

الأول: قال الشارح المعتزلي بعد الفراغ من شرح الفصل الثاني من هذه الخطبة ما هذه عبارته: واعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول نحو قوله عليه السلام: ما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا.

وقوله عليه السلام: اللهم أجز قريشاً فإنّها منعتني حقيّ وغصبني أمري[٢].

وقوله عليه السلام: فجزت قريشاً عني الجوازي فإنّهم ظلموني حقي واغتصبوني سلطان ابن أمّي[٣].

وقوله عليه السلام وقد سمع صارخاً ينادي أنا مظلوم فقال عليه السلام: هلم فلنصرخ معاً فإنّي ما زلت مظلوماً[٤].

---

(١) الجمل: ١٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩/٦٢٩ ح٤٢، ومناقب أهل البيت (ع): ٤٤٦.

(٣) مناقب أهل البيت (ع): ٤٤٦، وميزان الحكمة: ١/١٤٦.

(٤) الغارات: ٢/٧٦٨، وكتاب الأربعين: ١٩١.

وقوله عليه السلام: وإنّه ليعلم أن محلّي منها محل القطب من الرحى، وقوله عليه السلام: أرى تراثي نهباً، وقوله: اصفيا بإنائنا وحملا الناس على رقابنا[١].

وقوله عليه السلام: إن لنا حقّاً إن نعطه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السرى[٢].

وقوله عليه السلام: ما زلت مستأثراً عليّ مدفوعاً عما أستحقه وأستوجبه[٣].

قال الشارح: وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضلية والأحقيّة وهو الحقّ والصّواب فإنّ حمله على الاستحقاق تكفير وتفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار لكنّ الإماميّة والزيديّة حملوا هذه الأقوال على ظواهرها وارتكبوا بها مركباً صعباً ولعمري إنّ هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظنّ ما يقوله القوم لكن تصفّح الأقوال يبطل ذلك الظنّ ويدرأ ذلك الوهم فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا يجوز على الباري فإنّه لا نعمل بها ولا نعوّل على ظواهرها لأنّا لما تصفّحنا أدلّة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ وأن نحمل على التأويلات المذكورة في الكتب.

قال الشارح: وحدّثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بابن عاليه سكن قطفتا بالجانب الغربي من بغداد وأحد الشهود المعدلين بها قال: كنت حاضراً عند الفخر إسماعيل بن علي الحنبلي الفقيه المعروف بغلام ابن المنى وكان الفخر إسماعيل هذا مقدّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف ويشتغل بشيء في علم المنطق وقد كان حلو العبارة وقد رأيته أنا وحضرت عنده وسمعت كلامه وتوفى سنة عشرة وستمائة[٤].

قال ابن عالية: ونحن عنده نتحدث إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة فانحدر إليه يطالبه به واتفق أن حضره زيارة يوم الغدير، والحنبلي المذكور بالكوفة وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة يتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عالية: فجعل الشيخ الفخر يسأل ذلك الشخص: ما فعلت ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقي منه بقيّة عند غريمك؟ وذلك الشخص يجاوبه حتى قال له: يا سيدّي لو

(١) الغارات: ٢/٧٦٨، وكتاب الأربعين: ١٩١.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٠، وسعد السعود: ٢٧٦.

(٣) الغارات: ٢/٧٦٨، وكتاب الأربعين: ١٩١.

(٤) الغارات: ٢/٧٦٩، وشرح نهج البلاغة: ٩/٣٠٨.

شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب عليه السلام من الفضائح والأقوال الشنيعة وسب الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة.

فقال إسماعيل: أي ذنب لهم والله ما جرأهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب إلا صاحب ذلك القبر، فقال ذلك الشخص: ومن صاحب القبر قال: علي بن أبي طالب عليه السلام قال: يا سيدي هو الذي سن لهم ذلك وعلّمهم إياه وطرقهم إليه؟ قال: نعم والله.

قال: يا سيدي فإن كان محقاً فمالنا نتولى فلاناً وفلاناً وإن كان مبطلاً فمالنا نتولاه ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما، قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل بن الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة ودخل دار حرمه وقمنا نحن فانصرفنا، انتهى كلام الشارح(١).

أقول: قد مرّ في تضاعيف الشرح لاسيما مقدمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقيّة النّصوص الدالّة على خلافته عليه السلام وبطلان خلافة غيره مضافاً إلى الأدلة العقلية.

والعجب من الشارح المعتزلي أنه بعد اعترافه بتواتر الأخبار الظاهرة في اغتصاب الخلافة والتظلم والشكوى من أئمة الجور كيف يصرفها عن ظواهرها من غير دليل وأي داع له إلى الانحراف عن قصد السبيل ولو كان هناك أقل دليل لتمسّك به مقدّم الحنابلة إسماعيل، ولم يعي عن الجواب، ولم يقم من مجلسه مسرعاً إلى الذهاب، فحيث عجز عن جواب القائل ضاق به الخناق إلا لعن نفسه بالفاعل ابن الفاعل.

ثم العجب من الشارح أنه يعلل ذلك تارة بأن حملها على ظواهرها يوجب تكفير وجوه الصحابة وتفسيقها وهو كما ترى مصادرة على المدّعى، وأُخرى بأن تصفح الأقوال يبطل الظنّ الحاصل منها وليت شعري أيّ قول أوجب الخروج عن تلك الظواهر.

فإن أراد قول أهل السنة فليس له اعتبار ولا وقع له عند أُولي الأبصار وإن أراد قول من يعوّل على قوله من النبي المختار وآله الأطهار فعليه البيان وعلينا التسليم والإذعان، مع أنا قد تصفحنا كتب التواريخ والسير والأخبار والأثر فما ظفرنا بعدُ إلى الآن على خبر واحد معتبر ولا حديث صحيح يؤثر بل الأحاديث الصحيحة النبوية وغير النبوية العاميّة والخاصية على بطلان دعواهم متظافرة وإبطال خلافة الخلفاء متواترة متظاهرة.

وقياس ظواهر تلك الروايات على الآيات المتشابهات قياس مع الفارق لا يقيسها إلاّ كلّ بائد ناهق، لقيام الأدلة القاطعة من العقل والنقل على وجوب تأويل هذه الآيات وقيامها

(١) الغارات: ٢/ ٧٧٠، وشرح نهج البلاغة: ٩/ ٣٠٨.

على لزوم تعويل ظواهر تلك الروايات.

وكفى بذلك شهيداً فضلاً عن غيره مما تقدم ويأتي حديث الثقلين وخبر الحق مع علي وعلي مع الحق المعروف بين الفريقين ورواية ورود الأمة على النبي ﷺ على خمس رايات وافتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار غير واحدة.

ونعم ما قيل:

إذا افترقت في الدين سبعين فرقة ونيفا كما قد جاء في واضح النقل
ولم يك منهم ناجيا غير واحد فبين لنا ياذا النباهة والفضل
أفي الفرقة الهلاك آل محمد أم الفرقة الناجون أيهما قل لي
فإن قلت هلاكاً كفرت وإن نجو فلماذا قدم الغير بالفضل

التنبيه الثاني

في ذكر خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، وقتلهم طائفة من المسلمين فيها صبراً وطائفة غدراً وتوضيحاً لما أشار عليه السلام إليه في كلامه وتفصيلاً لما أجمله.

فأقول: روى الشارح المعتزلي عن أبي مخنف أنه قال: حدثنا إسماعيل بن خالد عن قيس بن أبي حازم وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وروى جرير بن يزيد عن عامر الشعبي، وروى محمد بن إسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعاً: لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل: لعن الله الحوأب ما أكثر كلابها.

فلمّا سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت: أهذا ماء الحوأب؟ قالوا نعم، فقالت: ردوني ردوني، فسألوها ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كأنّي بكلاب ماء يدعى الحوأب قد نبحت بعض نسائي ثم قال ﷺ لي: يا حميراء إيّاك أن تكونيها.

فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله فإنا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك من يشهد أن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب، فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جعلاً فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام[1].

(١) ميزان الحكمة: ٣/٢٣١٧، وشرح نهج البلاغة: ٩/٣١١.

أقول: بل أوّل شهادة زور في الإسلام ما وقعت يوم السقيفة حيث شهد منافقوا قريش لأبي بكر بأنهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يقول: إن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة حسبما تقدّم في المقدمة الثالثة من مقدمات الخطبة الشقشقيّة من غاية المرام من كتاب سليم بن قيس الهلالي.

قال أبو مخنف: وحدّثنا عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوماً لنسائه وهن عنده جميعاً: ليت شعري أيّتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثر كلهم في النار وتنجو بعد ما كادت.

قال الشارح المعتزلي: قلت: أصحابنا المعتزلة يحملون قوله وتنجو على نجاتها من النار والإمامية يحملون ذلك على نجاتها من القتل ومحملنا أرجح لأن لفظة في النار أقرب إليه من لفظة القتلى والقرب معتبر في هذا الباب ألا ترى أن نحاة البصريين أعملوا أقرب العاملين نظراً إلى القرب[1].

أقول: لا أدري ماذا يريد الشارح من ذكر الاختلاف في محمل الحديث وترجيح محمل المعتزلة على محمل الإمامية؟

فإن كان مقصوده بذلك الردّ على الإمامية لتمسّكهم به على كون عائشة في النار حيث حملوا النجاة فيه على النجاة من القتل دون النار ففيه أن الإماميّة لم يتمسّكوا به أبداً على كونها فيها لأنّ قوله صلى الله عليه وآله كلهم في النار راجع إلى المقتولين عن اليمين والشمال لا ربط له بها بوجه حتى يتمسّكوا به بل دليلهم على ذلك مضافاً إلى أخبارهم الكثيرة هو خروجها وبغيها على الإمام العادل، والخوارج والبغاة كلهم في النار وعليه أيضاً بناء المعتزلة كما صرح به الشارح في ديباجة شرحه وأن توهمّوا خروجها مع طلحة والزبير من هذه الكلّية لدليل فاسد.

وإن كان مقصوده به إثبات نجاة عائشة من النار ففيه أنه لا ينهض لإثباتها لأن قوله صلى الله عليه وآله «تنجو بعد ما كادت» يحتاج إلى إضمار المتعلق ولفظة في النار وإن كانت أقرب إليه لكن القرب اللفظي لا يكفي في جعل متعلقه النار بل المدار في أمثال المقام على القرب الاعتباري، وغير خفي على المنصف الخبير بأساليب الكلام أن المتبادر من إطلاق العبارة هو أن المتعلق لفظة من القتل، وسوق الكلام أيضاً يفيد ذلك.

وذلك لأنه لما أخبر بأنه عليه السلام يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثر وكان هناك مظنّة إصابة القتل إليها لقربه منها وإشرافها عليه، استدرك بقوله: وتنجو بعد ما كادت، وهذا بخلاف

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/ ٣١١.

قوله: كلهم في النار، فإنه لم يكن موهماً لشمولها حتى يحتاج إلى الاستدراك.

فانقدح من ذلك أن الظاهر من مساق الكلام مضافاً إلى التبادر عرفاً هو أن المراد منه النجاة من القتل لا النجاة من النار كما يقوله المعتزلة.

وعلى التنزل والمماشاة أقول: غاية الأمر أن اللفظ مجمل محتمل للأمرين فلا يكافؤ الأدلّة القاطعة المسلّمة عند أصحابنا والمعتزلة على كون البغاة جميعهم في النار، ولا يجوز رفع اليد عن عموم تلك الأدلّة وتخصيصها بهذا اللفظ المجمل.

والعجب من الشارح أنه يستدلّ على مسألة أصولية كلاميّة بمسألة نحوية مع أن المسألة النحوية أيضاً غير مسلّمة عند علماء الأدبية والبصريون وإن أعملوا أقرب العاملين نظراً إلى القرب لكن الكوفيين اعملوا الأول منهما نظراً إلى السبق.

قال ابن مالك:

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل قبل فللواحد منهما العمل
فالثاني أولى عند أهل البصرة واختار عكساً غيرهم ذا أسرة

هذا كله على ما يقتضيه النظر الجلي، وأما ما يقتضيه النظر الدقيق فهو حمل الحديث على ما يقوله أصحابنا الإمامية وبطلان محمل المعتزلة، وذلك لأن قوله ﷺ: «وتنجو بعدما كادت» يفيد نجاتها بعد قربها، فإن أُريد بها النجاة من القتل بعد القرب منه كما يقوله الإمامية فلا غبار عليه، وإن أُريد النجاة من النار فلا يصحّ لأنّ نجاتها منها على زعم المعتزلة كانت بسبب التوبة ولازم ذلك أنها قبل التوبة كانت هالكة واقعة في النار أعني الاستحقاق بالفعل لها، ووقوعها فيها غير قربها منها، كما هو مفاد قوله: بعد ما كادت.

والحاصل أن القرب من النار كما هو مضمون الرواية على قول المعتزلة ينافي الكون فيها على ما هو لازم محملهم فافهم جيّداً.

هذا كله على تسليم صحّة متن الحديث وإلاّ فأقول: الظاهر أنه وقع فيه سقط من الرواة عمداً أو سهواً أو من النساخ كما يدل عليه ما في البحار عن المناقب لابن شهر آشوب قال:

ذكر ابن الأعثم في الفتوح، والماوردي في أعلام النبوة، وشيرويه في الفردوس، وأبو يعلي في المسند، وابن مردويه في فضائل أمير المؤمنين، والموفق في الأربعين، وشعبه والشعبي وسالم بن أبي الجعد في أحاديثهم والبلاذري والطبري في تاريخهما أن عائشة لمّا سمعت نباح الكلاب قالت: أي ماء هذا؟ فقالوا: الحوأب قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون إنّي لهيه قد سمعت رسول الله ﷺ وعنده نساؤه يقول: ليت شعري أيّتكن تنبحها كلاب الحوأب.

وفي رواية الماوردي: أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب يقتل من يمينها ويسارها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت تقتل(١).

وهذه الرواية كما ترى صريحة في أن نجاتها من القتل.

وبعد هذا كله فغير خفي عليك أن ما تكلّفه الشارح في إنجائها من النار فإنّما يجري في حقّها فقط، وليت شعري ماذا يقول في حقّ طلحة والزبير فإنّ مذهبه وفاقاً لأصحابه المعتزلة نجاتهما أيضاً مثلها مع أن الرواية كما ترى مصرحة بأن كلهم في النار ولاشك في شمول هذه القضية الكلّية للرجلين فإن زعم استثناءهما أيضاً من هذه الكلية بدليل منفصل مثل حديث العشرة أو مادل على توبتهما فقد علمت في شرح بعض الخطب السابقة المتقدمة فساده بما لا مزيد عليه، هذا فلنرجع إلى ما كنا فيه.

قال أبو مخنف: حدثني الكلبي عن أبي صباح عن ابن عباس أن طلحة والزبير أغذا السير لعائشة حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري وهو قريب من البصرة وكتبا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل علي عليه السلام على البصرة أن أخل لنا دار الإمارة.

فلما وصل كتابهما إليه بعث إلى الأحنف بن قيس فقال له: إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله والناس إليها سراع كما ترى، فقال الأحنف: أنهم جاؤوك بها للطلب بدم عثمان وهم الذين ألبّوا على عثمان الناس وسفكوا دمه وأراهم والله لا يزالون حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا وأظنهم والله سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به وإن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم في من معك من أهل البصرة فإنك اليوم الوالي عليهم وأنت فيهم مطاع فسر إليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة فيكون الناس أطوع منهم لك.

فقال عثمان بن حنيف: الرأي ما رأيت لكنّني أكره أن أبدأهم به وأرجو العافية والسّلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين عليه السلام ورأيه فأعمل به.

ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدي فأقرأه كتاب طلحة والزبير فقال له مثل قول الأحنف وأجابه عثمان مثل جوابه للأحنف فقال له حكيم: فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام وإلا فأُنابذهم على سواء.

فقال عثمان: لو كان ذلك رأى لسرت إليهم بنفسي قال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لتنقلنّ قلوب كثير من الناس إليه ويزيلنّك عن مجلسك هذا وأنت أعلم، فأبى عليه عثمان.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/٣٣٦، والبحار: ١٨/١١٣ و٣٢/١١٨.

قال: وكتب علي إلى عثمان لما بلغه مشارفة القوم البصرة: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف فأمّا بعد: فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجّهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك وإن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم الخلاف حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة وأنا معجل المسير إليك إنشاء الله وكتب عبيد الله بن أبي رافع في سنة ست وثلاثين.

قال: فلما وصل كتاب علي عليه السلام إلى عثمان أرسل إلى أبي الأسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم وما الذي أقدمهم.

فانطلقا حتى إذا أتيا حفر أبي موسى وبه معسكر القوم فدخلا على عائشة فسألاها ووعظاها وأذكراها وناشداها الله فقالت لهما ألقيا طلحة والزبير.

فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلماه فقال لهما: إنّا جئنا للطلب بدم عثمان وندعو الناس إلى أن يردوا أمرالخلافة شورى ليختار الناس لأنفسهم فقالا له: إنّ عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وأنت تعلم قتلة عثمان من هم وأين هم وإنّك وصاحبك وعائشة كنتم أشدّ الناس عليه وأعظمهم إغراء بدمه فأقيدوا من أنفسكم.

وأمّا إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم علياً عليه السلام طائعين غير مكرهين وأنت يا أبا عبد الله لم تبعد العهد لقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت آخذ قائم سيفك تقول ما أحد أحق بالخلافة منه ولا أولى بها منه، وامتنعت من بيعة أبي بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول؟ فقال لهما: اذهبا فألقيا طلحة.

فقاما إلى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب، فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه وقال له أبو الأسود.

يابن حنيف قد أتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر
وأبرز لها مستلهما وشمر

فقال ابن حنيف: أي ورب الحرمين لأفعلن وأمر مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح، فاجتمعوا إليه.

قال أبو مخنف: وأقبل القوم فلما انتهوا إلى المربد قام رجل من بني جشم فقال: أيها الناس أنا فلان الجشمي وقد أتاكم هؤلاء القوم فإن كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذي يا من فيه الطير والوحش والسباع وإن كانوا إنما أتوكم للطلب بدم عثمان فغيرنا ولي

قتله فأطيعوني أيها الناس وردّوهم من حيث أقبلوا فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التي لا تبقى ولا تذر، قال: فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك.

قال: واجتمع أهل البصرة إلى المربد حتى ملأوه مشاة وركباناً فقام طلحة وأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب فسكنوا بعد جهد فخطب خطبة ذكر فيها قتل عثمان وحرّض الناس على الطلب بدمه، وعلى جعل أمر الخلافة شورى.

ثم قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحة فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما: ألم تبايعا علياً عليه السلام فيمن بايعه؟ ففيم بايعتما ثم نكثتما؟ فقالا: ما بايعناه ولا لأحد في أعناقنا بيعة وإنّما استكرهنا على بيعته.

فقال ناس: قد صدقا وأحسنا القول وقطعنا بالصواب، وقال ناس ما صدقا ولا أصابا في القول حتى ارتفعت الأصوات.

قال: ثم أقبلت عائشة على جملها فنادت بصوت مرتفع: أيها الناس أقلّوا الكلام واسكتوا. فأسكت الناس لها فقالت في جملة كلام تحرضهم فيه على القتال والإجلاب على قتلة عثمان: ألا إن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان.

قال: فماج الناس واختلطوا فمن قائل يقول: القول ما قالت ومن قائل يقول: وما هي وهذا الأمر إنما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها، وارتفعت الأصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصى.

ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف وفريق مع عائشة وأصحابها.

قال أبو مخنف: حدثنا الأشعث عن محمد بن سيرين عن أبي الجليل قال: لما نزل طلحة والزبير المربد أتيتهما فوجدتهما مجتمعين فقلت لهما: ناشدتكما الله وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ما الذي أقدمكا أرضنا هذه؟ فلم يتكلما فأعدت عليهما فقالا بلغنا أن بأرضكم هذه دنيا فجئنا نطلبها[١].

قال الشارح المعتزلي: وقد روى قاضي القضاة في كتاب المغني عن وهب بن جرير قال: قال رجل من أهل البصرة لطلحة والزبير: إن لكما فضلاً وصحبة فأخبراني عن مسيركما هذا وقتالكما أشيء أمركما به رسول الله صلى الله عليه وآله أم رأى رأيتماه؟ فأما طلحة فسكت فجعل ينكت

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/٣١٦.

الأرض، وأما الزبير فقال: ويحك حدثنا أن ههنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها.

قال الشارح: وجعل قاضي القضاة هذا الخبر حجة في أن طلحة تاب وإن الزبير لم يكن مصراً على الحرب.

قال: والاحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضعيف وإن صح هو وما قبله إنه لدليل على حمق شديد، وضعف عظيم ونقص ظاهر، وليت شعري ما الذي أخرجهما إلى هذا القول وإذا كان هذا في أنفسهما فهلا كتماه.

أقول: أما اعتبار الخبرين فلا غبار عليه لاعتضادهما بأخبار أُخر في هذا المعنى، وأما دلالتهما على حمق الرجلين كما قاله الشارح فلا خفاء فيه، وأما سكوت طلحة ونكته الأرض فلأنه لما رأى أن السائل لا يبقى ولا يذر ولم يكن له عن الجواب محيص ولا مفرّ فبهت الذي كفر، وأما الزبير فأعمى اللهقلبه وأجرى مكنون خاطره على لسانه إبانة عن انحطاط مقامه، ودناءة شأنه.

قال أبو مخنف: فلمّا أقبل طلحة والزبير المربد يريدان عثمان بن حنيف فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة.

فأخذوا إلى مقبرة ابن بني مازن فوقفوا بها مليّاً حتى ثابت إليهم خيلهم ثم أخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى الرابوقة ثم أتوا سبخة دار البرزق فنزلوها.

قال: وأتاهما عبد الله بن حكيم لما نزلا السبخة بكتب كانا كتباها إليه فقال لطلحة: يا أبا محمد أما هذه كتبك؟ قال: بلى قال: فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه فلعمري ما هذا رأيك لا تريد إلاّ هذه الدنيا، مهلاً إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي عليه السلام ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعاً راضياً ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك.

فقال: إن عليّاً دعاني إلى البيعة بعد ما بويع فعلمت أني لو لم أقبل ما عرضه عليّ لم يتمّ لي ثمّ يغري لي من معه.

قال: ثم أصبحا من غد فصفّا للحرب وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه فناشدهما الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً عليه السلام فقالا: نحن نطلب بدم عثمان فقال لهما:

وما أنتما وذاك أين بنوه أين بنوعمه الذين هم أحقّ به منكم كلا والله ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له وهل كان أحد أشد على عثمان قولاً منكما.

فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمّه فقال للزّبير: أما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله ﷺ فإنها أدنتك إلى الظل وإنّ الأمر بيني وبينك يابن الصبغة - يعني طلحة - أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما اللّهم إني قد أعذرت إلى هذين الرجلين.

ثمّ حمل عليهم واقتتل الناس قتالاً شديداً ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب:

هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وإن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاؤوا من البصرة لا يضار بعضهم بعضاً في طريق ولا فرصة ولا سوق ولا شريعة حتى يقدم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمة، وإن أحبّوا ألحق كلّ قوم بهواهم وما أحبّوا: من قتال أو سلم، وخروج أو إقامة، وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه وأشدّ ما أخذه على نبيّ من أنبياء من عهد وذمّة، وختم الكتاب.

ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الإمارة وقال لأصحابه: إلحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جرحاكم، فمكثوا كذلك أيّاماً.

ثمّ إنّ طلحة والزّبير قالا: إن قدم عليّ ونحن على هذه الحال من القلّة والضعف ليأخذنّ بأعناقنا، فأجمعا على مراسلة القبائل، واستمالة العرب فأرسلوا إلى وجوه النّاس وأهل الرّياسة والشرف، يدعوهم إلى الطلب بدم عثمان وخلع عليّ عليه السلام وإخراج ابن حنيف من البصرة.

فبايعهم على ذلك الأزد وضبّة وقيس عيلان كلّها إلا الرّجل والرّجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم.

وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير إلى داره فتوارى عنهما فقالت أمّه: ما رأيت مثلك أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما فلم تزل به حتى ظهر لهما وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلّهم وبنو حنظلة إلاّ بني يربوع فإنّ عامتهم كانوا شيعة لعلي عليه السلام وبايعهم بنو دارم كلّهم إلاّ نفراً من بني مجاشع ذوي دين وفضل.

فلما استوثق بطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلّي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت السّيابجة وهم الشرط حرس بيت المال فأخّروا الزّبير وقدّموا عثمان فغلبهم أصحاب الزّبير فقدّموه وأخّروا عثمان.

فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتقون يا أصحاب محمد وقد طلعت الشمس فغلب الزّبير فصلّى بالنّاس فلمّا انصرف من صلاته صاح بأصحابه المستسلحين: أن خذوا عثمان بن حنيف، فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفهما.

فلمّا أسر ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكلّ شعرة في وجهه ورأسه وأخذوا السيابجة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إل عائشة.

فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعان على قتله فنادى عثمان: يا عائشة ويا طلحة ويا زبير إن أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب عليه السلام على المدينة وأُقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم فلا يبقي منكم أحداً.

فكفوا عنه وخافوا أن يوقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة فتركون وأرسلت عائشة إلى الزبير أن اقتل السيابجة فإنّه قد بلغني الذي صنعوا بك.

قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم ولي ذلك منهم عبد الله ابنه وهم سبعون رجلاً وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيراً فقلتهم صبراً.

قال أبو مخنف: وحدّثنا الصقعب بن زهير قال: كانت السيابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل قال: فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر في الإسلام وكان السيابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً[1].

قال: وخيّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي عليه السلام فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلي عليه السلام فلما رآه بكى وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرداً فقال علي عليه السلام: إنّ لله وإنّا إليه راجعون، قالها ثلاثاً.

قال أبو مخنف: فلما صفت البصرة لطلحة والزبير اختلفا في الصلاة فأراد كل منهما أن

(١) شرح نهج البلاغة: ٩/٣٢١، والدرجات الرفيعة: ٣٨٨.

يؤمّ بالناس وخاف أن يكون صلاته خلف صاحبه تسليماً ورضى بتقدّمه فأصلحت بينهما عائشة بأن جعلت عبد الله بن زبير ومحمد بن طلحة يصليان الناس هذا يوماً وهذا يوماً.

قال أبو مخنف: ثمّ دخلا بيت مال البصرة فلمّا رأوا ما فيه من الأموال قال الزّبير: وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه فنحن أحقّ بها من أهل البصرة فأخذا ذلك المال كلّه فلمّا غلب عليّ عليه السلام ردّ تلك الأموال إلى بيت المال وقسمها في المسلمين هذا[1].

وقد تقدّم في شرح كلام له عليه السلام وهو ثامن المختار من الخطب كيفية وقعة الجمل ومقتل الزُّبير فارّاً عن الحرب وتقدّم نوادر تلك الوقعة في شرح سائر الخطب والكلمات في مواقعها اللاحقة فلتطلب من مظانّها.

(١) جواهر الكلام: ١٢/٢١٨، وشرح نهج البلاغة: ٤/١٢٣.

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن امام انام و وصىّ والامقام است مشتمل بر سه فصل:

فصل اول: متضمن حمد و ثنا است مر حق تعالى را، مى فرمايد: شكر و سپاس خداوندى را سزا است كه نمى پوشد از او آسمانى آسمان ديگر را و نه زمينى زمين ديگر را.

فصل دوم: متضمّن شكايت است از اهل شورى و غاصبان خلافت، مى فرمايد: و گفت به من گوينده اى كه سعد وقاص ملعون بود: اى پسر ابوطالب، به درستى كه تو به امر خلافت بسيار حريصى، پس گفتم من، بلكه شما به حقّ خدا حريص تريد و دورتر و من اختصاصم بيشتر است و نزديكيم زيادتر و جز اين نيست كه طلب مى كنم حقى را كه مختصّ است به من و شما حايل و حاجب مى شويد ميان من و ميان آن و دست ردّ مى زنيد به روى من نزد آن، پس زمانى كه كوفتم آن گوينده را با حجت و دليل در ميان جماعت حاضران، بيدار شد از خواب غفلت، گويا كه او نمى دانست چه جواب بدهد به من.

بارخدايا، به درستى كه من طلب اعانت مى كنم از تو بر طايفه قريش و بر كسانى كه اعانت كردند ايشان را، پس به درستى كه ايشان بريدند خويشى مرا و حقير شمردند بزرگى مرتبه مرا و اتفاق كردند به منازعه من در كارى كه آن اختصاص به من داشت، پس از آن گفتند بدان كه در حق است اخذ كردن ما آن را و در حقّ است ترك كردن تو آن را.

فصل سوم: در ذكر اصحاب جمل است، مى فرمايد: پس خروج كردند در حالتى كه مى كشيدند حرم پيغمبر خدا را (يعنى عايشه خاطئه را)، چنان چه كشيده مى شود كنيز هنگام فروختن او، درحالتى كه متوجّه شدند با او به سوى بصره، پس حبس كردند و نگه داشتند طلحه و زبير زنان خودشان را در خانه خود و بيرون آوردند زن محبوس شده حضرت رسات مآب را از براى خودشان و از براى غير خودشان، در لشكرى كه نبود از ايشان هيچ مردى مگر اين كه عطا كرده بود به من

اطاعت خود را و بخشیده بود به من بیعت خود را، درحالتی که بیعتشان از روی طوع و رغبت بود نه با جبر و اکراه.

پس آمدند بر حاکم من که در بصره بود و بر خازنان بیت المال مسلمانان و بر غیر ایشان از اهل بصره، پس کشتند طائفه ای را با صبر و اسیری و طائفه ای را با مکر و حیله، پس قسم به خدا اگر نمی رسیدند از مسلمانان مگر به یك نفر مرد، درحالتی که متعمّد بودند در قتل آن بدون گناه و تقصیری که کسب نموده آن را، هرآینه حلال بود مرا کشتن جمیع این لشکر از جهت این که حاضر شدند به کشتن او و انکار نکردند و دفع نکردند از او کشتن را با زبانی و نه با دستی، بگذار که ایشان به قتل آوردند از مسلمانان مثل عددی را که داخل شده بودند با ایشان بر ایشان.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والثانية والسبعون من المختار في باب الخطب

أمينُ وَحْيِه، وخاتَمُ رُسُلِهِ، وبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، ونَذِيرُ نِقْمَتِهِ، أيُّها النّاسُ إنَّ أحَقَّ النّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وأعْلَمُهُمْ بِأمْرِ اللّهِ فِيهِ فَإنْ شَغَبَ شاغِبٌ أُسْتُعْتِبَ وَإنْ أبىٰ قُوتِلَ وَلَعَمْرِي لَئِنْ كانَتِ الإمَامَةُ لاَ تَنْعَقِدُ حَتّىٰ تَحْضُرَها عامَّةُ النّاسِ ما إلىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ وَلٰكِنْ أهْلُها يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ للشّاهِدِ أنْ يَرْجِعَ وَلاَ للغَائِبِ أنْ يَخْتارَ.

ألاَ وَإنِّي أُقاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ادَّعىٰ ما لَيْسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذي عَلَيْهِ.

أُوصيكُمْ عِبادَ اللّهِ بِتَقْوَى اللّهِ فَإنَّها خَيْرُ ما تَواصَى الْعِبادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَواقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللّهِ، وَقَدْ فُتِحَ بابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أهْلِ الْقِبْلَةِ وَلاَ يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إلاَّ أهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ، وَالْعِلْمِ بِمَواقِعِ الْحَقِّ، فامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَما تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلاَ تَعْجَلوا في أمْرٍ حَتّىٰ تَتَبَيَّنُوا فَإنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

ألاٰ وَإنَّ هٰذِهِ الدُّنْيا الَّتي أصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَها وتَرْغَبُونَ فِيها وأصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وتُرْضيكُمْ لَيْسَتْ بِدارِكُمْ وَلاَ مَنْزِلُكُمُ الَّذي خُلِقْتُمْ لَهُ، وَلاَ الّذي دُعيتُمْ إلَيْهِ، ألاَ وَإنَّها لَيْسَتْ بِباقِيَةٍ لَكُمْ، وَلاَ تبْقُونَ عَلَيْها، وَهِيَ وَإنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّها.

فَدَعُوا غُرُورَها لِتَحْذيرِها، وإطْماعَها لِتَخْويفِها، وسابِقُوا فيها إلى الدّارِ الَّتي دُعيتُمْ إلَيْها، وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلاَ يَحِنَّنْ أحَدُكُمْ حَنينَ الْأَمَةِ عَلىٰ ما زُرِيَ عَنْهُ مِنْهَا، وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلىٰ طاعَةِ اللّهِ، وَالْمُحافَظَةِ عَلىٰ ما اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتابِهِ.

ألاَ وَإنَّهُ لاَ يَضُرُّكُمْ شَيءٌ مِنْ دُنْياكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قائِمَةَ دينِكُمْ.

ألاَ وَإنَّهُ لا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْييعِ دينِكُمْ شَيءٌ حافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أمْرِ دُنْياكُمْ.

أخَذَ اللّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إلىٰ الْحَقِّ، وَألْهَمْنَا وَإيّاكُمُ الصَّبْرَ[1].

اللغة

(خاتم رسله) بفتح التاء وكسرها و**(أطمعه)** إطماعاً أوقعه في الطمع و**(حنّ)** يحنّ حنيناً

(١) ميزان الحكمة: ٢/ ١٥٦٥ ح٢١٨٥، وشرح نهج البلاغة: ٧/ ٤٢.

استطرب والحنين الشّوق وشدّة البكاء والطرب أو صوت الطرب عن حزن أو فرح، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة قال في القاموس والحنين كالبكاء أو الضحك في الأنف وقد خنّ يخن، وقال علم الهدى في كتاب الغرر والدّرر في قول ابن أراكة الثقفي:

فقلت لعبد الله إذ حنّ باكياً · تعزّو ماء العين منهمر يجرى

تبين فإن كان البكاء ردّ هالكاً · على أحد فاجهد بكاك على عمرو

قوله: حنّ باكياً رفع صوته بالبكاء وقال: قال قوم: الخنين بالخاء المعجمة من الأنف والحنين من الصّدر، وهو صوت يخرج من كل واحد منهما و**(زوى)** الشيء زيّاً وزوياً جمعه وقبضه.

الإعراب

الضمير في قوله **(زوى عنه)** راجع إلى أحدكم وفي بعض النسخ بدله عنها فيرجع إلى الأمّة والأوّل أظهر، وإضافة **(قائمة إلى دينكم)** لأميّة وتحتمل أن تكون بيانيّة كما نشير إليه في شرح معناه.

المعنى

أعلم أنّ مدار هذه الخطبة الشريفة على فصول:

الفصل الأول: في نبذ من ممادح الرسول صلى الله عليه وآله وهو **(امين وحيه)** أي مأمون على ما أُوحي إليه من الكتاب الكريم وشرائع الدين القويم من التحريف والتبديل فيما أمر بتبليغه لمكان العصمة الموجودة فيه صلوات الله وسلامه عليه وآله **(وخاتم رسله)** أي آخرهم ليس بعده رسول كما قال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [ص: ٤٠] قال في الصّافي: آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على اختلاف القراءتين.

وفي مجمع البحرين: ومحمد خاتم النبيين، يجوز فيه فتح التاء وكسرها فالفتح بمعنى الزينة مأخوذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه وبالكسر اسم فاعل بمعنى الآخر **(وبشير رحمته ونذير نقمته)** أي مبشر برحمته الواسعة، والثواب الجزيل ومخوّف من عقوبته الدائمة والعذاب الوبيل كما قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

الفصل الثاني: في الإشارة إلى بعض وظائف الخلافة وهو قوله عليه السلام: **(أيها الناس إنّ أحق الناس بهذا الأمر)** أي أمر الخلافة والإمامة **(أقواهم عليه)** أي أكملهم قدرة وقوة على السياسة المدنيّة وعلى كيفيّة الحرب **(وأعلمهم بأمر الله فيه)** أي أكثرهم علماً بأحكامه سبحانه في هذا الأمر في بعض النسخ «وأعملهم بأمر الله» بدله هذا ويدل على ذلك أعني كون

الأقوى والأعلم أحق بالرياسة غيره صريحاً قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فقد ردّ استبعادهم لتملّكه بفقره بأن العمدة في ذلك اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح وبأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكّن به من معرفة الأُمور السياسية وجسامة البدن، ليكون أعظم وقعاً في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكايدة الحروب، لا ما ذكرتم.

وكيف كان فقد دلّت هذه الآية الشريفة كقول الأمام عليه السلام على بطلان ملك المفضول وخلافته مضافين إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فانقدح: من ذلك فساد ما توهّمه الشارح المعتزلي من أن قوله عليه السلام لا يدل على بطلان إمامة المفضول لأنه عليه السلام ما قال إن إمامة غير الأقوى فاسدة ولكنه قال: إن الأقوى أحقّ وأصحابنا لا ينكرون إنه عليه السلام أحق ممن تقدمه بالإمامة مع قولهم بصحة إمامة المتقدّمين لأنه لا منافاة بين كونه أحق وبين صحة إمامة غيره.

وجه: انقداح الفساد أن أحقيته وإن كانت لا تنافي بحسب الوضع اللّغوي حقيقة غيره كما هو مقتضى وضع أفعل التفضيل إلاّ أن الظاهر عدم إرادة الأفضلية هنا بل نفس الفضل كما في قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حيث يستدلون به على حجب الأقرب للأبعد وكذلك في قوله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ وإلاّ لما استحق متبعو غير الأحق بالتوبيخ والملام المستفاد من ظاهر الاستفهام، مضافاً إلى تشديد التقريع بقوله عقيب الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

فإن قلت: حمل أفعل على غير معناه اللّغوي مجاز لا يصار إليه إلاّ بقرينة تدلّ عليه فما القرينة عليه؟

قلت: القرائن المنفصلة من العقل والنقل فوق حد الإحصاء وأمّا القرينة المتصلة فهي قوله: **(فإن شغب شاغب)** أي أثار الشرّ والفساد **(استعتب)** وطلب عتباه ورجوعه إلى الحق **(فإن أبى قوتل)** فإن جواز قتال الآبي وقتله ليس إلاّ لعدم جواز عدوله عن الأحق إلى غيره فيعلم منه أن غيره غير حقيق للقيام بالأمر كما لا يخفى، فافهم وتدبّر هذا.

ولما كان معاوية وأهل الشام وأكثر من عدل عنه عليه السلام ونكث عن بيعته **قادحين في** خلافته طاعنين في إمامته بأنّه لم يكن عقد بيعته برضا العامّة وحضورها أشار إلى بطلان زعمهم وفساده بقوله: (**ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس**) كما يزعمه هؤلاء ويحتجون به عليّ (**ما**) كان (**إلى ذلك سبيل**) لتعذّر اجتماع المسلمين على كثرتهم وانتشارهم في مشارق الأرض ومغاربها (**ولكن أهلها**) أي أهل الإمامة أو البيعة الحاضرون من أهل الحل والعقد يعقدون البيعة و(**يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع**) عن بيعته كما رجع الزبير وطلحة (**ولا للغائب**) كمعاوية واتباعه (**أن يختار**) أي يكون لهم اختيار بين التسليم والامتناع.

قال الشارح المعتزلي: وهذا الكلام أعني قوله عليه السلام: ولعمري إلى آخره، تصريح بمذهب أصحابنا من أن الاختيار طريق إلى الإمامة ومبطل لما يقوله الإمامية من دعوى النص عليه ومن قولهم: لا طريق إلى الإمامة سوى النص أو المعجز، انتهى.

وفيه نظر: أما أولاً فلأنه عليه السلام إنما احتج عليهم بالإجماع إلزاماً لهم لاتفاقهم على العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه وعدم تمسّكه عليه السلام بالنص لعلمه بعدم التفاتهم إليه كيف وقد أعرضوا عنه في أول الأمر مع قرب العهد بالرسول صلى الله عليه وآله وسماعهم منه عليه السلام وأما ثانياً فلأنّه عليه السلام لم يتعرّض للنصّ نفياً ولا إثباتاً فكيف يكون مبطلاً لما ادعاه الإماميّة من النص.

والعجب أنه جعل هذا تصريحاً بكون الاختيار طريقاً إلى الإمامة ونفي الدلالة في قوله عليه السلام: إن أحق الناس بهذا الأمر، (اه)، على نفي إمامة المفضول مع أنه لم يصرّح بأن الإمامة تنعقد بالاختيار بل قال: لا يشترك في انعقاد الإمامة حضور العامة ولا ريب في ذلك نعم يدل بمفهومه على ذلك وهذا تقيّة منه عليه السلام.

ولا يخفى على من تتبّع سيره أنه لم يكن يمكنه إنكار خلافتهم والقدح فيها صريحاً في المحافل فلذا عبّر بكلام موهم لذلك وقوله عليه السلام: وأهلها يحكمون وإن كان موهماً له أيضاً لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقاء بالإمامة ويكون الضمير فيه راجعاً إليهم.

ولا يخفى أن ما مهده عليه السلام أولاً بقوله: إن أحق الناس أقواهم يشعر بأن عدم صحة رجوع الشاهد واختيار الغائب إنّما هو في صورة الاتفاق على الأحق دون غيره فتأمل.

ثمّ ذكر من يسوغ له عليه السلام قتاله فقال: (**ألا وإني أقاتل رجلين رجلاً ادعى ما ليس له وآخر منع الذي عليه**) يحتمل أن يكون الأول إشارة إلى أصحاب الجمل والثاني إلى معاوية وأتباعه ويحتمل العكس.

فعلى الأول فالمراد من ادعائهم ما ليس لهم الخلافة أو المطالبة بدم عثمان فإنه لم

يكن لهم ذلك وإنما كان ذلك حقاً لوارثه ومن معهم بما وجب عليهم هو البيعة وبذل الطاعة.

وعلى الثاني فالمراد من ما ليس له أيضاً الخلافة أو دعوى الولاية لدم عثمان والمطالبة به ومن منع ما وجب عليه هو المضي على البيعة والاستمرار عليه أو سائر الحقوق الواجبة عليهم.

الفصل الثالث: في الوصية بما لا يزال يوصي به والإشارة إلى أحكام البغاة إجمالاً وهو قوله عليه السلام: **(أوصيكم عباد الله بتقوى الله)** التي هي الزاد وبها المعاد **(فإنها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الأمور عند الله)** يعني أنّها خير أواخر الأُمور لكونها خير ما ختم به العمل في دار الدنيا أو أن عاقبتها خير العواقب **(وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة)** أي الآخذين بظاهر الإسلام **(ولا يحمل هذا العلم)** أي العلم بوجوب قتال أهل القبلة وبشرائطه وفي بعض النسخ هذا العلم محركة فيكون إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به أي لا يحمل علم الحرب ولا يحارب **(إلا أهل البصر والصبر)** أي أهل البصيرة والعقل وأهل الصبر والتحمل على المكاره **(والعلم بمواقع الحق)** وذلك لأن المسلمين كانوا يستعظمون حرب أهل القبلة ومن أقدم منهم عليه أقدم على خوف وحذر، فقال عليه السلام: «إنَّ هذا العلم ليس يدركه كل أحد وإنما له قوم مخصّصون».

قال الشّافعي: لولا علي عليه السلام لما علم شيء من أحكام أهل البغي وهو كما قال **(فامضوا لما تأمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر)** ولا تسرعوا في إنكاره وردّه إذا استبعدتموه بأوهامكم **(حتى تتبينوا)** وتثبّتوا وتسألوا عن فائدته وعلّته **(فإنّ لنا مع كل أمر تنكرونه)** وتستبعدونه **(غيراً)**.

قال الشارح المعتزلي: أي لست كعثمان أُصرّ على ارتكاب ما أنهى عنه بل أُغير كلّ ما ينكره المسلمون ويقتضى الحال والشرع تغييره.

وقال الشارح البحراني: أي إن لنا مع كل أمر تنكرونه قوّة على التغيير إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر فلا تسرعوا إلى إنكار أمر لفعله حتى تسألوا عن فائدته فإنه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم بوجهه.

قال: العلاّمة المجلسي رحمه الله: ويمكن أن يكون المعنى أن لنا مع كل أمر تنكرونه تغييراً أي ما يغير إنكاركم، ويمنعكم عنه من البراهين السّاطعة أو الأعم منها ومن السّيوف القاطعة إن لم ينفعكم البراهين.

أقول: وذلك مثل ما وقع منه في أمر الخوارج فإنّهم لمّا نقموا عليه ما نقموا روّعهم عن الإنكار عليه بالبيانات الشافية والحجج الوافية حتى ارتدع منهم ثمانية آلاف وكانوا اثني عشر

ألفاً ولمّا أصّر الباقون وهم أربعة آلاف على اللجاج، ولم ينفعهم الاحتجاج، **قطع دابرهم** بسيف يفلق الهام، ويطيح السواعد والأقدام.

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها ... بله الأكف كأنها لم تخلق

حسب ما عرفته تفصيلاً في شرح الخطبة السادسة والثلاثين وغيرها.

ثمّ أخذ في التنفير عن الدنيا والتزهيد فيها بقوله: **(ألا وإن هذه الدنيا)** الإتيان باسم الإشارة للتحقير كما في قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وفي الإتيان بالموصول أعني قوله: **(التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم)** تنبيه على خطأ المخاطبين، وتوبيخ لهم بأنّهم يرغبون في شيء يخلصون المحبّة له وهو لا يراعي حقّهم بل يغضبهم تارة، ويرضيهم أخرى ونظير هذا الموصول المسوق للتنبيه على الخطاء ما في قوله:

إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا

يعني أن هذه الدنيا مع تمنيكم لها وفرط رغبتكم فيها ومع عدم إخلاصها المحبة لكم **(ليست بداركم)** التي يحق أن تسكنوا فيها **(ولا منزلكم الذي خلقتم له)** وللإقامة فيه **(ولا الذي دعيتم إليه)** وإلى التوطن فيه **(ألا وإنّها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها)** وإلى هذا ينظر قوله عليه السلام:

أرى الدنيا ستؤذن بانطلاق ... مشمرة على قدم وساق

فلا الدنيا بباقية لحي ... ولا حيّ على الدنيا بباق

يعني أنّها دار فناء لا تدوم لأحد ولا يدوم أحد فيها **(وهي وإن غرّتكم منها)** بما زينتكم من زخارفه وإغفالكم عن فنائها **(فقد حذّرتكم شرّها)** بما أرتكم من آفاتها وفنائها وما ابتليتم فيها من فراق الأحبّة والأولاد ونحوها **(فدعوا غرورها)** اليسير **(لتحذيرها)** الكثير **(وإطماعها)** الكاذب **(لتخويفها)** الصادق.

(وسابقوا فيها) بالخيرات والأعمال الصالحات **(إلى الدار التي دعيتم إليها)** وهي الجنة التي عرضها الأرض والسماوات **(وانصرفوا بقلوبكم عنها)** إلى ما لم يخطر على قلب بشر مما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وجميع الأمنيّات **(ولا يحنن أحدكم حنين الأمة على ما زوي)** وصرف **(عنه منها)** وهو نهى عن الأسف على الدنيا والحزن والبكاء على ما فاته منها، وقبض عنه من قيناتها وزخارفها.

والتشبيه بحنين الأمة لأن الإماء كثيراً ما يضربن ويبكين ويسمع الحنين منهن والحرائر يأنفن من البكاء والحنين **(واستتمّوا نعمة الله عليكم بالصّبر على طاعة الله)** أي بالصبر والتحمل

على مشاق العبادات أو بالصبر على المصائب والبلايا طاعة له سبحانه، وعلى أي حال فهو من الشكر الموجب للمزيد (و) به يطلب تمام النعمة في الدنيا والآخرة كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] كما يطلب تمامها: بـ(**ـالمحافظة على ما استحفظكم من كتابه**) أي بالمواظبة على ما طلب منكم حفظه والمواظبة عليه من التكاليف الشرعية الواردة في كتابه العزيز لأن المواظبة على التكاليف والطاعات سبب عظيم لإفاضة النعماء والخيرات.

وأكّد الأمر بالمحافظة بقوله (**ألا وإنّه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم**) لعلّ المراد بقائمة الدّين أُصوله وما يقرب منها وعلى كون الإضافة بيانيّة فالمراد بقائمته نفس الدين إذ به قوام أمر الدّنيا والآخرة.

ثمّ نبه على عدم المنفعة في الدّنيا مع فوات الدّين فقال: (**ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم**) وذلك واضح لأن الأمور الدنياوية مع تضييع الدين لا تنتفع بشيء منها في الآخرة البتة.

وختم الكلام بالدعاء لنفسه ولهم وقال: (**أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق**) وهدانا إلى سلوك سبيله (**وألهمنا وإياكم الصبر**) على مصيبته وطاعته ومعصيته لأنّ من صبر عند المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدّرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

رواه في الوسائل من الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وقد تقدّم روايته مع أخبار أُخر في فضل الصبر في شرح الخطبة الخامسة والسبعين ووعدنا هناك إشباع الكلام فيه ـ أي في الصبر ـ وفضله وأقسامه فها نحن الآن نفي بما وعدناك بتوفيق من الله سبحانه ومن منه.

فأقول: إن الصبر على ما عرفت فيما تقدم عبارة عن ملكة راسخة في النفس يقتدر معها على تحمل المكاره وقد أكثر الله سبحانه من مدحه في كتابه العزيز، وبشر الصابرن وذكرهم في آيات تنيف على سبعين قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٥] قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١٢] إلى غير هذه مما لا نطيل بذكرها.

وأما الأخبار في فضله وفضل الصّابرين فهي فوق حد الإحصاء.

منها: ما في الكافي عن العلاء بن الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الصّبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك إذا ذهب الصّبر ذهب الإيمان»(١).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الحر حر على جميع أحواله إن نابته نائبة صبر لها وإن تداكّت عليه المصائب لم يكسره وإن أسر وقهر واستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين عليه السلام لم يضرره حريّته إن استعبد وقهر وأسر ولم يضرره ظلمة الجبّ ووحشته وما ناله أن منَّ الله جل وعز عليه فجعل الجبّار العالي له عبداً بعد إذ كان مالكاً فأرسله ورحم به الله وكذلك الصَّبر يعقب خيراً فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبّر تؤجروا»(٢).

وعن حمزة بن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الجنّة محفوفة بالمكاره والصّبر، فمن صبر على المكاره في الدّنيا دخل الجنّة، وجهنّم محفوفة باللّذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار»(٣).

وعن: سماعة بن مهران عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي: ما حبسك عن الحجّ؟ قال: قلت: جعلت فداك وقع عليّ دين كثير وذهب مالي، وديني الذي قد لزمني هو أعظم من ذهاب مالي فلولا أن رجلاً من أصحابي أخرجني ما قدرت أن أخرج فقال عليه السلام: «إن تصبر تغتبط وإلاّ تصبر ينفذ الله مقاديرها راضياً كنت أم كارهاً»(٤).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد(٥).

وعن محمد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فشكى إليه رجل الحاجة فقال: اصبر فإنّ الله سيجعل لك فرجاً قال: ثمّ سكت ساعة ثم أقبل على الرجل فقال: أخبرني عن سجن الكوفة كيف هو؟ فقال: أصلحك الله ضيّق منتن وأهله بأسوء حال، قال عليه السلام: فإنّما أنت في السجن فتريد أن تكون فيه في سعة أما علمت أن الدنيا سجن

---

(١) الكافي: ٢/ ٨٧ ح٢، وشرح أصول الكافي: ٨/ ٢٧٨ ح١.

(٢) الكافي: ٢/ ٨٩ ح٦، وبحار الأنوار: ٦٨/ ٦٩ ح٣.

(٣) الكافي: ٢/ ٨٩ ح٧، ووسائل الشيعة: ١٥/ ٣٠٩ ح٢٠٦٠٠.

(٤) الكافي: ٢/ ٩٠ ح١٠، ونهج السعادة: ٧/ ٢٩٢.

(٥) الكافي: ٢/ ٩٢ ح١٧، ووسائل الشيعة: ٣/ ٢٥٥ ح٣٥٦٠.

المؤمن، إلى غير هذه مما لا نطيل بذكرها[١].

فإن قلت: ما معنى قوله في الحديث الأوّل: الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجسد؟

قلت: لما كان قوام الجسد وتمامه وكماله إنّما هو بالرأس وبه يتم تصرّفاته ويتمكن من الآثار المترتبة عليه لا جرم شبه عليه السلام الصبر بالرّأس والإيمان بالجسد لأنّ كمال الإيمان وتمامه إنما هو به، أما على القول: بأنّ الإيمان عبارة عن مجموع العقائد الحقة والأعمال فواضح، وأما على القول: بأنّ العمل ليس جزء منه بل هو شرط الكمال فلأنّ الجسد إنما يكمل بالرأس كما أنه يوجد بوجوه، فوجه الشبه هو وصف الكمال فقط ولا يجب في تشبيه شيء بشيء وجود جميع أوصاف المشبه به في المشبه.

ولكنّ الظاهر من قوله: كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان، هو كون العمل هو جزء من الإيمان المستلزم ذهابه لذهابه إلاّ أن يراد منه الإيمان بالكمال وقد تقدم تحقيق الكلام فيه فيما سبق.

ومما ذكرنا أيضاً ظهر وجه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من أن الصبر نصف الإيمان[٢]، وذلك لأن الإيمان إذا كان عبارة عن مجموع المعارف اليقينية الحقة وعن العمل بمقتضى تلك المعارف، فيكون حينئذ مركباً منهما، ومعلوم أن العمل أعني المواظبة على الطاعات، والكف عن المعاصي لا يحصل إلاّ بالصبر على مشاق الطاعة لليقيين بكونها نافعة، وترك لذائذ المعصية لليقين بكونها ضارة فعلى هذا الاعتبار يصح كونه نصف الإيمان.

وذكر الغزالي له وجهاً آخر محصله أن يجعل المراد من الإيمان الأحوال المشمئزة للأعمال وجميع ما يلاقي العبد ينقسم إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضرّه فيهما، وله بالإضافة إلى ما يضرّه حال الصبر، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر، فيكون الصبر أحد شطري الإيمان كما أن الشكر شطره الآخر ولذلك روي عن النبي صلى الله عليه وآله مرفوعاً الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.

ثم إن الصبر تختلف أسماؤه باختلاف موارده وبالإضافة إلى ما يصبر عنه من مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، وما يصبر عليه مما ينفر عنه الطبع من المكاره والأذى.

فإن كان صبراً عن شهوة الفرج والبطن سمي عفة، وإن كان في مصيبة اقتصر على اسم

(١) الكافي: ٢/٢٥٠ ح٦، وشرح أصول الكافي: ٩/٢٠٣ ح٦.

(٢) شرح أصول الكافي: ٨/٢٧٨ ح١، وميزان الحكمة: ٢/١٥٥٧.

الصبر وتضادّه حالة تسمى الجزع، وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده البطر، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضادّه الجبن، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضادّه التذمر والسفه، وإن كان في نائبة من نوائب الزّمان سمي سَعة الصدر ويضاده الضجر وضيق الصدر، وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السرّ وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً، ويضادّه الحرص وإن كان على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره.

وبالجملة فأكثر مكارم الإيمان داخل في الصبر ولأجل ذلك لما سئل النبي ﷺ مرة عن الإيمان فقال: «هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها» هذا.

وأما أقسامه فقد فصلها أبو حامد الغزالي في كتاب إحياء العلوم وملخصها: أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي يخالفه، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما فهو إذا لا يستغنى قط عن الصبر.

النوع الأول: ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الاتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، فإنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى.

النوع الثاني: ما لا يوافق الهوى وهو على ثلاثة أقسام لأنه إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، وإما أن لا يرتبط باختياره كالآلام والمصائب وإما أن لا يرتبط باختياره، ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه.

أما القسم الأول: وهو ما يرتبط باختيار العبد فعلى ضربين:

الضرب الأول الطاعات والعبد يحتاج إلى الصبر علهيا، والتحمل عن مشاقها لأن النفس بالطبع تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله أنا ربّكم الأعلى ولكن فرعون وجد له مجالاً وقبولاً من قومه، فأظهره وأطاعوه وما من أحد إلاّ ويدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان ممتنعاً من إظهاره.

ثمّ نفرة النّفس عن العبادة إما بسبب الكسل كالصلاة وإما بسبب البخل كالزكاة أو بسببهما كالحج والجهاد والعبد محتاج إلى الصبر في جميعها.

الضرب الثاني: المعاصي وتركها والكف عنها أصعب على النفس لرغبتها بالطبع إليها فيحتاج إلى الصبر عنها وأشد أنواع الصبر عن المعاصي الصبر على المعاصي المألوفة

المعتادة كحصائد الألسنة من الكذب والغيبة والبهتان ونحوها فمن لم يتمكن من الصبر عنها فيجب عليه العزلة والانفراد لأن الصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة، وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف دواعي المعصية قوة وضعفاً.

وأما القسم الثاني وهو ما لا يرتبط باختيار العبد أصلاً: فكالمصائب والبلايا والآلام والأسقام من فقد الأحبّة وموت الأعزّة وذهاب المال وتبدّل الصحّة بالمرض والغنى بالفقر، والبصر بالعمى وغيرها، والصبر على هذه هو الذي بشّر الموصوفون به في الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦] وأوحى سبحانه إلى داود عليه السلام يا داود: «تريد وأريد وإنّما يكون ما أريد فإن سلّمت لما أُريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أُريد أتعبتك فيما تريد ثمّ لا يكون إلا ما أُريد».

وأما القسم الثالث وهو ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه: كما لو أُوذي بفعل أو قول وجنى عليه في نفسه أو ماله أو نحو ذلك فالصبّر على ذلك بترك المكافاة، والانتقام تارة يكون واجباً وتارة يكون مندوباً قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦].

وعن الإنجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام: «لقد قيل لكم من قبل أن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخدّ الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين»(١)، وكلّ ذلك أمر بالصبر على الأذى.

وفي الكافي عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا حفص: إن من صبر صبر قليلاً وإن من جزع جزع قليلاً. ثمّ قال: عليك بالصبر في جميع أُمورك فإن الله عزّ وجلّ بعث محمداً صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرفق فقال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ [المزمل: ١٠] وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نالوه بالعظائم ورموه بها فضاق صدره فأنزل الله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

---

(١) فيض شرح القدير: ٤/ ٢٥٩ ح ٥٠٠٤.

ثمّ كذّبوه ورموه فحزن لذلك ﷺ فأنزل الله عزّ وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٣] فألزم النبي ﷺ نفسه الصبر فتعدّوا، فذكروا الله عزّ وجلّ وكذبوه فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فصبر ﷺ في جميع أحواله.

ثم بشّر في عترته بالأئمة ووصفوا بالصّبر فقال جل ثناؤه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤] فعند ذلك قال النبي ﷺ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عز وجل له فأنزل الله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧] فقال النبي ﷺ أنه بشرى وانتقام.

فأباح الله عز وجل قتال المشركين فأنزل: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩] ﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩] فقتلهم الله على يدي رسوله ﷺ وأحبائه وجعل له ثواب صبره وعجل الله الثواب مع ما ادخّر له في الآخرة فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله جل وعز عينه في أعدائه مع ما يدخر له في الآخرة[١].

اللهم اجعلنا صابرين على بلائك، راضين بقضائك، شاكرين على نعمائك متمسكين بالعروة الوثقى والحبل المتين من ولاية أوليائك محمد وعترته الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين.

---

(١) الكافي: ٢٠/٨٩ ح٣، وتحف العقول: ١٤٢.

الترجمة

از جلمه خطب شريفه آن ولى ربّ العالمين و وصىّ خاتم النبيّين است متضمّن مدايح حضرت رسالت (ﷺ) و مبيّن بعض وظايف امامت و مشتمل بر فضيلت تقوى و پرهيزكارى و مذمّت بيوفايى دنياى فانى، مى فرمايد:

پيغمبر خدا (ﷺ) امين وحى پروردگار است و ختم كننده پيغمبران حضرت آفريدگار و مژده دهنده است به رحمت او و ترساننده است از عقوبت آن. اى مردمان، به درستى قابل و لايق مردمان به اين امر خلافت، قوى ترين ايشان است بر او و داناترين ايشان است به اوامر خدا در آن، پس اگر كسى مهيّج شرّ و فساد بشود، طلب مى شود رجوع او به سوى حق و اگر امتناع نمايد بايد مقاتله بشود.

قسم به زندگانى خودم، اگر باشد امامت اين كه منعقد نباشد تا اين كه حاضر بشود عموم خلايق نيست به سوى او هيچ طريق و ليكن اهل امامت حكم مى كنند به هر كس كه غايب بشود در مجلس بيعت، پس از آن نيست حاضر را اين كه رجوع نمايد از بيعتى كه نموده و نه غايب را اين كه صاحب اختيار باشد.

آگاه باشيد كه به درستى كه من مقاتله مى كنم با دو كس: يكى آن كه ادّعا نمايد چيزى را كه حقّ او نيست و ديگرى آن كه منع نمايد حقّى را كه بر ذمّه او است.

وصيّت مى كنم من شما را اى بندگان خدا به تقوى و پرهيزكارى خدا، پس به درستى كه آن تقوى بهترين چيزى است كه وصيت كرده اند بندگان به آن و بهترين عواقب امورات است نزد خدا و به تحقيق مفتوح شد باب جنگ در ميان شما و در ميان اهل قبله و حامل نمى شود اين علم به وجوب قتال اهل قبله را، مگر اهل بصيرت و صبر و مگر صاحب علم به مواضع حق، پس امضاء بكنيد هر چيزى را كه مأمور مى شويد به آن و توقف نماييد نزد چيزى كه نهى كرده مى شويد از آن و تعجيل نكنيد در كارى تا اين كه درست بفهميد حقيقت آن را، پس به درستى كه ما را است با هر چيزى كه شما انكار نماييد آن را تغيير و تبديلى.

آگاه باشید به درستی که این دنیا که صباح کردید شما در حالتی که آرزو می کنید آن را و رغبت می نمایید در آن و صباح کرد آن در حالتی که شما را گاهی به غضب می آورد و گاهی خوشنود می نماید، نیست آن خانه شما و نه منزل شما که خلق شده اید از برای آن منزل و نه جایی که خوانده شده اید به سوی آن.

آگاه باشید که آن دنیا باقی نخواهد ماند از برای شما و نه شما باقی خواهید ماند بر آن و آن اگرچه مغرور ساخته است شما را از طرف خود، پس به تحقیق که ترساننده است شما را از شرّ خود، پس ترك نمایید فریفتن آن را از برای ترساندن آن و طمع آوردن او را از برای تخویف آن و سبقت نمایید در آن به سوی خانه ای که دعوت شده اید به سوی آن و رجوع نمایید با قلبهای خودتان از آن دنیا.

و البته باید ناله نکند هیچ یك از شما مثل ناله کردن کنیز به آن چه که برچیده شده است از او از دنیا و طلب نمایید تمامیّت نعمت خدا را بر خودتان با صبر کردن بر طاعت خدا و با محافظت کردن بر چیزی که خدا طلب کرده است از شما محافظت آن را در کتاب عزیز خود.

آگاه باشید به درستی که ضرر نمی رساند به شما ضایع نمودن چیزی از دنیای خودتان بعد از این که شما حفظ نموده باشید ستون دین خود را. آگاه باشید که به درستی که منفعت نمی بخشد به شما بعد از ضایع کردن دین خود، چیزی که محافظت نمایید به آن از امر دنیای خود.

فراگیرد خدای تبارك و تعالی قلب های ما و قلب های شما را به سوی حق و الهام فرماید به ما و شما صبر و بردباری را.

ومن خطبة له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله
وهي المائة والثالثة والسبعون من المختار في باب الخطب

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلاَ أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَىٰ ما وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ، وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ إلاّ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطالَبَ بِدَمِهِ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرادَ أَنْ يُغالِطَ بِما أَجابَ فِيهِ لِيُلْبِّس الْأَمْرَ، وَيَقَعَ الشَّكُّ، ووَاللَّهِ ما صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ واحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ: لَئِنْ كانَ ابنُ عَفّانَ ظالِماً كَما كانَ يَزْعَمُ لَقَدْ كانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوازِرَ قاتِلِيهِ وَأَنْ يُنابِذَ ناصِرِيهِ، وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً كانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ، والْمُعْذِرِينَ فِيهِ، وَلَئِنْ كانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخِصْلَتَيْنِ لَقَدْ كانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جانِباً ويَدَعَ النّاسَ مَعَهُ فما فَعَلَ واحِدَةً مِنَ الثَّلاثِ، وجاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بابُهُ وَلَمْ تُسْلَمْ مَعاذيرُهُ[١].

اللغة

(تجرد) زيد لأمره جدّ فيه و**(مظنّة)** الشيء بكسر الظّاء الموضع الذي يظنّ فيه وجوده **(وأجلب)** فيه قال ابن الأثير في محكى النّهاية في حديث علي عليه السلام: أراد أن يغالط بما أجلب فيه يقال أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتألّبوا وأجلبه أي أعانه وأجلب عليه إذا صاحه واستحثّه **(ولبس)** عليه الأمر يلبسه من باب حسب خلطه وألبسه غطاه وأمر ملبس وملتبس بالأمر مشتبه و**(نهنهه)** عن الأمر كفّه وزجره و**(عذرته)** فيما صنع أي رفعت عنه اللوم فهو معذور أي غير ملوم وأعذرته لغة.

وقال الشّارح البحراني: المعذر بين بالتّخفيف المعتذرين عنه وبالتّشديد المظهرين للعذر مع أنه لا عذر.

الإعراب

قوله عليه السلام: قد كنت، قال الشارح المعتزلي: **(كان)** هنا تامّة أي خلقت ووجدت وأنا بهذه الصفة ويجوز أن تكون **(الواو)** زائدة ويكون **(كان)** ناقصة وخبرها **(ما أُهدد)** كما في المثل «لقد كنت وما أخشى الذئب» وجملة **(وأنا على ما وعدني)** يحتمل الحال والاستئناف.

(١) البحار: ٣١/٥٩٩، والغدير: ٩/٩١.

المعنى

قال الشارح البحراني: وهذا الفصل من كلام قاله عليه السلام حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة وتهديدهم له عليه السلام بالحرب.

أقول: وقد مضى في شرح الخطبة الثانية والعشرين ما ينفعك ذكره في هذا المقام إذ الخطبتان مسوقتان لغرض واحد، ومتطابقتان في بعض الفقرات، فيراجع ثمّة.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ قوله عليه السلام: **(قد كنت وما أهدّد بالحرب ولا أرهب بالضرب)** جواب عن تهديدهم له وترهيبهم إيّاه، فقد بعثوا إليه عليه السلام أن أبرز للطعان واصبر للجلاد فأجاب عليه السلام: بأنّ التهديد والترهيب إنّما هو في حق الجبان الضعيف الجأش لا في حق الشجعان ذوي النجدة والمراس وحاله عليه السلام في الشجاعة كان أمراً قد اشتهر وبان وظهر، وتضمنته الأخبار والسير فاستوى في العلم به البعيد والقريب، واتفق على الإقرار به البغيض والحبيب. ومن كان هذا شأنه فلا يليق له التخويف والترعيب.

وأكّد الجواب بقوله: **(وأنا على ما وعدني ربّي من النصر)** يعني أنّي على يقين بما وعدني ربّي من النصرة والغلبة، ومن كان قاطعاً بذلك فلا يحذر ولا يخاف البتة.

ثمّ أشار إلى نكتة خروج طلحة إلى البصرة بقوله: **(والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان)** أي مجداً فيه **(إلا خوفاً من أن يطالب بدمه)** يعني أنّ علّة خروجه واستعجاله في قلب الدّم وتجرّده له ليست ما شهره بين الناس من أن عثمان قتل مظلوماً ويجب الانتصار للمظلوم من الظالم حسبه، وإنّما علّته هو الخوف على نفسه من أن يطالب بدمه **(لأنّه)** كان **(مظنّته ولم يكن في القوم أحرص عليه)** أي على دم عثمان **(منه)** لما قد عرفت في شرح الخطبة الثانية والعشرين وشرح الكلام الثلاثين أنّه كان أول من ألب الناس على عثمان وأغرى بدمه وأشدّهم إجلاباً عليه.

وأقول هنا: مضافاً إلى ما سبق أن قاله الشارح المعتزلي: قد كان طلحة أجهد نفسه في أمر عثمان والإجلاب عليه والحصر له والإغراء به، ومنته نفسه الخلافة، بل تلبس بها وتسلّم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها وقابل الناس وأحدقوا به ولم يبق إلاّ أن يصفق بالخلافة على يده.

قال الشارح: وروى المدائني في كتاب مقتل عثمان أن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام وأن علياً عليه السلام لم يبايع الناس إلاّ بعد قتل عثمان بخمسة أيام وأن حكيم ابن حزام وجبير بن مطعم استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة تعرف بحشّ كوكب، كانت اليهود يدفن فيه

موتاهم فلما صار هنا رجم سريره وهموا بطرحه فأرسل علي عليه السلام إلى الناس يعزم عليهم لتكفوا عنه فكفّوا، فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب[١].

قال: وروى الواقدي قال: لما قتل عثمان تكلموا في دفنه فقال طلحة: يدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود[٢].

وبالجملة فهو كما قال عليه السلام: لم يكن في القوم أحرص على قتل عثمان منه لكنه أراد أن يشبه على الناس **(فأراد أن يغالط)** أي يوقع في الغلط **(بما أجلب فيه)** أي بسبب إعانته في دمه وحثه على قتله **(ليلبس الأمر)** ويخلطه وفي نسخة البحراني ليلتبس الأمر أي يشتبه **(ويقع الشكّ)** في دخوله في قتله ثمّ احتجّ عليه السلام وأبطل عذره في الخروج والطلب بدمه بقضية شرطية منفصلة محصلها أن عثمان عنده وعلى زعمه إما أن يكون ظالماً أو مظلوماً وأما أن يكون مجهول الحال، وعلى كل من التقادير الثلاثة كان اللازم عليه القيام بما يقتضيه مع أنه لم يقم به كما يفصح عنه قوله عليه السلام مؤكداً بالقسم البار: **(ووالله ما صنع في أمر عثمان)** خصلة **(واحدة من)** خصال **(ثلاث)** هي مقتضيات التقادير الثلاثة التي أشرنا إليها إجمالاً وأشار إلى تفصيلها بقوله: **(لئن كان ابن عفان ظالماً)** ظلماً يوجب حلّ دمه **(كما كان يزعم)** ذلك حين قتله **(لقد كان ينبغي له)** ويجب عليه **(أن يوازر قاتليه)** أي ساعدهم ويحامي عنهم بعد قتل عثمان **(وأن ينابذ ناصريه)** ويعاندهم ويتركهم بوجوب الإنكار على فاعل المنكر مع أنّه قد عكس الأمر لأنّه نابذ قاتليه ووازر ناصريه وثار معهم في طلب دمه **(ولئن كان مظلوماً)** محرّم القتل كما يقوله الآن ويشهّره بين الناس **(لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شكّ من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد)** أي ليكن **(جانباً)** أي يتباعد عنه ولا يأمر بقتله ولا ينهى عنه **(ويدع الناس معه)** يفعلون ما يشاؤون مع أنه لم يفعل ذلك أيضاً بل أضرم نار الفتنة وصلى بها وأصلاها غيره **(فما فعل واحدة من الثلاث وجاء بأمر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره)** أي أتى بأمر لم يعرف وجهه واعتذر في نكثه وخروجه بمعاذير لم تكن سالمة إن قد عرفت في تضاعيف الشرح أنّ عمدة معذرته في البغي والخروج هو المطالبة بدم عثمان وأنه قتل مظلوماً وقد أبطل عليه السلام اعتذاره بذلك هنا بما عرفت.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/٦، والغدير: ٩/٩٣ ح٦.

(٢) شرح أصول الكافي: ٦/٢٧٧، والغدير: ٩/٩٣ ح٧.

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار است که توجیه خطاب در آن به سوی طلحة بن عبیدالله خذله الله است، می فرماید:

به تحقیق که موجود بودم در حالتی که تهدید کرده نشده ام به جنگ و تخویف کرده نشده ام به زدن و من ثابت هستم بر چیزی که وعده داده است مرا پروردگار من از نصرت و یاری و به حقّ خدا تعجیل نکرد طلحه در حالتی که مجدّ و مصرّ بود از برای مطالبه خون عثمان، مگر از برای ترس از این که مطالبه کرده شود به خون او، از جهت این که او مورد تهمت آن خون بود و نبود در میان قوم حریص تر بر قتل عثمان از طلحه، پس خواست او که مردم را به غلط افکند به سبب اعانت و جمع آوری او در قتل آن تا این که بپوشد و خلط نماید امر را بر مردمان و واقع شود شك.

و به حق خدا ننمود طلحه در کار عثمان یکی از سه خصلت را اگر بود پسر عفان ظالم و ستم کار، چنان چه طلحه گمان می برد، هرآینه بود سزاوار او را آن که حمایت بکند قاتلین آن را یا دشمنی آشکارا نماید با ناصرین آن و اگر بود مظلوم و ستم رسیده، هرآینه بود سزاوار از برای او آن که باشد از بازدارندگان مردم از کشتن او و از عذرآورندگان در حق او و اگر بود در شك از این دو خصلت (یعنی در ظالمیّت و مظلومیّت عثمان) هرآینه بود سزاوار مراورا آن که اعتزال ورزد و بایستد در کنار و بگذارد مردمان را با عثمان به حال خودشان، پس نکرد هیچ یك از این سه کار را و آورد کاری را که شناخته نشد در آن و به سلامت نماند عذرخواهی های او.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والرابعة والسبعون من المختار في باب الخطب

أَيُّهَا الْغافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، والتَارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مالي أَرَيكُمْ مِنَ اللَّهِ ذاهِبِينَ، وَإِلىٰ غَيْرِه راغِبينَ، كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَراحَ بِها سائِمٌ إِلىٰ مَرْعيً وَبِيٍّ، ومَشْرَبٍ دَوِيٍّ، إِنَّما هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لاَ تَعْرِفُ ماذا يُرادُ بِها إِذا أُحْسِنَ إِلَيْها، تَحْسِبُ يَوْمَها دَهْرَها، وَشِبَعَها أَمْرَها، وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِه، ومَوْلِجِه وجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلٰكِنْ أَخافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَلاَ وَإِنِّي مُفْضيهِ إِلى الْخاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ، وَالَّذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ واصْطَفاهُ عَلى الْخَلْقِ ما أَنْطِقُ إِلاّ صادِقاً، وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّه وبِمَهْلَكِ مَنْ يَهْلِكُ ومَنْجى مَنْ يَنْجُو وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ، وَمَا أَبْقَىٰ شَيْئاً يَمُرُّ عَلَىٰ رَأْسي إِلا أَفْرَغَهُ في أُذُنَيَّ، وأَفْضى بِهِ إِلَيَّ، أَيُّها النّاسُ وَاللَّهِ ما أَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طاعَةٍ إِلاّ وأَسْبِقُكُمْ إِلَيْها، وَلاَ أَنْهيكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلا وَأَتَناهىٰ قَبْلَكُمْ عَنْها[1].

اللغة

(**النعم**) بالتحريك جمع لا واحد له من لفظه وأكثر إطلاقه على الإبل و(**أراح**) الإبل ردّها إلى المراح وهو بالضمّ مأوى الماشية باللّيل وبالفتح الموضع الذي يروح منه القوم أو يروحون إليه و(**سامت**) الماشية سوماً رعت بنفسها فهي سائمة وتتعدّى بالهمزة فيقال أسامها راعيها أي أرعيها و(**الوبيّ**) بالتشديد ذو الوباء والمرض وأصله الهمزة و(**الدّوي**) ذو الداء والأصل في الدويّ دوي بالتخفيف ولكنه شدّد للازدواج قال الجوهري: رجل دوي بكسر الواو أي فاسد الجوف من داء و(**المدى**) بالضمّ جمع مدية وهي السكين و(**الشبع**) وزان عنب ضد الجوع.

الإعراب

(**غير المغفول**) صفة للغافلون وصحة كون غير صفة للمعرفة مع توغله في النكارة وعدم قبوله للتعريف ولو أضيف إلى المعارف من حيث إنه لم يرد بالغافلين طائفة معيّنة فكان فيه شائبة الإبهام وصحّ بذلك وصفه بالنكرة كما في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ على قول من يجعل (**غير**) وصفاً للذين لا بدلاً منه، والاستفهام في قوله:

(١) ميزان الحكمة: ١/ ١٤٢، وشرح نهج البلاغة: ١٠/ ١٠/ ح١٧٦.

(ما لي أراكم) للتعجب كما في قوله: ما لي لا أرى الهدهد و**(سائم)** فاعل أراح كما يستفاد من شرح المعتزلي والعلامة المجلسي رحمه الله.

وقوله: **(تحسب يومها دهرها وشبعها أمرها)**، الظاهر أن يومها ثاني مفعول تحسب وكذلك شبعها والتقديم على الأول لقصد الحصر.

المعنى

اعلم أن مدار هذه الخطبة الشريفة على فصلين:

الفصل الأول

في إيقاظ الغافلين وتنبيه الجاهلين من رقدة الغفلة والجهالة وهو قوله:

(أيها الغافلون غير المغفول عنهم) الظاهر أنّ لكل من اتصف بالغفلة من المكلفين أي الذين غفلوا عما أريد منهم من المعارف الحقة والتكاليف الشرعية ولم يغفل عنهم وعما فعلوا، لكون أعمالهم مكتوبة محفوظة في اللّوح المحفوظ وصحائف الأعمال وكلّ ما فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر.

(والتاركون) لما أمروا به من الفرائض والواجبات **(المأخوذ منهم)** ما اغتروا به من الأهل والمال والزخارف والقينات **(مالي أراكم عن الله ذاهبين)** كناية عن إعراضهم عن الله سبحانه والتفاتهم إلى غيره تعالى **(وإلى غيره راغبين)** إشارة إلى رغبتهم في زهرة الحياة الدنيا وإعجابهم بها.

(كأنكم نعم أراح بها سائم إلى مرعى وبيّ ومشرب دوي) شبههم بأنعام ذهب بها سائم إلى مرعى ومشرب وصفهما ما ذكر والمراد بالسائم حيوان يسوم ويرعى وهو المستفاد من الشارح المعتزلي حيث قال: شبههم بالنعم التي تتبع نعماً أخرى سائمة أي راعية، وإنما قال ذلك لأنها إذا تبعت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يسميها راعيها، انتهى.

وفسّره الشارح البحراني بالراعي أي الذي يراعي النعم ويحفظها ويواظب عليها من الرعاية وهو المراعاة والملاحظة قال: شبههم بالنعم التي أراح بها راعيها إلى مرعى كثير الوفاء والداء، ووجه الشبه أنهم لغفلتهم كالنعم ونفوسهم الأمّارة القائدة لهم إلى المعاصي كالراعي القائد إلى المرعى الوبيّ ولذات الدنيا ومشتهياتها وكون تلك اللّذات والمشتهيات محل الآثام التي هي مظنّة الأخروي والداء الدّويّ تشبه المرعى الوبيّ والمشرب الدويّ انتهى.

أقول: وهذا أقرب لفظاً وما قاله الشارح المعتزلي أقرب معنى، وذلك لأن لفظ السائم

على قول المعتزلي بمعنى الراعي من الرعي وهذا لا غبار عليه من حيث المعنى إلا أنه يحتاج حينئذ إلى حذف الموصوف أي حيوان سائم ونحوه وهو خلاف الأصل، وأما على قول البحراني فلا حاجة إلى الحذف إلا أن كون السائم بمعنى الراعي من الرعاية مما لم يقل به أحد، وكيف كان فالمقصود تشبيههم بأنعام اشتغلت بالماء والكلاء وغفلت عما في باطنهما من السم الناقع ودوى الداء.

(إنما هي كالمعلوفة للمدى) والسكاكين **(لا تعرف ماذا يراد بها إذا أحسن إليها)** أي تزعم وتظن أن العلف إحسان إليها على الحقيقة ولا تعرف أن الغرض من ذلك هو الذبح والهلاك **(تحسب يومها دهرها)** يعني أنها لكثرة إعجابها لعلفها في يومها تظن أن دهرها مقصور على ذلك اليوم ليس لها وراءه يوم آخر، وقيل معناه أنها تظن أن ذلك العلف والإطعام كما هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلاً لها أبداً.

(وشبعها أمرها) أي تظن انحصار أمرها وشأنها في الشبع مع أن غرض صاحبها من إطعامها وإشباعها أمر آخر.

الفصل الثاني

في الإشارة إلى بعض مناقبه الجميلة ومقاماته الجليلة وهو قوله:

(والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت) أي لو أشاء لأخبر كل واحد منكم بأنّه من أين خرج وأين دخل وكيفيّة خروجه وولوجه وأخبر بجميع شأنه وشغله من أفعاله وأقواله ومطعمه ومشربه وما أكله وما ادخره في بيته وغير ذلك مما أضمروه في قلوبهم وأسرّوه في ضمائرهم كما قال المسيح عليه السلام «انبئكم بما تأكلون وتدّخرون في بيوتكم».

(ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله ﷺ) قال الشارح المعتزلي: أي أخاف عليكم الغلوّ في أمري وأن تفضلوني على رسول الله ﷺ، بل أخاف عليكم أن تدّعوا في الألهيّة كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح لما أخبرهم بالأمور الغيبية ومع أنه قد كتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله ﷺ فقد كفر كثير منهم وادعو فيه النبوة وادّعوا فيه أنه شريك الرسول في الرسالة وادّعوا فيه أنه هو كان الرسول ولكن الملك غلط فيه وادّعوا أنه الذي بعث محمداً ﷺ إلى الناس وادعوا فيه الحلول وادعوا فيه الاتحاد ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلالة فيه إلا وقالوه واعتقدوه.

أقول: ويحتمل أن يكمن مراده عليه السلام بكفرهم فيه كفرهم بإسناد التقصير إلى النبي ﷺ في إظهار جلالته عليه السلام وعلوّ شأنه وسمو مقامه، ومن ذلك أن النبي عليه السلام لما أفصح عن بعض

فضائله عليه السلام نسبه المنافقون إلى الضلال وإلى أنه ينطق عن الهوى حتى كذبهم الله تعالى فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾.

روى في الصّافي من المجالس عن ابن عباس قال: صلّينا العشاء الآخرة ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما سلم أقبل علينا بوجهه ثم قال: إنه سينقض كوكب من السماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيّي وخليفتي والإمام بعدي، فلما كان قرب الفجر جلس كلّ واحد منا في داره ينتظر سقوط الكوكب في داره وكان أطمع القوم في ذلك أبي العبّاس بن عبد المطلب، فلما طلع الفجر انقض الكوكب من الهوا فسقط في دار عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ والذي بعثني بالنبوة لقد وجبت لك الوصيّة والإمامة والخلافة بعدي، فقال المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه لقد ضلّ محمد في محبّة بن عمّه وغوى وما ينطق في شأنه إلا بالهوى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝﴾ يقول عزّ وجل وخالق النجم إذا هوى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني في محبّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿وما غوى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝﴾ يعني في شأنه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ١ ـ ٤].

ومن هذا الباب أيضاً ما في الكافي عن أبي بصير قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فيك شبهاً من عيسى بن مريم عليه السلام لولا أن يقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملاء من النّاس إلا أخذوا التراب من تحت قدمك، قال: فغضب الإعرابيان والمغيرة بن شعبة وعدّة من قريش معهم فقالوا: ما رضى أن يضرب لابن عمّه مثلاً إلا عيسى بن مريم، فأنزل الله على نبيّه ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا﴾ يعني من بني هاشم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٥٨] قال: فغضب الحارث بن عمرو الفهري فقال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] إن بني هاشم يتوارثون هرقلاً بعد هرقل ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٣] فأنزل الله عليه مقالة الحارث ونزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝﴾ ثم قال عليه السلام له: يابن عمرو إما تبت وإما رحلت، فدعى براحلته فركبها فلما صار بظهر المدينة أتته جندلة فرضت هامته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حوله من المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتانا استفتح، قال الله عز وجل: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝﴾ هذا[1].

---

(١) الكافي: ٨/٥٧، ومدينة المعاجز: ٢/٢٦٦.

ولما ذكر أن أخباره ببعض المغيبات مؤد إلى الكفر والضلال لقصور الاستعداد والقابليّة لأكثر النفوس البشرية عن تحمل الأسرار الغيبيّة استدرك ذلك بقوله: **(ألا وإني مفضيه)** أي مفض به وموصل له ومؤد إياه **(إلى الخاصة)** أي إلى خواص أصحابي **(ممن يؤمن ذلك)** أي الغلو والكفر **(منه)** بما له من الاستعداد **(والذي بعثه)** أي رسول الله ﷺ **(بالحق واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً ولقد عهد إلي)** رسول الله ﷺ **(بذلك كله)** أي بجميع ما أخبر به **(وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو)** أي بهلاك الهالكين ونجاة الناجين أو بمكان هلاكهم ومكان نجاتهم أو زمانهما.

والمراد بالهلاك إما الهلاك الدنيوي أي الموت أو القتل أو الهلاك الأخروي أعني الضلال والشقاء وكذلك النجاة (و) بـ**(مآل هذا الأمر)** أي أمر الخلافة أو الدين وملك الإسلام ومآله انتهائه بظهور القائم وما يكون في آخر الزمان **(وما أبقى)** أي الرسول ﷺ **(شيئاً يمر على رأسي)** من اغتصاب الخلافة وخروج الناكثين والقاسطين والمارقين وقتالهم ومن الشهادة بضربة ابن ملجم المرادي لعنه الله وغير ذلك مما جرى عليه بعده **(إلا أفرغه)** أي صبه **(في أذني وأفضى به)** أي أوصله وألقاه **(إليّ)** وأعلمني به وأسره إليّ.

ثم قال: **(أيها الناس والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها ولا إنهاكم عن معصية إلا وأتناهي قبلكم عنها)** لأن الأمر بالمعروف بعد الإتيان به والنهي عن المنكر بعد التناهي عنه أقوى تأثراً وأكثر ثمراً كما مرّ في شرح الفصل الثاني من الخطبة المائة والرابعة، وقد لعن الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به في الخطبة المائة والتاسعة والعشرين.

تبصرة

ما تضمنه ذيل هذه الخطبة من علمه عليه السلام بالغيب قد مر تحقيق الكلام فيه في شرح الفصل الثاني من الخطبة المائة والثامنة والعشرين وأوردنا ثمة بعض أخباره الغيبية وقدمنا فصلاً مشبعاً من أخباره عن الغيوب في شرح الكلام السادس والخمسين وشرح الخطبة الثانية والتسعين، وأحببت أن أورد طرفاً صالحاً منها هنا مما يناسب المقام نقلاً من كتاب مدينة المعاجز تأليف السّيد السند الشارح المحدّث السيّد هاشم البحراني قدّس سره فأقول:

منها ما رواه عن ابن شهر آشوب بسنده عن إسماعيل بن أبي زياد قال: إن علياً عليه السلام قال للبراء بن عازب: يا براء يقتل ابني الحسين عليه السلام وأنت حي لا تنصره، فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يقول: صدق والله أمير المؤمنين عليه السلام وجعل يتلهف[1].

(١) بحار الأنوار: ٤١/ ٥ ح٣، ومناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٠٦.

ومنها ما رواه عن ابن شهر آشوب عن سفيان بن عيينة عن طاووس اليماني أنه قال علي عليه السلام لحجر البدري: يا حجر إذا وقعت على منبر صنعاء وأمرت بسبّي والبراءة منّي قال: فقلت: أعوذ بالله من ذلك، قال عليه السلام: والله إنه لكائن، فإذا كان كذلك فسبّني ولا تتبرأ مني فإنه من تبرأ منّي في الدّنيا تبرّأت منه في الآخرة[١].

قال طاووس فأخذه الحجّاج على أن يسبّ علياً عليه السلام فصعد المنبر وقال: أيّها الناس إنّ أميركم هذا أمرني أن ألعن علياً فألعنوه لعنه الله.

ومنها ما رواه عن ابن شهر آشوب عن عبد الله بن أبي رافع قال: حضرت أمير المؤمنين عليه السلام وقد وجه أبا موسى الأشعري فقال له: أحكم بكتاب الله ولا تجاوزه، فلما أدبر قال عليه السلام: وكأنّي به وقد خدع، قلت: يا أمير المؤمنين فلم توجهه وأنت تعلم أنه مخدوع؟ فقال عليه السلام: يا بني لو عمل الله في خلقه بعلمه ما احتج عليهم بالرّسل[٢].

ومنها ما رواه عن ابن شهر آشوب أنه عليه السلام أخبر بقتل جماعة منهم حجر بن عدي ورشيد الهجري وكميل بن زياد وميثم التّمار ومحمد بن أكثم وخالد بن مسعود وحبيب بن المظاهر وحويرثه وعمرو بن الحمق ومزرع وغيرهم، ووصف قتلهم وكيفية قتلهم عبد العزيز بن صهيب عن أبي العالية قال: حدّثني مزرع بن عبد الله قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول أما والله ليقبلنّ جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم فقلت: هذا علم غيب، قال: والله ليكونن ما أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام وليأخذن رجل فليقتلن وليصلبن بين شرفتين من شرف هذا المسجد، فقلت: هذا ثان، قال: حدّثني الثقة المأمون علي بن أبي طالب عليه السلام قال أبو العالية: فما أتت علينا جمعة حتى أُخذ مزرع وصلب بين الشرفتين[٣].

ومنها ما رواه عن البرسي عن محمد بن سنان وساق الحديث قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول لعمر[٤]: يا عمر يا مغرور إني أراك في الدنيا قتيلاً بجراحة من عبد أم معمر تحكم عليه جوراً فيقتلك توقيعاً يدخل بذلك الجنّة على رغم منك[٥].

ومنها ما رواه عن ثاقب المناقب عن إبراهيم بن محمد الأشعري عمّن رواه قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يبعث بمال إلى البصرة فعلم ذلك رجل من أصحابه فقال: لو أتيته

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٠٤، ومدينة المعاجز: ٢/ ١٨٢.
(٢) مدينة المعاجز: ٢/ ١٨٥، وبحار الأنوار: ٤١/ ٣١٠.
(٣) الإرشاد للمفيد: ١/ ٣٢٧، وشرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٩٥.
(٤) عمر بن الخطاب.
(٥) بحار الأنوار: ٣٠/ ٢٧٦ ح١٤٨، ومجمع النورين: ٢٢٢.

فسألته أن يبعث معي بهذا المال فإذا دفعه إليّ أخذت طريق المكرجة فذهبت به، فأتاه وقال: بلغني أنك تريد أن تبعث بمال إلى البصرة، قال: نعم قال: فادفعه إليّ فأبلغه تجعل لي ما تجعل لمن تبعثه فقد عرفت صحبتي قال: فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: خذ طريق المكرجة[١].

ومنها ما رواه عن الخصيبي في هدايته بإسناده عن فضيل بن الزبير قال: مر ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر عند مجلس بني أسد فتحدّثا حتّى التقت أعناق فرسيهما، ثم قال حبيب: لكأني برجل أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرّزق وقد صلب في حبّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ويبقر بطنه على الخشبة، فقال ميثم: وأني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال براسه بالكوفة وأجيز الذي جاء به ثمّ افترقا، فقال أهل المجلس، ما رأينا أعجب من أصحاب أبي تراب يقولون إن علياً عليه السلام أعلمهم بالغيب، فلم يفترق أهل المجلس حتّى أقبل رشيد الهجري ليطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما فقالوا قد افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، قال رشيد لهم: رحم الله ميثماً وحبيباً قد نسي أنه يزاد في عطاء الذي يجيء برأسه مائة درهم، ثم ولى، فقال أهل المجلس: هذا والله أكذبهم، فما مرّت الأيام حتى رأى أصحاب المجلس ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر من كربلا وقد قتل مع الحسين بن علي عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله، وزيد في عطاء الذي حمل رأس حبيب مائة درهم كما ذكر ورؤي كلما قاله أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أخبرهم به أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

ومنها ما رواه عن الخصيبي مسنداً عن أبي حمزة الثّمالي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله سرية فقال: تصلون ساعة كذا وكذا من الليل أرضاً لا تهتدون فيهاسيراً فإذا وصلتم إليها فخذوا ذات الشمال فإنكم تمرّون برجل فاضل خيّر فتسترشدونه فيأبى أن يرشدكم حتى تأكلوا من طعامه ويذبح لكم كبشاً فيطعمكم ثم يقوم معكم فيرشدكم على الطريق فاقرؤوه مني السلام واعلموه أني قد ظهرت في المدينة.

فمضوا فلمّا وصلوا إلى الموضع في الوقت ضلّوا، فقال قائل منهم: ألم يقل لكم رسول الله صلى الله عليه وآله خذوا ذات الشمال، ففعلوا فمرّوا بالرجل الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله فاسترشدوه الطريق فقال: إنّي لا أرشدكم حتى تأكلوا من طعامي فذبح لهم كبشاً فأكلوا من طعامه وقام معهم فأرشدهم إلى الطريق فقال: أظهر النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة؟ فقالوا: نعم، فأبلغوه

(١) مدينة المعاجز: ٢/٢٨٨.

(٢) الهداية الكبرى: ١٦١، ومدينة المعاجز: ٣/١٨٧.

سلامه فخلّف في شأنه من خلّف ومضى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو عمرو بن الحمق الخزاعي ابن الكاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن درّاج بن عمرو بن سعد بن كعب، فلبث معه صلى الله عليه وآله ما شاء الله.

ثمّ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إرجع إلى الموضع الذي هاجرت إليّ منه فإذا نزل أخي أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة وجعلها دار هجرته فآته»[1].

فانصرف عمرو بن الحمق إلى شأنه حتى إذا نزل أمير المؤمنين عليه السلام أتاه فأقام معه في الكوفة.

فبينا أمير المؤمنين عليه السلام جالس وعمرو بين يديه فقال له: يا عمرو ألك دار؟ قال: نعم، قال: بعها واجعلها في الأزد فإني غداً لو قد غبت عنكم لطلبت فتتبعك الأزد حتى تخرج من الكوفة متوجهاً نحو الموصل، فتمر برجل نصراني فتقعد عنده فتستسقيه الماء فيسقيكه ويسألك عن شأنك فتخبره وستصادفه مقعداً فادعه إلى الإسلام فإنّه يسلم فإذا أسلم فأمرر بيدك على ركبتيه فإنّه ينهض صحيحاً سليماً ويتبعك.

وتمر برجل محجوب جالس على الجادّة فتستسقيه الماء فيسقيك ويسألك عن قصّتك وما الذي أخافك وممن تتوقع فحدثه بأن معاوية طلبك ليقتلك ويمثل بك لإيمانك بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وطاعتك لي وإخلاصك في ولايتي ونصحك لله تعالى في دينك فادعه إلى الإسلام فإنّه يسلم، فأمرر يدك على عينيه فإنه يرجع بصيراً بإذن الله فيتبعانك ويكونان معك وهما اللذان يواريان جثتك في الأرض.

ثمّ تصير إلى الدير على نهر يدعى بالدّجلة فإن فيه صديقاً عنده من علم المسيح عليه السلام ما تجده لك أعون الأعوان على سرّك وما ذاك إلاّ ليهديه الله لك فإذا أحسّت بك شرطة ابن أم الحكم وهو خليفة معاوية بالجزيرة ويكون مسكنه بالموصل فاقصد إلى الصديق الذي في الدير في أعلى الموصل فناده فإنه يمتنع عليك فاذكر اسم الله الذي علّمتك إياه فإنّ الدير يتواضع لك حتى تصير في ذروته فإذا رآك ذلك الراهب الصديق قال لتلميذ معه: ليس هذا أوان المسيح هذا شخص كريم ومحمد قد توفاه الله ووصيّه قد استشهد بالكوفة وهذا من حواريه ثم يأتيك ذليلاً خاشعاً فيقول لك أيّها الشخص العظيم قد أهلتني لما لم أستحقه فبم تأمرني؟ فتقول استر تلميذي هذين عندك وتشرف على ديرك هذا فانظر ماذا ترى، فإذا قال لك إنّي أرى خيلاً غامرة نحونا.

---

(١) مدينة المعاجز: ٣/ ١٨٠.

فخلّف تلميذيك عنده وأنزل واركب فرسك وأقصد نحو غار على شاطىء الدجلة تستتر فيه فإنه لا بد من أن يسترك وفيه فسقة من الجن والإنس، فإذا استترت فيه عرفك فاسق من مردة الجن يظهر لك بصورة تنين فينهشك نهشاً يبالغ في إضعافك فينفر فرسك فتبدر بك الخيل فيقولون هذا فرس عمرو ويقفون أثره.

فإذا أحسست بهم دون الغار فابرز إليهم بين دجلة والجادة فقف لهم في تلك البقعة فإن الله جعلها حفرتك وحرمك فألقهم بسيفك فاقتل منهم ما استطعت حتى يأتيك أمر الله فإذا غلبوك حزّوا رأسك وشهروه على قناة إلى معاوية ورأسك أول رأس يشهر في الإسلام من بلد إلى بلد.

ثم بكى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: بنفسي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وثمرة فؤاده وقرّة عينه ابني الحسين فإني رأيته يسير وذراريه بعدك يا عمرو من كربلا بغربي الفرات إلى يزيد بن معاوية عليهما لعنة الله.

ثم ينزل صاحبك المحجوب والمقعد فيواريان جسدك في موضع مصرعك وهو من الدير والموصل على مائة وخمسين خطوة من الدير(١).

إلى غير هذه مما لا نطيل برواياتها، وقد وضح واتضح لك مما أوردناه من الأخبار تصديق ما ذكره عليه السلام في هذه الخطبة من علمه عليه السلام بالغيب وأنه يعلم أعمال الناس وأفعالهم ويطلع على ما أعلنوه وما أسرّوه، ويعرف مهلك من يهلك ومنجى من ينجو، ويخبر من ذلك ما يتحمل على ما يتحمل من خواصه وبطانته سلام الله عليه وآله وشيعته.

---

(١) مدينة المعاجز: ٣/ ١٨٢.

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن برگزیده پروردگار و وصیّ رسول مختار است در نصیحت مخاطبین و اظهار بعض مناقب خود، می فرماید:

ای غافلانی که غفلت کرده نشده از رفتار و کردار ایشان و ای ترك کنندگان تکالیف خود که اخذ خواهد شد از ایشان آن چه به ایشان داده اند از متاع دنیا، چیست مرا که می بینم شما از خداوند تبارك و تعالی کنارروندگانید و به سوی غیر او رغبت کنندگان، گویا که شما چهارپایانید که برده باشند شبانگاه آن ها را به سوی چراگاه و با آرنده و شرابگاه بیمارکننده جز این نیست که آن چهارپایان مثل حیوانی می باشند که علف داده شده از برای کاردها، یعنی از برای کشتن که نمی شناسند چه چیز اراده می شود به آنها چون احسان می شود به آنها، گمان می کنند که روزگار ایشان همین روز ایشان است و بس و می پندارند که کار ایشان منحصر به سیر بودن آنها است، قسم به خدا اگر بخواهم که خبر دهم هر مردی را از شما به مکان خروج و محلّ دخول آن و به همه شغل و شأن آن، هرآینه ممکن است به من این کار ولکن می ترسم که کافر شوید در حق من به رسول مختار (صلی الله علیه و آله). آگاه باشید، به درستی که من رساننده ام این اخبار غیبی را به خواص اصحاب خود از آن اشخاصی که ایمنی شده باشد این کفر از ایشان.

و قسم به ذاتی که مبعوث فرموده پیغمبر را به راستی و برگزیده او را به جمیع خلق، سخن نمی گویم مگر در حالت راستی و صدق و به تحقیق که عهد فرموده حضرت رسالت (صلی الله علیه و آله) به سوی من به همه این اخبار و به هلاکت کسی که هلاك می شود و به نجات یافتن کسی که نجات خواهد یافت و به عاقبت این امر خلافت و باقی نگذاشت چیزی را که خواهد گذشت بر سر من از حوادث روزگار، مگر این که ریخت آن را در گوش های من و رسانید آن را به من. ای مردمان، به حق خدا تحریص نمی کنم شما را بر طاعتی، مگر اینکه سبقت می نمایم به شما به سوی آن طاعت و نهی نمی کنم شما را از معصیتی مگر این که خودداری می کنم پیش از شما از آن معصیت.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والخامسة والسبعون من المختار في باب الخطب

قال الشارح البحراني: روي أن هذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويع بعد قتل عثمان، وشرحها في فصلين:

الفصل الأول

انْتَفِعُوا بِبَيانِ اللّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَواعِظِ اللّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ بِالْحُجَّةِ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحابَّهُ مِنَ الأَعْمالِ وَمَكارِهَهُ مِنْها لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ وتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله كانَ يَقُول: إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكارِهِ وإِنَّ النّارَ حُفَّتْ بالشَّهَواتِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ ما مِنْ طاعَةِ اللّهِ شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتي في كُرْهٍ، ومَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللّهِ شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتي في شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللّهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوىٰ نَفْسِه، فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً، وإِنَّها لا تَزالُ تَنْزِعُ إِلىٰ مَعْصِيَةٍ في هَوًى.

واعْلَمُوا عِبادَ اللّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُصْبِحَ ولاَ يُمْسي إِلاَّ وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلاَ يَزالُ زارِياً عَلَيْها ومُسْتَزِيداً لَها، فَكُونُوا كَالسّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، وَالْماضِينَ أَمامَكُمْ، قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيا تَقْويضَ الرّاحِلِ، وَطَوَوْها طَيَّ الْمَنازِلِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ هُوَ النّاصِحُ الَّذي لاَ يَغُشُّ، وَالْهادِي الَّذي لا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذي لاَ يَكْذِبُ، وَما جالَسَ هٰذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قامَ عَنْهُ بِزِيادَةٍ أَوْ نُقْصانٍ، زِيادَةٍ في هُدًى، ونُقْصانٍ مِن عَمًى.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فاقَةٍ، وَلاَ لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأوائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفاءً مِنْ أَكْبَرِ الدّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلالُ، فَاسأَلوا اللّهَ به، وتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّه، وَلاَ تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ ما تَوَجَّهَ الْعِبادُ بِمِثْلِهِ إِلى اللّهِ.

وَاعْلَمُوا أَنهُ شافِعٌ، مُشَفَّعٌ وقائِلٌ مُصَدَّقٌ، وأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنادي مُنادٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ: أَلاَ وإِنَّ كُلَّ حارِثٍ مُبْتَلىً في حَرْثِهِ

وعاقِبَةِ عَمَلِه، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِه وَأَتْباعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آراءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فيهِ أَهْواءَكُمْ.

العَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، والإِسْتِقَامَةَ الإِسْتِقامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، والْوَرَعَ الْوَرَعَ، وإنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فانْتَهُوا إِلىٰ نَهايَتِكُمْ، إِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلإِسْلامِ غَايَةً فَانْتَهوا وَإلىٰ غايَتِه، وَاخْرُجُوا إِلىٰ اللَّهِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّه، وبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظائِفِهِ، أنا شاهِدٌ لَكُمْ، وحَجيجٌ يو الْقِيامَةِ عَنْكُمْ، ألاَ وإنَّ الْقَدَرَ السّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضاءَ الْماضي قَدْ تَوَرَّد، وإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللَّهِ وحُجَّتِه، قالَ اللَّهُ تَعالى: إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ ألاَّ تَخافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، وَقَدْ قُلْتُمْ: رَبُّنَا اللَّهُ، فَاسْتَقِيمُوا عَلىٰ كِتابِهِ، وَعَلَىٰ مِنْهاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الصّالِحَةِ مِنْ عِبادَتِهِ، ثُمَّ لاَ تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلاَ تَبْتَدِعُوا فيها، وَلاَ تُخالِفُوا عَنْهَا، فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ[1].

اللغة

(**نزع**) عن المعاصي نزوعاً انتهى عنها ونزع عن الشيء نزوعاً كف وقلع عنه والمنزع يحتمل المصدر والمكان ونزع إلى أهله نزاعة ونزاعاً اشتاق إليه، ونازعتني نفسي إلى كذا اشتاقت إليه، قال في مجمع البحرين: في الحديث: النّفس الأمّارة أبعد شيء منزعاً، أي رجوعاً عن المعصية إذ هي مجبولة على محبّة الباطل، وأمّا تفسير الشارح المعتزلي منزعاً بمذهباً فلا يخفى بعده.

و(**الظنون**) وزان صبور إما مبالغة من الظنّة بالكسر بمعنى التهمة يقال: ظننت فلاناً أي اتهمته فلا يحتاج حينئذ إلى الخبر أو بمعنى الضعيف وقليل الحيلة وجعل الشارح المعتزلي الظنون بمعنى البئر لا يدري فيها ماء أم لا غير مناسب للمقام وإن كان أحد معانيه.

و(**قاض**) البناء وقوضه أي هدمه أو التقويض نقض من غير هدم أو هو نقض الأعواد والأطناب و(**غشه**) يغشه كمدّ يمدّ غشاً خلاف نصحه و(**اللأواء**) وزان صحراء الشدّة وضيق المعيشة وفي مجمع البحرين في الحديث ومن (**محل به**) القرآن يوم القيامة صدق أي سعى به يقال: محل بفلان إذا قال عليه قولاً يوقعه في مكروه و(**تورد**) الخيل البلد دخله قليلاً قليلاً.

(١) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٩١، وشرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢٥.

الإعراب

جملة (**قوّضوا**) استئناف بياني لا محلّ لها من الإعراب، و(**أو**) في قوله بزيادة أو نقصان بمعنى الواو كما في قوله:

لنفسي تقاها أو عليها فجورها

ويؤيّده قوله: زيادة في هدى، ونقصان بالواو، أو أن الترديد لمنع الخلو و(**الفاء**) في قوله: فاستشفوه فصيحة، وفي قوله: (**فإن فيه شفاء**) للتعليل وقوله: (**العمل العمل**) وما يتلوه من المنصوبات المكررة انتصابها جميعاً على الإغراء أو عامل النصب محذوف أي ألزموا العمل فحذف العامل وناب أول اللفظين المكررين منابه.

المعنى

إعلم أن مدار هذا الفصل من الخطبة الشريفة على الموعظة والنصيحة وترغيب المخاطبين في الطاعات وتحذيرهم عن السيئات والتنبيه على جملة من فضائل كتابه الكريم وخصائص الذكر الحكيم، وصدّر الفعل بالأمر بالانتفاع بأفضل البيانات والاتعاظ بأحسن المواعظ والقبول لأكمل النصائح فقال:

(**انتفعوا ببيان الله**) أي بما بيّنه في كتابه وعلى لسان نبيّه ﷺ فإنّه لقول فصل وما هو بالهزل، وفيه تذكرة وذكرى لأولي الألباب وهدى وبشرى بحسن المآب فمنفعته أتم المنافع، وفائدته أعظم الفوائد.

(**واتعظوا بمواعظ الله**) لتفوزوا جنة النعيم والفوز العظيم، وتنجوا من نار الجحيم والعذاب الأليم (**واقبلوا نصيحة الله**) فإنّها مؤدية إلى درجات الجنات منجية من دركات الهلكات، والإتيان بلفظ الجلالة والتصريح باسمه سبحانه في جميع الجملات مع اقتضاء ظاهر المقام للإتيان بالضمير لإيهام الاستلذاذ ولإدخال الروع في ضمير المخاطبين وتربية المهابة وتقوية داعي المأمورين لامتثال المأمور به، وقول الشارح البحراني: بأن ذلك أي تعدية الاسم صريحاً للتعظيم، فليس بشيء.

ولما أمر بالاتّعاظ والانتّصاح علله (**فإن الله قد أعذر إليكم بالجلية**) يعني أنه سبحانه قد أبدى العذر إليكم في عقاب العاصين منكم بالأعذار الجلية والبراهين الواضحة من الآيات الكريمة لأنّه لا يكلّف نفساً إلاّ ما آتاها ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة.

(**واتخذ عليكم الحجة**) بإرسال الرسول وإنزال الكتاب يعني أنه أتم الحجة على المكلّفين بما أتاهم وعرّفهم حتى لا يكون لهم عذر في ترك التكاليف ولا يكون للناس عليه حجة بعد الرسل قال عز من قائل: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً (**وبيّن لكم محابّه من**

الأعمال ومكارهه منها) أي بين في كتابه العزيز الفرائض والواجبات من الحج والجهاد والصوم والصلاة وغيرها من الأعمال الصّالحات المطلوبة له والمحبوبة عنده، والمحظورات من الكذب والغيبة والنميمة والسعاية وغيرها من الأفعال القبيحة المبغوضة له المكروهة لديه.

وإنّما بيّنها **(لتتبعوا هذه)** أي محاب الأعمال **(وتجتنبوا هذه)** أي مكارهها **(فإن رسول الله ﷺ)** تعليل لوجوب اتباع المحاب ووجوب اجتناب المكاره **(كان يقول: إن الجنّة حفت بالمكاره وإن النار حفت بالشهوات)** يعني أن الجنّة محفوفة بالصبر على مشاق الطاعات والكف عن لذائذ السيئات وكلاهما مكروه للنّفس، فمن صبر على ذلك المكروه يكون مصيره إلى الجنّة وكذلك النار محفوفة بإطلاق عنان النفس وارتكاب ما تشتهيها وتتمناها من الشهوات والمحرّمات، فمن أقدم عليها وأتى بها يكون عاقبته إلى النار وكفى بالجنّة ثواباً ونوالاً في تسهيل تحمّل تلك المكاره، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً في التنفير عن هذه الشهوات.

ثمّ بعد تسهيل المكاره التي يشتمل عليها الطاعات يكون غايتها أشرف الغايات وتحقير الشهوات التي يريد التنفير عنها يكون غايتها أخس الغايات نبّه على أنه لا تأتي طاعته إلا في كره ولا معصيته إلا في شهوة، وهو قوله **(واعلموا أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة)** لأنّ النّفس للقوة الشهوية أطوع من القوة العاقلة خصوصاً فيما هو أقرب إليها من اللّذات المحسوسة التي يلحقها العقاب عليها.

(فرحم الله رجلاً نزع) وكف **(عن شهوته وقمع)** أي قلع **(هوى نفسه فإن هذه النفس)** لأمارة بالسوء **(أبعد شيء منزعاً)** أي كفا وانتهاء عن شهوة ومعصية **(وأنها لا تزال تنزع)** أي تشتاق وتميل **(إلى معصية في هوى)** نبّه على وصف المؤمنين وكيفية معاملتهم مع نفوسهم جذباً للسامعين إلى التأسي بهم وتحريصاً لهم على اقتفاء آثارهم وهو قوله:

(واعلموا عباد الله أن المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا ونفسه ظنون) أي متّهمة **(عنده)** أي أنها ضعيفة قليلة الحيلة لا تقدر على أن تحتال وتعالج في أن تغره وتورده موارد الهلكة بل هو غالب عليها في كل حال **(فلا يزال زاريا)** أي عاياً **(عليها)** في كل حين **(ومستزيداً لها)** أي مراقباً لأحوالها طالباً للزيادة لها من الأعمال الصالحة في جميع الأوقات.

(فكونوا كالسابقين قبلكم) إلى الجنة **(والماضين أمامكم)** من المؤمنين الزاهدين في الدنيا والرّاغبين في الآخرة **(قوضوا من الدنيا تقويض الراحل)** يعني أنهم قطعوا علائق الدنيا وارتحلوا إلى الآخرة كما أن الراحل إذا أراد الارتحال يقوض متاعه وينقض خيمته ويهدم بناءه **(وطووها طي المنازل)** أي طووا أيام الدنيا ومدّة عمرهم كما يطوي المسافر منازل طريقه.

ومحصل الجملتين أن السابقين الأولين من المقرّبين وأصحاب اليمين لما عرفوا بعين بصائرهم أن الدّنيا ليست لهم بدار وأن الآخرة دار قرار لا جرم كانت همّتهم مقصورة في الوصول إليها، فجعلوا أنفسهم في الدّنيا بمنزلة المسافر، وجعلوها عندهم بمنزلة المنازل فأخذوا من ممرّهم ما يبلغهم إلى مقرّهم فلما ارتحلوا عنها لم يبق لهم علاقة فيها كما أن المسافر إذا ارتحل من منزل لا يبقى له شيء فيه فأمر المخاطبين بأن يكونوا مثل هؤلاء في الزّهد في الدّنيا وترك العلائق والأمنيّات والرغبة في العقبى والجنّات العاليات وهي أحسن منزلاً ومقيلاً.

ثمّ شرع في ذكر فضل القرآن وبيان ممادحه ترغيباً في الاهتداء به والاقتباس من ضياء أنواره فقال عليه السلام:

(واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح) المشفق **(الذي لا يغش)** في إرشاده إلى وجوه المصالح كما أن الناصح الصديق شأنه ذلك **(والهادي الذي لا يضلّ)** من اهتدى به.

روى في الكافي عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى، فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره، فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظّلمات بالنور[(١)].

(والمحدث الذي لا يكذب) في قصصه وأحاديثه وأخباره قال أبو عبد الله عليه السلام: فيما روي في الكافي عن سماعة بن مهران عنه عليه السلام: أن العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البار فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وخبر السماء والأرض ولو أتاكم من يخبركم ذلك تعجبتم.

(وما جالس هذا القرآن أحد) استعار لفظ المجالسة لمصاحبته وملازمته وقراءته والتدبّر في ألفاظه ومعانيه **(إلا قام عنه)** استعار لفظ القيام لترك قراءته والفراغ عنها ولا يخفى ما في مقابلة الجلوس بالقيام من اللّطف والحسن فإن المقابلة بين الفعلين في معنييهما الحقيقيين والمجازيين كليهما على حدّ قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي ضالا فهديناه، فإن الموت والأحياء متقابلان كتقابل الضلالة والهداية.

وما ذكرناه أظهر وأولى مما قاله الشارح البحراني: من أنه كنّى بمجالسة القرآن عن مجالسة حملته وقراءته لاستماعه منهم وتدبره عنهم، لاحتياجه إلى الحذف والتكلف الذي لا حاجة إليه.

---

(١) الكافي: ١/٢٨ ح٣٤، ونهج البلاغة: ٨/٤٠٦.

وكيف كان فالمراد أن من قام عن القرآن بعد قضاء وطره منه فإنما يقوم **(بزيادة أونقصان زيادة في هدى ونقصان من عمى)** إذ فيه من الآيات البيّنات والبراهين الباهرات ما يزيد في بصيرة المستبصر، وينقص من جهالة الجاهل.

(واعلموا أنه ليس لأحد بعد القرآن من) فقر و**(فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى)** وثروة، الظاهر أن المراد به أن من قرأ القرآن وعرف ما فيه وتدبر في معانيه وعمل بأحكمامه يتم له الحكمة النظرية والعملية ولا يبقى له بعده إلى شيء حاجة ولا فقر ولا فاقة ومن لم يكن كذلك فهو أحوج المحتاجين.

روى في الكافي عن معاوية بن عمار قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: من قرأ القرآن فهو غني ولا فقر بعده وإلاّ ما به غني[١].

قال الشارح البحراني في شرح ذلك: نبههم على أنه ليس بعده على أحد فقر أي ليس بعد نزوله للنّاس وبيانه الواضح حاجة بالناس إلى بيان حكم في إصلاح معاشهم ومعادهم، ولا لأحد قبله من غي أي قبل نزوله لا غن عنه للنّفوس الجاهلة انتهى، والأظهر ما قلناه.

(فاستشفوه من أدوائكم) أي من أمراضكم الظاهرة والباطنة والرّوحانية والجسمانيّة، فإن فيه شفاء من كل ذلك قال سبحانه: ونتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة.

وروى في الكافي عن السّكوني عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: شكى رجال إلى النبي صلى الله عليه وآله وجعاً في صدره فقال: استشف بالقرآن فإنّ الله عزّ وجل يقول: وشفاء لما في الصدور.

(واستعينوا به من لأوائكم) أي من شدائد الدّهر ومحن الزمان وطوارق البلايا والحدثان.

روى في الكافي عن أحمد المنقري قال: سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول: من استكفى بآية من القرآن من المشرق إلى المغرب كفى إذا كان بيقين[٢].

وفيه عن الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق وأكرم أهل بيته ما من شيء تطلبونه من حرز من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابة من صاحبها أو ضالة أو آبق إلاّ وهو في القرآن فمن أراد ذلك فليسألني عنه، الحديث[٣].

وأنت إذا لاحظت الروايات الواردة في خواص السّور والآيات تجد أنها كنز لا يفنى

(١) الكافي: ٢/ ٦٠٥ ح٨، ونهج السعادة: ٨/ ٤١٤،
(٢) الكافي: ٢/ ٦٢٣ ح١٨، وبحار الأنوار: ٨٩/ ١٧٦.
(٣) الكافي: ٢/ ٦٢٤ ح٢١، وشرح أصول الكافي: ١١/ ٦٧ ح٢١.

وبحر لا ينفد، وأن فيها ما به نجاة من كلّ هم ونجاة من كلّ غمّ وعوذة من كل لمم وسلامة من كل ألم وخلاص من كلّ شدّة ومناص من كلّ داهية ومصيبة وفرج من ضيق المعيشة ومخرج إلى سعة العيشة إلى غير هذه مما هو خارج عن حد الإحصاء ومتجاوز عن طور الاستقصاء، فلا شيء أفضل منه للاستشفاء من الأسقام والأدواء ولا للاستعانة من الشدائد واللاواء.

(وإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنّفاق والغي والضلال) قال أبو عبد الله عليه السلام في الحديث المروي في الكافي مرفوعاً: «لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر ولا إلى بني أمية أبداً ولا في ولد طلحة والزبير أبداً وذلك إنهم نبذوا القرآن وأبطلوا السّنن وعطلوا الأحكام»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار»[2].

(فاسألوا الله به وتوجّهوا إليه بحبه) يحتمل أن يكون المراد به جعله وسيلة إليه سبحانه في نيل المسائل لكونه أقوى الوسائل، وأن يتوجّه إليه بحبّه أي بحب السائل له أو بكونه محبوباً لله تعالى في إنجاح السؤالات وقضاء الحاجات، وأن يكون المراد به إعداد النفوس وإكمالها بما اشتمل عليه الكتاب العزيز من الكمالات النفسانيّة ثمّ يطلب الحاجات ويستنزل الخيرات بعد حصول الكمال لها، وعلى هذا فالمقصود من التوجه إليه بحبّه تأكيد الاستكمال إذ من أحبّه استكمل بما فيه فحسن توجهّه إليه تعالى والأظهر هو الاحتمال الأوّل بقرينة قوله **(ولا تسألوا به خلقه)** لظهوره في أن المراد به هو النهي عن جعله وسيلة للمسألة إلى الخلق.

قال أبو عبد الله عليه السلام في رواية الكافي عن يعقوب الأحمر عنه عليه السلام: إنّ من الناس من يقرأ القرآن ليقال فلان قارىء، ومنهم من يقرأ القرآن ليطلب به الدنيا ولا خير في ذلك، ومنهم من يقرأ القرآن لينتفع به في صلاته وليله ونهاره[3].

وفيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدر به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن. ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن

---

(١) شرح أصول الكافي: ١١/ ١٦ ح٨، والكافي: ٢/ ٦٠٠.

(٢) الكافي: ٢/ ٦٠٧ ح١، ووسائل الشيعة: ٦/ ١٨٢.

(٣) الكافي: ٢/ ٦٠٠ وشرح أصول الكافي: ١١/ ١٦ ح٨.

على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه فبأُولئك يدفع الله العزيز الجبّار البلاء، وبأولئك يديل الله عز وجل من الأعداء، وبأولئك ينزل الله تبارك وتعالى الغيث من السماء فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعز من الكبريت الأحمر[1].

وعلل الأمر بسؤال الله به بأنه **(ما توجّه العباد إلى الله بمثله)** لأن له كرامة عند الله سبحانه ومقاماً يغبطه به الأولون والآخرون حسبما تعرفه في الأخبار الآتية فهو أفضل الوسائل للسائل في إنجاح المقاصد والمسائل الدنيويّة والآخروية. فالمتوجه به إليه سبحانه لا يرد دعاؤه ولا يخيب رجاؤه.

(واعلموا أنه شافع مشفع وقائل مصدق) يعني أنه يشفع لقرائه والعاملين به الحاملين له يوم القيامة فيقبل شفاعته في حقهم، ويقول ويشهد في حق هؤلاء بخير وفي حق التاركين له والنابذين به وراء ظهورهم بشرّ فيصدق فيهما كما أشار إليه بقوله:

(وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه) أي قبلت شفاعته **(ومن محل به القرآن)** أي سعى به إلى الله تعالى وقال في حقّه قولاً يضرّه ويوقعه في المكروه **(يوم القيامة صدق عليه)**.

قال الشارح البحراني: استعار عليه السلام لفظي الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كون تدبره والعمل بما فيه ماحياً لما يعرض للنفس من الهيئات الردية من المعاصي، وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفّع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه وكذلك لفظ القائل المصدّق ووجه الاستعارة كونه ذا ألفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق، ثمّ أعاد معنى كونه شافعاً مشفعاً يوم القيامة ثم استعار لفظ المحل للقرآن ووجه الاستعارة أن لسان حال القرآن شاهد في علم الله وحضرة ربوبيته على من أعرض عنه بعدم اتباعه ومخالفته لما اشتمل عليه فبالواجب أن يصدّق فأشبه السّاعي إلى السّلطان في حق غيره بما يضرّه، انتهى.

أقول: والإنصاف أن حمل الكلام على المجاز مع التمكّن من إرادة الحقيقة لا معنى له كما قلناه في شرح الفصل السادس من الخطبة الثانية والثمانين، والحمل على الحقيقة هنا ممكن بل متعين لدلالة غير واحد من الروايات على أنّه يأتي يوم القيامة بصورة إنسان في أحسن صورة ويشفع في حق قرائه العاملين به، ويسعى في حق المعرضين عنه، وعلى هذا فلا وجه لحمل لفظ الشفاعة والقول والمحل على معناها المجازي ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما يدلّ على ذلك فأقول:

---

(١) الكافي: ٢/٦٢٧ ح١، ووسائل الشيعة: ٦/١٨٢ ح٧٦٧٨.

روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن علي بن محمد عن علي بن العباس عن الحسين بن عبد الرّحمان عن صفوان عن الحريري عن أبيه عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا سعد تعلموا القرآن فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والنّاس صفوف عشرون ومائة ألف صف ثمانون ألف صف من أمة محمد صلى الله عليه وآله وأربعون ألف صف من سائر الأمم فيأتي على صف المسلمين في صورة رجل فيسلم فينظرون إليه ثم يقولون لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته غير أنه كان أشد اجتهاداً منّا في القرآن فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه.

ثم يجوز حتى يأتي على صف الشهداء فينظر إليه الشهداء ثم يقولون: لا إله إلا الله الرب الرحيم إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنه من شهداء البر فمن هناك أعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه[1].

قال: فيجاوز حتى يأتي صف شهداء البحر فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم ويقولون: إنّ ذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غير أن الجزيرة التي أصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أصبنا فيها فمن هناك أعطى من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه.

ثم يجاوز حتى يأتي صف النبيّين والمرسلين في صورة نبي مرسل فينظر النبيون والمرسلون إليه فيشتد لذلك تعجّبهم ويقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا النبي[2] مرسل نعرفه بصفته وسمته غير أنه أعطى فضلاً كثيراً.

قال: فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون: يا محمد من هذا؟ فيقول لهم: أو ما تعرفونه؟! فيقولون ما نعرفه هذا من لم يغضب الله عزّ وجل عليه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا حجّة الله على خلقه فيسلم.

ثمّ يجاوز حتى يأتي على وصف الملائكة في صورة ملك مقرب فينظر إليه الملائكة فيتشد تعجّبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون: تعالى ربّنا وتقدس إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عز وجل مقاماً فمن هناك ألبس من النّور والجمال ما لم نلبس.

---

(١) الكافي: ٢/٥٩٦ ح١، وبحار الأنوار: ٧/٣١٩ ح١٦.

(٢) «النبي» في نسخة.

ثم يجاوز حتى ينتهي إلى رب العزة تبارك وتعالى: فيخر تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى يا حجّتي في الأرض وكلامي الصّادق والناطق أرفع رأسك سل تعط وأشفع تشفّع، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادي؟ فيقول: يا رب منهم من صانني وحافظ علي ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخف بحقّي وكذّب بي وأنا حجتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي، وارتفاع مكاني لأثيبن عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب.

قال: فيرفع القرآن رأسه في صورة أخرى قال: فقلت له عليه السلام: يا أبا جعفر في أي صورة يرجع؟! قال: في صورة رجل شاحب متغيّر يبصره[1] أهل الجمع فيأتي الرّجل من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله.

قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأول فيقول: ما تعرفني؟ فيقول نعم، فيقول القرآن: أنا الذي أسهرت ليلك وأنصبت عينك وسمعت في الأذى ورجمت بالقول في ألا وأن كل تاجر قد استوفى في تجارته وأنا وراءك اليوم، قال فينطلق به إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقول: يا رب عبدك وأنت أعلم به قد كان نصباً بي مواظباً عليّ يعادي بسببي ويحبّ فيّ ويبغض، فيقول الله عز وجل ادخلوا عبدي جنّتي واكسوه حلة من حلل الجنة، وتوجوه بتاج.

فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما فعل بوليّك فيقول: يا رب أستقل هذا له فزده مزيد الخير كلّه، فيقول عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي وعلوّي وارتفاع مكاني لا نحلن له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته: ألا إنهم شباب لا يهرمون، وأصحاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون، ثمّ تلى عليه السلام هذه الآية: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الصافات: ٦٢].

قال: قلت: يا أبا جعفر وهل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم عليه السلام ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم، ثم قال: نعم يا أبا سعد والصلاة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال سعد: فتغيّر لذلك لوني وقلت: هذا شيء لا أستطيع التكلّم به في الناس، فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الناس إلا شيعتنا فمن لم يعرف الصّلاة فقد أنكر حقنا.

ثمّ قال: يا سعد أسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى، فقال عليه السلام: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر، فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر

(١) «ينكره» في نسخة.

الله ونحن أكبر[١].

وفيه بسنده عن يونس بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات، فيستغرق النعم عامة الحسنات، ويبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحسنات[٢] فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا رب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجّد، فأرضه كما أرضاني قال: فيقول العزيز الجبّار: عبدي أبسط يمينك، فيملؤها من رضوان الله العزيز الجبّار، ويملؤ شمله من رحمة الله، ثمّ يقال: هذه الجنّة مباحة لك فاقرأ واصعد فإذا قرأ آية صعد درجة[٣].

وفيه مسنداً عن إسحاق بن غالب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا جمع الله عزّ وجلّ الأوّلين والآخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم ير قط أحسن صورة منه، فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا: هذا منّا هذا أحسن شيء رأينا، فإذا انتهى إليهم جازهم، ثمّ ينظر إليه الشهداء حتى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم كلّهم حتّى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم حتى ينتهي إلى الملائكة فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم ثم ينتهى حتى يقف عن يمين العرش، فيقول الجبّار: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمن اليوم من أكرمك ولأهينّ من أهانك[٤].

وفيه عن الفضيل بن يسار بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلّموا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك وأجففت ريقك وأسلت دمعتك اؤلُ معك حيثما إلت، وكلّ تاجر من وراء تجارته وأنا اليوم لك من وراء تجارة كلّ تاجر، وسيأتيك كرامة من الله عزّ وجل فابشر.

فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطي الأمان بيمينه والخلد في الجنان بيساره ويكسى حلتين ثم يقال له: إقرأ وارق، كلما قرأ آية صعد درجة ويكسى أبواه حلتين إن كانا مؤمنين ثم يقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن[٥].

---

(١) الكافي: ٢/ ٥٩٨ ح١، وبحار الأنوار: ٧/ ٣٢١.
(٢) «للحساب» في نسخة.
(٣) الكافي: ٢/ ٦٠٢ ح١٢، ووسائل الشيعة: ٦/ ١٦٦ ح٧٦٣٨.
(٤) الكافي: ٢/ ٦٠٢ ح١٤، ووسائل الشيعة: ٤/ ٨٢٧ ح١.
(٥) الكافي: ٢/ ٦٠٣ ح٣، ونهج السعادة: ٧/ ٢٣.

إلى غيره مما لا نطيل بروايته فقد ظهر منهم أنّه يجيء يوم القيامة في صورة إنسان وله لسان يشهد للناس وعليهم ويقبل شهادته نفعاً وضراً وشفاعته في حق المراقبين له وينتفع به الآخذون له والعاملون به.

(فإنه ينادي مناد يوم القيامة) الظاهر أن المنادي من الملائكة من عند رب العزة، وقول الشارحين أنه لسان حال الأعمال تأويل لا داعي إليه **(ألا)** و**(أن كل حارث)** أصل الحرث إثارة الأرض للزراعة والمراد هنا مطلق الكسب والتّجارة **(مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن)**.

قال الشارح البحراني: الحرث كلّ عمل تطلب به غاية وتستخرج منه ثمرة والابتلاء ههنا ما يلحق النفس على الأعمال وعواقبها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعة الله. وظاهر أن حرث القرآن والبحث عن مقاصده لغاية الاستكمال به بريء من لواحق العقوبات، انتهى.

أقول: وفيه أن كل عمل كان فيه الخروج عن طاعة الله فعامله معذّب ومبتلى سواء كان ذلك العمل مما لا يتعلّق بالقرآن أو كان متعلّقاً به، كقراءته والبحث عن مقاصده والحفظ له ونحو ذلك وإذا كان على وجه الرياء أو تحصيل حطام الدّنيا وكلّ عمل أريد به وجه الله وكان الغاية منه الاستكمال فعامله مأجور ومثاب من دون فرق فيه أيضاً بين القرآن وغيره، وبعبارة أخرى كلّ حارث سواء كان حارث القرآن أو غيره إن لم يقصد بحرثه الخلوص فمبتلى، وإلاّ فلا، فتعليل عدم ابتلاء حرثة القرآن بأن حرثهم للاستكمال به وابتلاء الآخرين بأن في حرثهم خروجاً من الطاعة شطط من الكلام كما لا يخفى.

والذي عندي أن يراد بقوله عليه السلام: كلّ حارث من كان حرثه للدّنيا فهو مبتلى أي ممتحن في حرثه لأنه إن كان من حلال ففيه حساب وإن كان من حرام ففيه عقاب وأما حارث القرآن لأجل أنه قرآن وكلام الله عز وجل فلا ابتلاء له لأن حرثه على ذلك إنّما هو للآخرة قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] فتأمل.

ولما نبّه عليه السلام على عدم ابتلاء حرثة القرآن أمر بحرثه بقوله **(فكونوا من حرثته وأتباعه)** وأردفه بقوله **(واستدلوه على ربكم)** أي اجعلوه دليلاً عليه سبحانه وقائداً إليه تعالى لاشتماله على جميع صفات الجمال والجلال وأوصاف الكبرياء والعظمة والكمال **(واستنصحوه على أنفسكم)** أي اتخذوه ناصحاً لكم رادعاً لأنفسكم الأمارة عن السوء والفحشاء والمنكر لتضمنه الآيات النّاهية المحذرة والوعيدات الزاجرة المنذرة **(واتهموا عليه آراءكم)** أي إذا أدت آراءكم

إلى شيء مخالف للقرآن فاجعلوها متّهمة عندكم **(واستغشوا فيه أهواءكم)**.

قال الشارح البحراني: وإنما قال هنا استغشوا وفي الآراء اتهموا، لأن الهوى هو ميل النفس الأمّارة من غير مراجعة العقل فإذا حكمت النفس عن متابعتها بحكم فهو غشّ صراح، وأما الرأي فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد يكون بدونه، فجاز أن يكون حقاً وجاز أن يكون باطلاً فكان بالتهمة أولى.

ثم تخلص من أوصاف القرآن وفضائله إلى الأمر بملازمة الأعمال فقال: **(العمل العمل)** أي لازموا العمل الصّالح وراقبوا عليه **(ثم النهاية النهاية)** أي بعد القيام بالأعمال الصالحة لاحظوا نهايتها وخاتمتها وجدّوا في الوصول إليها **(والاستقامة الاستقامة)** وهو أمر بالاستقامة على الجادة الوسطى من العمل والثبات على الصراط المستقيم المؤدي إلى غاية الغايات وأشرف النهايات أعني روضات الجنات **(ثم الصبر الصبر والورع الورع)** أي بعد مواظبة الأعمال الصالحة وملاحظة نهاياتها والثبات على ما يوصل إليها من الأعمال لا بدّ من الصبر عن المعاصي والكف عن الشّهوات والورع عن محارم الله.

ومما ذكرناه ظهر لك نكتة العطف في ثاني المكررات الخمسة ورابعها بثم وفي ثالثها وخامسها بالواو، توضيح ذلك أن النهاية لما كانت متراخية عن العمل عطفها بثم، والاستقامة لما كانت كيفية العمل عطفها بالواو، وهذه الثلاثة أعني العمل والنهاية والاستقامة كلّها ناظرة إلى طرق العبادة، ولما كان الصّبر متعلّقاً بالمعصية عطفه بثم لغاية الافتراق بين العبادات والمعاصي، ولما كان بين الصبّر والورع تلازماً عطف الورع بالواو أيضاً.

وهذا أولى مما قاله الشّارح البحراني حيث قال: وإنما عطف النهاية والصّبر بثم لتأخّر نهاية العمل عنه وكون الصّبر أمراً عدميّاً وهو في معنى المتراخي والمنفك عن العمل الذي هو أمر وجوديّ، بخلاف الاستقامة على العمل فإنه كيفية له والورع فإنه جزء منه، انتهى هذا.

وفصّل ما أجمل لقوله: و**(إنّ لكل نهاية)** وهي غرفات الجنان ورضوان من الله المنان **(فانتهوا إلى نهايتكم)** وامضوا إليها **(وإن لكم علماً)** هادياً إلى تلك النهاية وهو الرسول الأمين وأولياء الدين أو الأعم منهم ومن سائر دلائل الشرع المبين **(فاهتدوا بعلمكم)** للوصول إليها **(وإن للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته)** وهي النهاية المذكورة **(وأخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه)** أي أخرجوا متوجهين إليه سبحانه مما فرضه عليكم من حقوقه الواجبة وأوضحه لكم من عباداته وتكاليفه الموظفة المقرة في ساعات اللّيالي والأيام.

وقوله: **(أنا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم)** تأكيد لأداء الفرائض والواجبات يعني أنكم إذا خرجتم إلى الله من حقوقه ووظائفه فأنا أشهد لكم يوم القيامة بخروجكم منها ومقيم للحجّة عن جانبكم بأنكم أقمتم بها، وقد مضى تفصيل تلك الشهادة والاحتجاج في شرح الخطبة الحادية والسّبعين.

(ألا وإن القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد تورد) قد عرفت معنى القضاء والقدر مفصّلاً في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى، والظاهر أن المراد بهما المقضى والمقدر كما استظهرنا هذا المعنى منهما فيما تقدّم أيضاً بالتقريب الذي قدمناه ثمة، فيكون المعنى أن المقدر السابق في علم الله سبحانه وقوعه قد وقع، والمقضى الماضي أي المحتوم النافذ قد تورد أي دخل في الوجود شيئاً فشيئاً.

وإلى ما ذكرنا ينظر ما قاله بعض الشارحين من أنه أراد بالقدر السابق خلافته عليه السلام وبالقضاء الماضي الفتن والحروب الواقعة في زمانه أو بعده التي دخلت في الوجود شيئاً فشيئاً وهو المعبّر عنه بالتورد، وقوى إرادته عليه السلام ذلك بقرينة المقام وأنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة في أيام بيعته بعد قتل عثمان.

وقوله عليه السلام: **(وإني متكلّم بعدة الله وحجّته)** المراد بعدته سبحانه ما وعد به في الآية الشريفة للمؤمنين المعترفين بالربوبية الموصوفين بالاستقامة من تنزل الملائكة وبشارتهم بالجنّة وبعدم الخوف والحزن، والظاهر أن المراد بحجته أيضاً نفس هذه الآية نظراً إلى أنها كلام الله وهو حجة الله على خلقه أو أنها دالة بمنطوقها على أن دخول الجنّة إنما هو للموحّدين المستقيمين وبمفهومها على أن الكافرين وغير المستقيمين لا يدخلونها فهي حجّة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة، إنّا كنّا عن هذا غافلين.

وقال الشارح البحراني: إن حجته التي تكلم بها هو قوله: وقد قلتم ربّنا الله فاستقيموا، إلى آخر ما يأتي، والأظهر ما قلناه.

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى تفسير الآية قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيّته **(ثم استقاموا)** على مقتضاه.

وفي المجمع عن محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستقامة فقال: هي والله ما أنتم عليه.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: عن الأئمة واحداً بعد واحد **(تتنزل عليهم الملائكة)** عند الموت رواه في المجمع عن الصادق عليه السلام **(ألا تخافوا)** ما تقدمون عليه **(ولا تحزنوا)** ما خلفتم

(وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا[١].

روى في الصافي عن تفسير الإمام قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة ولا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك إن ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدة علّته وعظيم ضيق صدره بما يخلفه من أمواله وبما هو عليه من اضطراب أحواله من معامليه وعياله قد بقيت في نفسه حسراتها اقتطع دون أمانيه فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: مالك تجرع غصصك قال: لاضطراب أحوالي واقتطاعك لي دون آمالي، فيقول له ملك الموت: وهل يحزن عاقل لفقد درهم زائف واعتياض ألف ألف ضعف الدنيا؟! فيقول: لا، فيقول ملك الموت: فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها التي يقصر دونها الأماني فيقول ملك الموت: تلك منازلك ونعمك وأموالك وأهلك وعيالك ومن كان من أهلك ههنا وذرّيتك صالحاً فهم هنالك معك أفترضى بهم بدلاً مما ههنا؟ فيقول: بلى والله، ثم يقول: انظر، فينظر فيرى محمداً وعلياً والطيبين من آلهما سلام الله عليهم أجمعين في أعلا علّيين فيقول: أو تراهم هؤلاء ساداتك وأئمتك هم هنالك جلّاسك وأنّاسك أفما ترضى بهم بدلاً مما تفارق هنا؟ فيقول: بلى وربي فذلك ما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ فيما أمامكم من الأهوال فقد كفيتموها ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذراري والعيال فهذا الذي شاهدتموه في الجنان بدلاً منهم، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ هذه منازلكم وهؤلاء ساداتكم أناسكم وجلاسكم هذا[٢].

ولما تكلّم عليه السلام بالآية الشريفة المتضمنة للعدة والجحّة أمر المخاطبين بالقيام على مفادها والعمل على مقتضاها بقوله: **(وقد قلتم ربنا الله)** ولا بد لكم من إكمال هذا الإقرار بالاستقامة لاستحقاق إنجاز الوعد والبشارة **(فاستقيموا على كتابه)** بإجلاله وإعظامه والعمل بتكاليفه وأحكامه **(وعلى منهاج أمره)** بسلوكه واتباعه **(وعلى الطريقة الصّالحة من عبادته)** بإتيانها على وجه الخلوص جامعة لشرائطها المقررة وحدودها الموظفة **(ثم لا تمرقوا)** أي لا تخرجوا **(منها)** ولا تتعدّوا عنها **(ولا تبتدعوا فيها)** أي لا تحدثوا فيها بدعة **(ولا تخالفوا عنها)** أي لا تعرضوا عنها يميناً وشمالاً مخالفين لها، فإنكم إذا أقمتم على ذلك كله حصل لكم شرط الاستحقاق فينجز الله لكم وعده وتبشركم الملائكة وتدخلون الجنة البتة، وإن لم تقيموا عليه فقد تم الشرط وبفقدانه وانتفائه ينتفي المشروط لا محالة.

---

(١) شرح أصول الكافي: ٧/ ٧٤ ح٤٠، والصراط المستقيم: ٢/ ١١١.

(٢) المحتضر: ٢٣، ومدينة المعاجز: ٣/ ١٢٨.

وهو معنى قوله: **(فإن أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة)** يعني أنهم لا يجدون بلاغاً يوصلهم إلى المقصد، روى في مجمع البيان عن أنس قال: قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية أي الآية المتقدمة قال صلى الله عليه وآله: قد قالها ناس ثمّ كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها(١).

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن امام مبين و وليّ مؤمنين است در نصيحت مخاطبين، مى فرمايد:

منتفع باشيد با بيان خدا و متّعظ باشيد با موعظه هاى خدا و قبول نماييد نصيحت خدا را، پس به درستى كه خدا اظهار فرموده عذر خود را به شما با آيه هاى واضحه و اخذ فرمود بر شما حجّت را و بيان كرد از براى شما محبوب داشته شده هاى خود را از عملها و مكروه ها داشته شده هاى خود را از آن ها تا اين كه متابعت نماييد به آن عمل هاى محبوبه و اجتناب نماييد از اين عمل هاى مكروهه.

پس به درستى كه حضرت رسول صلوات الله و سلامه عليه و آله مى فرمود كه بهشت محفوف شده است با دشوارى ها، آتش محفوف شده است با شهوت ها؛ و بدانيد كه به درستى كه نيست از اطاعت خدا چيزى مگر اين كه مى آيد با كراهت طبيعت و نيست در معصيت خدا چيزى مگر اين كه مى آيد با شهوت و رغبت، پس رحمت خدا مردى را كه بركند از شهوت خود و قلع كند خواهشات نفس خود را، پس به درستى كه اين نفس دورترين چيزى است از حيثيّت كنده شدن از شهوت، به درستى كه اين نفس هميشه اشتياق دارد و ميل كند به سوى معصيت در آرزو و خواهش نفسانى.

و بدانيد اى بندگان خدا، به درستى كه مؤمن نه روز را به شب مى آورد و نه شب را به روز مگر اين كه نفس او متّهم است نزد او، پس هميشه آن مؤمن

(١) مجمع البيان: ٩/ ٢٠، وتفسير نور الثقلين: ٤/ ٥٤٧.

ایرادکننده است بر نفس خود و طلب کننده است از برای او زیادت خیرات و مبرّات را، پس باشید مثل سابقانی که پیش از شما بودند و مثل گذشتگان در پیش از شما، برکندند از دنیای فانی همچو برکندن کوچ کننده و درنوردیدند دنیا را مثل درنوردیدن منزل ها.

و بدانید که این قرآن کریم او نصیحت کننده ای است که خیانت نمی کند وهدایت کننده ای است که گمراه نمی سازد و خبردهنده ای است که دروغ نمی گوید و همنشین نشد این قرآن را احدی از شما مگر این که برخاست از آن با زیادتی یا کمی، زیادتی در هدایت و کمی از کوری و ضلالت.

و بدانید نیست بر احدی بعد از قرآن حاجتی ونه مراحدی را پیش از قرآن از دولتی، پس طلب شفا نمایید از او از دردهای ظاهری و باطنی خودتان و طلب یاری کنید با او بر شدّت های خودتان، پس به درستی که در او است شفا از بزرگترین دردها و آن کفر است و نفاق و گمراهی است و ضلالت، پس مسألت نمایید از خدا بهوسیله قرآن و متوجّه باشید به سوی پروردگار با محبت قرآن و سؤال ننمایید به وساطت قرآن از مخلوقی، به درستی که متوجّه نشدند بندگان به سوی خدا با مثل قرآن.

و بدانید که به درستی که قرآن شفاعت کننده است و مقبول الشفاعة و گوینده ای است تصدیق شده وبه درستی که کسی که شفاعت نماید مراورا قرآن در روز قیامت، شفاعت او قبول می شود در حق آن و کسی که بدگویی نماید از او قرآن در روز قیامت، تصدیق شده می شود بر ضرر آن.

پس به درستی که ندا کند نداکننده در روز قیامت این که آگاه باشید، به درستی که هر کشت کار امتحان خواهد شد در کشت خود و در عاقبت عمل خود غیر از کشت کنندگان قرآن، پس باشید از کشت کاران قرآن و تبعیّت کنندگان او و دلیلی اخذ نمایید او را بر پروردگار خود و طلب نصیحت کنید از او بر نفس های خود و متّهم دارید رأی های خود را که بر خلاف او است و مغشوش شمارید در مقابل قرآن خواهشات خود را.

مواظبت نمایید بر عمل ها و مسارعت نمایید به نهایت و عاقبت کار و ملازمت نمایید به راستگاری پس از آن و منصف باشید با صبر و تحمل و ترك

نكنيد ورع و پرهيزكارى را، به درستى كه شما را است نهايت و عاقبتى، پس منتهى شويد به سوى نهايت خود و به درستى كه شما را است علم و نشانه اى، پس هدايت يابيد با علم خود و به درستى كه مراسلام را است غايت و نهايتى، پس منتهى شويد به سوى غايت او و خارج بشويد به سوى خداوند تعالى از چيزى كه واجب نموده بر شما از حق خود و بيان نموده است شما را از وظيفه هاى خود، من شاهد هستم از براى شما و حجّت آورنده ام در روز قيامت از جانب شما.

آگاه باشيد، به درستى كه آن چه مقدّر شده بود سابقاً، به تحقيق واقع گرديد و قضاى الهى كه نافذ و ممضى است تدريجاً بهوجود درآيد و به درستى كه من تكلّم كننده ام به وعده خدا و به حجّت او. فرموده است خدا در كتاب عزيز خود: "به درستى كه آن كسانى كه گفتند كه پروردگار ما خدا است، پس در آن مستقيم شدند، نازل مى شود بر ايشان ملائكه كه نترسيد و محزون نباشيد و بشارت دهيد به بهشت عنبرسرشت كه در دنيا وعده داده شده بوديد".

و به تحقيق كه گفتيد شما پروردگار ما خدا است، پس مستقيم باشيد بر كتاب كريم او و بر راه روشن امر او و بر طريقه اى شايسته از عبادت و بندگى او، پس از آن خارج نشويد و بيرون مرويد از آن طريقه و احداث بدعت نكنيد در آن و مخالفت نكنيد در آن، پس به درستى كه اهل خروج از عبادت به هم بريده شده اند از ثواب دائمى نزد خداى تعالى در روز قيامت.

الفصل الثاني منها

ثُمَّ إِيّاكُم وتَهْزِيعَ الْأَخْلاقِ وتَصْرِيفَها، وَاجْعَلُوا اللِّسانَ واحِداً، وَلْيَخْتَزِنِ الرَّجُلُ لِسانَهُ فَإِنَّ هٰذَا اللِّسانَ جَمُوحٌ بِصاحِبِهِ، وَاللّٰهِ ما أَرىٰ عَبْداً يَتَّقِي تَقْوىٰ تَنْفَعُهُ حَتّىٰ يَخْتَزِنَ لِسانَهُ، وَإِنَّ لِسانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَراءِ قَلْبِهِ، وإِنَّ قَلْبَ الْمُنافِقِ مِنْ وَراءِ لِسانِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذا أَرادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ تَدَبَّرَهُ في نَفْسِهِ فَإِنْ كانَ خَيْراً أَبْداهُ وإِنْ كانَ شَرّاً واراهُ، وإِنَّ الْمُنافِقَ يَتَكَلَّمُ بِما أَتىٰ عَلىٰ لِسانِهِ لاَ يَدْرِي ماذا لَهُ وماذا عَلَيْهِ، ولَقَدْ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عَبْدٍ حَتّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسانُهُ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللّٰهَ سُبْحانَهُ وَهُوَ نَقِيُّ الرّاحَةِ مِنْ دِماءِ الْمُسْلِمِينَ وأَمْوالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسانِ مِنْ أَعْراضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ.

واعْلَمُوا عِبادَ اللّٰهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ العامَ مَا اسْتَحَلَّ عاماً أَوَّلَ، ويُحَرِّمُ الْعامَ ما حَرَّمَ عاماً أَوَّلَ، وإِنَّ ما أَحْدَثَ النّاسُ لاَ يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلٰكِنَّ الْحَلاَلَ ما أَحَلَّ اللّٰهُ، وَالْحَرامَ ما حَرَّمَ اللّٰهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وضَرَّسْتُمُوها ووُعِظْتُمْ بِمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتِ الْأَمْثالُ لَكُمْ، ودُعِيتُمْ إِلى الأَمْرِ الْواضِحِ، فَلاَ يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلاّ أَصَمّ، وَلاَ يَعْمىٰ عَنْهُ إِلاّ أَعْمىٰ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللّٰهُ بِالْبَلاءِ وَالتَّجارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وأَتاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمامِهِ حَتّىٰ يَعْرِفَ ما أَنْكَرَ، ويُنْكِرَ ما عَرَفَ، فَإِنَّ النّاسَ رَجُلانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، ومُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللّٰهِ بُرْهانُ سُنَّةٍ، وَلاَ ضِياءُ حُجَّةٍ.

وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللّٰهِ الْمَتِينُ، وسَبَبُهُ الْأَمِينُ، وفيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، ويَنابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وبَقِيَ النّاسُونَ أَوِ الْمُتَناسُونَ، فإِذا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ كانَ يَقُولُ: يا ابْنَ آدَمَ إِعْمَلِ الْخَيرَ وَدَعِ الشَّرَّ فَإِذا أَنْتَ جَوادٌ قاصِدٌ.

أَلاَ وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلاثَةٌ: فَظُلْمٌ لاَ يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لا يُتْرَكُ، وظُلْمٌ مَغْفُورٌ لاَ يُطْلَبُ، فَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي لاَ يُغْفَرُ الشِّرْكُ بِاللّٰهِ سُبْحانَهُ قالَ اللّٰهُ سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، وَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَناتِ، وَأَمّا الظُّلْمُ الَّذي لا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبادِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، الْقِصاصُ هُناكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمِدَى، وَلاَ ضَرْباً بِالسِّياطِ، وَلٰكِنَّهُ ما يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ، فَإِيّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ في دِينِ اللّٰهِ، فَإِنَّ جَماعَةً فيما تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فيما تُحِبُّونَ مِنَ الْباطِلِ، وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خيراً مِمّا مَضىٰ وَلاَ مِمّا بَقِيَ.

يا أَيُّهَا النّاسُ طُوبىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النّاسِ، وَطُوبىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأكلَ قُوتَهُ وَاشْتَغَلَ بِطاعَةِ رَبِّه وَبَكى عَلَىٰ خَطيئَتِه، فَكانَ مِنْ نَفْسِهِ في شُغُلٍ وَالنّاسُ مِنْهُ في راحَةٍ[١].

اللغة

(هزعت) الشجر تهزيعاً كسرته وفرقته و**(خزن)** المال واختزنه أحرزه و**(ضرّسته)** الحروب أي جرّبته وأحكمته و**(صمت)** الأذن صمماً من باب تعب بطل سمعها هكذا فسّره الأزهري وغيره، ويسند الفعل إلى الشخص أيضاً فيقال: صم يصم صمماً، فالذكر أصم والأنثى صماء والجمع صم مثل أحمر وحمراء وحمر، ويتعدى بالهمزة فيقال: اصمّه الله وربما استعمل الرباعي لازماً على قلّة ولا يستعمل الثلاثي متعدّياً فلا يقال: صمّ الله الأذن ولا يبنى للمفعول فلا يقال صمّت الأذن.

و**(السّبب)** الحبل وهو ما يتصول به إلى الاستعلاء ثمّ أستعير لكلّ ما يتوصّل به إلى الأمور فقيل هذا: سبب هذا وهذا مسبب عن هذا و**(الجواد)** الفرس السابق الجيد و**(هن)** بالتخفيف كاخ كناية عن كل اسم جنس كما في مصباح اللغة للفيومي أو عما يستقبح ذكره ولامها محذوفة ففي لغة هي ها فيصغر علي هنيهة ومنه يقال مكث هنيهة أي ساعة لطيفة، وفي لغة هي واو فيصغر في المؤنث على هنية والهمز خطأ إذ لا وجه له وجمعها هنوات وربما جمعت على هنات مثل عدات هكذا في المصباح وضبطه الفيروزآبادي بفتح الهاء وهكذا فيما رأيته من نسخ النهج.

و**(طوبى)** وزان فعلى اسم من الطيب والواو منقلبة عن ياء، وقيل: اسم شجرة في الجنة كما سنشير إليه في بيان معناه.

الإعراب

قوله: **(وإياكم وتهزيع الأخلاق)**، انتصاب تهزيع على التحذير قال الشارح المعتزلي: وحقيقته تقدير فعل وصورته جنّبوا أنفسكم تهزيع الأخلاق **(فإيّاكم)** قائم مقام أنفسكم، والواو عوض عن الفعل المقدر وقد جاء بغير واو في قول الشاعر:

إيـاك أن تـرضـى صـحـاب نـاقـص   فـتـنـحـط قـدراً مـن عـلاك وتـحـقـرا

قوله: عاماً أوّل بدون تنوين لأنّه غير منصرف للوصفيّة ووزن الفعل فإن الصحيح أنأصله أو آل على وزن مهموزة الوسط فقلبت الهمزة الثّانية واواً وأدغمت.

---

(١) مستدرك الوسائل: ١/١١٧، وبحار الأنوار: ٦٤/٣٥٠ ح٥٢.

قال الجوهري: ويدل على ذلك قولهم: هذا أول منك، والجمع الأوائل والأوالي أيضاً على القلب، قال الشهيد في تمهيد القواعد: وله استعمالان لأن أحدهما أن يكون اسماً فيكون مصروفاً ومنه قولهم ماله أوّل ولا آخر، قال في الارتشاف: وفي محفوظي أن هذا يؤنث بالتاء ويصرف أيضاً فيقال أولة وآخرة بالتنوين، والثاني أن يكون صفة أي أفعل التفضيل بمعنى الأسبق فيعطي حكم غيره من صيغ أفعل التفضيل كمنع الصرف وعدم تأنيثه بالتاء ودخول (من) عليه.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام لما ختم الفصل السابق بالأمر بالاستقامة والنهي عن المروق والخروج عن جادة الشريعة أردفه بالتحذير عن تهزيع الأخلاق اللازم للنّفاق فقال:

(ثم إياكم وتهزيع الأخلاق) وتفريقها **(وتصريفها)** وتقليبها ونقلها من حال إلى حال كما هو شأن المنافق، فإنه لا يبقى على خلق ولا يستمر على حالة واحدة بل قد يكون صادقاً وقد يكون كاذباً، وتارة وفيّاً وأخرى غادراً، ومع الظالمين ظالماً ومع العدول عادلاً.

روى في الكافي عن محمد بن الفضيل قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن مسألة، فكتب إليّ إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون النّاس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلم تجد له سبيلاً، ليسوا من الكافرين وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين يظهرون الإيمان ويصيرون إلى الكفر والتكذيب لعنهم الله.

ولما حذر عن تصريف الأخلاق والنّفاق أمر بقوله **(واجعلوا اللّسان واحداً)** على اتحاد اللسان إذ تعدّد اللّسان من وصف المنافق يقول في السر غير ما يقوله في العلانية، وفي الغياب خلاف ما يقوله في الحضور، ويتكلّم مع هذا غير ما يتكلّم مع ذلك.

روى في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غايباً، إن أُعطي حسده وإن ابتلى خذله.

وفيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن علي بن أسباط عن عبد الرحمان بن حمّاد رفعه قال: قال الله تبارك وتعالى لعيسى عليه السلام: يا عيسى ليكن لسانك في السرّ والعلانية لساناً واحداً وكذلك قلبك، إني أحذرك نفسك وكفى بي خبيراً لا يصلح لسانان في فم واحد ولا سيفان في غمد واحد ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الأذهان(١).

(١) شرح أصول الكافي: ٩/ ٤١٠، ووسائل الشيعة: ١٢/ ٢٥٨ ح١٦٢٤٤.

قال بعض شراح الكافي: أمره الله تعالى بثلاث خصال هي أمّهات جميع الخصال الفاضلة والأعمال الصالحة.

الأوّل: أن يكون لسانه في جميع الأحوال واحداً يقول الحق ويتكلّم به فلا يقول في السّر خلاف ما يقول في العلانية كما هو شأن الجهال، لأن ذلك خدعة ونفاق وحيلة وتفريق بين العباد وإغراء بينهم.

الثاني: أن يكون قلبه واحداً قابلاً للحق وحده غير متلوث بالحيل ولا متلّوث بالمكر والختل، فإن ذلك يميت القلب ويبعده من الحق ويورثه أمراضاً مهلكة.

الثالث: أن يكون ذهنه واحداً وهو الذكاء والفطنة، ولعل المراد به هنا الفكر في الأمور الحقة النافعة ومباديها، وبوحدته خلوصه عن الفكر في الباطل والشرور وتحصيل مبادئها وكيفية الوصول إليها، وبالجملة أمره أن يكون لسانه واحداً وقلبه واحداً وذهنه واحداً ومطلبه واحداً هذا[١].

ولما أمرهم بجعل لسانهم واحداً أردفعه بالأمر بحفظه وحرزه فقال: **(وليختزن الرجل لسانه)** أي ليلازم الصّمت **(فإن هذا اللّسان جموح بصاحبه)** يقحمه في المعاطب والمهالك، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن كان في شيء الشؤم ففي اللسان، وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله: نجاة المؤمن من حفظ لسانه رواهما في الكافي عنه عليه السلام، وقد تقدم في شرح كلماته السابعة والسُّبعين فصل واف في فوائد الصُّمت وآفات اللّسان وأوردنا بعض ما ورد فيه من الأخبار وأقول هنا:

روى في الكافي عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: يا بنيّ إن كنت زعمت أن الكلام من فضّة فإنَّ السكوت من ذهب[٢].

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال أبو الحسن عليه السلام: من علامات الفقه العلم والحلم والصّمت إنّ الصّمت باب من أبواب الحكمة إنّ الصّمت يكسب المحبّة إنّه دليل على كلّ خير[٣].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبو ذر يقول: يا مبتغي العلم إنّ هذا اللّسان مفتاح خير ومفتاح شرّ فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك[٤].

---

(١) شرح أصول الكافي: ٩/ ٤١٠، وبحار الأنوار: ٧٣/ ٢٠٩.

(٢) الكافي: ٢/ ١١٤ ح٦، وميزان الحكمة: ٣/ ٢٧٤٠ ح٣٥٢٥.

(٣) الكافي: ٢/ ١١٣، ح١، وعيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٣٤ ح١٤.

(٤) الكافي: ٢/ ١١٤ ح١٠، وتحف العقول: ٢٩٨.

وعن عليّ بن حسن بن رباط عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكتاً فإذا تكلّم كتب محسناً أو مسيئاً»[١].

فقد علم بذلك كلّه أنّ سلامة الإنسان في حفظ اللّسان وأن نجاته من وبال الدّنيا ونكال الآخرة في الإمساك عن فضول الكلام، وإليه أشار بقوله: **(والله ما أرى عبداً يتقى تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه)** فإن التقوى النافع هو ما يحفظه من غضب الجبّار وينجيه من عذاب النّار، ولا يحصّل ذلك إلاّ بالاتقاء من جميع المحرمات والموبقات الموقعة في الجحيم والسخط العظيم، والكذب والغيبة والهجاء والسّعاية والنّميمة والقذف والسّب ونحوها من حصائد الألسنة من أعظم تلك الموبقات، فلا بد من الاتقاء منها واختزان اللّسان عنها.

ولما أمر باختزان اللسان ونبّه على توقف التقوى النّافع عليه أردفه بالتنبيه على أن اختزانه من فضول الكلام وسقطات الألفاظ من خواص المؤمن وعدم اختزانه من أوصاف المنافق وذلك قوله: **(وإن لسان المؤمن من وراء قلبه)** يعني أن لسانه تابع لقلبه **(وإنّ قلب المنافق من وراء لسانه)** يعني قلبه تابع للسانه.

بيان ذلك ما أشار بقوله: **(لأَن المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه)** وتفكّر في عاقبته **(فإن كان خيراً)** ورشداً تكلّم به أي أظهره و**(أبداه وإن كان شرّاً)** وغيّاً اختزن لسانه عنه أي **(واراه)** وأخفاه فكان لسانه تابع قلبه حيث إنه نطق به بعد حكم العقل وإجازته **(وإن المنافق)** يسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره و**(يتكلّم)** من دون فكر وروية **(بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه)** فكان قلبه تابع لسانه لأَنه بادر إلى التكلّم من غير ملاحظة ثم رجع إلى قلبه فعرف أن ما تكلّم به مضرّة له.

ثمّ استشهد بالحديث النبوي صلى الله عليه وآله على أن استقامة الإيمان إنّما هو باستقامة اللسان على الحق وخزنه عن الباطل وهو قوله: **(ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله** لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) ظاهر هذا الحديث يفيد ترتب استقامة الإيمان على استقامة القلب وترتب استقامة القلب على استقامة اللسان.

أما ترتب الأوّل على الثّاني فلا غبار عليه، لأن الإيمان حسبما عرفت في شرح الخطبة المائة والتاسعة عبارة عن اعتراف باللّسان والإذعان بالجنان فاستقامة القلب جزء من مفهومه وهو جهة الفرق بينه وبين الإسلام ما أنه لا غبار علي ترتبه على الثالث على قول من يجعل العمل بالأركان أيضاً شطراً منه.

---

(١) الكافي: ٢/١٦٦ ح٢١، ومن لا يحضره الفقيه: ٤/٣٩٦ ح٥٨٤٢.

وأما ترتب الثاني على الثالث فلا يخلو من إشكال وإغلاق، لظهور أن اللسان ترجمان القلب فاستقامته موقوفة على استقامته لا بالعكس، وبعد التنزل عن ذلك فغاية الأمر تلازمهما وارتباط كل منهما بالآخر، وأما التوقف فلا.

ووجه التلازم أن القلب لما كان رئيس الأعضاء والجوارح ومن جملتها اللّسان كان استقامته مستلزمة لاستقامتها وكذلك استقامتها مستلزمة لاستقامته لأنها لو لم تكن مستقيمة بأن صدر منه الذنب والباطل يسري عدم استقامتها أي فسادها إلى القلب فيفسد بفسادها.

ويدل على ذلك ما رواه في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذّنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» [المطففين: ١٤].

فإن هذه الرواية والآية المستشهد بها كما ترى مضافة إلى الروايات الأخر تدل على اسوداد لوح القلب بكثرة الذنوب الصّادرة من الجوارح، فيوجب عدم استقامتها لعدم استقامته واستقامتها لاستقامته.

لكنه يتوجّه عليه أن غاية ما يتحصل من هذا التقرير أن عدم استقامتها سبب لعدم استقامته، وأما أن استقامتها سبب لاستقامته فلا فافهم جيّداً.

مع أن لقائل أن يقول: إن مرجع صدور الذّنب عنها الموجب لعدم استقامتها في الحقيقة إلى عدم استقامته لأن القلب إذا كان سالماً مستقيماً لا يعزم على معصية ولا يريدها، ومع عدم إرادتها لا يصدر ذنب عن الأعضاء حتى يسرى ظلمته ورينه إلى القلب.

فقد علم من ذلك كلّه أن استقامة اللسان كسائر الأعضاء موقوفة على استقامة القلب ومترتّبة عليها لا بالعكس.

وبعد اللتيا والتي فالّذي يخطر بالبال في حل الإشكال السابق أن معنى الحديث: أنه لا يعرف استقامة إيمان عبد إلا بأن يعرف استقامة قلبه، ولا يعرف استقامة قلبه إلا باستقامة لسانه، فيستدل باستقامة اللّسان على الحق أي بتنطّقه على كلمة التوحيد والنبوة والولاية، وبإمساكه عن الغيبة والنميمة والكذب وغيرها من هفوات اللسان على استقامة القلب أي على إذعانه بما ذكر وعلى خلّوه عن الأمراض النفسانية ويستدل باستقامته على استقامة الإيمان أي على أن العبد مؤمن كامل.

---

(١) رسائل الشهيد الثاني: ١٠٥، والكافي: ٢/ ٢٧٣ ح٢٠.

ويقرب هذا التوجيه أنّه عليه السلام لما ذكر: أن لسان المؤمن من وراء قلبه وأن قلب المنافق من وراء لسانه عقبه بهذا الحديث ليميّز بين المؤمن والمنافق، ويحصل لك المعرفة بها حق المعرفة فيسهل عليك التشخيص إذا بينهما إذ تعرف بعد ذلك البيان أن مستقيم اللسان مؤمن وغير مستقيمه منافق.

قال الشارح الفقير الغريق في بحر الذّنب والتقصير: إني قد أطلت فكري وأتعبت نظري في توجيه معنى الحديث وأسهرت ليلتي هذه وهي الليلة الثالثة عشر من شهر الله المبارك في حل إشكاله حتى مضت من أول الليل ثماني ساعات وأثبت ما سنح بالخاطر وأدى إليه النّظر القاصر، ثمّ تجلى بحمد الله سبحانه ومنّته نور العرفان من ألطاف صاحب الولاية المطلقة على القلب القاسي فأسفر عنه الظلام واهتدى إلى وجه المرام فسنح بالبال توجيه وجيه هو أعذب وأحلى، ومعنى لطيف هو أمتن وأصفى وهو أن يقال:

إنه عليه السلام كنّى باستقامة الإيمان والقلب واللسان عن كمالها وأن مراده أن من أراد أن يكون إيمانه كاملاً أي إيماناً نافعاً في العقبى لا بد من أن يكمل قلبه أي يكون بريئاً سالماً من الأمراض النفسانيّة، ومن أراد كمال قلبه فلا بد له من أن يكمل لسانه أي يكون محفوظاً من العثرات مختزناً إلاّ عن خير، ففي الحقيقة الغرض من الحديث التنبيه والإرشاد إلى تكميل القلب واللسان لتحصيل كمال الإيمان.

ونظيره ما رواه عن الحلبي رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمسك لسانك فإنها صدقة تصدق به على نفسك ثم قال: ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه[1].

وعلى هذا التوجيه التأم أجزاء كلام الإمام على أحسن ائتلاف وانسجام إذ يكون الحديث حينئذ أشد ارتباطاً بسابقه، لأنه عليه السلام لما أمر بأن يختزن الرجل لسانه وأكده بأن خزن اللسان من وظائف المؤمن لكون لسانه من وراء قلبه، عقّبه بهذا الحديث تأييداً وتقوية واستشهاداً على ما أمر به من اختزان اللسان ويكون مناسبته اللاحقة أيضاً أكثر وهو قوله:

(فمن استطاع منكم أن يلقى الله سبحانه وهو نقي الراحة) والكف **(من دماء المسلمين)** أي سالماً من قتلهم **(وأموالهم سليم اللسان من أعراضهم)** أي متجنباً من الغيبة والفحش والنميمة والهجاء ونحوها **(فليفعل)** لأن ذلك من شرائط الإسلام ولوازم الإيمان فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

قال الشارح البحراني: وشرط ذلك أي الكف عن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم

(١) الكافي: ٢/ ١١٤ ح٧، وتحف العقول: ٢٩٨.

بالاستطاعة لعسره وشدّته وإن كان واجب الترك على كلّ حال وأشدّها الكف عن الغيبة فإنّه يكاد أن لا يستطاع انتهى.

أقول: الظاهر من قوله: وإن كان واجب الترك على كلّ حال، وجوب تركها حتى مع عدم الاستطاعة وهو باطل، أو الاستطاعة مساوق للقدرة وهي شرط في جميع التكاليف الشرعية قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم.

ثمّ إنه عليه السلام نبه على بطلان العمل بالرأي والمقاييس ونهى عن متابعة البدع فقال: **(واعلموا عباد الله أن المؤمن يستحل العام ما استحل عاماً أول ويحرم العام ما حرم عاماً أول)** يعني أن المؤمن إذا ثبت عنده سابقاً حلية شيء بالكتاب أو السنة وحكم بحليته عن نص فيحكم بحليته الآن، ولا ينقض الحكم الثابت بالنّص برأيه واجتهاده وكذلك إذا ثبت عنده سابقاً حرمة شيء بهما وحكم بحرمته عن دليل فيحكم بحرمته الآن، ولا يخالف الحكم الثابت ولا يتعدى عنه بالرأي والقياس وهكذا سائر الأحكام الشرعية.

(وإن ما أحدث الناس) من أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله:

مثل ما صدر عن أبي بكر من طلب البيّنة من فاطمة سلام الله عليها في باب فدك مع كون البيّنة على المدّعي، وغصب فدك عنها مع مخالفته لنصّ الكتاب والرسول صلى الله عليه وآله[١].

وما أحدثه عمر من صلاة التراويح، ومن وضع الخراج على أرض السواد، وازدياده أي أخذه الزيادة الجزية عما قررها رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وما أبدعه عثمان من التفضيل في العطاء وإحداثه الأذان يوم الجمعة زائداً عما سنه رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقديمه الخطبتين في العيدين مع كون الصلاة مقدمة عليها في زمان الرسول صلى الله عليه وآله، وإتمامه الصلاة بمنى مع كونه مسافراً، وإعطائه من بيت المال الصّدقة المقاتلة وغيرها، وحمايته لحمى المسلمين مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعلهم شرعاً سواء في الماء والكلاء إلى غير هذه من البدعات التي أحدثوها في الدين وفصّلها أصحابنا رضوان الله عليهم في ذيل مطاعنهم[٣].

فإن شيئاً من ذلك **(لا يحل لكم شيئاً مما حرّم عليكم)** ولا يحرم شيئاً عليكم مما أحلّ

(١) راجع اللمعة البيضاء للتبريزي: ٢٠٤.

(٢) راجع معالم المدرستين: ٢/ ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٣) راجع للطعن عليه بحار الأنوار: ٣١/ ١٦٢ إلى ٢٤٠.

لكم، يعني قول هؤلاء المبدعين المغيّرين للأحكام لا يوجب تغييرها في الواقع، فلا يجوز الاعتماد على أقوالهم والاعتقاد بآرائهم، وقد ذم الله اليهود والنصارى بأنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فالآخذون بقول هؤلاء المبدعين يكونون مثل اليهود والنصارى.

روى في الوسائل عن تفسير العياشي عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] قال عليه السلام: أما أنهم لم يتخذوهم آلهة إلا أنهم أحلّوا لهم حلالاً فأخذوا به، وحرّموا حراماً فأخذوا به، فكانوا أرباباً لهم من دون الله.

وعن حذيفة قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ الآية، فقال: لم يكونوا يعبدونهم، ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلّوها، وإذا حرّموا عليهم حرّموها(١).

وفي الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: اتخذوا الآية، فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا ما أمر الله، هل رأيتم شاعراً قط تبعه أحد إنما عنى بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك(٢).

ويؤكد ذلك قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥﴾ [الشعراء: ٢٢٥] يعني يناظرون بالأباطيل ويجادلون بالحجج المضلين وفي كل مذهب يذهبون ﴿وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦﴾ قال عليه السلام: يعظون الناس ولا يتعظون وينهون عن المنكر ولا ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ فيهم ﴿أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ﴾ أي في كل مذهب يذهبون ﴿وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦﴾ [الشعراء: ٢٢٦] وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم(٣).

فظهر بذلك كله أن متابعة هؤلاء حرام، واستحلالهم استحلال ما أحلّوه واستحرام ما حرّموه غيّ وضلال، إذ ليس لهم أن يغيّروا الأحكام من تلقاء أنفسهم، ولا أن يبدّلوا الحلال بالحرام والحرام بالحلال.

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٨٧ ح٤٩، وتفسير الصافي: ١/ ٦٩٥.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٧/ ١٣٣ ح٣٣٤٠٤، وبحار الأنوار: ٢/ ٢٩٨ ح٢١.

(٣) تفسير نور الثقلين: ٤/ ٧٣ ح١٦٦، وتأويل الآيات: ١/ ٤٠٠ ح٣١.

كما أشار إليه بقوله: **(ولكن الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله)** اللام في لفظي الحلال والحرام للجنس فتفيد قصر المسند إليه في المسند كما تقدم تحقيقه في شرح الكلام المائة والرابع والأربعين عند شرح قوله عليه السلام: إن الأئمة من قريش، ويحتمل أن تكون للعهد فتفيد الحصر أيضاً كما عرفته في شرح الخطبة المائة والثالثة والخمسين عند شرح قوله عليه السلام: نحن الشعار والأصحاب، فيكون المعنى أن ماهية الحلال والحرام وحقيقتهما إذا الحلال المعهود الثابت من الشريعة أي الذي يجوز تناوله والحرام المعهود الثابت منها أي الذي لا يجوز ارتكابه هو منحصر فيما أحله الله سبحانه وحرّمه وأفصح عن حليته وحرمته في كتابه الكريم ولسان نبيّه الحكيم، فغير ذلك مما أحلّه الناس وحرّموه ليس حلالاً ولا حراماً إذ حلال محمد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

كما يدل عليه ما رواه في الكافي عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال عليه السلام: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام أبداً إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يجيء غيره»(١).

وقال: قال علي عليه السلام: ما أحد يبدع بدعة إلاّ ترك بها سنّة(٢)، هذا.

ولا يخفى عليك أن هذه الخطبة إن كان صدورها بعد قتل عثمان والبيعة له عليه السلام بالخلافة كما حكيناه سابقاً عن بعض الشارحين، فالأشبه على ذلك أن يكون قوله عليه السلام: وأن ما أحدث الناس إلى آخره توطئة وتمهيداً لما كان مكنوناً في خاطره. من تغيير البدعات المحدثات في أيام خلافة الثلاثة وإجراء الأحكام الشرعية على وجهها بعد استقرار أمر خلافته لو كان متمكناً منه حتى لا يعترض عليه الناس ولا يطعنوا عليه، كما بان عنه في بعض كلماته الآتية في الكتاب حيث قال: لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء، ولكنّه عليه السلام لم يتمكن من التغيير.

وقد روى في البحار من التهذيب عن عليّ بن الحسن بن فضّال عن أحمد بن الحسن عن عمرو بن سعيد المدايني عن مصدّق بن صدقة عن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن صلاة في رمضان في المساجد قال: لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي عليه السلام أن ينادي في الناس لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في الناس الحسن بن علي عليه السلام بما أمره به أمير المؤمنين عليه السلام، فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي عليه السلام صاحوا: واعمراه واعمراه فلما رجع الحسن إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال له: ما

---

(١) مجمع الفائدة: ١/٨ ح١، ومصباح الفقاهة: ٤/٤٥٩.

(٢) الكافي: ١/٥٨ ح١٩، وبحار الأنوار: ٢/٢٦٤ ح١٥.

هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون واعمراه واعمراه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قل لهم: صلوا[١]، هذا.

ولما بيّن انحصار الحلال والحرام فيما أحله الله سبحانه وحرمه أردفه بقوله: **(فقد جرّبتم الأمور وضرّستموها)** أ أحكمتموها بالتجربة والممارسة، وظهر لكم جيّدها من رديها وحقّها من باطلها **(ووعظتم بمن كان قبلكم)** أي وعظكم الله سبحانه في كتابه بالأمم الماضية وبما جرى منه في حق المؤمنين منهم من الجزاء الجميل وما جرى في حق العاصين منهم من العذاب الوبيل **(وضربت)** في الفرقان الحكيم **(الأمثال لكم)** الكثيرة الموضحة للحق من الباطل والفارقة بينهما **(ودعيتم إلى الأمر الواضح)** أي إلى أمر الدين والإسلام الذي أوضحه كتاب الله وسنة رسوله حق الوضوح ولم يبق عليه سترة ولا حجاب.

والمقصود من هذه الجملات تنبيه المخاطبين على أنهم بعد ما حصل لهم هذه الأمور أعني تجربة الأمور وأحكامها والموعظة وضرب الأمثال الظاهرة والدعوة إلى الأمر الواضح يحقّ لهم أن يعرفوا أحكام الشريعة حق المعرفة، وأن يميّزوا بين البدعات والسّنن إذ تلك الأمور معدّة لحصول المعرفة ولوضوح الفرق بين البدعة والسنّة وبين المجعولة والحقيقة.

(فلا يصمّ عن ذلك) أي لا يغفل عن ما ذكر من الأمور أو عن الأمر الواضح الذي دعوا إليه **(إلا)** من هو **(أصمّ)** أي الغافل البالغ في غفلته النهاية والتنوين للتفخيم والتعظيم كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ أي غشاوة عظيمة وهكذا في قوله: **(ولا يعمى عنه إلا أعمى)** أي لا يضل عنه ولا يجهل به إلا من هو شديد الضلال والجهالة.

(ومن لم ينفعه الله بالبلاء) أي بما بلاه به من المكاره والمصائب **(و)** بـ**(التجارب)** المكتسبة من مزاولة الأمور ومقاساة الشدائد **(لم ينتفع بشيء من العظة)** لأن تأثير البلاء والتجارب في النفس أشد وأقوى من تأثير النصح والموعظة، لأنّ الموعظة إحالة على الغائب، والبلية والتجربة مدركة بالحس فمن لا ينفعه الأقوى لا ينفعه الأضعف بالطريق الأولى **(وأتاه النقص من أمامه)** أي من بين يديه.

قال الشارح البحراني: لأن الكمالات التي يتوجّه إليها بوجه عقله تفوته لنقصان تجربته ووقوف عقله عنها فشبه فوتها له مع طلبه لها إتيان النقص له من أمامه.

وقوله: **(حتى يعرف ما أنكر وينكر ما عرف)** إشارة إلى غاية نقصانه، وهي الاختلاط والحكم على غير بصيرة، فتارة يتخيل فيما أنكره وجهله أنه عارف بحقيقته، وتارة ينكر ما كان يعرفه ويحكم بصحّته لخيال يطرأ عليه.

---

(١) تهذيب الأحكام: ٣/ ٧٠ ح٢٢٦، ووسائل الشيعة: ٨/ ٤٦ ح١٠٠٦٣.

قال الشارح المعتزلي: حتى يتخيّل فيما أنكره أنّه قد عرفه وينكر ما قد كان عارفاً وسمّى اعتقاد العرفان وتخيله عرفاناً على المجاز.

ثمّ فرع على ما ذكر انقسام الناس قسمين فقال عليه السلام: **(فإن الناس رجلان متبع شرعة)** أي متشرع آخذ بشرائع الدين، وسألك لمنهاج الشرع المبين، وهو العامل بكتاب الله سبحانه وسنّته والمقتبس من نورهما والمنتفع بما فيهما من النصائح والمواعظ والأمثال المضروبة، وهو من الذين قال الله فيهم ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

(ومبتدع بدعة) وهو الذي لم ينتفع بهما بل نبذ أحكامهما وراءه واتبع هواه وعمل بآرائه ومقايسه فأعمى الله قلبه عن معرفة الحق واصمّه عن استماعه كما قال: صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون **(ليس معه من)** عند **(الله)** سبحانه **(برهان سنة ولا ضياء حجة)** أي ليس له فيما أحدثه من البدعة دليل عليه من سنة ولا حجة بيّنة واضحة من الكتاب الكريم تنجيه لوضوحها وضيائها من ظلمة الجهل والضلال.

قال أبو شيبة الخراساني: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحق إلا بعداً وإن دين الله لا يصاب بالعقول»[١]، رواه في الكافي.

وفيه أيضاً عن محمد بن أبي عبد الله رفعه عن يونس بن عبد الرحمان قال: قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: بما أُوحد الله عزّ وجلّ؟ فقال: «يا يونس لا تكوننّ مبتدعاً من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر»[٢].

ولما ذكر أن أصحاب البدع ليس لهم دليل من سنة يتمسكون به ولا نور حجة يستضيئون به أردفه بذكر ممادح القررن تنبيهاً على كونه البرهان الحق والنّور المضيء أحقّ بالاتباع والاهتداء. وأجدر أن يقتبس من أنواره. ويتعظ بمواعظه ونصائحه، وعلى أن الراغبين عنه التابعين لأهوائهم والآخذين بالآراء والمقاييس تائهون في بوادي الجهالة، هائمون في فيافي الضلالة فقال:

(وإنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن) لأن الغرض من جميع المواعظ المتضمّنة للوعد والوعيد والترغيب والتهديد هو الجذب إلى طرف الحقّ والإرشاد إلى حظيرة القدس، والقرآن أبلغ منها كلها في إفادة ذلك الغرض وأكمل في تحصيل ذلك المقصود **(فإنه**

(١) الحدائق الناضرة: ١/ ٦٥، ووسائل الشيعة: ٢٧/ ٤٣ ح٣٣١٦٨.

(٢) الكافي: ١/ ٥٦ ح١٠، ووسائل الشيعة: ٢٧/ ٤٠ ح٣٣١٥٧.

حبل الله المتين) من تمسّك به نجا ومن تركه فقد هوى، ووصفه بالمتانة والإحكام لأنه حبل ممدود من الأرض إلى السماء من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها **(وسببه الأمين)** ووصفه بالأمانة لأنه لا يخون المتوصل به في إيصاله إلى حظائر القدس ومجالس الأُنس وقرب الحق **(وفيه ربيع القلب)** لأن القلوب تلتذ وتنشط وترتاح بتلاوة آياته وتدبر ما فيها من المحاسن والمزايا وتفكر ما تضمنته تلك الآيات من النكات البديعة واللطائف العجيبة، كما أن النفوس تلتذ بأزهار الربيع وأنواره.

(و) فهي (ينابيع العلم) استعارة بالكناية حيث شبه العلم بالماء إذ به حياة الأَرواح كما أن بالماء حياة الأبدان، وذكر الينابيع تخييل، وفي نسخة الشارح بدل ينابيع العلم: ينابيع العلوم والمقصود واحد، وإنما كان ينابيع العلوم إذ جميع العلوم خارجة منه لتضمنه علم ما كان وما هو كائن وما يكون كما قال عز من قائل: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

(وما للقلب جلاء غيره) إذ فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى والتفكر فيه يجلو القلوب من رين الشكوكات ويرتفع به عنها صدى الشبهات كما يجلو الصيقل المرآة.

فإن قلت: لم جعل الجلاء مقصوراً فيه مع حصوله بغيره من العلوم الحقة؟

قلت: لما كان القرآن ينابيع جميع العلوم حسبما عرفت يؤل حصول الجلاء بها إلى الجلاء به في الحقيقة، أو أن المراد نفي الكمال أي ليس للقلب جلاء كامل غيره.

وهذا الجواب أولى مما أجاب به الشارح البحراني: من أن هذا الكلام صدر عنه عليه السلام ولم يكن في هذا الزمان علم مدون ولا استفادة للمسلمين إلا من القرآن الكريم، فلم يكن إذا جلاء للقلب غيره.

وجه الأولوية أن الأَحاديث النبويّة كانت موجودة بأيديهم يومئذ والاستفادة منها كانت ممكنة لمن أرادها، وأما غير المريد لها من الذين على قلوبهم أقفالها فالقرآن والحديث بالنسبة إليهم أيضاً على حد سواء كما لا يخفى.

(مع أنه قد ذهب المتذكرون) بالقرآن المتدبرون في معانيه المستضيئون بضيائه المقتبسون من أنواره **(وبقي الناسون)** له حقيقة **(أو المتناسون)** المظهرون للنسيان لأغراض دنيوية.

وارتباط هذا الكلام أعني قوله: مع أنه بما سبق، أنه لما ذكر ممادح القرآن وأنه أبلغ المواعظ وأجلى للقلوب، وكان الغرض منه حث المخاطبين وتحريصهم على اتباعه والتذكر به أتبعه بذلك أسفاً على الماضين وتقريعاً على الباقين بأنهم لا يتذكرون به ولا يتبعونه ولا يتعظون بمواعظه.

ومحصله إظهار اليأس من قبولهم للموعظة واستبعاد ذلك لما تفرس منهم من فساد النيات ومتابعة الهوى والشهوات.

ويحتمل أن يكون توطئة وتمهيداً لما كان يريده من أمرهم بإعانة الخير وتجنّب الشرّ، يعني مع أن المتذكرين وأولي البصائر قد مضوا ولم يبق إلا الغافلون الجاهلون وتأثير الموعظة فيهم صعب جداً، مع ذلك أعظكم وأذكركم وإن لم تنفع الذكرى بقولي **(فإذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه وإذا رأيتم شراً فاذهبوا عنه)** لفظ الخير والشر وإن كان مطلقاً شاملاً بإطلاقه لكل خير وشر، إلا أن الأشبه أن يكون نظره فيهما إلى الخير والشر المخصوصين.

بأن يكون مراده من الخير الخير الذي كان يريده في حقهم وإن كان مكروهاً وكانوا لهم متنفرين عنه بطبعهم من التسوية في العطاء والحمل على جادة الوسطى وأمر الحق، ويكون المراد بإعانتهم عليه تسليمهم له في كل ما يأمر وينهى ورضاهم بكلّ ما يفعل ويريد، وسعيهم في مقاصده ومآربه.

وأن يكون مراده من الشر ما تفرس منهم بل شاهده من قصدهم لنكث البيعة وثوران الفتنة، ويكون المراد بالذهاب عنه الإعراب عنه والترك له.

وإنّما قلنا: إن الأشبه ذلك لما حكيناه عن بعض الشراح من أن هذه الخطبة خطب بها في أوائل البيعة فقرينة الحال والمقام تشعر بما ذكرناه.

وكيف كان فلما أمر عليه السلام بما أمر أكده بالحديث النبوي صلى الله عليه وآله فقال: **(فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول:** يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشر) أي أتركه **(فإذا أنت جواد قاصد)** يحتمل أن يكون المراد بالقاصد الرشاد الغير المجاوز عن الحد في سيره بأن لا يكون سريع السّير فيتعب بسرعته، ولا بطيء السّير فيفوت الغرض ببطئه، وأن يكون المراد به السائر فيقصد السّبيل أي غير الخارج عن الجادة الوسطى، وتشبيه عامل الخير وتارك الشرّ به على الأوّل من أجل اتصافه بالعدل في أموره وبراءته من الإفراط والتفريط، وعلى الثاني من أجل كون سلوكه على الجادة الوسط والصراط المستقيم الموصل به إلى نضرة النّعيم والفوز العظيم.

ثمّ نبّه على أقسام الظلم تلميحاً إلى مظلوميته عليه السلام وتنبيهاً على أن ظلامته لا تترك فقال **(إلا وأن الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله)** لما **(قال الله سبحانه إن الله لا يغفر أن يشرك به)** عدم الغفران بالشرك مشروط بعدم التوبة، لأن الأمة أجمعت على أن الله يغفره بالتوبة وإن كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضل والأنعام كما يأتي التصريح بذلك عن مجمع البيان.

(وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات) لعلّ المراد بذلك البعض الصغائر لأن الاجتناب عن الكبائر يكون كفارة لها كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

وأمّا حمله على المغفرة بالتوبة أو الشفاعة ففيه أن المغفرة بهما لا اختصاص لها ببعض الهنات السيئات بل جميع المعاصي تكون مغفورة بعد حصول التوبة والشفاعة على أن حمله على صورة التوبة يوجب عدم الفرق بينه وبين القسم الأوّل لما عرفت هناك من الإجماع على غفران الشرك أيضاً بالتوبة كسائر المعاصي صغيرة أو كبيرة فلا يكون على ذلك للتفكيك بين القسمين وجه.

والحال أن الشرك وغيره مشتركان في الغفران بالتوبة وفي عدمه بعدمها إلاّ الصغائر فإنها تغفر مع عدمها أيضاً إذا حصل الاجتناب عن الكبائر هذا.

ولكن ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] هو غفران ما دون الشرك مطلقاً صغيراً كان أو كبيراً، بل صرح به في بعض الأخبار.

وهو ما رواه في الصافي من الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: قال: الكبائر فما سواها(١).

وفيه منه ومن الفقيه أنه عليه السلام سئل: هل تدخل الكبائر في مشية الله؟ قال: نعم ذاك إليه عزّ وجلّ إن شاء عذب وإن شاء عفى عنها(٢).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم عند تفسير هذه الآية قال: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: دخلت الكبائر في الاستثناء؟ قال: نعم(٣).

قال الطبرسي في مجمع البيان في تفسيرها: معناها أن الله لا يغفر أن يشرك به أحد ولا يغفر ذنب المشرك لأحد ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يريد(٤).

قال المحققون: هذه الآية أرجى آية في القرآن، لأن فيه إدخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشية الغفران وقف الله المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف

---

(١) التفسير الصافي: ١/ ٤٥٧.

(٢) التفسير الصافي: ١/ ٤٥٨، وتفسير نور الثقلين: ١/ ٤٨٨ ح٢٩٠.

(٣) مستدرك الوسائل: ١١/ ٣٦٢ ح١٣٢٦٨، وتفسير نور الثقلين: ١/ ٤٨٨ ح٢٨٥.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٦/ ٦٣ بتفاوت.

والرّجاء وبين العدل والفضل، وذلك صفة المؤمن، ولذلك قال الصادق عليه السلام: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا.

قال الطبرسي: ووجه الاستدلال بهذه على أن الله يغفر الذنوب من غير توبة أنه نفي غفران الشرك ولم ينف غفرانه على كلّ حال بل نفى أن يغفر من غير توبة لأن الأمة اجتمعت على أن الله يغفره بالتوبة وإن كان الغفران عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضل، وعلى هذا يجب أن يكون المراد بقوله: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، أنه يغفر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين[١].

ولا معنى لقول المعتزلة: إن في حمل الآية على ظاهرها وإدخال ما دون الشرك في المشيّة إغراء على المعصية، لأن الإغراء إنّما يحصل بالقطع على الغفران فأمّا إذا كان الغفران معلّقاً بالمشية فلا إغراء فيه. بل يكون العبد به واقفاً بين الخوف والرجاء وبهذا وردت الأخبار الكثيرة من طريق الخاص والعام، وانعقد عليه إجماع سلف أهل الإسلام.

ومن قال في غفران ذنوب البعض دون البعض ميل ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله.

فجوابه: أن الله متفضل بالغفران وللمتفضل أن يتفضل على قوم دون قوم وإنسان دون إنسان، وهو عادل في تعذيب من يعذبه، وليس يمنع العقل والشرع من الفضل والعدل.

ومن قال منهم: أن لفظة ما دون ذلك وإن كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك فإنما نخصها ونحملها على الصغائر أو ما يقع منه التوبة لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد.

فجوابه إنّا نعكس عليكم ذلك فنقول: بل خصّصوا ظواهر تلك الآيات لعموم هذه الآية وهذا أولى لما روي عن بعض أنه قال: إن هذه الآية استثناء على جميع القرآن يريد به ـ والله أعلم ـ جميع آيات الوعيد.

وأيضاً فإن الصغائر ترتفع عندكم محبطه ولا تجوز المؤاخذة بها، وما هذا حكمه فكيف تعلق بالمشيّة فإن أحداً لا يقول: إني أفعل الواجب إن شئت وأردّ الوديعة إن شئت، انتهى.

وبما ذكرنا ظهر لك فساد ما توهمه الشارح المعتزلي فإنّه بعد ما ذكر أن الكبائر حكمها حكم الشرك عند أصحابه المعتزلة في عدم المغفرة اعترض على نفسه بأن الآية صريحة في التفكيك بينها وبينه، وأجاب بما ملخصه: أن المراد من لفظ الغفران هو الستر في موقف

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٣/ ١٠٢.

القيامة والمراد أن الله لا يستر في موقف القيامة من مات مشركاً بل يفضحه على رؤوس الأشهاد، وأمّا من مات على كبيرة من أهل الإسلام فإن الله يستره في الموقف ولا يفضحه بين الخلائق وإن كان من أهل النار، وقد يكون من أهل الكبائر ممن يقر بالذنوب من تعظم كبائره جداً فيفضحه الله في الموقف كما يفضح المشرك، فهذا معنى قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ انتهى.

وجه الفساد أن الغفر وإن كان في اللّغة بمعنى الستر والتغطية إلاّ أنّه في الآيات والأخبار حيثما يطلق يراد به التجاوز عن الخطايا والعفو عن الذنوب والستر عليها، فحمله على الستر المخصوص بالموقف خلاف ظاهر الإطلاق، والأصل عدم التقييد فلا داعي إلى المصير إليه.

وأقول: على رغم المعتزلة أنهم لتمسكهم بحجزة خلفائهم الضّالين المضلّين وانحرافهم عن أولياء الدّين أساؤوا ظنّهم بالله رب العالمين وحكموا في مرتكبي الكبائر من المسلمين بكونهم في النار معذّبين كالكفار والمشركين، والله سبحانه مجازيهم على نياتهم وعقيدتهم وحاشرهم يوم القيامة مع من يتولّونه ثمّ يردهم إلى أسفل السافلين من الجحيم مخلّدين فيها ولا هم عنها يخرجون.

وأما نحن فلاعتصامنا بالعروة الوثقى والحبل المتين أعني ولاية أمير المؤمنين وولاية آله المعصومين نحسن ظننا بالله ونرجو غفرانه وعفوه والحشر مع أوليائنا وإن كنا في بحار الذنوب مغرقين، ولا نظن في حق ربنا الغفور الرحيم أنه يسمع في النار صوت عبد مسلم سجن فيها بمخالفته وذاق طعم عذابها بمعصيته وحبس بين أطباقها بجرمه وجريرته وهو يضج إليه ضجيج مؤمّل لرحمته ويناديه بلسان أهل توحيده ويتوسّل إليه بروبوبيّته، فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ما سلف من حلمه ورأفته، أم كيف تؤلمه النّار وهو يأمل فضله ورحمته، أم كيف يحرقه لهبها وهو يسمع صوته ويرى مكانه، أم كيف يشتمل عليه زفيرها وهو يعلم ضعفه أم كيف يتغلغل بين أطباقها وهو يعلم صدقه، أم كيف تزجره زبانيتها وهو يناديه يا ربّاه، أم كيف يرجو فضله في عتقه منها فيتركه فيها هيهات ما هكذا الظنّ به ولا المعروف من فضله، ولا مشبه لما عامل به الموحدين من بره وإحسانه، فباليقين نقطع لولا ما حكم به من تعذيب جاحديه وقضى به من إخلاد معانديه لجعل النار كلها برداً وسلاماً وما كان لأحد من شيعة أمير المؤمنين ومحبّيه مقراً ولا مقاماً.

ولقد روي في الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ولقد سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو أن المؤمن خرج من الدنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفّارة لتلك الذنوب ثم قال صلى الله عليه وآله: ومن قال لا إله إلا الله بإخلاص فهو بريء من الشرك، ومن خرج من

الدنيا لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة ثم تلى ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] من شيعتك ومحبّيك يا علي قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله هذا لشيعتي؟ قال ﷺ: أي وربّي هذا لشيعتك(١)، هذا.

(وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً) فقد روى في الكافي عن شيخ عن النخعي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إني لم أزل والياً منذ زمن الحجّاج إلى يومي هذا فهل لي من توبة؟ قال: فسكت ثمّ أعدت عليه فقال: لا حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه.

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال: «من ظلم مظلمة أخذ بها في نفسه أو في ماله أو في ولده»(٢).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم وذلك قول الله عزّ وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾» [الأنعام: ١٢٩].

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آلهما: «من خاف القصاص كف عن ظلم الناس»(٣).

(فـ) إن (القصاص هناك) أي في الآخرة مضافاً إلى قصاص الدنيا (شديد)، ويوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم، لأن يوم الظالم الدّنيا فقط، ويوق المظلوم الدّنيا والآخرة والمنتقم هو الله سبحانه و(ليس هواي) قصاصه وانتقامه (جرحاً بالمدى) والسّكاكين (ولا ضرباً بالسّياط) والعصا ونحو ذلك من مولمات الدّنيا (ولكنه ما يستصغر ذلك معه) هو نار الجحيم والعذاب الأليم والخزي العظيم.

قال الشارح: قد أشرت سابقاً إلى أن في ذكره أقسام الظلم وما يترتب عليها من العقوبات تلميحاً إلى مظلوميته عليه السلام وتنبيهاً على أن الظلم الذي وقع في حقه ليس بحيث يترك ويرفع اليد عنه، بل يقتص من ظالميه البتة وينتقم بمقتضى العدل والله عزيز ذو انتقام، وحيث إن ظلامة آل محمد ﷺ أعظم ما وقع في الأرض من المظالم حيث غصبوا خلافتهم وأحرقوا باب بيتهم وأسقطوا محسنهم وقتلوا أمير المؤمنين وابنيه الحسن والحسين بالسم وسيف العدوان وأداروا رأسه ورأس أصحابه على الرماح والسنان، وشهروا نساءه وبناته في الأصقاع والبلدان إلى غير ذلك من الظلم والطغيان الذي يعجز عن تقريره اللسان ويضيق عنه

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤١٢، وبحار الأنوار: ٦٥/ ١٤٠ ح٨٢.

(٢) شرح أصول الكافي: ٩/ ٣٨٢ ح٩، ووسائل الشيعة: ١٦/ ٤٧ ح٢٠٩٤٣.

(٣) الكافي: ٢/ ٣٣٤ ح١٩، وثواب الأعمال: ٢٧٤.

(٤) الكافي: ٢/ ٣٣١ ح٦، وثواب الأعمال: ٢٧٣.

البيان، فلا بد أن يكون قصاص ظلاماتهم أشد وعقوبة ظالميهم أعظم وأخزى وأحببت أن أورد بعض ما ورد فيه من الأخبار باقتضاء المقام.

فأقول: روى في البحار من كتاب الاحتجاج عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في يوم بيعة أبي بكر: لست بقائل غير شيء واحد أذكركم بالله أيها الأربعة ـ يعنيني والزبير وأبا ذر والمقداد ـ أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن تابوتاً من النار فيه إثنا عشر رجلاً، ستة من الأوّلين وستة من الآخرين في جبّ في قعر جهنّم في تابوت مقفل على ذلك الجبّ صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنّم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجب فاستعاذت جهنم من وهيج ذلك الجب[1].

فسألناه عنهم وأنتم شهود، فقال النبي صلى الله عليه وآله:

«أما الأولان فابن آدم عليه السلام الذي قتل أخاه، وفرعون الفراعنة، والذي حاج إبراهيم في ربه، ورجلان من بني إسرائيل بدّلا كتابهما وغيّرا سنّتهما أما أحدهما فهوّد اليهود والآخر نصّر النصارى وإبليس سادسهم والدجال في الآخرين.

وهؤلاء الخمسة أصحاب الصّحيفة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا أخي والتظاهر عليك بعدي هذا وهذا، حتى عدّهم وسمّاهم، فقال سلمان: فقلنا صدقت نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ قال عليه السلام: الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره سأل الله أن يأذن له فيتنفس فأذن له فتنفس فأحرق جهنم، فقال عليه السلام: وفي ذلك الجب صندوق من نار يتعوّذ منه أهل الجبّ من حر ذلك الصندوق وهو التابوت وفي ذلك ستة من الأولين وستة من الآخرين.

فأمّا السّتة التي من الأولين فابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود إبراهيم الذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسامري الذي اتخذ العجل، والذي هود اليهود، والذي نصر النصارى.

وأمّا الستة من الآخرين فهو الأول، والثاني، والثالث، والرابع، وصاحب الجوارح، وابن ملجم «ومن شرّ غاسق إذا وقب» قال عليه السلام: الذي يلقى في الجب يقب فيه[3].

---

(١) الاحتجاج: ١/١١٢، وبحار الأنوار: ٢٨/٢٧٩.

(٢) الاحتجاج: ١/١١٣، وبحار الأنوار: ٢٨/٢٨٠.

(٣) بحار الأنوار: ٨/٢٩٦ ح٤٦، وتفسير نور الثقلين: ٥/٧٢١ ح٢٥.

وفي البحار من الخصال وعقاب الأعمال عن إسحاق بن عمّار عن موسى بن جعفر عليه السلام قال لي: يا إسحاق إن في النار لوادياً يقال له سقر لم يتنفّس منذ خلقه الله لو أذن الله عزّ ولج له في التنفس بقدر مخيط حرق ما على وجه الأرض، وأن أهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وأن في ذلك الوادي جبلاً يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الشعب لقليباً يتعوّذ جميع أهل ذلك الشعب من حر ذلك القليب ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله، وأن في ذلك القليب لحيّة يتعوّذ أهل ذلك القليب من خبث تلك الحيّة ونتنها وقذرها وما أعد الله في أنيابها من السم للذعها، وإن في جوف تلك الحيّة سبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة واثنان من هذه الأمة.

قال: قلت: جعلت فداك ومن الخمسة؟ ومن الاثنان؟

قال: فأما الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل، ونمرود الذي حاجّ إبراهيم في ربّه وقال أنا أحيي وأميت، وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، ويهودا الذي هوّد اليهود، وبولس الذي نصر النصارى، ومن هذه الأمة: الإعرابيان[١].

أقول: الإعرابيان: الأولى والثاني اللذان لم يؤمنا بالله طرفة عين.

وفيه: من عقاب الأعمال عن حنّان بن سدير قال: حدثني رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول أن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر أولهم ابن آدم الذي قتل أخها، ونمرود الذي حاجّ إبراهيم في ربه، واثنان في بني إسرائيل هوداً قومهما ونصراهما، وفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى، واثنان في هذه الأمة أحدهما شرهما في تابوت من قوارير تحت الفلق في بحار من نار[٢].

وفيه من كتاب الاختصاص عن يحيى بن محمد الفارسي عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن أمير المؤمنين صلوت الله عليه وآله قال: خرجت ذات يوم إلى ظهر الكوفة وبين يديّ قنبر فقلت: يا قنبر ترى ما أرى؟ فقال: قد ضوأ الله لك يا أمير المؤمنين عما عمى عنه بصري، فقلت: يا أصحابنا ترون ما أرى؟ فقالوا: لا قد ضوأ الله لك يا أمير المؤمنين عما عمى عنه أبصارنا فقلت: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لترونه كما أراه ولتسمعنّ كلامه كما أسمع.

---

(١) الخصال: ٣٩٩ ح١٠٦، وثواب الأعمال: ٢١٦.

(٢) ثواب الأعمال: ٢١٥، وبحار الأنوار: ٣٠/١٠ ح٧.

فما لبثنا أن طلع شيخ عظيم الهامة له عينان بالطول فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقلت: من أين أقبلت يالعين؟ قال: من الآثام، فقلت: وأين تريد؟ فقال: الآثام، فقلت. بئس الشيخ أنت، فقال: تقول: هذا يا أمير المؤمنين فوالله لأحدثنك بحديث عنيّ عن الله عزّ وجلّ ما بيننا ثالث، فقلت عنك عن الله عزّ وجلّ ما بينكما ثالث؟ قال: نعم.

قال: إنّه لما هبطت بخطيئتي إلى السماء الرابعة ناديت إلهي وسيّدي ما أحسبك خلقت من هو أشقى مني، فأوحى الله تبارك وتعالى بلى قد خلقت من هو أشقى منك فانطلق إلى مالك يريكه، فانطلقت إلى مالك فقلت: السّلام يقرئك السّلام ويقول: أرني من هو أشقى مني، فانطلق بي مالك إلى النار فرفع الطبق الأعلى فخرجت نار سوداء ظننت أنها قد أكلتني وأكلت مالكاً، فقال لها: اهدئي، فهدأت، ثم انطلق بي إلى الطبق الثاني فخرجت نار هي أشد من تلك سواداً وأشد حمّى فقال لها: أخمدي، فخمدت، إلى أن انطلق بي إلى السابع وكل نار يخرج من طبق يخرج أشد من الأولى فخرجت نار ظننت أنها قد أكلتني وأكلت مالكاً وجميع ما خلقه الله عزّ وجل فوضعت يدي على عيني وقلت: مرها يا مالك أن تخمد وإلاّ خمدتُ فقال: أنت لن تخمد إلى الوقت المعلوم، فأمرها فخمدت، فرأيت رجلين في أعناقهما سلاسل النيّران معلّقين بها إلى فوق وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها، فقلت: يا مالك من هذان؟ فقال: أو ما قرأت في ساق العرش وكنت قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته ونصرته بعليّ، فقال: هذان عدوا ذلك وظالماه.

ثم إنه حذرهم عن التلون في الدّين فقال: (**فإياكم والتلوّن في دين الله**) تحذير لهم عن عدم الثبات على خلق واحد في أمر الدّين وعن التقلب والتذبذب في أحكام الشرع المبين.

والظاهر أنه راجع إلى جماعة بلغه عليه السلام من بعضهم توقفهم في بيعته كعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وحسان بن ثابت وأسامة بن زيد وأضرابهم، وعن بعضهم إرادة النكث والنقض للبيعة بعد توكيدها مثل طلحة والزبير وأتباعهما(١).

ومرجع هذا التحذير في الحقيقة إلى التحذير عن النّفاق، لأنّ المنافق لا يستقيم على رأي واحد.

وقد ذمّ الله المنافقين على ذلك بقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ

(١) التعجب: ٢١.

ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ۝ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٣٨].

روى في الصافي عن العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال هما والثالث والرابع وعبد الرحمان وطلحة وكانوا سبعة الحديث.

وعن الصادق عليه السلام نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله في أول الأمر ثمّ كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه ثمّ كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقروا بالبيعة، ثمّ ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق من الإيمان شيء وكيف.

فلما حذرهم عن التلوّن الملازم للنفاق والتفرق علّله بقوله: **(فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل)** يعنى الاجتماع على الحق خير من الافتراق على الباطل وإن كان الأول مكروهاً لكم والثاني محبوباً لديكم، ولعلّ المراد أن اجتماعكم على بيعتي وثباتكم عليه خير لكم عاجلاً وآجلاً من افتراقكم عنها ابتغاء للفتنة وحباً لها(١).

وأكد ذلك بقوله: **(وإن الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً مما مضى ولا مما بقي)** لفظة با في الموضعين إما بمعنى من ويؤيّده ما في أكثر النسخ من لفظة من بدلها فيكون المراد أنه لم يعط أحداً من السّلف ولا من الخلف خيراً بسبب الافتراق، وإمّا بمعناها الأصلي فيكون المعنى أنه تعالى لم يعط أحداً بسبب الافتراق خيراً من الدّنيا ولا من العقبى.

وذلك لأن الإنسان مدني بالطبع محتاج في إصلاح أمر معاشه ومعاده وانتظام أولاه وأخراه إلى التعاون والاجتماع والائتلاف.

ولذلك قال عليه السلام في كلامه المائة والسابع والشعرين: والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه(٢) هذا.

ولكثرة فوائد الاجتماع والائتلاف وعظم ما يترتب عليها من الثمرات الدنيوية استحبّ مؤكّداً فعل الجمعة والجماعة والأخبار الواردة في الحث والترغيب عليهما فوق حد

(١) ميزان الحكمة: ١/ ٧٦٤، وشرح نهج البلاغة: ١٠/ ٣٣.

(٢) شرح أصول الكافي: ١/ ١٦٠، وبحار الأنوار: ٢/ ٢٦٧ ح٢٨.

الإحصاء.

(أيها النّاس طوبى لمن شغله عيبه) ومحاسبة نفسه **(عن عيب النّاس)** وغيبتهم روى في عقاب الأعمال عن الحسن بن زيد عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أسرع الخير ثواباً البر وإن أسرع الشر عقاباً البغي، وكفى بالمرء عيباً أن ينظر من الناس إلى ما يعمى عنه من نفسه، ويعير الناس بما لا يستطيع تركه ويؤذي جليسه بما لا يعنيه».

قال الطريحي في قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٢٩] أي طيب العيش، وقيل طوبى الخير وأقصى الأمنية، وقيل اسم للجنة بلغة أهل الهند، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله: أنها شجرة في الجنّة أصلها في داري وفرعها في دار علي عليه السلام فقيل له في ذلك فقال: داري ودار علي في الجنة بمكان واحد، قال: وفي الحديث هي شجرة في الجنة أصلها في دار النبي صلى الله عليه وآله وليس مؤمن إلا وفي داره غصن منها لا يخطر على قلبه شهوة إلاّ أتاه ذلك الغصن، ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتى سقط هرماً.

(وطوبى لمن لزم بيته) قد مرّ الكلام مشبعاً في فوائد العزلة وثمرتها في شرح الفصل الثاني من الخطبة المائة والثانية.

فإن قلت: أليس الاعتزال وملازمة البيت ملازماً للفرقة التي نهى عنها سابقاً فكيف يجتمع النهي عن الفرقة مع الحث على العزلة المستفاد من هذه الجملة الخبرية؟

قلت: لا تنافي بينهما، لأن النهي السابق محمول على الافتراق لإثارة الفتنة وطلب الباطل كما يشعر به كلامه السابق أيضاً، وهذا محمول على الاعتزال لطلب الحق ومناجاة الرب وتزكية النفس من رذائل الأخلاق.

كما يدل عليه قوله: **(وأكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على)** سالف **(خطيئته)** وموبق معصيته **(فكان من نفسه في شغل والنّاس منه في راحة)** أي يداً ولساناً.

روى في الكافي عن أبي البلاد رفعه قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يريد بعض غزواته فأخذ بغرز راحلته فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني عملاً أدخل به الجنّة، فقال صلى الله عليه وآله: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم، خل سبيل الراحلة»[1].

وفيه عن عثمان بن جبلة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاث خصال

---

(١) الكافي: ٢/١٤٦ ح١٠، ونهج السعادة: ٧/٣٥٤.

من كنّ فيه أو واحدة منهنّ كان في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه: رجل أعطى النّاس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخّر رجلاً حتى يعلم أنّ ذلك لله رضى، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفى ذلك العيب عن نفسه فإنّه لا ينفى منها عيباً إلا بدا له عيب وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس»[1].

(١) الخصال الصدوق: ٨١ ح٣، والكافي: ٢/ ١٤٧ ح١٦.

الترجمة

پس از آن حذر نمایید از متفرّق ساختن خلقها و از برگرداندن آن ها و بگردانید زبان را یك زبان و باید که حفظ نماید مرد زبان خود را از جهت این که این زبان سرکش است به صاحب خود، قسم به خدا نمی بینم بنده را پرهیز کند، پرهیزکاری ای که منفعت بخشد او را تا این که نگه دارد زبانش را، پس به درستی که زبان مؤمن از پشت قلب او است و به درستی که قلب منافق از پشت زبان او است، به جهت این که اگر مؤمن بخواهد تکلّم بنماید به سخنی، اندیشه می کند آن را در پیش نفس خود، پس اگر خوب باشد آن سخن، اظهار می نماید آن را و اگر بد باشد، پنهان می سازد او را و به درستی که منافق تکلّم می نماید به هرچه بر زبان او می آید و نمی داند چه چیزی منفعت دارد به او و چه چیز ضرر دارد بر او.

و به تحقیق فرموده است حضرت رسالت (ﷺ) که: مستقیم نشود ایمان بنده، مگر این که مستقیم شود قلب او و مستقیم نشود قلب او، مگر این که مستقیم شود زبان او، پس هرکس قدرت داشته باشد از شما به این که ملاقات کند پروردگار خود را درحالتی که پاك باشد دست او از خونهای مسلمانان و مالهای ایشان و سالم باشد زبان او از عرض های ایشان، پس باید که بکند آن را.

و بدانید ای بندگان خدا که به درستی مرد صاحب ایمان حلال می سازد امسال آن چیزی را که حلال دانسته در سال گذشته و حرام می شمارد امسال چیزی را که حرام شمرده در سال گذشته و به درستی چیزی که تازه احداث کرده است آن را مردمان حلال نمی نماید از برای شما هیچ چیز از آن چه که حرام گردانیده شده است بر شما، ولکن حلال منحصر است به آن چه که خدا حلال فرموده و حرام منحصر است به آن چه که خدا حرام فرموده.

پس به تحقیق که تجربه کرده اید کارها را و محکم گردانیده اید آن ها را و نصیحت داده شده اید با کسانی که بوده اند پیش از شما و زده شده از برای شما مثل ها ودعوت شده اید به سوی امر روشن، پس کر نمی شود در آن مگر کسی که زیاد کر باشد و کور نمی شود از آن مگر کسی که به غایت کور باشد و آن کسی که

نفع نداد خدای تعالی با امتحان و تجربه ها، منتفع نشد به چیزی از موعظه و آمد او را ضرر و تقصیر از پیش او تا این که خیال می کند معرفت چیزی را که انکار داشت او را و انکار می نماید چیزی را که معرفت داشت به او.

پس به درستی که مردمان دو مردند: یکی آن که پیروی کننده است شریعت را و دیگری آن که اختراع کننده است بدعت را، در حالتی که نیست با او از جانب خداوند دلیلی از سنّت و نه روشنی دلیلی.

و به درستی که خدای تعالی موعظه نفرموده هیچ احدی را به مثل این قرآن، پس به درستی که قرآن ریسمان محکم خدا است و ریسمانی است که ایمن است و در او است بهار قلب ها و چشمه های علم ها و نیست مر قلب را جلا و صیقلی غیر آن، با وجود این که رفتند صاحبان تذکّر و باقی مانده است صاحبان نسیان و فراموشی یا خود را به فراموشی زنندگان؛ پس چون ببینید چیز نیکویی را، پس اعانت نمایید بر او و چون مشاهده کنید چیز بدی را، پس کناره جویی کنید از آن.

پس به درستی که حضرت رسالت مآب (ﷺ) می فرمود که: ای پسر آدم عمل کن خیر را و ترك کن شرّ را، پس این هنگام تو می باشی پسندیده رفتار و پسندیده کردار.

آگاه باشید، به درستی که ظلم سه قسم است: ظلمی است که آمرزیده نمی شود و ظلمی است که ترك کرده نمی شود و ظلمی است که آمرزیده خواهد شد.

پس اما ظلمی که بخشیده نخواهد شد، پس عبارت است از شرك آوردن به خداوند تعالی، فرموده: "به درستی که خدا نمی بخشد در این که شرك آورده به او"؛ و اما ظلمی که بخشیده خواهد شد، پس آن ظلم کردن بنده است بر نفس خود در بعض اعمال قبیحه و معاصی؛ و اما ظلمی که متروك نمی شود، پس آن ظلم بندگان است بعضی بر بعضی و دیگر قصاص ظالم در آخرت سخت و باشدّت است نه از قبیل زخم زدن است با کاردها و نه زدن با تازیانه ها ولیکن عذابی است که کوچك شمرده می شود این زخم و ضرب در جنب او، پس بترسید از متلوّن شدن و دو رنگ بودن در دین خدای تعالی، پس به درستی که اتفاق کردن در چیزی که ناخوش می دارید از امر حق بهتر است از متفرّق گشتن در چیزی که دوست می دارید از امر باطل و به درستی که خدای تعالی عطا نکرد احدی را به

سبب افتراق و اختلاف خير و منفعتی نه از گذشتگان و نه از آیندگان.

ای مردمان، خوشا مرآن کسی را که مشغول سازد او را عیب او از عیب های مردمان و خوشا مرآن کسی را که ملازم بشود خانه خود، یعنی منزوی شود و بخورد قوت حلال خود را و مشغول شود به طاعت پروردگار خود و گریه کند به گناهان خود، پس باشد از نفس خود در شغلی که مشغول او شود و مردمان از او در راحت.

ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين
وهو المائة والسادس والسبعون من المختار في باب الخطب

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَإِكُمْ عَلَىٰ أن اخْتارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنا عَلَيْهِما أَنْ يُجَعْجِعا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلاَ يُجاوِزاهُ، وتَكُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ، وَقُلُوبُهُما تَبَعَهُ، فَتاها عَنْهُ، وتَرَكَا الْحَقَّ وَهُما يُبْصِرانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَواهُما، وَالإِعْوِجاجُ رَأْيَهُما، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْناؤُنا عَلَيْهِما فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِما، وجَوْرَ حُكْمِهِما، وَالثِّقَةُ في أَيْدينا لِأَنْفُسِنا حينَ خالَفا سَبيلَ الْحَقِّ، وَأَتيا بِما لا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ(١).

اللغة

(الملأ) أشرف الناس ورؤسائهم ومقدّموهم الذين يرجع إلى قولهم قال في محكي النهاية في حديث علي عليه السلام أن **(يجعجعا عند القرآن)** أي يقيما عنده يقال: جعجع القوم إذا أناخوا بالجعجاع، وهي الأرض والجعجاع أيضاً الموضع الضيق الخشن و**(التبع)** محركة التابع يكون مفرداً وجمعاً ويجمع على أتباع مثل سبب وأسباب.

الإعراب

(سوء رأيهما) بالنّصب مفعول استثناؤنا أو سبق أيضاً على سبيل التنازع والأوّل أظهر وقوله: **(في الحكم)** متعلّق بقوله: سبق.

المعنى

قال الشارح البحراني: هذا الفصل من خطبة لما بلغه أمر الحكمين.

أقول: والظاهر أنه عليه السلام توهّم من قول السيّد عليه السلام ومن كلام له في معنى الحكمين أنه تكلّم به حين بلغه أمرهما، فإن كان ظفر بتمام الخطبة واطلع على أنه خطبها حين بلوغ أمرهما فهو، وإلا فالظاهر أن هذا الكلام من فصول الاحتجاجات التي كانت له مع الخوارج وقد مر نظير هذا الكلام منه في ذيل الكلام المائة والسابع والعشرين.

وبالمراجعة إلى شرح الكلام المذكور وشرح الكلام المائة والخامس والعشرين

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٥٥ ح١٧٨، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٣٧٦.

المتضمنين لاحتجاجاته معهم يظهر لك توضيح ما ذكره في هذا المقام وتعرف أنه ناظر إلى ردّ احتجاجهم الذي احتجوا به عليه وهو: أنك قد حكمت الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليك ثم أنكرت حكمهما لما حكموا عليك.

فأجابهم عليه السلام بقوله: **(فأجمع رأي ملإكم)** أي عزم رؤسائكم وكبرائكم واتفاق آرائهم **(على أن اختاروا رجلين)** هما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص لعنهما الله تعالى من غير رضى مني بتحكيمهما بل على غاية كره مني بذلك.

كما يدل قوله لابن الكوا في النهروان في الرواية التي رويناها من كشف الغمة في شرح الخطبة السادسة والثلاثين حيث إنه لما اعترض عليه بأمر الحكمين قال عليه السلام: ألم أقل لكم إن أهل الشام يخدعونكم بها فإن الحرب قد عضتهم فذروني أناجزهم فأبيتم ألم أرد نصب ابن عمي أي عبد الله بن العباس وقلت أنه لا ينخدع فأبيتم إلا أبا موسى وقلتم رضينا به حكماً فأجبتكم كارهاً ولو وجدت في ذلك الوقت أعواناً غيركم لما أجبتكم[١].

(فأخذنا عليهما) أي على الرجلين الحكمين **(أن يجعجعا عند القرآن)** أي يقفا دونه ويجب نفسهما عليه **(ولا يجاوزاه)** أي لا يتجاوزا عن أوامره ونواهيه **(ويكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه)** أي يكونان تابعين له ويعملان بحكمه **(فتاها)** أي ضلا **(عنه وتركا الحق وهما يبصرانه)** أي عدلاً عن القرآن وعن حكمه الحق الذي هو خلافته مع علمهما ومعرفتهما بحقيته كما عرفت تفصيل ذلك كله في شرح الخطبة الخامسة والثلاثين.

والحاصل أنهما تركا الحق عمداً عن علم لا عن جهل ولم يكن ذلك فتنة منهما بل كان بناؤهما من أول الأمر على ذلك **(وكان الجور)** والحيف في الحكم **(هواهما والاعوجاج)** عن الحق والإنحراف عن الدين **(رأيهما)** وفي بعض النسخ دأبهما وهو أولى أي لم يكن ذلك أوّل حيفهما بل كان ديدنا وعادة لهما وشيمة طبعت عليها قلوبهما.

ثم أجاب عما نقموا عليه من إنكاره التحكيم بعد رضاه به بقوله: **(وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما)** أراد به ما كان شرطه على الحكمين حين عزموا على التحكيم أن يحكما بما حكم القرآن وبما أنزل الله فيه من فاتحته إلى خاتمته وإلا فلا ينفذ حكمهما فيه وفي أصحابه، فقد قدم عليه السلام إليهما أن لا يعملا برأيهما وهواهما ولا يحكما بشيء من تلقاء نفسيهما الأمّارة بالسوء.

(والثقة في أيدينا لأنفسنا) أي أنا على برهان وثقة من أمورنا وليس يلازم لنا اتباع

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٩٥، وكشف الغمة: ١/ ٢٦٨.

حكمهما **(حين خالفا سبيل الحق)** وانحرفا عن سواء السبيل **(وأتيا بما لا يعرف)** أي لا يصدق به **(من معكوس الحكم)** يعني أنهما نبذا كتاب الله وراء ظهورهم وخالفاه وحكما بعكس حكم الكتاب وقد استحقا به اللؤم والعقاب يوم الحساب.

الترجمة

از جمله كلام فصاحت نظام آن امام (عليه السلام) است در ذكر امر حكمين كه خطاب فرموده به آن خوارج نهروان را در مقام اجتماع با ايشان، مى فرمايد:

پس متفّق شد رأى رؤسا و اشراف شما بر اين كه اختيار كردند دو مرد را كه يكى ابوموسى اشعرى بود و يكى عمرو بن عاص، پس عهد و ميثاق گرفتيم بر ايشان كه وا ايستند و حبس كنند نفس خود را در نزد قرآن و تجاوز نكنند از آن و باشد زبان ايشان با آن قرآن و قلبهاى شان تابع آن، پس هردو گمراه شدند از قرآن و ترك كردند حق را و حال آن كه هردو مى ديدند حق را و بود جور و ظلم آرزوى ايشان و كجى و اعوجاج راى ايشان.

و به تحقيق كه سابق شده بود استثنا كردن ما بر آن دو مرد در خصوص حكم كردن با عدالت و عمل كردن به حق بدى رأى ايشان را و ستم كردن ايشان را در حكمى كه مى نمايند، (يعنى استثناء كرده بوديم كه ايشان با رأى فاسد خود رفتار نكنند و با حكم جور حكم ننمايند) و وثوق و اعتماد در دست ما است از براى نفسهاى خود ما در وقتى كه مخالفت راه حق كردند و آوردند چيزى را كه غير معروف بود از حكمى كه به عكس حكم قرآن بود و بر خلاف شرط ما.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والسابعة والسبعون من المختار في باب الخطب

خطبها بعد قتل عثمان في أول خلافته كما في شرح المعتزلي والبحراني:

لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ زَمانٌ، وَلاَ يَحْوِيهِ مَكانٌ، وَلاَ يَصِفُهُ لِسانٌ، لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْماءِ، وَلاَ نُجُومِ السَّماءِ، وَلاَ سَوافي الرِّيحِ فِي الْهَواءِ، وَلاَ دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَىٰ الصَّفاءِ، وَلاَ مَقِيلُ الذَّرِّ في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ، يَعْلَمُ مَساقِطَ الأَوْراقِ، وخَفِيَّ طَرَفِ الأَحْداقِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دُخْلَتُهُ، وخَلُصَ يَقِينُهُ، وثَقُلَتْ مَوازِينُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُجْتَبَىٰ مِنْ خَلائِقِهِ، وَالْمُعْتامُ لِشَرْحِ حَقائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقائِلِ كَراماتِهِ، وَالْمُصْطَفَىٰ لِكَرائِمِ رِسالاتِهِ، وَالْمُوضِحَةُ بِهِ أَشْراطُ الْهُدَىٰ، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَىٰ.

أَيُّها النّاسُ إِنَّ الدُّنْيا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَها، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْها، وَلاَ تَنْفَسُ بِمَنْ نافَسَ فيها، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْها.

وَأَيْمُ اللَّهِ ما كانَ قَوْمٌ قَطُّ في غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزالَ عَنْهُمْ إِلا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوها، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ، وَلَوْ أَنَّ النّاسَ حينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلىٰ رَبِّهِم بِصِدْقٍ مِنْ نِيّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فاسِدٍ، وَإِنّي لَأَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا في فَتْرَةٍ، وَقَدْ كانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فيها مَيْلَةً كُنْتُمْ فيها عِنْدي غَيْرَ مَحْمُودينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَداءُ، وَمَا عَلَيَّ إِلاَّ الْجَهْدُ، وَلَوْ أَشاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: عَفَى اللَّهُ عَمّا سَلَفَ(١).

اللغة

(**سفت**) الريح التراب أي ذرته و(**الدخلة**) بالكسر والضمّ باطن الشيء و(**المعتام**) بالتاء المثناة فاعل من اعتام أي اختار مأخوذ من العتمة وهو خيار المال و(**الغربيب**) وزن قنديل الأسود شديد السواد قال سبحانه: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

(١) الكافي: ٨/ ٦٨، وشرح أصول الكافي: ١١/ ٤١٤ ح٢٣.

و(**أخلد إلى الأرض**) أي ركن إليها واعتمد عليها (**وما عليّ إلاّ الجهد**) في نسخة الشارح البحراني بفتح الجيم وضبطه الشارح المعتزلي بالضم وبهما قرء قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾، قال الفيومي: الجهد بالضم في الحجاز وبالفتح في لغة غيرهم الوسع والطاقة، وقيل: المضموم الطاقة والمفتوح المشقّة، والجهد بالفتح لا غير الغاية والنهاية، وهو مصدر من جهد في الأمر جهداً من باب نفع إذا قلب حتى بلغ غايته في الطلب.

الإعراب

الظاهر تعلق قوله: (**في اللّيلة الظلماء**) بالدبيب والمقيل على سبيل التنازع، و(**غير معدول**) بنصب غير حال من الله، وفي قوله: (**في غض نعمة**)، للظرفية المجازية، (**والباء**) في قوله: بصفق، للمصاحبة، وجملة (**عفى الله عما سلف وغايته**) لا محلّ لها من الإعراب وعلى ذلك فمقول قلت محذوف، ويجوز أن يكون في محلّ النّصب مقولة للقول والثاني أظهر لاحتياج الأوّل إلى الحذف والأصل عدمه.

المعنى

اعلم أن مدار هذه الخطبة على فصول أربعة.

أولها

تنزيه الله سبحانه وتمجيده بجملة من أوصاف الجلال وصفات الجمال وهو قوله: (**لا يشغله شأن**) عن شأن أي أمر عن أمر لأن الشغل عن الشيء بشيء آخر إما لنقصان القدرة أو العلم وهو تعالى على كلّ شيء قدير وبكلّ شيء محيط، فلا يشغله مقدور عن مقدور ولا معلوم عن معلوم (**ولا يغيّره زمان**) لأنّه تعالى واجب الوجود والمتغيّر في ذاته أو صفاته لا يكون واجباً فلا يلحقه التغير ولأنه خالق الزمان ولا زمان يلحقه فلا تغير يلحقه بتغيّره (**ولا يحويه مكان**) إذ لو كان محوياً يلزم أن يكون محدوداً وكلّ محدود جسم، وقد عرفت في شرح الفصل الخامس من الخطبة الأولى وفي شرح الخطبة المائة والثانية والخمسين تحقيق الكلام في تنزهه عن المكان وعن الحدود بما لا مزيد عليه فليراجع المقامين.

وأقول هنا مضافاً إلى ما سبق: إنّ المشبهة قد تعلقت بقوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٢٥]، في أن معبودهم جالس على العرش وقد تقدم في شرح الفصل الخامس من الخطبة الأولى تأويل هذه الآية وظهر لك فساد قولهم وبطلان تمسّكهم بها، وقد أقام المتكلمون المتألهون أدلّة عقلية ونقلية على فساد مذهبهم وعلى استغنائه تعالى عن المكان لا بأس بالإشارة إلى جملة منها.

أحدها: أنه تعالى كان ولا عرش ولا مكان، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان غنياً عنه فهو بالصفة التي كان لم يزل عليها إلاّ أن يقال لم يزل مع الله شيء كالعرش وهو أيضاً باطل لأنه يلزم أن يخلو عن المكان عند ارتحاله عن بعضها إلى بعض فيختلف نحو وجوده بالحاجة إلى المكان والاستغناء عنه وهو محال.

ثانيها: أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكناً من الانتقال والحركة عنه أم لا، فعلى الأول يلزم ما ذكرنا من الاستغناء والاختلاف في نحو الوجود أعني التجرد والتجسم.

لا يقال: هذا منقوض بانتقال الإنسان مثلاً من مكان إلى مكان.

قلنا: إنه يتتقل على الاتصال من مكان إلى مكان وهو فيما بينهما لم ينفك عن المكان وأما الباري جل ذكره فالمكان الذي ينتقل إليه مخلوق له فلا بد أن يخلقه أولاً حتى يمكن انتقاله إليه فهو فيما بين مجرّد عن المكان وعلى الثاني يكون كالزمن بل أسوء حالاً منه، فإن الزّمن يتمكن من الحركة على رأسه ومعبودهم غير متمكن.

وثالثها: أن الجالس على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الجزء الحاصل منه في شمال العرش فيكون مركّباً مؤلفاً من الأجزاء المقدارية ومركباً من صورة زيادة، وكل من كان كذلك يحتاج إلى مؤلف ومركب والحاجة من أوصاف الممكن، هذا.

وهذه الأدلة الثلاث كما يبطل كونه جالساً على العرش كذلك تبطل كونه محوياً للمكان أيّ مكان كان كما هو غير خفي على الفطن العارف فتدبّر.

(ولا يصفه لسان) أي لا يقدر لسان على وصفه ومدحه لأن اللسان إنما هو ترجمان للقلب معبر عن المعاني المخزونة فيه، والقلب إذا كان عاجزاً عن البلوغ إلى وصفه وعن تعقل صفاته فاللّسان أعجز وألكن.

بيان ذلك: أن وصف الشيء والثّناء عليه إنّما يتصوّر إذا كان مطابقاً لما هو عليه في نفس الأمر، وذلك غير ممكن إلاّ بتعقل ذاته وكنهه، لكن لا يمكن للعقول تعقل ذاته سبحانه وتعقل ماله من صفات الكمال ونعوت الجلال، لأنّ ذلك التعقل إما بحصول صورة مساوية لذاته تعالى وصفاته الحقيقية الذاتية أو بحضور حقيقته وشهود ذاته المقدسة والأول محال إذ لامثل لذاته كما قال عز من قائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لأن كلّ ما له مثل أو صورة مساوية له فهو ذو جهة كلّية وهو تعالى لا ماهية له، والثاني أيضاً كذلك إذ كلّ ما سواه من العقول والنفوس والذّوات والهويات معلول له مقهور تحت جلاله وعظمته وكبريائه كانقهار عين الخفاش تحت نور الشمس، فلا يمكن للعقول لقصورها عن درجة الكمال

الواجبي إدراك ذاته على وجه الاكتناه والإحاطة، بل كلّ عقل له مقام معلوم لا يقدر على التعدي عنه إلى ما فوقه، ولهذا قال جبرئيل الأمين لما تخلف عن خير المرسلين ليلة المعراج: لو دنوت أنملة لاحترقت، فإنّى للعقول البشرية الاطلاع على النعوت الإلهيّة والصّفات الأحديّة على ما هي عليه من كمالها.

فالقول والكلام وإن كان في غاية الجودة والبلاغة واللسان والبيان وإن كان في نهاية الحدة والفصاحة يقف دون أدنى مراتب مدحه، والمادحون وإن صرفوا جهدهم وبذلوا وسعهم وطاقتهم في وصفه والثناء عليه فهم بمراحل البعد عما هو ثناء عليه بما هو أهله ومستحقه.

ولهذا قال سيد النّبيين وأكمل المادحين: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

ثم وصفه بإحاطة علمه سبحانه بجميع الجزئيات وخفيات ما في الكون، وقد عرفت في شرح الفصل السابع من الخطبة الأولى عموم علمه تعالى بجميع الموجودات وعدد من ذلك هنا أشياء فقال: **(لا يعزب عنه)** أي لا يغيب عن علمه **(عدد قطر الماء)** المنزل من السماء، والراكد في متراكم البحار والغدران والآبار والجاري في الجداول والأنهار **(ولا)** عدد **(نجوم السماء)** من الثوابت والسّيار **(ولا سوافي الريح في الهواء)** أي التي تسفو التراب وتذروه.

وتخصيصها بالذكر من جهة أنها غالب أفرادها، فلا دلالة فيها على اختصاص علمه بها فقط، لأن الوصف الوارد مورد الغلبة ليس مفهومه حجة كما صرح به علماء الأصولية ومثله قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣]، ويمكن أن يكون غرضه الإشارة إلى أنه لا يخفى عليه سبحانه السوافي مع ما تسفوه من التراب، فإن التراب الذي تحمله الرّيح وتبثّه في الجوّ لا يعلم مقداره وأجزاءه وذراته إلا الله سبحانه العالم بكلّ شيء.

(ولا) يعزب عنه **(دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذّر في اللّيلة الظلماء)** أي لا يخفى حركة آحاد النمل على الصخر الأملس في اللّيلة المظلمة، ولا محل قيلولة صغار النمل فيها مع فرط اختفائهما عليه سبحانه بل علمه تعالى محيط بهما وبغيرهما من خفيات الموجودات وخبياتها.

فإن قلت: لم خصص دبيب النمل بكونه على الصفا؟

قيل: لعدم التأثر بالدبيب كالتراب إذ يمكن في التراب ونحوه أن يعلم الدبيب بالأثر.

وفيه إن بقاء أثر الدبيب في التراب مسلم إلا أن حصول العلم به بذلك الأثر إما أن يكون في الليل أو في النهار، والأول ممنوع لأن ظلمة الليل المظلم مانعة عن مشاهدة الأثر

كنفس المؤثر والصفا والتراب سيان في اختفاء الدبيب فيها على كلّ منهما، والثاني مسلم إلا أنّه إذا كان في النّهار فهو مشاهد لكلّ أحد ومعلوم بنفسه من دون حاجة إلى الاستدلال بالأثر من غير فرق أيضاً في ظهوره بين كونه على الصّفا وبين كونه على التراب.

إلا أن يقال: إنه مع كونه في الليل على التراب يبقى أثره إلى النهار فيمكن حصول العلم به منه، بخلاف ما إذا كان على الصفا فلا يكون له أثر أصلاً حتى يبقى إلى النهار ويتحصل منه العلم.

ولكن يتوجّه عليه إن ظاهر القضيّة أنّه لا يخفى عليه دبيبه حين دبّه أعني في اللّيلة المظلمة ولا مقيل الذر حين قيلولتها.

فإن قلت: هذا مسلم لو جعلنا قوله: في اللّيلة الظلماء قيداً لكلا الأَمرين، أما لو جعلناه قيداً للأخير فقط لارتفع الإشكال.

قلت: لا بد من إرجاع القيد إليهما جميعاً إذ الدبيب الحاصل في النهار مشاهد لكل أحد ومرئي معلوم ولا اختصاص لعدم اختفائه بالله سبحانه حتى يتمدح به.

والذي يلوح للخاطر في سرّ التخصيص هو أن غالب أفراد الحيوان ومنها النمل إذا سارت بالليل على التراب لا يظهر صوت قوائمها وحوافرها للين التراب، فيختفى سيرها غالباً على الناس، وأما إذا صارت على الصّفا فيطلع عليه الناس لظهور صوت الحوافر والأقدام، وأمّا النمل فلا يظهر دبيبه عليه أيضاً لخفة جرمه وصغر جثته، فمدح الله سبحانه بأن النمل الذي اختفى دبيبه على الصّفا على النّاس فضلاً عن التراب لم يعزب عليه سبحانه دبيبه مع فرط خفائه فافهم جيّداً.

وكيف كان فقد ظهر من ذلك كلّه أي مما ذكره عليه السلام هنا وما ذكرناه ومما قدمه وقدّمناه أنّه لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مبين.

فانقدح منه أنه سبحانه (**يعلم مساقط الأَوراق**) عدل عن نفي المعزوب إلى إثبات العلم على قاعدة اليقين وتصديق علمه بمساقط الأوراق مضافة إلى غيرها قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(و) هو يدلّ أيضاً لعمومه على أنه يعلم (**خفي طرف الأحداق**) وأراد بالطرف انطباق أحد الجفنين على الآخر أي يعلم ما خفي من ذلك على الناس كما قال سبحانه: يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

الفصل الثاني

في الشهادة بالتوحيد والرسالة وهو قوله: **(وأشهد أن لا إله إلا الله)** مضى تحقيق الكلام فيه بما لا مزيد عليه في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثانية فليراجع ثمة.

وأكد الشهادة بالوحدانية بقوله: **(غير معدول به)** أي حال كونه سبحانه لم يجعل له مثل وعديل **(ولا مشكوك فيه)** أي في وجوده لمنافاة الشك فيه بالشهادة بوحدانيته **(ولا مكفور دينه)** لملازمة التصديق بالوحدانية بالاعتراف بالدين المنافي للجحود ويدل على التلازم ما مر في الفصل الرابع من الخطبة الأولى من قوله: أوّل الدّين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده **(ولا مجحود تكوينه)** أي اتحاده للموجودات وتكوينه لها لشهادتها جميعاً بوجود مبدعها ووحدانية بارئها.

ووصف شهادته بكونها مثل **(شهادة من صدقت نيته)** أي صادرة عن صميم القلب وعن اعتقاد جازم **(وصفت دخلته)** أي موصوفة بصفاء الباطن وسلامتها من كدر الرياءو النفاق **(وخلق يقينه)** من رين الشكوك والشبهات **(وثقلت موازينه)** إذ الشهادة إذا كان على وجه الكمال توجب ثقل ميزان الأعمال.

ويدل عليه صريحاً ما قدمنا روايته في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثانية من ثواب الأعمال عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: قال الله جل جلاله لموسى بن عمران: يا موسى لو أن السماوات وعامريهن عندي والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهنّ لا إله إلا الله.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المجتبى) المصطفى **(من خلائقه)** وقد عرفت توضيحه في شرح الخطبة الثالثة والتسعين **(والمعتام لشرح حقائقه)** أي المختار لشرح حقائق توحيده أي لإيضاح العلوم الإلهية **(والمختص بعقائل كراماته)** النفيسة من الكمالات النفسانية والأخلاق الكريمة التي اقتدر معها على هداية الأنام وتأسيس أساس الإسلام **(والمصطفى لكرائم رسالاته)** أي لرسالاته الكريمة الشريفة وجمعها باعتبار تعدد أفراد الأوامر والأحكام النازلة عليه، فإن كلّ أمر أمر بتبليغه وأدائه رسالة مستقلة وإن كان باعتبار المجموع رسالة واحدة **(والموضحة به أشراط الهدى)** أي أعلام الهداية فقد أوضح بقوله وفعله وتقريره ما يوجب هداية الأنام إلى النهج القويم والصراط المستقيم **(والمجلو به غربيب العمى)** أي المنكشف بنور نبوّته ظلمة الجهالة.

الفصل الثالث

في تنبيه الراكنين إلى الدنيا وإيقاظ الغافلين عن العقبى وهو قوله: **(أيها الناس إن الدنيا**

تغر المؤمل لها والمخلد إليها) وذلك مشهود بالعيان معلوم بالتجربة والوجدان، فأنّا نرى كثيراً من المؤملين لها والراكنين إليها تعرض لهم مطالب وهمية خيالية فتوجب ذلك طول أملهم فيختطفهم الموت دون نيلها وينكشف بطلان تلك الخيالات، وقد تقدم تفصيل ذلك في شرح الخطبة الثانية والأربعين **(ولا تنفس بمن نافس فيها)** أي لا تضنن ممن ضنن بها لنفاستها، بل ترميه بالنوائب والآلام وبسهام المصائب والأسقام **(وتغلب من غلب عليها)** أي من ملكها وأخذها بالقهر والغلبة فعن قليل تقهره وتهلكه.

الفصل الرابع

في التنبيه على وجوب شكر النعم واستدراكها بالفزع إلى الله فأقسم بالقسم البار وهو قوله: **(وأيم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها)** على أن زوال النعمة الطرية ورغيد العيش عن العباد ليس سببه إلا كفران النعم والذنوب التي اكتسبوها كما قال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾ [الرعد: ١٢]، وذلك لأنهم لو استحقوا مع الكفران واكتساب الآثام لإفاضة النعماء لكان منعهم منها منعاً للمستحق المستعدّ وذلك عين الظلم وهو محال على الله سبحانه **(لأن الله ليس بظلام للعبيد)** فعلم من ذلك أن سبب زوال النعمة وحصول النقمة ليس إلا الذّنوب المكتسبة هذا.

ولا يخفى عليك أن هذا الكلام منه عليه السلام محمول على الغالب وإن كان ظاهره العموم، وذلك لأن كثيراً من العباد يبدل الله نعمتهم بالنقمة ورخاءهم بالشدّة ومنحتهم بالمحنة من باب الابتلاء والامتحان إعلاء للدرجات وإحباطاً للسيئات وإضعافاً للحسنات كما قال عز من قائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ [البقرة: ١٥٥] الآية.

ولمّا نبّه على أن زوال النعمة ونزول النقمة اكتساب المعصية أرشدهم إلى طريق تداركها بقوله: **(ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم)** وتضرعوا إليه سبحانه **(بصدق من نياتهم)** أي بإخلاصها وإخلائها من شوب العجب والرّيا **(ووله من قلوبهم)** أي بتحيّر منها في محبّته سبحانه ولذّة مناجاته وتفريغ ساحتها عن كلّ ما سواه تعالى **(لردّ عليهم كلّ شارد)** من النعم **(واصلح لهم كلّ فاسد)** من الأمور.

ثمّ تخلص إلى تعريض المخاطبين بالإشارة إلى بعض حالاتهم الغير المحمودة التي كانوا عليها حثا لهم على الارتداع عنها فقال: **(وإني لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة)** أي في حالة فترة مثل حالة أهل الجاهلية الذين كانوا على فترة من الرسل أي أخاف عليكم أن تكونوا مثل هؤلاء في التعصبات الباطلة بحسب الأهواء المختلفة وغلبة الجهل والضّلال على الأكثرين **(وقد كانت أمور مضت)** وهو تخليفهم للفساق وتقديم أجلاف العرب الثلاثة عليه

وأتباعهم بهم.

وحملها على اختيارهم لعثمان فقط وعدولهم عنه يوم الشورى كما في شرح المعتزلي خلاف ظاهر اللّفظ المسوق على نحو الإطلاق معتضداً بقوله: **(ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين)** لأنهم بسبب تقديم كلّ من الثلاثة والاتباع عليه مالوا عن نهج الحق وعدلوا عن منهج الصّواب واستحقوا اللّوم والعتاب.

(ولئن ردّ عليكم أمركم) أي شغلكم الذي كنتم عليه في زمن الرسول صلى الله عليه وآله **(إنكم لسعداء)** أي تكونون سعداء بعد اتصافكم بالشقاوة **(وما عليّ إلا الجهد)** أي بذل الوسع والطاقة في الإصلاح والنصيحة **(ولو أشاء أن أقول)** وأشرح ما جرى من الظلم والعدوان وما وقع منكم من التفريط والتقصير فيّ **(لقلت)** ذلك وشرحته ولكنّي لا أستصلحه لتضمنه التعريض على المختلفين والتقريع على المخاطبين والصّلاح في العفو والإغماض لأن الصفح حسن والعفو جميل فقد **(عفي الله عما سلف)** اقتباس من الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

قال الشاحر المعتزلي: وهذا الكلام يدل على مذهب أصحابنا في أن ما جرى من عبد الرحمان وغيره يوم الشورى، وإن كان لم يقع على الوجه الأفضل فإنّه معفوّ عنه مغفور لفاعله لأنّه لو كان فسقاً غير مغفور لم يقل أمير المؤمنين عليه السلام: عفى الله عما سلف[1].

أقول: ويتوجّه عليه أنه بعد الاعتراف بكون ما صدر عن ابن عوف وأضرابه فسقاً كما هو كذلك لكونه ظلماً فاحشاً في حقه عليه السلام فهذا الكلام لا دلالة فيه على العفو عنه والغفران له لأن هذا الكلام كما يحتمل أن يكون جملة إنشائية أو غائبة أو إخبارية مسوقة لبيان حسن العفو ودليلاً عليه كما عليه مبنى كلام الشارح، فكذلك يحتمل أن يكون مقولاً لقوله: قلت ومتصّلاً به لا مقطوعاً عنه.

فيكون محصل الكلام أني لو شئت أن أقول عفى الله عما سلف لقلته أي لو أحببت أن أدعو بالعفو لدعوت، فعلى هذا كما يصدق الشرطية باستثناء عين المقدم ينتج عين التالي فكذلك يصدق برفع المقدم المفيد لرفع التالي، أي لكني لم أشأ ذلك فلا قلته وحينئذ لا يكون لكلامه عليه السلام دلالة على ما رامه الشارح لو لم يكن دلالة على خلافه أظهر، فافهم وتبصّر.

(١) بحار الأنوار: ٢٨/ ٣٧٨ بتفاوت.

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن بزرگوار و وصىّ مختار است در وصف حضرت كردگار و نعت حضرت ختم النبيّن و نصيحت و ملامت مخاطبين، مى فرمايد كه:

مشغول نمى نمايد حق تعالى را امرى از امر ديگر و تغيير نمى دهد او را زمانى و احاطه نمى كند او را هيچ مكانى و وصف نمى تواند بكند او را هيچ زبانى، غايب نمى شود از علم او عدد قطره هاى آب و نه ستاره هاى آسمان و نه بادهاى سخت وزنده و نه حركت مورها بر روى سنگها و نه خوابگاه مورچه ها در شب تاريك و مى داند مواضع افتادن برگهاى درختان و پنهان نگريستن چشمان را.

و شهادت مى دهم به اين كه هيچ معبود به حقى نيست مگر خداوند متعال، درحالتى كه هيچ برابر كرده نشد به او چيزى و شك كرده نشد در وجود او و انكار كرده نشد دين او و جحود نشد ايجاد و تكوين او، مثل شهادت كسى كه صادق بشود نيّت او و صافى باشد باطن او و خالص گردد يقين او و سنگين شود ميزان اعمال او.

و شهادت مى دهم به اين كه محمّد مصطفى صلوات الله و سلامه عليه و آله بنده او است و رسول برگزيده از مخلوقات او و اختيار كرده شده از براى كشف حقايق توحيد او و مخصوص شده به كرامت هاى نفيسه او و برگزيده شده به رسالات كريمه او و روشن كرده شده به او علامت هاى هدايت و جلا داده شد به نور او سوادى و سياهى ضلالت.

اى گروه مردمان، به درستى دنيا فريب مى دهد اميدارنده او را و آرام گيرنده او را و بخل نمى كند به كسى كه بخيل باشد در محبّت او و غلبه مى نمايد بر كسى كه غلبه كند بر او.

و قسم به خدا كه نبودند هيچ قومى هرگز در طراوت نعمت از زندگانى دنيا، پس زوال يافت آن نعمت از ايشان مگر به سبب گناه هايى كه كسب كردند آن را از جهت اين كه خداوند عالم نيست صاحب ظلم بر بندگان و اگر مردمان در وقتى كه

نازل بشود به ایشان عقوبت ها و زایل بشود از ایشان نعمت ها پناه ببرند به سوی پروردگار به راستی از نیّت های خودشان و فرط محبّت از قلب هاشان، هرآینه بازگرداند حق سبحانه به سوی ایشان هر رمیده از نعمت ها را و واصلاح می فرماید از برای ایشان هر فاسد از امورات را و به درستی که من می ترسم بر شما این که باشید در حالت اهل جاهلیّت و به تحقیق که واقع شد کارهایی که گذشت میل کردید در آن امور از جادّه شریعت میل کردنی، در حالتی که بودید در آن امور در نزد ما پسندیده و اگر بازگردانیده شود بر شما کار شما، هرآینه می باشید از اهل سعادت و نیست بر من مگر بذل وسع و طاقت و اگر بخواهم بگویم، هرآینه می گفتم که عفو فرمود خدای تعالی از آن چه که گذشت.

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والثامن والسبعون من المختار في باب الخطب

وهو مروي في الأصول المعتبرة كالكافي والتوحيد والاحتجاج والإرشاد بطرق مختلفة بإجمال وتفصيل واختلاف تطلع عليه بعد الفراغ من شرح ما أورده السيد رحمه الله.

وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربَّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أَفَأَعْبُدُ ما لاَ أَرَى! قال: وكيف تراه؟ قال عليه السلام: لاَ تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشاهِدَةِ الْعَيانِ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحقَائِقِ الْإِيمانِ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْياءِ غَيرَ مُلامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْها غَيرَ مُبائِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لاَ بِرَوَيَّةٍ، مُرِيدٌ بِلا هِمَّةٍ، صانِعٌ لاَ بِجارَحَةٍ، لَطِيفٌ لاَ يُوصَفُ بِالْخِفاءِ، كَبِيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْجَفاءِ، بَصيرٌ لاَ يُوصَفُ بِالْحاسَّةِ، رَحِيمٌ لاَ يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُوا الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وتَجِبُ الْقُلوبُ مِنْ مَخافَتِهِ[1].

اللغة

(الذعلب) في الأصل الناقة السريعة ثمّ صار علماً للإنسان كما نقلوا بكراً عن فتى الإبل إلى بكر بن وابل و**(اليماني)** منسوب إلى اليمن إقليم معروف سمّى به لكونه على يمين الكعبة وأصله يمنّي بتشديد الياء ثم جعلوا الألف بدلاً عن الياء الثانية فقالوا يماني بالتخفيف في يمنّى و**(جفوت)** الرجل أعرضت عنه أو طردته وقد يكون مع بعض وجفا الثوب يجفو إذا غلظ فهو جاف، ومنه جفاء اليد وهو غلظتهم وفظاظتهم و**(عنا)** يعنو عنواً من باب قعد ذلّ وخضع والاسم العناء بالفتح والمد فهو عان و**(وجب)** الحائط ونحوه وجبة سقط ووجب القلب وجباً ووجيباً رجف.

الإعراب

قوله: **(أفاعبد)** استفهام على سبيل الإنكار والإبطال قوله: **(قريب)** خبر لمبتدأ محذوف وقوله: **(غير ملامس)** بنصب غير كما في أكثر النسخ حال من فاعل قريب المستتر وفي بعضها بالرفع فيكون صفة لقريب، وكذلك قوله غير مباين، ومثلهما جملة **(لا يوصف)** تحتمل أن تكون في محل النصب على الحال، وفي محل الرفع على الوصف.

---

(١) بحار الأنوار: ٤/ ٥٣ ح٢٩، ونهج السعادة: ٣/ ٥٧.

المعنى

إعلم أن هذا الكلام له عليه السلام من كلماته المعروفة وقد ظهر لك في شرح الخطبة الثمانية والتسعين أنه ملتقط من كلام طويل له عليه السلام قدمنا روايته هناك من توحيد الصّدوق كما ظهر أنه عليه السلام تكلم به مع ذعلب، فإنه لما قال على المنبر غير مرة سلوني قبل أن تفقدوني، قام إليه ذعلب وكان رجلاً ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إياه فقال له: **(هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين)** وكان هذا السؤال منه من باب التعنت والتقرير بقصد التعجيز عن الجواب لا الاستفاهم الحقيقي كما يدل عليه أول كلامه الذي حكيناه.

(فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى) إنكار لعبادة مالا يدرك، لأن العبادة متضمنة للسؤال والمخاطبة والمكالمة وطلب الرحمة والمغفرة وغير ذلك من الخضوع والخشوع والتضرع والتملّق والاستكانة وهذه كلها تستدعي حضور المعبود وإدراكه ورؤيته.

ولما توهم السائل من كلامه عليه السلام أن مراده به رؤية البصر أعاد السؤال و**(قال: وكيف تراه)** على سبيل الاستفهام التوبيخي يعني أن رؤيته غير ممكنة فكيف ادعيتها.

فأجابه و**(قال** عليه السلام: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان) يعني أن رؤيته ليست بالعين وبمشاهدة القوّة البصرية الجسمانية، فإنّ هذه غير جائزة كما عرفت تحقيقه في شرح الخطبة التاسعة والأربعين، وهو صريح في بطلان مذهب الأشاعرة والمشبهة والكرامية المجوّزين للرؤية **(ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان)** أي تدركه العقول الصافية عن ملابسة الأبدان وغواشي الطبائع والأجرام بحقائق الإيمان أي بأنوار العقلية الناشئة من الإيمان والإذعان الخالص كما مر تحقيقه في شرح الخطبة التاسعة والأربعين أيضاً.

وقال الشارح البحراني: أراد بحقائق الإيمان أركانه وهي التصديق بوجود الله ووحدانيته وسائر صفاته واعتبارات أسمائه الحسنى.

وقال العلامة المجلسي رحمه الله في مرآة العقول: حقائق الإيمان العقائد التي هي حقائق أي عقائد عقلية ثابتة يقينية لا يتطرق إليها الزوال والتغير أي أركان الإيمان أي الأنوار والآثار التي حصلت في القلب من الإيمان أو التصديقات والإذعانات التي تحق أن تسمى إيماناً.

أو المراد بحقائق الإيمان ما ينتمي إليه تلك العقائد من البراهين العقلية، فإن الحقيقة ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه ذكره المطرزي في الغريبين انتهى.

أقول: هذه المعاني كلها صحيحه محتملة لكن الأظهر هو المعنى الثاني المطابق لما ذكرناه.

ويؤيده في الاحتجاج عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأله زنديق: كيف يعبد الله الخلق ولم يروه؟ قال عليه السلام: رأته القلوب بنور الإيمان وأثبتته العقول بيقظها إثبات العيان، وأبصرته الأبصار بما رأت من حسن التركيب وأحكام التأليف، ثم الرّسل وآياتها والكتب ومحكماتها واقتصرت العلماء على ما رأت من عظمته دون رؤيته قال: أليس هو قادر أن يظهر لهم حتى يروه فيعرفوه فيُعبد على يقين؟ قال عليه السلام: ليس للمحال جواب[1]، هذا.

ولما نبّه على كونه سبحانه مدركاً بالعقول عقبه بذكر جملة من صفات كماله التي هي جهات إدراكه فقال: (**قريب من الأشياء غير ملامس**) يعني أن قربه منها بالإحاطة والقيوميّة لا بالالتصاق والملامسة التي هي من عوارض الجسمية (**بعيد منها غير مباين**) يعني أن بعده منها بنفس ذاته المقدسة لا بعنوان التعاند والمضادة، وقد مر تحقيق ذلك مع سابقه في شرح الفصل السادس من الخطبة الأولى عند شرح قوله عليه السلام: مع كل شيء لا بمقارنة وغير كلّ شيء لا بمزايلة.

(**متكلّم لا بروية**) يعني أن تكلّمه تعالى ليس بالفكر والتروي كسائر آحاد الناس فإن كلامهم تابع للتروي والأفكار يتفكرون أوّلاً في نظم الألفاظ وترتيبها ودلالتها على المعاني المقصودة ثم يتكلّمون والله سبحانه منزه عن ذلك.

قال الشارح البحراني: وكلامه تعالى يعود إلى علمه بصور الأوامر والنواهي وسائر أنواع الكلام عند قوم وإلى المعنى النفساني عند الأشعري وإلى خلقه الكلام في جسم النبي عند المعتزلة.

أقول: وستعرف تحقيق معنى كلامه سبحانه فانتظر.

(**مريد بلا همة**) أي ليست إرادته كإرادتنا مسبوقة بالعزم والهمة.

قال الشارح المعتزلي قوله: بلا همة، أي بلا عزم، والعزم عبارة عن إرادة متقدمة للفعل تفعل توطيناً للنفس على الفعل وتمهيداً للإرادة المقارنة له، وإنما يصحّ ذلك على الجسم الذي يتردد فيها يدعوه إليه الدواعي، فأما العالم لذاته فلا يصحّ ذلك فيه.

(**صانع لا بجارحة**) أي ليست صنعته بالأعضاء والجوارح التي هي من لواحق الجسميّة وأنماه أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (**لطيف لا يوصف بالخفاء**) قال الشارح البحراني: اللطيف يطلق ويراد به رقيق القوام ويراد به صغير الجسم المستلزمين للخفاء وعديم اللون من الأجسام والمحكم من الصنعة، وهو تعالى منزّه عن إطلاقه بأحد هذه

---

(١) شرح أصول الكافي: ٣/ ١٨١ ح٦، والاحتجاج: ٢/ ٧٧.

المعاني لاستلزام الجسميّة والإمكان فيبقى إطلاقها عليه باعتبارين:

أحدهما: تصرفه في الذوات والصفات تصرّفا خفياً يفعل الأسباب المعدّة لها لإفاضة كمالاتها.

الثاني: جلالة ذاته وتنزيهها عن قبول الإدراك البصري، يعني لاستحالة رؤيته شابه الأجسام اللطيفة فأطلق عليه لفظ اللطيف بهذا الاعتبار.

أقول: وهنا اعتبار ثالث ذكره الشارح المعزلي وغيره: وهو أنه لطيف بعباده كما في الكتاب العزيز أي يفعل الألطاف المقربة لهم من الطاعة المبعدة لهم عن المعصية، أو لطيف بهم بمعنى أنه يرحمهم ويرفق بهم.

واعتبار رابع: وهو علمه بالأشياء اللطيف رواه في الكافي مرفوعاً عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: وكذلك سميناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك وموضع النشوء منها والعقل والشهوة للسفاد والحدب على نسلها وأقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف، وإنما الكيفية للمخلوق المكيف.

ورواه أيضاً فيه مع اعتبار خامس عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام في حديث طويل سأل فيه عنه عليه السلام عن تفسير معنى الواحد ووحدانيته تعالى إلى أن قال: قلت: جعلت فداك فرّجت عني فرّج الله عنك فقولك: اللطيف الخبير فسره لي كما فسرت الواحد فإني أعلم أن لطفه على خلاف لطف خلقه للفصل غير أني أحب أن تشرح لي ذلك فقال عليه السلام: «يا فتح إنما قلنا اللطيف للخلق اللطيف لعلمه بالشيء اللطيف أو لا ترى وفقك الله وثبتك إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف ومن الخلق اللطيف ومن الحيوان الصّغار ومن البعوض والجرجس وما هو أصغر منها ما لا يكاد تستبينه العيونُ بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى والحدث المولود من القديم، فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه وما في لجج البحار وما في لحاء الأشجاء والمفاوز والقفار وإفهام بعضها عن بعض منطقها وما يفهم به أولادها عنها ونقلها للغذاء إليها ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة وأنه ما لا تكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها لا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف بخلق ما سميناه بلا علاج ولا أداة ولا آلة، وأن كل صانع شيء فمن شيء صُنع والله خالق اللطيف الجليل خَلَق وَصَنَع لا من شيء»(١).

---

(١) الكافي: ١/ ١٢٠، والتوحيد الصدوق: ١٨٦.

فقد قرر عليه السلام أن إطلاق اسم اللطيف عليه سبحانه بوجهين.

أحدهما: للخلق اللطيف يعني لخلقه الأشياء اللطيفة **(كبير لا يوصف بالجفاء)** يعني أنه موصوف بالكبرياء والعظمة لجلالة شأنه وعظمة سلطانه، ومنزه عما عليه سائر الكبراء والأعاظم من المخلوقين كالملوك والسلاطين من الفظاظة وغلظ الطبيعة والجفاء لمن تحت ولايتهم من الرعية.

وقال الشارح المعتزلي: لما كان لفظ الكبير إذا استعمل في الجسم أفاد تباعد أفكاره ثم وصف الباري بأنه كبير، أراد أن ينزهه عما تدل لفظة كبير عليه إذا استعمل في الأجسام انتهى. والأظهر ما قلنا.

(بصير لا يوصف بالحاسة) أما أنه بصير فقد مر تحقيقه في شرح الفصل السادس من الخطبة الأولى، وأما تنزهه عن الحواس فلأنها من صفات الجسم **(رحيم لا يوصف بالرقة)** لما كان الرحمة في الخلق عبارة عن رقة القلب والانفعال النفساني وهما من أوصاف الممكن فحيثما يطلق عليه لفظ الرحيم يراد به ما هو لازم الرحمة من الأنعام والأفضال، وكذلك سائر الأوصاف التي لا يصح اتصافه تعالى بها باعتبار مبادئها يوصف بها باعتبار غاياتها كالغضب في قوله: غضب الله عليهم، فيراد به الانتقام والعقوبة لاستلزامه له، والمكر في قوله: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ فيراد به جزاؤه سبحانه لمكرهم بالجزاء السوء.

(تعنو الوجوه لعظمته) أي تذلّ وتخضع لأنه الإله المطلق لكلّ موجود وممكن والعظيم الذي كل مقهور تحت مشيئته وإرادته وداخر تحت جلاله وجبروته وعظمته **(وتجب القلوب من مخافته)** أي ترجف وتضرب من هيبته عند ملاحظتها لعظمة سلطانه وعلو شأنه.

تنبيه

قد وعدناك تحقيق الكلام في معنى متكلميته تعالى وأن كلامه سبحانه حادث أو قديم فنقول:

قد تواترت الأنباء عن الأنبياء والرّسل، وأطبقت الشرائع والملل على كونه عز وجل متكلّماً لا خلاف لأحد في ذلك، وإنما الخلاف في معنى كلامه تعالى وفي قِدمه وحدوثه.

فذهب أهل الحق من الإمامية وفاقاً للمعتزلة إلى أن كلامه تعالى مؤلّف من حروف وأصوات قائمة بجوهر الهواء، ومعنى كونه متكلّماً أنه موجد للكلام في جسم من الأجسام كالملك والشجر ونحو ذلك، وعلى مذهبهم فالكلام حادث لأنه مؤلف من أجزاء مترتبة متعاقبة في الوجود، وكل ما هو كذلك فهو حادث.

وقالت الحنابلة: كلامه تعالى حروف وأصوات يقومان بذاته وأنه قديم، وقد بالغ بعضهم حتى قال جهلاً بقدم الجلد والغلاف أيضاً فضلاً عن المصحف.

والكرامية وافقهم في أن كلامه حروف وأصوت وأنها قائمة بذاته تعالى إلاّ أنهم خالفوهم في القول بقدمها وقالوا بأنها حادثة لتجويزهم قيام الحوادث بذاته تعالى.

وذهبت الأشاعرة إلى أن كلامه تعالى ليس من جنس الحروف والأصوات بل هو معنى قديم قائم بذاته تعالى يسمّى الكلام النفسي وهو مدلول الكلام اللفظي المركب من الحروف.

قال الشارح الجديد للتجريد: واختلاف الأحوال مبنى على قياسين متعارضين **أحدهما** أن كلامه تعالى صفة له وكل ما هو صفة له فهو قديم فكلامه قديم **وثانيهما** أن كلامه مؤلف من أجزاء مترتبة متعاقبة في الوجود، وكلّما هو كذلك فهو حادث فكلامه حادث، فاضطروا إلى القدح في أحد القياسين ومنع بعض المقدمات لاستحالة حقية المتناقضين.

فالمعتزلة صححوا القياس الثاني وقدحوا في صغرى القياس الأول والحنابلة صحّحوا القياس الأول ومنعوا كبرى القياس الثاني، والكرامية صححوا القياس الثاني وقدحوا في كبرى القياس الأول، والأشاعرة صححوا القياس الأول ومنعوا من صغرى القياس الثاني.

إذا عرفت ذلك فنقول: الحق الموافق للتحقيق من هذه الأقوال كما قلنا هو القول الأول، لأن المتبادر إلى الفهم عند إطلاق لفظ الكلام هو المؤلف من الحروف والألفاظ دون المعنى، والتبادر علامة الحقيقة، وإطلاق لفظ المتكلّم عليه سبحانه على ذلك ليس باعتبار قيام الكلام به، لاستلزامه إثبات الجوارح، بل باعتبار خلقه الكلام في الأجسام النباتية والجمادية، وألسن الملائكة إما مجازاً من باب إطلاق اسم المسبب على السبّب، أو حقيقة كما هو الأظهر لأن المتكلّم مشتق من التكلّم أو من الكلام بمعناه المصدري كالسّلام ونحوه، والتكلّم والكلام بهذا المعنى بمعنى إيجاد اللفظ، ولا شك أن إيجاده قائم بالموجد كما أن التأثير قائم بالمؤثر.

فالمتكلم بصنعة الفاعل عبارة عن منشىء الكلام وموجده، وإنشاء الكلام وإيجاده لا قيام له إلا بالفاعل، كما أنه بصيغة المفعول عبارة عن نفس الكلام المؤلف ولا قيام له إلاّ بجوهر الهواء.

لا يقال: التكلم بمعنى إيجاد الكلام لم يجىء في اللغة.

لأنّا نقول: ذلك غير مسلم كيف والتكلم اللفظي عند الأشاعرة ليس إلاّ بهذا الاعتبار وهم قد صرّحوا بكون الكلام مشتركاً لفظاً بين اللّفظي والنفسي كما ستعرفه وعلى هذا فيكون إطلاق المتكلم عليه بمعنى موجد الكلام حقيقة لا مجازاً.

قال صدر المتألهين في كتاب المبدأ والمعاد: المتكلم عبارة عن محدث الكلام في جسم من الأجسام كالهواء وغيرها، فأنا إذا تكلمنا أحدثنا الكلام في بعض الأجسام التي لنا قدرة على تحريكها، فالمتكلم ما قام به التكلم لا ما قام به الكلام كما توهم، والتكلم بمعنى ما به يحصل الكلام فينا ملكة قائمة بذواتنا بها نتمكن من إفادة مخزوناتنا العلمية على غيرنا، وفي الواجب تعالى عين ذاته من حيث أنه يخلق الأصوات والحروف في أي موضع كان من الأجسام لإفادة ما في قضائه السابق على من يشاء من عباده.

وما أثبته المتكلّمون من الكلام النفسي فإن كان له معنى محصل فيرجع إلى خطرات الأوهام، أو يحتمل ما يوجد من الكلام، ولا شك في براءته تعالى عنه وعن سائر ما يتخيله العوام.

واستدل الحنابلة على أن كلامه مؤلّف من الحروف والأصوت بأن كلامه مسموع ولا مسموع إلا الحروف والصّوت فكلامه ليس إلا الحروف والصّوت أما الصّغرى فلقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وأما الكبرى فظاهرة، ثم أثبتوا كونه قديماً بأنه لو كان حادثاً لكان إما قائماً بذاته أو بغيره أو لا في محل والأقسام الثلاثة كلها باطلة أما الأول فلاستلزامه كون الذات محلاً للحوادث وهو حينئذ كما ستعرفه، وأمّا الثاني فلامتناع أن يقوم صفة الشيء بغيره، وأمّا الثالث فلاستحالة قيام العرض في الوجود بلا محل فثبت أنه صفة قديمة.

والجواب: أن كونه حرفاً وصوتاً يستلزم حدوثه بالضرورة وتعليل قدمه بأن حدوثه مستلزم لأحد الأقسام الثلاثة الباطلة فيه أن منع بطلان القسم الثاني لما لا يجوز أن يقوم بغيره وإن اشتق له منه خلقه ولا امتناع في ذلك حسبما عرفت.

وأما الكرامية فبطلان مذهبهم بعد بطلان جواز حلول الحوادث على الذات واضح، وجهة بطلانه أن وجوب الوجود ينافي ذلك، لأن حدوث الحوادث فيه يدل على تغيره وانفعاله وذلك ينافي الوجوب الذاتي، ولأن المقتضى لذلك الحادث إن كان ذاته لم يكن حادثاً وإن كان غيره يلزم الافتقار، ولأن الحادث إن كان صفة نقص استحال اتصاف الذات بها وإن كان صفة كمال امتنع خلوه عنها والمفروض أنها حادثة أي موجودة بعد العدم فحيث كانت معدومة كانت الذات خالية عنها.

وأما الأشاعرة فبيّنوا مرادهم من الكلام النفساني أولاً واستدّلوا على إثباته ثانياً وأثبتوا كونه قديماً ثالثاً، ثم قالوا إنه واحد مع أنه أمر ونهي وخبر واستخبار وغيرها.

قال الآمدي: ليس المراد من إطلاق لفظ الكلام إلا المعنى القائم بالنفس، وهو ما

يجده الإنسان من نفسه إذا أمر غيره أو نهاه أو أخبره أو استخبر منه، وهذه المعاني هي التي يدل عليها بالعبارات وينبه عليها بالإشارات.

وقال عمر النسفي ـ وهو من أعاظم الأشاعرة ـ في عقائده: وهو أي الله سبحانه متكلم بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات، والله متكلم بها آمرٌ نَاهٍ مخبر والقرآن كلام الله غير مخلوق، وهو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في قلوبنا مقر بألسنتنا مسموع بآذاننا غير حالٍ فيها.

وقال التفتازاني في شرحه ما محصله: إنّ الإجماع والتواتر قد قام على كونه تعالى متكلماً بكلام هو صفة له، ضرورة امتناع إثبات المشتق من غير قيام مأخذ الاشتقاق به، وهذه الصفة معنى قائم بالذات وقديمة، ضرورة امتناع قيام الحوادث بذات الله سبحانه، وليس من جنس الحروف والأصوات، ضرورة حدوثها لأن التكلم ببعضها مشروط بانقضاء الآخر بل عبّر عنها بها ويسمّى المعبر به بالقرآن المركب من الحروف وهي صفة واحدة تتكثر إلى الأمر والنهي والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والعقدرة وسائر الصفات، فهذه الصفة الواحدة باعتبار تعلقها بشيء على وجه مخصوص يكون خبراً، وباعتبار تعلقها بشيء آخر على وجه آخر يكون أمراً وهكذا.

والقرآن الذي هو كلام الله سبحانه القائم بذاته غير حادث ومكتوب في مصاحفنا بأشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه محفوظ في قلوبنا بألفاظ المخيلة مقر بألسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة، مسموع بآذاننا بهذه أيضاً.

ومع ذلك كله ليس حالاً في المصاحف ولا في القلوب والألسنة والأذهان، بل معنى قديم قائم بذات الله سبحانه يلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بالنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه كما يقال النار جوهر مجرّد يذكر باللفظ وتكتب بالقلم ولا يلزم منه كون حقيقة النار صوتاً وحرفاً.

وتحقيقه أن للشيء وجوداً في الأعيان، ووجوداً في الأذهان ووجوداً في العبارة ووجوداً في الكتاب فالكتابة تدل على العبارة وهي على ما في الأذهان وهو على ما في الأعيان فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم كما في قولنا: القرآن غير مخلوق، فالمراد حقيقته الموجودة في الخارج، وحيث يوصف بما هو من صفات المخلوقات والمحدثات يراد به الألفاظ المنطوقة المسموعة كما في قولنا: قرأت نصف القرآن، أو المخيّلة كما في قولنا: حفظت القرآن أو الأشكال المنقوشة كما في قولنا: يحرم للمحدث مس القرآن.

ولما كان دليل الأحكام الشرعية هو اللفظ دون المعنى القديم عرفه أئمة الأصول

بالمكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر وجعلوه اسماً للنظم والمعنى جميعاً أي للنظم من حيث الدلالة على المعنى لا لمجرد المعنى.

ثم قال في آخر كلامه: والتحقيق أن كلام الله اسم مشترك بين الكلام النفسي القديم ـ ومعنى الإضافة كونه صفة له ـ وبين اللفظي الحادث ومعنى الإضافة أنه مخلوق الله تعالى ليس من تأليفات المخلوقين فلا يصح نفي كونه كلام الله.

وما في عبارة بعض المشايخ من أنه مجاز فليس معناه أنه غير موضوع للنظم المؤلف، بل معناه أن الكلام في التحقيق وبالذات اسم للمعنى القائم بالنفس وتسمية اللفظ به وضعه لذلك إنما هو باعتبار دلالته على معنى، انتهى ما أهمنا نقله من محصل كلامه بعد ردّ أوله إلى آخره، وهذا القدر كاف في بيان مرادهم من الكلام النفسي.

واستدلوا على إثباته بقول الأخطل

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقول القائل: في نفسي كلام أريد أن أذكره لك.

وبأن الألفاظ الذي تتكلّم بها مدلولات قائمة بالنفس، وهذه المدلولات هي الكلام النفساني وهو أمر غير العلم مدلول الخبر إذا أخبر بشيء إذ ربما يخبر الرجل عمّا لا يعلمه بل يعلم خلافه أو يشك فيه، فالخبر عن الشيء غير العلم به وغير الإرادة أيضاً عندنا أمر لأنه قد يأمر بما لا يريده كالمختبر لعبده هل يطيعه أم لا وكالمعتذر من ضرب عبده بعصيانه فإنه قد يأمره وهو يريد أن لا يفعل المأمور به ليظهر عذره عند من يلومه، فإن مقصود المتكلم في هذين الأمرين ليس الإتيان بالمأمور بل مجرد الاختبار والاعتذار وغير الكراهة أيضاً إذا نهى لأنه قد ينهى الرجل عمّا لا يكرهه بل يريده في صورتي الاختبار والاعتذار.

واعترض على دليلهم الأوّل بمنع كون البيت من الأخطل، وعلى تسليمه فليس حجة لأنه مبني على اعتقاده ثبوت الكلام النفسي تقليداً أو على أنه لما كان ما في الضمير مدلولاً عليه بالكلام فاطلق عليه من باب إطلاق اسم الدال على المدلول وحصره فيه تنبيها على أنه آلة يتوصل بها إليه فكأنه المستحق لاسم تلك الآلة.

وعلى دليلهم الثاني بمنع ما ذكروه من أنَّ مدلول الخبر غير العلم معلّلاً بأنه قد يخبر عما لا يعلمه، إذ لقائل أن يقول: إن المعنى النفسي الذي يدّعون أنه غير العلم هو إدراك مدلول الخبر أعني حصوله في الذهن مطلقاً يقينياً كان أو مشكوكاً فلا يكون مغايراً للعلم.

وبعبارة أخرى: أن هذا إنما يدل على مغايرته للعلم اليقيني لا للعلم المطلق، ضرورة أن كل عاقل تصدى للأخبار يحصل في ذهنه صورة ما أخبر به ومنع أنه مغاير للإرادة

والكراهة عند الأمر أو النهي، إذ ما تشبثوا به من صورتي الاختبار والاعتذار فيه إن الموجود في هاتين الصورتين صيغة الأمر والنهي لا حقيقتها إذ لا طلب فيهما أصلاً ولا إرادة ولا كراهة قطعاً، وبالجملة فما يدّعونه غير معقول لأنه ليس له تعالى صفة زائدة على الذات أصلاً ولو كان عين الذات فمرجعه إلى العلم أو الإرادة أو الكراهة أو سائر الصفات.

وتوضيح ذلك أنه إذا صدر عن المتكلم خبر فهناك ثلاثة أشياء **أحدها**: العبارة الصادرة **والثاني**: علمه بثبوت النسبة أو انتفائها بين طرفي القضية **والثالث**: ثبوت تلك النسبة أو انتفاؤها في الواقع، والأخيران ليسا كلاماً حقيقياً اتفاقاً، فتعين الأول وإذا صدر عنه أمر أو نهي فهناك شيئان: **أحدهما** لفظ صادر عنه، **والثاني** إرادة أو كراهة قائمة بنفسه متعلقة بالمأمور به أو بالمنهى عنه وليستا أيضاً كلاماً حقيقياً اتفاقاً فتعين الأول.

واستدلوا على قدمه بمثل ما استدل به الحنابلة من الدليل الذي قدمناه والجواب الجواب.

واستدلوا على إتحاده بأنه إذا ثبت الكلام النفسي كان كسائر الصفات مثل العلم والقدرة فكما أن العلم صفة واحدة تتعلق بمعلومات متعدّدة وكذا القدرة كذلك الكلام صفة واحدة تنقسم إلى الأمر والنهي والخبر والاستفهام والنداء وهذا بحسب التعلق فذلك الكلام باعتبار تعلقه بشيء على وجه مخصوص يكون خبراً، وباعتبار تعلّقه بشيء آخر أو على وجه آخر يكون أمراً وكذا البواقي.

وفيه أن وحدته متفرعة على ثبوت أصله وحيث عرفت فساد الأصل ففساد الفرع ظاهر.

قال العلامة الحلي قدس الله روحه: المعقول من الكلام على ما تقدم أنه الحروف والأصوات المسموعة وهذه الحروف المسموعة إنما تتم كلاماً مفهوماً إذا كان الانتظام على أحد الوجوه التي يحصل لها الإفهام، وذلك بأن يكون خبراً أو أمراً أو نهياً أو استفهاماً أو تنبيهاً وهو الشامل للتمني والترجي والتعجب والقسم والنداء ولا وجود له إلا في هذه الجزئيات.

والذين أثبتوا قِدَم الكلام اختلفوا فذهب بعضهم إلى أن كلامه تعالى واحد مغاير لهذه المعاني، وذهب آخرون إلى تعدّده، والذين أثبتوا وحدته خالفوا جميع العقلاء في إثبات شيء لا يتصوّرونه هم ولا خصومهم، ومن أثبت لله وصفاً لا يعقله ولا يتصوّره هو ولا غيره كيف يجوز أن يجعل إماماً يقتدى به ويناط بكلامه الأحكام.

تكملة

قد أشرنا إلى أن هذا الكلام مروي عنه عليه السلام في غير واحد من الأصول المعتبرة بطرق مختلفة مع اختلاف في متنه، وينبغي أن نروي ما فيها على ما جرى عليه ديدننا في هذا الشرح فأقول:

روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني قدّس الله روحه في باب جوامع التوحيد عن محمد بن أبي عبد الله رفعه عن أبي عبد الله صلى الله عليه وآله قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذو لسان بليغ في الخطب شجاع القلب فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال عليه السلام: ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد رباً لم أره، فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟ فقال: ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إن ربي لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعِظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كل شيء لا يقال شيء قبله، وبعد كل شيء لا يقال له بعد، شاء الأشياء لا بهمّة، درّاك لا بخديعة، في الأشياء كلّها غير متمازج بها ولا باين منها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، ناء لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بحركة، مريد لا بهمامة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة، لا تحويه الأماكن، ولا تضمنه الأوقات، ولا تحدّه الصفات، ولا تأخذه السنات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، واليبس بالبلل، والخشن باللين، والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرّقها وبتأليفها على مؤلّفها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ [الذاريات: ٤٩] ففرّق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد له، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه، كان ربّاً إذ لا مربوب، وإلهاً إذ لا مألوه، وعالماً إذ لا معلوم، وسميعاً إذ لا مسموع(١).

وفي الاحتجاج روى أهل السير أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله أرايته حين عبدته؟ فقال أمير المؤمنين: لم أك بالذي أعبد من لم أره، فقال له: كيف رأيته يا أمير المؤمنين؟ فقال له: ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن

(١) الكافي: ١/١٣٩ ح٤، وشرح أصول الكافي: ٤/١٦٣.

رأته العقول بحقائق الإيمان، معروف بالدلالات منعوت بالعلامات، لا يقاس بالناس، ولا يدرك بالحواس.

فانصرف الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[١].

وفي الإرشاد للمفيد روى أهل السيرة وعلماء النقلة أن رجلاً جاء ـ وساق الحديث إلى قوله: حيث يجعل رسالته ـ نحو ما رويناه عن الاحتجاج.

وفي الكافي في باب إبطال الرؤية عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الموصلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال: فقال: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان[٢].

---

(١) الكافي: ١/ ٩٧ ح٥، والأمالي للصدوق: ٣٥٢ ح٤٢٧.

(٢) شرح أصول الكافي: ٣/ ١٧٩ ح٥، وميزان الحكمة: ٣/ ١٩٠٥ ح٣٥ ح٢.

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام آن مقتداى انام (عليه السلام) است كه فرموده است آن را، درحالتى كه سؤال كرد از آن بزرگوار ذعلب يمانى؛ پس گفت: آيا ديده اى پروردگار خود را اى اميرمؤمنان؟ پس فرمود آن حضرت: آيا عبادت مى كنم چيزى را كه نمى بينم؟ گفت ذعلب: چطور مى بينى او را؟ فرمود:

درك نمى تواند بكند او را چشم ها را مشاهده معاينه، ولكن درك مى كند او را قلب ها با نورهاى ايمان، نزديك است پروردگار عالمين از اشياء، درحالتى كه چسبان نيست به آنها، اراده كننده است بدون عزم و همّت، صاحب صنعت است نه با اعضا و جوارح، لطيف است كه متّصف نمى شود با حاسه بصر، رحيم است موصوف نمى شود با رقّت قلب، ذليل مى شود روى هاى مخلوقات از براى عظمت او ومضطرب مى شود قلب هاى خلق از ترس او.

ومن خطبة له عليه السلام في ذم أصحابه وهي المائة والتاسعة والسبعون من المختار في باب الخطب

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَىٰ ما قَضَىٰ مِنْ أَمْرٍ، وقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتي إذا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وإذا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إِنْ أَمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ، وإن اجْتَمَعَ الناسُ عَلَىٰ إمامٍ طَعَنْتُمْ، وإنْ أَجِئْتُمْ إِلىٰ مَشاقَّةٍ نَكَصْتُمْ، لاَ أَباً لِغَيْرِكُمْ، مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَالْجِهادِ عَلَىٰ حَقِّكُمْ، أَلمَوْتَ أَوِ الذُّل لَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ جاءَ يَوْمِي ولياتيني لَيُفَرِّقَنَّ بَيْني وَبَيْنَكُمْ وَأَنا لِصُحْبَتِكُمْ قالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ، لِلّهِ أَنْتُمْ أما دينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ، أو لَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفاةَ الطَّغامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلاَ عَطاءٍ، وَأَنا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الإِسْلاَمِ وَبَقِيَّةُ النّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طائِفَةٍ مِنَ الْعَطاءِ فَتَفَرَّقُونَ عَنّي وتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ، إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَعْرِضُوْنَهُ، وَلاَ سَخَطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ ما أَنا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ، قَدْ دارَسْتُكُمُ الْكِتابَ، وَفاتَحْتُكُمْ الْحِجاجَ، وعَرَّفْتُكُمْ ما أَنْكَرْتُمْ، وسَوَّغْتُكُمْ ما مَجَجْتُمْ لَوْ كَانَ الْأَعْمَىٰ يَلْحَظُ، أو النائِمُ يَسْتَيْقِظُ، وأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الجَهْلِ بِاللَّهِ قائِدُهُمْ مُعاوِيَةُ، وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النّابِغَةِ(١).

اللغة

(**أمهله**) أي رفق به وآخره وفي بعض النسخ أهملتم أي تركتم و(**خرتم**) بالخاء المعجمة والراء المهملة من الخور بمعنى الضعف أو من خوار الثور وهو صياحه قال تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ٤٨]، وعن بعض النسخ جرتم بالجيم من جار أي عدل عن الحق و(**طعنتم**) في بعض النسخ بالظاء المعجمة ارتحلتم وفارقتم و(**أجبتم**) بالجيم والباء المعجمة على البناء على المعلوم من أجاب إجابة، وفي نسخة الشارح المعتزلي أجئتم بالهمزة الساكنة بعد الجيم المكسورة والبناء على المجهول أي الجئتم قال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣].

و(**النكوص**) الرجوع إلى ما وراء قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفال: ٤٨] و(**شحذت**) النصل والسكين حدّتهما و(**الجفاة**) جمع الجافي وهو الغليظ من الناس و(**الطغام**) بالطاء المهملة والغين المعجمة أرازل الناس وأوغادهم الواحد والجمع سواء و(**التريكة**) بيضة النعامة يتركها في مجثمها و(**درس**) الكتاب قرأ و(**ساغ**) الشراب دخل

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٦٨، والغدير: ١٠/ ١٥٥.

في الحلق بسهولة قال الشاعر:

فساغ لي الشراب وكنت قبلا أكاد أغصّ بالماء الفرات

ومججته من فمي أي رميت به.

الإعراب

يحتمل أن يكون ما في قوله: **(على ما قضا)** مصدرية وموصولة فيكون العائد محذوفاً.

وقوله: **(لا أب لغيركم)** قال الشارح البحراني: أصله لا أب والألف زائدة إما لاستثقال توالي أربع فتحات، أو لأنهم قصدوا الإضافة وأتوا باللام للتأكيد.

أقول: ويؤيد الثاني ما حكاه نجم الأئمة عن سيبويه من زيادة اللام في لا أبا لك.

وقال الشارح المعتزلي: الأفصح لا أب بحذف الألف، وأما قولهم لا أبا لك بإثباته فدون الأول في الفصاحة، كأنهم قصدوا الإضافة وأقحموا اللام مزيدة مؤكدة كما قالوا: يا تيم تيم عدى وهو غريب لأن حكم لا أن تعمل في النكرة فقط وحكم الألف أن تثبت مع الإضافة والإضافة تعرف فاجتمع حكمان متنافيان فصار من الشواذ وقال أبو البقاء يجوز فيها وجهان آخران: **أحدهما** إنه أشبع فتحة الباء فنشأت الألف والاسم باق على تنكيره، **والثاني** أن يكون أبا لغة من قال لها أباً في جميع أحوالها، مثل عصا ومنه: أن أباها وأبا أباها[١].

وقوله: **(الموت أو الذل لكم)**، في أكثر النسخ برفعهما وفي بعضها بالنصب أما الرفع فعلى الابتداء و**(لكم)** خبر والجملة دعائية لا محل له من الإعراب، وأما النصب فبتقدير أرجو وأطلب فتكون دعائية أيضاً، وتحتمل الاستفهام أي أتنتظرون.

وقوله: **(فوالله لئن جاء يومي وليأتيني ليفرقن آه)**، جملة **(ليفرقن)** جواب للقسم واستغنى بها عن جواب الشرط، وجملة و**(ليأتني)** معترضة بين القسم والشرط وجوابيهما المذكور والمحذوف وتعرف نكتة الاعتراض في بيان المعنى وجملة: **(وأنا لصحبتكم قال)** منصوبة **(المحل)** على الحال، و**(بكم)** متعلّق بغير كثير قدم عليه للتوسع.

وقوله: **(لله أنتم)** قال الشارح المعتزلي: **(لله)** في موضع رفع لأنه خبر عن المبتدأ الذي هو أنتم، ومثله لله در فلان، ولله بلاد فلان، ولله أبوك، **(واللام)** ههنا فيها معنى التعجب، والمراد بقوله لله أنتم لله سعيكم أو لله عملكم كما قالوا: لله درك، أي عملك فحذف

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/٦٩.

المضاف وأقام الضمير المنفصل المضاف إليه مقامه قال الشارح: ولا يجيء هذه اللام بمعنى التعجب في غير لفظ الله كما أن تاء القسم لم تأت إلا في اسم الله، انتهى.

وقال نجم الأئمة الرضي: قولهم إن لام القسم يستعمل في مقام التعجب يعنون الأمر العظيم الذي يستحق أن يتعجب منه فلا يقال لله لقد قام زيد، بل يستعمل في الأمور العظام نحو لله لتبعثن، وقيل إن اللام في لإيلاف قريش، وللفقراء الذين أحصروا للتعجب، والأولى أن يقال إنها للاختصاص إذ لم يثبت لام التعجب إلا في القسم انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: المستفاد من نص كلام الشارح أن **(لام التعجب)** مختصة بالدخول على لفظ الجلالة، ومن ظاهر كلام الرضي أنها ملازمة للقسم، ويشكل ذلك في نحو لله دره ولله أبوك ولله أنتم وما ضاهاها، لأنهم اتفقوا على أنها في هذه الأمثلة للتعجب مع أنه لا معنى للقسم بل لا تصوير له فيها إذ لو كانت للقسم لاحتاجت إلى لاجواب وليس فليس.

وقد صرّح الرضي نفسه في مبحث التميز من شرح مختصر ابن الحاجب: بأن معنى لله دره فارساً، عجباً من زيد فارساً وهو يعطى أنها فيه للتعجب فقط لا للتعجب والقسم على أنها لو جعلت للقسم لا يكون لله خبراً مقدماً ودرّه مبتدأ ولا يكون للدر عامل رفع كما هو ظاهر لا يخفى.

وبعد اللّتيا واللّتي فالتحقيق أن يقال: إن اللام قد تكون للتعجب مجرّدة عن القسم ولا يلزم دخولها على لفظ الجلالة كما زعمه الشارح المعتزلي بل قد تدخل عليه كما في لله دره فارساً ولله أنت وقوله:

شباب وشيب وافتقار وثروة فلله هذا الدّهر كيف تردّدا

وقد تدخل على غيره كما في لإيلاف قريش أي أعجبوا لإيلاف قريش كما حكاه في الكشاف عن بعضهم وفي قوله:

فيا لك من ليل كانّ نجومه بكلّ مغار القتل شدت بيذبل

وقد تكون للتعجّب والقسم معاً، وهذه مختصة بالدّخول علة لفظ الجلالة كما في: لله لا يؤخر الأجل، وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ لَتُبْعَثُنَّ﴾ وقول الشاعر:

لله يبقى على الأيام ذوحيد بمشمخرّ به الظبيان والآس

فقد ظهر من ذلك أن لام القسم ملازم للتعجّب غير ملازم للقسم كما زعمه الرّضي ولا للدّخول على لفظ الجلالة كما زعمه الشارح المعتزلي هذا.

وأما تحقيق معنى التعجب في هذه الموارد فهو ما أشار إليه الرّضي فيما حكى عنه

بقوله: وأمّا معنى قولهم لله درّك، فالدرّ في الأصل ما يدر أي ينزل من الضّرع من اللّبن ومن الغيم من المطر وهو هنا كناية عن فعل الممدوح والصادر عنه، وإنما نسب فعله إليه قصداً للتعجّب منه لأن الله تعالى منشىء العجائب، فكلّ شيء عظيم يريدون التعجب منه ينسبونه إليه تعالى ويضيفونه إليه نحو قولهم: لله أنت، ولله أبوك، فمعنى لله درّه ما أعجب فعله.

وقال عز الدّين الزنجاني في محكى كلامه من شرح الهادي: (لله درّه) كلام معناه التعجّب، والعرب إذا أعظموا الشيء غاية الإعظام أضافوه إلى الله تعالى وبأن هذا جدير بأن يتعجب منه لأنه صادر عن فاعل قادر مصدر للأشياء العجيبة هذا.

وقوله ﷺ: أما دين يجمعكم، قال الشارح المعتزلي: ارتفاع دين على أنه فاعل فعل مقدر أي ما يجمعكم دين يجمعكم، اللّفظ الثاني مفسر للأوّل كما قدرناه بعد إذا في قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١﴾، ويجوز أن يكون حمية مبتدأ والخبر محذوف تقديره أما لكم حمية، انتهى[1].

أقول: لزوم تقدير الفعل بعد أما إنما هو مسلم إن جعل أما مركبة حرف عرض بمنزلة لولا، لاختصاصها بالدخول على الفعل كما أن إذا مختصة بالدخول عليه، ولذلك احتيج إلى تقديره في الآية الشريفة، وأما إذا جعلنا الهمزة للاستفهام على سبيل الإنكار التوبيخي أو على سبيل التقرير و(ما) حرف نفي فلا حاجة إلى تقدير الفعل لأن (ما) على ذلك ما حجازية بمعنى ليس و(دين) اسمها و(يجمعكم) خبرها.

والظاهر من قول الشارح: أي ما يجمعكم أنه لا يجعلها حرف عرض وحينئذ فتقديره للفعل باطل، ثمّ إن تحويزه كون حمية مبتدأ والخبر محذوفاً فيه أنّ الأصل عدم الحذف مع وجود الجملة الصّالحة للخبرية، وإن أراد بالتجويز مجرّد الصحّة بالقواعد الأدبية فلا بأس به.

وقوله: (أوليس عجباً) استفهام تقريري، و(على) في قوله ﷺ: على غير معونة، بمعنى مع كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ و(إلى) في قوله: (إلى المعونة)، متعلّق بقوله أدعوكم، وجملة: (وأنتم تريكة الإسلام) آه، معترضة بينهما فليس لها محلّ من الإعراب، ويحتمل كونها في محلّ النّصب على الحالية من مفعول أدعوكم ولكن الأول أظهر.

والضمير في قوله: (أنه للشأن)، وجواب (لو) في قوله لو كان الأعمى يلحظ أو النائم

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٧٠.

يستيقظ محذوف بدلالة الكلام كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]، أي لكان هذا القرآن.

وقوله عليه السلام: **(وأقرب بقوم من الجهل بالله)**، فعل تعجب و**(الباء)** زائدة كما في أحسن بزيد قال سيبويه: أفعل صورته أمر ومعناه الماضي من فعل أي صار ذا فعل كألحم أي صار ذا لحم، و**(الباء)** بعده زائدة في الفاعل لازمة، وقد يحذف إن كان المتعجّب منه أن وصلتها نحو أحسن أن يقوم أي أن يقوم على ما هو القياس.

وضعف قوله بأن الأمر بمعنى الماضي مما لم يعهد بل الماضي يجيء بمعنى الأمر مثل اتقى امروء ربّه، وبأن أفعل بمعنى صار ذا فعل قليل ولو كان منه لجاز ألحم بزيد وأشحم به، وبأن زيادة الباء في الفاعل قليل والمطرد زيادتها في المفعول.

وقال الفراء وتبعه الزمخشري وغير: إن أحسن أمر لكل أحد بأن يجعل زيداً حسناً، وإنما يجعله كذلك بأن يصفه بالحسن فكأنه قيل: صفه بالحسن كيف شئت فإن فيه منه كل ما يمكن أن يكون في شخص كما قال الشاعر:

وقد وجدت مكان القول ذا سعة ... فإن وجدت لساناً قائلاً فقل

وهذا معنى مناسب للتعجّب بخلاف تقدير سيبويه وأيضاً همزة الجعل أكثر من همزة صار كذا وإن لم يكن شيء منهما قياساً مطرداً، وعلى ذلك فهمزة أحسن به للجعل كهمزة ما أحسن والباء مزيدة في المفعول وهو كثير مطرد هذا.

وإنما لم يجمع لفظ أقرب مع كون المقصود بالخطاب غير مفرد، لأن فعل التعجّب لا يتصرف فيه فلا يقال: أحسنا وأحسنوا وأحسني وإن خوطب به مثنّى أو مجموع أو مؤنث، وسهل ذلك انمحاء معنى الأمر فيه أريد به محض إنشاء النعجّب ولم يبق فيه معنى الخطاب حتّى يثنى أو يجمع أو يؤنث.

ثمّ إنّه يجب أن يكون المتعجّب منه مختصاً فلا يقال ما أحسن رجلاً، لعدم الفائدة فإن خصّصته بوصف نحو رجلٌ رأيناه في موضع كذا جاز، ولذلك أتى بالجملة الوصفية أعني قوله قائدهم معاوية بعد قوله بقوم، لئلا يخلو عن الفائدة، فالجملة على ذلك في محل الجر على الصفة فافهم ذلك كله واغتنم.

المعنى

اعلم أن هذا الكلام له عليه السلام كما نبّه عليه السيّد رحمه الله واردٌ في ذمّ أصحابه والتوبيخ لهم، والأشبه أنه عليه السلام قاله بعد التّحكيم وانقضاء أمر الحكمين تقريعاً لأصحابه على القعود

عن قتال معاوية، فافتتح كلامه بحمد الله تعالة وثنائه على ما جرى عليه سيرته في أغلب كلماته الواردة في مقام الخطابة فقال:

(الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل) يحتمل أن يريد بقوله قضى وقدر معنى واحداً وكذلك الأمر والفعل فيكونان مترادفين كالفعلين، وأن يريد بالقضاء الحكم الالهي بوجود الأشياء، وبعبارة أخرى هو عالم الأمر ولذا فسّره بقوله: من أمر، وبالقدر ما قدره من الخلق والإيجاد وبعبارة أخرى هو عالم الخلق ولذا بينه بقوله: من فعل، فيكون المعنى الثناء لله على قضائه وقدره على أمره وفعله أو على ما قضاه وقدره على مقتضياته من الأوامر والأحكام، وعلى مقدراته من الصنائع والأفعال وقد مضى تفصيل الكلام ومشبعاً في معنى القضاء والقدر في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى.

وأقول هنا: إن قوله عليه السلام هذا مؤيد لما ذهب إليه أتباع الإشراقيين من أن القضاء عبارة عن وجود الصور العقلية لجميع الموجودات فائضة عنه تعالى على سبيل الإبداع دفعة بلا زمان، لكونها عندهم من جملة العالم ومن أفعال الله تعالى المباينة وذاتها لذاته، خلافاً لأتباع المشّائين كالشيخ الرئيس ومن يحذو حذوه فإنه عندهم عبارة عن صور علمية لازمة لذاته بلا جعل وتأثير وتأثر، وليست من أجزاء العالم، إذ ليست لها جهة عدمية ولا إمكانات واقعية.

وأما القدر فهو عبارة عن وجود صور الموجودات في العالم السماوي على الوجه الجزئي مطابقة لما في موادها الخارجية الشخصيّة مستندة إلى أسبابها وعللها لازمة لأوقاتها المعيّنة وأمكنتها المشخّصة هذا.

وعلى ما استظهرناه من ورود هذا الكلام عنه عليه السلام بعد التحكيم فيجوز أن يراد بما قضاه وقدره خصوص ما وقع من أمر الحكمين وإفضاء الأمر إلى معاوية، فإن كل ما يقع في العالم فلا يكون إلا بقضاء من الله وقدر، فيكون مساق هذا الكلام مساق قوله عليه السلام في الخطبة الخامسة والثلاثين: الحمد لله وإن أتى الدّهر بالخطب الفادح والحدث الجليل.

فإن قلت: فما معنى حمده على وقوع هذا الأمر مع أنه ليس نعمة موجبة للثناء.

قلت: اللازم على العبد الكامل في مقام العبوديّة والبالغ في مقام العرفان أن يحمد الله على بلاء الله سبحانه كما يحمد على نعمائه حسبما عرفت توضيحه في شرح قوله: نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه في الخطبة المأة والإحدى والثلاثين، ولما كان وقوع ما وقع بليّة له عليه السلام في الحقيقة لاجرم حمد الله سبحانه على ذلك.

ويفيد ذلك أيضاً قوله: **(وعلة ابتلائي بكم)** خصوصاً ما يروى في بعض النسخ: على ما

ابتلاني بكم (**أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع وإذا دعوت لم تجب**) والإتيان بهم إجمالاً عقبه بتفصيل جهات الابتلاء، وهو كونهم مخالفين له في جميع الأحوال متمردين عن طاعته عند الأمر بالقتال، متثاقلين عن إجابته عند الدّعوة إلى الحرب والجدال.

(**إن أمهلتم**) وعن بعض النسخ إن أهملتم أي تركتم على حالكم (**خضتم**) في لهو الحديث وفي الضلالة والأهواء الباطلة (**وإن حوربتم خرتم**) أي ضعفتم وجبنتم أو صحتم صياح الثور، وعن بعض النسخ جرتم بالجيم أي عدلتم عن الحرب فراراً (**وإن اجتمع الناس على إمام**) أراد به نفسه (**طعنتم**) على المجتمعين (**وإن أجبتم إلى مشاقة**) عدوّ أي مقاطعته ومصارمته (**نكصتم**) على أعقابكم ورجعتم محجمين (**لا أبا لغيركم**) دعاء بالذلّ وفيه نوع تلطف لهم حيث قال لغيركم ولم يقل لكم (**ما تنتظرون**) استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ أي أيّ شيء تنتظرونه (**بنصركم**) أي بتأخير نصرتكم لدين الله (**و**) بتأخير (**الجهاد على حقكم**) اللازم عليكم وهو إعلاء كلمة الله (**الموت أو الذّل لكم**) قال الشارح المعتزلي: دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين كأنّه شرع داعياً عليهم بالفناء الكلي وهو الموت ثم استدرك فقال أو الذّل، لأنه نظير الموت في المعنى لكنه في الصّورة دونه، ولقد أجيب دعاؤه عليه السلام بالدعوة الثانية فإن شيعته ذلوا بعده في الأيام الأموية.

أقول: وقد مضى له معنى آخر في بيان الإعراب وعلى ذلك المعنى ففيه إشارة إلى تأخير الجهاد إما مؤد إلى الموت على الفراش أو الذّل العظيم على سبيل منع الخلوّ، وأهل الفتوة والمروة لا يرضى بشيء منهما، والقتل بالسيف في الجهاد عندهم ألذ وأشهى كما مرّ بيانه في شرح المختار المائة والثاني والعشرين.

ثم أقسم بالقسم البار بأنه إذا جاء موته ليكون مفارقته لهم عن قلى وبغض فقال: (**فوالله لئن جاء يومي**) الموعود (**وليأتيني**) جملة معترضة أتي بها لدفع إيهام خلاف المقصود.

بيان ذلك: أن لفظة إن وإذا الشرطيتين تشتركان في إفادة الشرط في الاستقبال لكن أصل إن أن يستعمل في مقام عدم الجزم بوقوع الشرط وأصل إذا أن يستعمل في مقام الجزم بوقوعه، ولذلك كان الحكم النادر الوقوع موقعاً لأن لكونه غير مقطوع به في الغالب، والحكم الغالب الوقوع مورداً لإذا وغلب لفظ الماضي معها لدلالته على الوقوع قطعاً نظراً إلى نفس اللفظ وإن نقل ههنا إلى معنى الاستقبال قال سبحانه مبيّناً لحال موسى عليه السلام: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ جيء في جانب الحسنة بلفظ الماضي مع إذا لأن المراد الحسنة المطلقة التي وقوعها به ولذلك عرفت بلام الجنس لأن وقوع الجنس والماهية كالواجب لكثرته وسعته، وفي جانب السيئة بلفظ المضارع مع إن لندرتها وقلّتها ولذلك نكرت لدلالة التنكير على القليل.

إذا عرفت ذلك فنقول: إن موته عليه السلام لما كان أمراً محققاً معلوم الوقوع كان المقام مقتضياً للإتيان بإذا، لكنه أتى بأن الموهمة لعدم جزمه عليه السلام به.

فاستدرك ذلك أولاً بالعدول في الشرط عن الاستقبال إلى الماضي حيث قال: جاء يومي ولم يقل يجيء إبرازاً لغير الحاصل في معرض الحاصل وكون ما هو للوقوع كالواقع بقوة أسبابه المعدة له مع ما فيه من إظهار الرغبة والاشتياق إلى حصول الشرط، فإن الطالب إذا عظمت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إياه فربما يخيل ذلك الأمر إليه حاصلاً فيعبر عنه بلفظ الماضي.

واستدركه ثانياً بقوله: وليأتيني، فنبه عليه السلام بهذين الاستدراكين على أنّه جازم بمجيء يومه الموعود قاطع به وأن مجيئه قريب الوقوع وهو مشتاق إليه وأشد حبّاً له من الطفل بثدي أمه كما صرح به في غير واحدة من كلماته، وهذا من لطائف البلاغة ومحسناتها البديعة التي لا يلتفت إليها إلا مثله عليه السلام هذا.

وقوله: (**ليفرّقن بيني وبينكم وأنا بصحبتكم قال**) يعني إذا جاء مماتي يكون فارقاً بيننا والحال أني مبغض لكم مستنكف عن مصاحبتكم (**وبكم غير كثير**) أي غير كثير بسببكم قوّة وعدّة لأن نسبتكم إليّ كالحجر في جنب الإنسان لا أعوان صدق عند مبارزة الشجعان، ولا إخوان ثقة يوم الكريهة ومناضلة الأقران.

(**لله أنتم**) أي لله درّكم وهو دار وفي مقام التعجب والمدح تلطفاً قال العلامة المجلسي رحمه الله: ولعله على سبيل الذم.

أقول: إن أراد انفهام الذم منه بقرينة المقام فلا بأس وإلا فهو خلاف ما أصطلحوا عليه من استعمالها في مقام المدح حسبما عرفته تفصيلاً في شرح الإعراب.

وقوله: (**أما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم**) أي تحدد كم في معنى الطلب والترغيب على الاجتماع على الدين وملازمة الحمية سواء جعلنا أما حرف عرض وتحضيض أو الهمزة للاستفهام التوبيخي أو التقريري وما حرف نفي.

أمّا على الأول فواضح لأن معنى التحضيض في المضارع هو الحض على الفعل والطلب له فهو بمعنى الأمر وقلما يستعمل فيه إلاّ في موضع التوبيخ والذم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب.

وأمّا على جعل الهمزة للإنكار التوبيخي فكذلك لاقتضائه وقوع ما بعدها وكون فاعله ملوماً ولوم المخاطبين وتوبيخهم على عدم الدّين وترك الحميّة مستلزم لطلب الدين والحميّة منهم.

وأمّا على جعلها للتقرير فلأن معنى التقرير هو حمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، والمراد هنا التقرير بما بعد النفي أي تقرير المخاطبين وحملهم على الاعتراف بالدين الجامع والحمية الشاحذة وحملهم على الاعتراف بذلك في معنى طلبه منهم وحملهم عليهم حتى لا يكونوا كاذبين.

وإلى ذلك ينظر ما قاله العلامة التفتازاني: من أن العرض مولد من الاستفهام أي ليس باباً على حدة، فالهمزة فيه همزة الاستفهام دخلت على النفي وامتنع حملها على حقيقة الاستفهام لأنه يعرف عدم النزول مثلاً فالاستفهام عنه يكون طلباً للحاصل فتولد منه بقرينة الحال عرض النزول على المخاطب وطلبه، وهي في التحقيق همزة الإنكار، أي لا ينبغي لك أن لا تنزل وإنكار النفي إثبات.

وفيه أيضاً ومن مجيء الهمزة للإنكار أليس الله بكاف، أي الله كاف عبده، لأن إنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات، وهذا المعنى مراد من قال: إن الهمزة للتقرير بما بعد النفي النفي لا بالنفي، وهكذا ألم نشرح لك صدرك، وألم يجدك يتيماً، وما شبه ذلك، فقد قال: إن الهمزة للإنكار وقد يقال: إنها للتقرير وكلاهما حسن انتهى.

ومن ذلك علم أن الهمزة في قوله: **(أوليس عجباً)** أيضاً تحتمل الإنكار والتقرير كالجملة السابقة إلاّ أن بينهما فرقاً، وهو أن الإنكار في السابق للتوبيخ وهذا للإبطال، ومقتضاه أن يكون ما بعده غير واقع ومدّعيه كاذباً فيكون مفاده إنكار عدم العجب وأن من ادّعى عدمه فهو كاذب ويلزمه ثبوت العجب لأن نفي النفي إثبات كما مرّ في نحو: أليس الله بكاف عبده، وأما على كونها للتقرير فلا فرق بينهما لأنها هنا أيضاً للتقرير بما بعد النفي أي حملهم على الإقرار بثبوت العجب.

وعلى أي تقدير فالمقصود من الكلام بقرينة الحال والمقام حثهم على رفع ما أوجب التعجب من قبلهم وهو تفرقهم عنه واختلافهم عليه.

كما أشار إلى تفصيله بقوله: **(إن معاوية يدعو الجفاة الطغام)** أي الأراذل والأوغاد من الناس **(فيتبعونه)** ويجيبون دعوته **(على غير معونة ولا عطاء)** قال الشارح المعتزلي: الفرق بينهما أن المعونة إلى أن يجد شيء يسير من المال يرسم لهم لترميم أسلحتهم وإصلاح دوابهم ويكون ذلك خارجاً عن العطاء المفروض شهراً فشهراً والعطاء المفروض شهراً فشهراً يكون شيئاً له مقدار يصرف في أثمان الأقوات ومعونة العيال وقضاء الدّيون.

فإن قلت: كيف يجتمع قوله فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء بما هو المعروف من بذل معاوية وإنه يمد جيشه بالأموال والرغائب.

قلت: قد أجاب عنه الشارح المعتزلي: بأن معاوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء، وإنما كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن وساكني الشام الأموال الجليلة يستعبدهم بها ويدعو أولئك الرؤساء أتباعهم من العرب فيطيعونه، فمنهم من يطيعهم حمية ومنهم من يطيعهم ديناً للطلب بدم عثمان، ولم يكن يصل إلى هؤلاء الأتباع من أموال معاوية قليل ولا كثير، وأما أمير المؤمنين فإنه كان يقسم بين الرؤساء والأتباع على وجه العطاء والرزق لا يرى شريف على مشروف فضلاً[١].

وإلى ذلك إشار بقوله: **(وأنا دعوكم وأنتم تريكة الإسلام وبقية)** المسلمين من **(النّاس)** لا يخفي ما في الإتيان بهذه الجملة من النكتة اللّطيفة وهو الإلهاب لهم والتهييج على المتابعة واستعار لفظ التريكة لكونهم خلف الإسلام وبقيّته كالتريكة التي يتركها النعامة. أي أدعوكم مع كونكم خلف الإسلام وبقيّة السّلف وأولى النّاس بالقيام على مراسمه وبسلوك نهج الأسلاف **(إلى المعونة أو طائفة من العطاء فتفرقون عني)** وتقاعدون **(وتختلفون عليّ)** ولا تجتمعون.

وعمدة أسباب التفرق والتقاعد هو ما أشرنا إليه هنا إجمالاً وقدمناه في شرح الخطبة الرابعة والثلاثين تفصيلاً من تسويته عليه السلام في العطاء بين الشريف والوضيع والرّئيس والمرؤوس والموالي والعبيد، فكان الرؤساء من ذلك واجدين في أنفسهم فيخذلونه باطناً وينصرونه ظاهراً، وإذا أحس الأتباع بتخاذل الرّؤساء تخاذلوا أيضاً فلم يكن يجد عليه السلام لما أعطى الأتباع من الرّزق ثمرة، لأن قتال الأتباع لا يتصوّر وقوعه مع تخاذل الرّؤساء فكان يذهب ما يعطيهم ضياعاً، هذا.

وقد تحصل من قوله عليه السلام: أو ليس عجباً، إلى قوله: تختلفون، على أن منشأ تعجّبه عليه السلام أمور.

أوّلها: أن داعيهم معاوية إمام القاسطين وداعي هؤلاء أمير المؤمنين إمام المتقين والأوّل يدعوهم إلى درك الجحيم والثّاني يدعوهم إلى نضرة النعيم.

وثانيها: أن المدعوّ هناك الأوغاد الطغام مع خلوهم غالباً عن الغيرة والحميّة وههنا تريكة الإسلام وبقية أهل التقوى والمروّة.

وثالثها: متابعة الأوّلين على إمامهم من غير معونة ولا عطاء ومخالفة الآخرين لإمامهم مع المعونة والعطاء.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٧١/١٠.

ثمّ أشار إلى مخالفتهم له عليه السلام في جميع الأحوال فقال: **(إنه لا يخرج إليكم من أمري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه)** أي لا يخرج إليكم من أمري شيء من شأنه أن يرضى به كالمعونة والعطاء فترضونه أو من شأنه أن يسخط منه كالحرب والجهاد لكراهة الموت وحبّ البقاء فتجتمعون عليه، بل لا بدّ لكم من المخالفة والتفرق على الحالين أي لا تقبلون من أمري وما أقول لكم شيئاً سواء كان فيه الرّضا أو السخط.

ثمّ قال: **(وإن أحب ما أنا لاق إليّ الموت)** أي أحب الأشياء إليّ لقاء الموت قال الشارح المعتزلي: وهذه الحال التي ذكرها أبو الطيّب فقال:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن أرى صديقاً فأعيا أو عدوّاً مراجيا

ثمّ أشار عليه السلام إلى جهة محبّته للقاء الموت وكراهته لصحبتهم، وهو تثقالهم من إجابة الحق وعدم قبولهم لمواعظه ونصائحه، وذلك معمى قوله: **(قد دارستكم الكتاب)** أي قرأته عليكم للتعليم وقرأتم عليّ للتعلّم **(وفاتحتكم الحجاج)** أي حاكمتكم بالمحاجة والمجادلة **(وعرفتكم ما أنكرتم)** أي عرفتكم ما كانت منكرة مجهولة عندكم من طريق الصّلاح والسّداد وما فيه انتظام أمركم في المعاش والمعاد **(وسوّغتكم ما مججتم)** أي أعطيتكم من الأرزاق والأموال ما كنتم محرومين عنها فاستعار لفظ التسويغ للإعطاء، والجامع سهولة التناول كما استعار لفظ المج وهو اللفظ من الفم للحرمان، والجامع امتناع الامتناع.

وقوله: **(لو كان الأعمى يلحظ أو النائم يستيقظ)** أي لو كان الأعمى يلحظ لأبصرتم، ولو كان النائم يستيقظ لانتبهتم، وهو تعريض عليهم بأن لهم أعيناً لا يبصرون بها، وآذاناً لا يسمعون بها، وقلوباً لا يفقهون بها، فهم صمّ بكم عمي وهم لا يعقلون.

ثمّ تعجّب من حال أهل الشام ومتابعتهم على معاوية فقال: **(وأقرب بقوم)** قد مر لطف هذه اللّفظة وإفادتها للمبالغة في التعجّب في بيان الإعراب أي ما أشدّ قرب قوم **(من الجهل بالله)** وبشرائعه وبأحكامه **(قائدهم معاوية)** المنافق بن الكافر **(ومؤدبهم)** ومشيرهم **(ابن النابغة)** الغادر الفاجر، وأراد به عمرو بن العاص اللّعين وطوى عن ذكر اسمه تحقيراً وتعريضاً على خسّته ودناءته، وقدحاً في نسبه على ما عرفته تفصيلاً في شرح المختار الثالث والثمانين.

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام أنام است (عليه السلام) در مذمّت اصحاب خود، می فرماید:

حمد و ثنا می کنم معبود به حق را بر آن چه قضا فرمود از هر امر و تقدیر کرد از هر فعل و بر امتحان شدن من به شما؛ ای گروهی که چون امر می کنم مرا اطاعت نمی نمایید و اگر دعوت کنم، اجابت نمی کنید و اگر مهمل گذاشته شوید یا مهلت داده شده باشید، غوص می کنید در لغو و باطل و اگر محاربه کرده شوید، ضعیف می باشید یا صدا می کنید مثل صدای گاو و اگر جمعیت نمایند مردم بر امامی، طعنه می زنید یا این که مفارقت می نمایید و اگر خوانده شوید یا ملجأ شوید به سوی مشقّت یعنی محاربه، بازمی گردید.

بی پدر باشد غیر شما، چه انتظار می کشید با تأخیر یاری کردن و مجاهده نمودن بر حق خودتان، مرگ یا ذلّت باد از برای شما، پس سوگند به خدا اگر بیاید روز وفات من و البته خواهد آمد، هرآینه جدایی می اندازد میان من و میان شما، درحالتی که من دشمن گیرنده باشم صحبت شما را و در حالتی که من به سبب شما صاحب کثرت قوّت و زیادتی شوکت نمی باشم، از برای خدا است خیر شما، آیا نیست دینی که جمع نماید شما را؟ آیا نیست حمیّت غیرتی که باعث حدّت شما بشود؟ آیا نیست عجیب این که معاویه دعوت می کند جفاکاران و فرومایگان را، پس متابعت می کنند بر او بدون این که جیره و مواجبی به آن ها بدهد ومن دعوت می کنم شما را در حالتی که شما پس مانده اسلام و بقیه مردمان هستید به سوی معونت یا طایفه از عطاء، پس متفرّق می شوید و اختلاف میورزید بر من.

به درستی که خارج نمی شود به سوی شما از امر من چیزی که متضمّن رضا و خوشنودی است، پس خوشنود بشوید از آن یا چیزی که متضمّن سخط و خشم است، پس اجتماع نمایید بر آن و به درستی که دوست ترین چیزی که من ملاقات کننده ام به سوی من مرگ است، به تحقیق که من درس گفتم شما را کتاب خدا را و محاکمه کردم با شما با اجتماع و شناساندم شما را چیزی را که نمی دانستید و

گوارا ساختم از برای شما چیزی را که از دهان انداخته بودید اگر نابینا می دید یا این که خواب کننده بیدار می شد، چقدر نزدیك است قومی از جهالت به خدا که پیشوای ایشان معاویه است و ادب دهنده ایشان پسر زن زناکار (که عبارت است از عمرو بن عاص بی دین).

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والثمانون من المختار في باب الخطب

وهو مروى في البحار وفي شرح المعتزلي وفي شرح المختار الرابع والأربعين جميعاً من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي باختلاف تطلع عليه.

قال السيّد عليه السلام وقد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علم قوم من جند الكوفة قد هموا باللّحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلام فلما عاد إليه الرجل قال عليه السلام له:

أَآمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا؟ فقال الرجل بل ظعنوا يا أمير المُؤمنين

فقال عليه السلام:

بُعْداً لَهُمْ كَما بَعُدَتْ ثَمُودُ أَما لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ وَصُبَّتِ السُّيوفُ عَلَىٰ هاماتِهِمْ لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى ما كانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفَلَّهُمْ وَهُوَ غداً مُتَبَرِّىءٌ مِنْهُمْ، ومُخَلٍّ عَنْهُمْ فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَىٰ وَارْتِكاسِهِمْ في الضَّلالِ وَالْعَمىٰ وصَدِّهِمْ عَنِ الحَقِّ وَجِماحِهِمْ في التِّيهِ(١).

اللغة

(يعلم له) مضارع علم و**(قطن)** بالمكان من باب قعد أقام به وتوّطنه فهو قاطن و**(ظعن)** ظعناً من باب منع ارتحل والاسم ظعن بفتحتين **(وبعد)** بالضم بعداً ضد قرب فهو بعيد وبالكسر من باب تعب هلك و**(ثمود)** قوم صالح النبي عليه السلام وسموا باسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عامر بن أرم بن سام بن نوح، وقيل: سميت القبيلة بذلك لقلّة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى و**(أشرعت)** الرمح إلى زيد سددته وصوّبته نحوه و**(الهامات)** جمع الهامة راس كل شيء قال الشاعر:

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

(قد استفلّهم) في أكثر النسخ بالفاء أي وجدهم فلاّ لا خير فيهم أو مفلولين منهزمين، وفي بعضها بالقاف أي حملهم قال سبحانه: ﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾، أو اتخذهم قليلاً وسهل عليهم أمره، وفي بعضها استفزهم أي استخفهم، وفي بعضها استقبلهم أي قبلهم.

(١) الغارات: ١/ ٣٤٧، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٤١٠.

و(**الركس**) قال الجوهري: هو ردّ الشيء مقلوباً، وارتكس فلان في أمر كان قد نجا منه وقال الفيومي: ركست الشيء ركساً من باب قتل قلبته ورددت أوله على آخره، وأركسته بالألف رددته على رأسه و(**جمح**) الفرس من باب منع اعتز فارسه وغلبه فهو جموح.

الإعراب

(**بعداً لهم**) منصوب على المصدر، (**وثمود**) بدون التنوين غير مصروف إذا أريد به القبيلة، ومع التنوين على الانصراف وإرادة الحي، أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر قاله الزمخشري في الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًاۚ﴾ وبهما قرأ أيضاً في الآية، و(**الباء**) في قوله: بخروجهم، زائدة ما زيدت في كفى بالله.

المعنى

اعلم أن هذا الكلام كما أشار إليه السيّد قاله عليه السلام (**وقد أرسل رجلاً من أصحابه**) وهو عبد الله بن قعين (**يعلم له علم قوم**) وفي بعض النسخ علم أحوال قوم أي أرسله ليعلم حالهم فيخبره به وهم خريت بن رشاد أحد بني ناجية مع جماعة من أصحابه وكانوا (**من جند الكوفة**) شهدوا معه عليه السلام صفين حسبما عرفته في شرح المختار الرابع والأربعين وتعرفه هنا أيضاً تفصيلاً.

(**هموا**) بعد انقضاء صفين وبعد تحكيم الحكمين (**باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه** عليه السلام **فلما عاد**) أي رجع إليه عليه السلام (**الرجل قال** عليه السلام له: أآمنوا) وفي بعض النسخ بإسقاط همزة الاستفهام كما في قوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، على قراءة ابن محيص قال: إنّه بهمزة واحدة على لفظ الخبر وهمزة الاستفهام مرادة ولكن حذفها تخفيفاً لدلالة: أو لم تنذرهم، عليه لأن أم يعادل الهمزة، وقر الأكثرون على لفظ الاستفهام.

وقوله (**فقطنوا**) أي أقاموا (**أم جبنوا فظعنوا**) أي ارتحلوا (**فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين فقال** عليه السلام: بعداً لهم) أي هلكاً لهم أو أبعدهم الله من رحمته بعداً والمعنيان متلازمان (**كما بعدت ثمود**) بكسر العين في أكثر النسخ وكذا في المصاحف.

ثم أخبر عن مستقبل حالهم بأنهم يندمون على تفريطهم فقال: (**أما لو أشرعت الأسنة إليهم وصبّت السيوف على هاماتهم**) استعار لفظ الصبّ الذي هو حقيقة في صبّ الماء لكثرة وقع السيوف على الرؤوس، والجامع سرعة الوقوع، يعني أنهم لو عاينوا القتال والهجوم عليهم بالقتل والاستئصال (**لقد ندموا**) حينئذ (**على ما كان منهم**) من التقصير والخطاء.

ثم نبه على أن ما صدر عنهم من الظعن واللحاق بالخوارج إنما هو من عمل الشيطان

يقول للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك وهو قوله ﷺ: **(إن الشيطان اليوم قد استفلّهم)** أي وجدهم بمعزل من الخير فزين لهم اللحوق بأوليائه **(وهو غداً متبرىء منهم ومخل عنهم)** أي تارك لهم كما شأنه مع سائر أوليائه قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

(فحسبهم بخروجهم من الهدى) أي يكفيهم خروجهم منه عذاباً. ووبالاً **(وارتكاسهم في الضلال والعمى)** أي رجوعهم إلى الضلال القديم والجهل الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه ونجاتهم عنه بهدايته ﷺ **(وصدهم)** أي إغراضهم **(عن الحق)** اللازم عليهم وهو طاعة إمامهم المفترض طاعته **(وجماحهم في التيه)** والضلال أو مفازة المعصية، هذا.

وأما قصّة هؤلاء القوم الذين هموا باللحاق بالخوارج فقد مضى طرف منها في شرح الكلام الرابع والأربعين لارتباطه به، وأورد هنا باقتضاء المقام ما لم يتقدّم ذكره فأقول:

روى العلامة المجلسي ﷀ في كتاب البحار والشارح المعتزلي جميعاً من كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي بتلخيص مني عن الحارث بن كعب الأزدي عن عمه عبد الله بن قعين قال: كان الخريت بن رشاد أحد بني ناجية قد شهد مع علي ﷺ صفين، فجاء إليه بعد انقضاء صفين وبعد تحكيم الحكمين في ثلاثين من أصحابه يمشي بينهم حتى قام بين يديه فقال: لا والله لا أطيع أمرك ولا أُصلّي خلفك وإني غداً لمفارق لك.

فقال ﷺ: ثكلتك أمّك إذا تنقض عهدك وتعصي ربك ولا تضرّ إلاّ نفسك أخبرني لم تفعل ذلك؟

قال: لأنّك حكّمت في الكتاب وضعفت عن الحق إذ جدّ الجدّ وركبت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك راد وعليهم ناقم ولكم جميعاً مباين.

فقال له علي ﷺ: ويحك هلم إليّ أدارسك وأناظرك في السّنن وأفاتحك أموراً من الحق أنا أعلم بها منك فلعلّك تعرف ما أنت الآن له منكر، وتبصر ما أنت الآن عنه غافل، وبه جاهل.

فقال الخريت: فأنا غاد عليك غداً.

فقال علي ﷺ: أغد ولا يستهوينّك الشيطان ولا يقتحمن بك رأي السوء ولا يستخفنك الجهلاء الذين لا يعلمون، فوالله إن استرشدتني واستنصحتني وقبلت منّي لأهدينك سبيل الرشاد.

فخرج الخريت من عنده منصرفاً إلى أهله.

قال عبد الله بن قعين: فعجلت في أثره مسرعاً وكان لي من بني عمه صديق فأردت أن ألقى ابن عمه في ذلك فأعلمه بما كان في قوله لأمير المؤمنين عليه السلام وآمر ابن عمه أن يشتد بلسانه عليه وأن يأمره بطاعة أمير المؤمنين عليه السلام ومناصحته ويخبره أن ذلك خير له في عاجل الدنيا وآجل الآخرة.

قال: فخرجت حتى أتيت إلى منزله وقد سبقني فقمت عند باب داره فيها رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على أمير المؤمنين فوالله ما رجع ولا ندم على ما قال لأمير المؤمنين عليه السلام ولا ردّ عليه ولكنه قال لهم: يا هؤلاء إنّي قد رأيت أن أفارق هذا الرجل وقد فارقته على أن أرجع إليه من غد ولا أرى إلا المفارقة فقال له أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيه فإن أتاك بأمر تعرفه قبلت منه وإن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه قال لهم: نعم ما رأيتم.

قال فاستأذنت عليهم فأذنوا لي فأقبلت على ابن عمه وهو مدرك بن الريان الناجي وكان من كبراء العرب فقال له: إنّ لك عليّ حقاً لإحسانك وودّك وحق المسلم على المسلم إن ابن عم كان منه ما قد ذكرك فأخل به فاردد عليه رأيه وعظم عليه ما أتى، واعلم أنّي خائف إن فارق أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتلك ونفسه وعشيرته، فقال: جزاك الله خيراً من أخ إن أراد فراق أمير المؤمنين عليه السلام ففي ذلك هلاكه وإن اختار مناصحته والإقامة معه ففي ذلك حظه ورشده.

قال: فأردت الرجوع إلى علي عليه السلام لأعلمه الذي كان ثم اطمأننت إلى قول صاحبي فرجعت إلى منزلي، فبت ثم أصبحت فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فجلست عنده ساعة وأنا أريد أن أحدثه بالذي كان على خلوة، فأطلت الجلوس ولا يزداد الناس إلا كثرة، فدنوت منه فجلست وراءه فأصغى إليّ برأسه فأخبرته بما سمعته من الخريت وما قلت لابن عمه وما رد عليّ.

فقال عليه السلام: دعه فإن قبل الحق ورجع عرفنا له ذلك وقبلناه منه.

فقلت: يا أمير المؤمنين عليه السلام لم لا تأخذه الآن وتستوثق منه؟

فقال عليه السلام: إنّا لو فعلنا هذا بكل من يتهم من الناس ملأنا السجون منهم ولا أراني يسعني الوثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يظهروا إلى الخلاف.

قال: فسكت عنه وتنحيت وجلست مع أصحابي هنيئة فقال عليه السلام لي: ادن مني، فدنوت فقال لي: سر إلى منزل الرّجل فاعلم ما فعل فإنّه قلّ يوم لم يكن يأتيني فيه قبل هذه الساعة،

فأتيت إلى منزله فإذاً ليس في منزله منهم ديّار فدرت على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه فإذا ليس فيها داع ولا مجيب فأقبلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال لي حين رآني: أقطنوا فأقاموا أم جبنوا فظعنوا؟ قلت: لا بل ظعنوا فقال: أبعدهم الله كما بعدت ثمود أما والله لو أشرعت لهم الأسنة وصبت على هاماتهم السيوف لقد ندموا إن الشيطان قد استهواهم وأضلّهم وهو متبرىء منهم ومخل عنهم.

فقام إليه زياد بن حفصة فقال: يا أمير المؤمنين إنه لو لم يكن من مضرة هؤلاء إلاّ فراقهم إيانا لم يعظم فقدهم علينا فإنّهم قل ما يزيدون في عددنا لو أقاموا معنا وقلّما ينقصون من عددنا بخروجهم منا، ولكنا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك، فأذن لي في اتبّاعهم حتى أردهم عليك إنشاء الله.

فقال عليه السلام له: فاخرج في آثارهم راشداً فلمّا ذهب ليخرج قال عليه السلام له: وهل تدري أين توجه القوم؟قال: لا والله ولكنّي أخرُج فأسأل وأتبع الأثر، فقال: اخرج رحمك الله حتى تنزل دير أبي موسى ثم لا تبرحه حتى يأتيك أمري فإنهم إن خرجوا ظاهرين بارزين للناس في جماعة فإنّ عمالي ستكتب إليّ بذلك، وإن كانوا متفرّقين مستخفين فذلك أخفى لهم وسأكتب إلى من حولي من عمالي فيهم.

فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال:

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرأ عليه كتابي هذا من العمّال أمّا بعد: فإن رجالاً لنا عندهم تبعة خرجوا هراباً نظنّهم خرجوا نحو بلاد البصرة فاسأل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون في كلّ ناحية من أرضك ثمّ اكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم.

فخرج زياد بن حفصة حتى أتى داره وجمع أصحابه وأخذ معه منهم مائة وثلاثين رجلاً وخرج حتى أتى دير أبي موسى[١].

وروى بإسناده عن عبد الله بن وال التيمي قال: إنّي لعند أمير المؤمنين إذا فيج[٢] قد جاءه يسعى بكتاب من قرظة بن كعب الأنصاري وكان أحد عماله فيه.

أما بعد فإنّي أخبر أمير المؤمنين أن خيلاً مرّت من قبل الكوفة متوّجهة وإن رجلاً من دهاقين أسفل الفرات قد أسلم وصلى يقال له زاذان فروخ أقبل من عند أخوال له فلقوه فقالوا أمسلم أنت أم كافر قال بل مسلم قالوا فما تقول في علي عليه السلام قال: أقول فيه خيراً أقول إنّه

(١) بحار الأنوار: ٣٣/٤٠٨.

(٢) الفيج: رسول السلطان على رجله وهو فارسي.

أمير المؤمنين وسيّد البشر ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: كفرت يا عدوّ الله ثمّ حملت عليه عصابة منهم فقطّعوه بأسيافهم وأخذوا معه رجلاً من أهل الذمة يهودياً. فقالوا له: ما دينك؟ قال يهودي، فقالوا: خلّوا سبيل هذا لا سبيل لكم عليه، فأقبل إلينا ذلك الذمّي فأخبرنا الخبر وقد سألت عنهم فلم يخبرني أحد عنهم بشيء فليكتب إليّ أمير المؤمنين عليه السلام فيهم برأيه أنته إليه إنشاء الله.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد فقد فهمت ما ذكرت من أمر العصابة التي مرت بعلمك فقتلت البرّ المسلم وآمن عندهم المخالف المشرك، وإن أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلّوا كالذين حسبوا ألا يكون فتنة فعموا وصمّوا فاسمع بهم وابصر يوم يحشر أعمالهم فالزم عملك وأقبل على خراجك، فإنك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك، والسلام.

قال: فكتب عليه السلام إلى زياد بن حفصة مع عبد الله بن وال التيمي كتاباً نسخته:

أما بعد فقد كنت أمرتك أن تنزل دير أبي موسى حتى يأتيك أمري دونك إني لم أكن علمت أين توجه القوم وقد بلغني أنهم أخذوا نحو قرية من قرى السواد فاتبع آثارهم وسل عنهم فإنهم قد قتلوا رجلاً من أهل السواد مسلماً مصلّياً فإذا أنت لحقت بهم فارددهم إليّ فإن أبوا فناجزهم واستعن بالله عليهم فإنهم قد فارقوا الحق وسفكوا الدم الحرام وأخافوا السبيل، والسلام.

قال عبد الله بن وال: فأخذت الكتاب منه عليه السلام وأنا يومئذ شاب حدث فمضيت غير بعيد ثم رجعت إليه فقلت يا أمير المؤمنين ألا أمضي مع زياد بن حفصة إلى عدوّك إذا دفعت إليه كتابك؟ فأذن ودعا لي ثمّ مضيت إلى زياد بالكتاب، فقال لي زياد: يا ابن أخي والله ما لي عنك من غنى وإني أحب أن تكون معي في وجهي هذا، فقلت: إني قد استأذنت أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك فأذن لي فسرّ بذلك.

ثمّ خرجنا حتى أتينا الموضع الذي كانوا فيه فلحقناهم وهم نزول بالمدائن وقد أقاموا بها يوماً وليلة وقد استراحوا وعلفوا دوابهم وخيولهم وأتيناهم وقد تقطعنا وتعبنا ونصبنا، فلما رأونا وثبوا على خيولهم فاستووا عليها فجئنا حتى انتهينا إليهم.

فنادى الخرّيت بن رشاد أخبرونا ما تريدون؟

فقال له زياد وكان مجرباً رفيقاً: قد ترى ما بنا من النصب واللّغوب والذي جئنا له لا يصلح فيه الكلام علانية ولكن تنزلون وننزل ثمّ نخلو جميعا فنذاكر أمرنا وننظر فيه فإن رأيت ما جئنا له حظاً لنفسك قبلته وإن رأيت فيما أسمع منك أمراً أرجو فيه العافية لنا ولك لم أرد

عليك.

فقال الخرّيت: أنزل، فنزلنا ونزل وتفرقنا وتحلقنا عشرة وتسعة وثمانية وسبعة تضع كل حلقة طعامها بين أيديها فتأكل ثم تقوم إلى الماء فتشرب، وقال لنا زياد علفوا خيولكم فعلفنا عليها مخاليها ووقف زياد في خمسة فوارس أحدهم عبد الله بن وال بيننا وبين القوم وانطلق القوم فتنحوا فنزلوا وأقبل إلينا زياد.

فلما رأى تفرقنا قال: سبحان الله أنتم أصحاب حرب والله لو أن هؤلاء جاؤكم على هذه الحالة ما أرادوا من عزتكم أفضل من حالكم التي أنتم عليها فعجلوا قوموا إلى خيولكم.

فأسرعنا فمنّا من يتوضأ ومنا من يشرب ومنا من يسقي فرسه حتى إذا فرغنا من ذلك أتينا زياداً فقال زياد: ليأخذ كلّ رجل منكم بعنان فرسه فإذا دنوت منهم وكلمت صاحبهم فإن تابعني على ما أريد وإلاّ فإذا دعوتكم فاستووا على متون خيولكم ثمّ أقبلوا معاً غير متفرّقين.

ثمّ استقدم أمامنا وأنا معه ودعى صاحبهم الخرّيت فقال له: اعتزل ننظر في أمرنا فأقبل إليه في خمسة نفر فقلت لزياد: ادعو لك ثلاثة نفر من أصحابك حتى تلقاهم في عددهم فقال: ادع من أحببت، فدعوت له ثلاثة فكنا خمسة.

فقال له زياد: ما الذي نقمت على أمير المؤمنين عليه السلام وعلينا حتى فارقتنا؟

فقال: لم أرض صاحبكم إماماً ولم أرض بسيرتكم سيرة فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى بين الناس، فإذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الأمة رضى كنت مع الناس.

فقال زياد: ويحك وهل يجتمع الناس على رجل يداني علياً عالماً بالله وبكتاب الله وسنة رسوله مع قرابته وسابقته في الإسلام؟

فقال الخرّيت: هو ما أقول لك.

قال: ففيم قتلتم الرّجل المسلم؟

فقال الخرّيت: ما أنا قتلته قتلته طائفة من أصحابي، قال: فادفعهم إلينا قال: ما إلى ذلك من سبيل، قال: أو هكذا أنت فاعل؟ قال: هو ما تسمع.

قال: فدعونا أصحابنا ودعى الخرّيت أصحابه ثم اقتتلنا فوالله ما رأيت قتالاً مثله منذ خلقني الله لقد تطاعنا بالرّماح حتى لم يبق في أيدينا رمح، ثم اضطربنا بالسيوف حتى أثخنت وعقرت عامة خيلنا وخيلهم وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم وقتل منا رجلان مولى لزياد كانت معه رايته يدعى سويداً، ورجل آخر يدعى واقد ابن بكر، وصرع منهم خمسة نفر وحال

اللّيل بيننا وبينهم وقد والله كرهونا وكرهناهم وهزمونا وهزمناهم وقد جرح زياد وجرحت.

ثم إنَّا بتنا في جانب وتنحّوا فمكثوا ساعة من اللّيل ثم مضوا فذهبوا، وأصبحنا فوجدناهم قد ذهبوا فوالله ما كرهنا ذلك فمضينا حتى أتينا البصرة وبلغنا أنهم أتوا الأهواز فنزلوا في جانب منها وتلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مائتين كانوا معهم بالكوفة لم يكن لهم من القوة ما ينهضون معهم حين نهضوا. فاتبعوهم من بعد لحوقهم بالأهواز فأقاموا معهم.

وكتب زياد إلى علي عليه السلام: أما بعد فإنا لقينا عدوّ الله الناجي وأصحابه بالمدائن فدعوناهم إلى الهدى والحق والكلمة السّواء فتولّوا عن الحق وأخذتهم العزة بالإثم وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فقصدونا، وصمدنا صمدهم فاقتتلنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظهر إلى أن دلكت الشمس، واستشهد منا رجلان صالحان وأصيب منهم خمسة نفر وخلوا لنا المعركة وقد فشت فينا وفيهم الجراح، ثم إنّ القوم لما أدركوا الليل خرجوا من تحته متنكرين إلى أرض الأهواز وقد بلغني أنهم نزلوا من الأهواز جانباً ونحن بالبصرة نداوي جراحنا وننتظر أمرك رحمك الله والسلام.

فلما أتاه الكتاب قرأه على اناس، فقام إليه معقل بن قيس الرياحي[1].. إلى آخر ما قدمنا ذكره في شرح المختار الرابع والأربعين فيراجع هناك.

---

(١) الغارات: ١/ ٣٧٤، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٤١٠.

الترجمة

از جمله كلام آن بزرگوار است، در حالتى كه فرستاده بود مردى را از اصحاب خود تا بداند خبر طايفه اى از لشگر كوفه را كه قصد كرده بودند آن طايفه ملحق شدن خوارج را و بودند آن گروه ترسان و هراسان از آن حضرت، چون بازگشت آن مرد به سوى آن حضرت فرمود او را: آيا ايمن شدند پس اقامت كردند؟ يا اين كه ترسيدند پس كوچ كردند؟ پس گفت آن مرد: كوچ كردند اى اميرمؤمنان، پس فرمود:

هلاك كند خداوند ايشان را هلاك كردنى، چنان چه هلاك شدند قوم ثمود، آگاه باش كه اگر راست كرده شود نيزه ها به سوى ايشان و ريخته گردد شمشيرها بر فرق هاى آن مردودان، هرآينه البته پشيمان خواهند شد بر آن چيزى كه از ايشان سرزد، به درستى كه شيطان ملعون امروز ايشان را بى خير و منفعت يافت، جلوه داد كوچ كردن را در نظر ايشان و او فردا بيزارى خواهد جست از ايشان و تارك ايشان خواهد گشت، پس بس است خارج بودن ايشان از طريق هدايت وبازگشتن ايشان در ضلالت و كورى و اعراض ايشان از حق و سركشى ايشان در بيابان حيرانى و سرگردانى.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والواحدة والثمانون من المختار في باب الخطب

وشرحها في فصول:

الفصل الأول

روى عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه من ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير فقال عليه السلام:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وعَواقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، ونَيِّرِ بُرْهَانِهِ، ونَوامي فَضْلِهِ وامتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضاءً، ولِشُكْرِهِ أداءً، وإِلَىٰ ثَوابِهِ مُقَرِّباً، ولِحُسْنِ مَزِيدِه مُوجِباً، ونَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعانَةَ راجٍ لِفَضْلِه، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِه، واثِقٍ بِدَفْعِه، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، ونُؤْمِنُ بِهِ إِيْمانَ مَنْ رَجاهُ مُوقِناً، وأَنابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً، لَمْ يُولَدْ سُبْحانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشارِكاً، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هالِكاً، ولَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلاَ زَمانٌ، وَلَمْ يَتَعاوَرْهُ زِيادَةٌ وَلا نُقْصانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرانا مِنْ عَلاَماتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضاءِ الْمُبْرَمِ.

فَمِنْ شَواهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ مُوَطَّداتٍ بِلاَ عَمَدٍ، قائِماتٍ بِلاَ سَنَدٍ، دَعاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعاتٍ مُذْعِناتٍ، غَيرَ مُتَلَكِّئاتٍ وَلاَ مُبْطِئاتٍ، وَلَوْلاَ إِقْرارُهُنَّ لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، وَإِذْعانُهُنَّ بالطَّواعِيَةِ، لَما جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، وَلاَ مَسْكَناً لِمَلاَئِكَتِه، وَلاَ مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَالِحِ مِنْ خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيرانُ في مُخْتَلِفِ فِجاجِ الْأَقْطارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِها ادْلِهمامُ سِجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلاَ اسْتَطاعَتْ جَلاَبِيبُ سُوادِ الْحَنادِسِ أَنْ تَرُدَّ ما شاعَ فِي السَّمٰواتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ.

فَسُبْحانَ مَنْ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ سَوادُ غَسَقٍ داجٍ، وَلاَ لَيْلٍ ساجٍ في بِقاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئاتِ، وَلاَ في يَفاعِ السُّفْعِ الْمُتَجاوِراتِ، وَما يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ في أُفُقِ السَّماءِ، وَما تَلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمامِ، وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُها عَنْ مَسْقَطِهَا عَواصِفُ الْأَنْواءِ وَانْهِطالُ السَّماءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّها، ومَسْحَبَ الذَّرَّةِ ومَجَرَّها، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِها، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَىٰ في بَطْنِها.

وَالْحَمْدُ لِلّهِ الْكائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ، أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَماءٌ، أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جانٌّ، أَو إِنسٌ، لاَ يُدْرَكُ بِوَهْمٍ، وَلاَ يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلاَ يَشْغُلُهُ سائِلٌ، وَلاَ يَنْقُصُهُ نائِلٌ، وَلاَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، وَلاَ يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلاَ يُوصَفُ بَالأَزْواجِ، وَلاَ يَخْلُقُ بِعَلاَجٍ، وَلاَ يُدْرَكُ بِالْحَواسِ، وَلاَ يُقاسُ بِالنّاسِ، الَّذي كَلَّمَ مُوسى تَكْلِيماً، وأَراهُ مِنْ آياته عَظِيماً، بِلاَ جَوارِحَ ولاَ أَدواتٍ، ولاَ نُطْقٍ ولاَ لَهَواتٍ.

بلْ إِن كُنْتَ صادِقاً أَيُّها الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَئِيلَ وميكائِيلَ وجُنُودَ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ في حُجُراتِ الْقُدْسِ مُرْجحِنين، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخالِقِينَ، وإِنَّما يُدْرَكُ بِالصِّفاتِ ذَوُوا الْهَيْئاتِ وَالْأَدواتِ، ومَنْ يَنْقَضي إِذا بَلَغَ حَدَّه بِالْفِناء، فَلاَ إِلَهَ إِلا هُوَ، أَضاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلامٍ، وأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ[١].

اللغة

(البكالي) بكسر الباء قال في القاموس: وبنو بكال ككتاب بطن من حمير منهم نوف بن فضالة التابعي وكاميرحى من همدان، وعن الجوهري أنّه بفتح الباء، وعن قطب الراوندي في شرح النهج أن بكال وبكيل شيء واحد وهو اسم حي من همدان وبكيل أكثر، والصواب كما قاله الشارح المعتزلي ما في القاموس.

و**(ثفنة)** البعير بالكسر ركبته وما مس الأرض من كركرته وسعداناته وأصول أفخاذه، وثفنت يده من باب فرح غلظت و**(العمد)** جمع عماد على خلاف القياس قال سبحانه: في عمد ممدّدة و**(تلكأ)** عليهاعتل وعنه أبطأ و**(الطواعية)** وزان ثمانية الطاعة و**(المختلف)** الاختلاف والتردد أو موضعه أو من المخالفة و**(الفج)** الطريق الواسع بين الجبلين و**(القطر)** الجانب والناحية و**(السجف)** بالفتح والسكر الستر والجمع سجوف وأسجاف و**(الحنادس)** جمع الحندس وزان زبرج الليل شديد الظلمة و**(اليفاع)** واليفع محركة التلّ و**(السفع)** بالضم جمع سفعة وهو من الألوان ما أشرب حمرة و**(المسقط)** اسم كان كمعقد ومجلس.

و**(الأنواء)** جمع نوء وهو سقوط النجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب من الفجر وطلوع رقيبه من المشرق مقابلاً له من ساعته وستعرف زيادة تحقيق له في بيان المعنى و**(اللهوات)** واللهيات جمع اللّهات وهي اللحمة المشرفة على الحلق أو بين منقطع أصل اللسان ومنقطع القلب من أعلى الفم و**(ارجحن)** يرجحن كاقشعر مال واهتزّ وعن الجزري أرجحن الشيء إذا مال من ثقله وتحرّك.

---

(١) بحار الأنوار: ٤/ ٣١٥، ومستدرك سفينة البحار: ٧/ ٣٣.

الإعراب

(من) في قوله: والعمل الصّالح من خلقه، ابتدائية نشوية، وقوله: **(في مختلف فجاج)** آه، متعلق بالحيران أو بقوله: يستدل، قوله: **(لم يمنع ضوء نورها ادلهمام)**، في أكثر النسخ برفع ادلهمام على أنه فاعل يمنع ونصب **(ضوء)** على أنه مفعوله، وفي بعض النسخ بالعكس قال الشارح المعتزلي: وهذا أحسن وستعرف وجه الحسن في بيان المعنى.

و**(أو)** في قوله: أو عرش وما بعدها بمعنى الواو، وقوله: **(لا يحد بأين)** قال الشارح المعتزلي: لفظة (أين) في الأصل مبنيّة على الفتح فإذا نكرتها صارت اسماً متمكناً من الإعراب، وإن شئت قلت بأنّه عليه السلام تكلّم بالاصطلاح الحكمي والأين عندهم حصول الجسم في المكان وهو أحد المقولات العشر وقوله: **(في حجرات القدس)** أما متعلق بالمقرّبين أو بمرجحنين، والأول أقرب لفظاً والثاني معنى، والإضافة في قوله: **(أمد حده)** بيانية وقوله: **(بالفناء)** متعلّق بقوله: ينقضي.

المعنى

قال السيّد رحمه الله **(روى عن نوف)** بن فضالة **(البكالي)** الحميري أنّه **(قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين** عليه السلام بالكوفة) الظاهر أن المراد بجامع الكوفة **(وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزمي)** وهو ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام وأمّه أمّ هاني بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأبوه كما قاله السيّد رحمه الله: هبيرة وهو ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وكان فارساً شجاعاً فقيهاً والي خراسان من جانب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن شعره الذي يباهي فيه بنسبه قوله:

أبى من بنى مخزوم إن كنت سائلاً ومن هاشم أمّي لخير قبيل
فمن ذا الذي باهى عليّ بخاله كخالي عليّ ذي الندى وعقيل

(وعليه عليه السلام **مدرعة)** أي جبّة تدرّع بها **(من صوف وحمائل سيفه من ليف)** النخل **(وفي رجليه نعلان من ليف)** أيضاً وكفى بذلك زهداً **(وكان جبينه)** من طول السجود **(ثفنة بعير)** وكفى به عناء وعبادة.

وقد ورثه منه عليه السلام ابن ابنة علي بن الحسين زين العابدين وسيّد الساجدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه أجمعين حتّى اشتهر ولقب بالسجاد ذي الثفنات قال دعبل الخزاعي في قصيدته المعروفة:

ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات

(فقال: الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر) أي إليه مرجع الخلائق في المبدأ والمآب وعواقب أمرهم يوم الحساب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾، وقال: وإلى الله المصير.

إنما أتى عليه السلام بلفظ الجمع مع أن المصدر يصحّ إطلاقه على القليل والكثير باعتبار كونه أي الجمع المضاف نصاً في العموم مفيداً لكون جميع رجوعات المخلوقات إليه سبحانه في جميع حالاتهم لافتقار الممكن إلى الواجب وحاجته إليه في الوجود والبقاء والفناء فهو أول الأولين وآخر الآخرين وإليه المصير والمنقلب.

(نحمده على عظيم إحسانه) الذي أحسن إلينا به وهو معرفته وتوحيده إذ لا إحسان أعظم من ذلك، وقول الشارح المعتزلي: إنه أصول نعمه كالحياة والقدرة والشهوة ونحوها، وكذا قول الشارح البحراني: إنه الخلق والإيجاد على وفق الحكمة والمنفعة فليسا بشيء.

ويؤيّد ما قلناه تعقبيه بقوله: **(ونير برهانه)** فإن المراد به الأدلة الواضحة التي أقامها في الآفاق والأنفس ومن طريق العقل والنقل للدلالة على ذاته وصفات جماله وجلاله **(ونوامي فضله وامتنانه)** أراد بها نعمه النامية الزاكية التي أفضل بها على عباده وامتن بهاعليهم باقتضاء ربوبيّته وحفظاً لبقاء النوع.

وقوله: **(حمداً يكون لحقه قضاء ولشكره أداء)** من باب المبالغة في كمال ثنائه سبحانه كما في قولهم حمداً ملأ السماوات والأض، وإلاّ فالحمد الذي يقضي حقه ويؤدي شكره على ما هو أهل له ومستحقه فهو خارج عن وسع البشر كما عرفت تحقيق ذلك في شرح الفصل الأول من المختار الأول وشرح المختار السابع والسبعين أيضاً.

(وإلى ثوابه مقرّباً) لأنه سبحانه وعد الثواب للشاكر وقال: فاشكروني أشكركم، من باب المشاكلة أي أثيبكم على شرككم ومعلوم أنه سبحانه منجز لوعده ومن أوفى بعهده من الله **(ولحسن مزيده موجباً)** لأنه أخبر عن إيجاب الشكر لزيادة النعمة ووعد به وقال: لئن شكرتم لأزيدنكم، ومعلوم أنه صادق في وعده لا يخلف الميعاد.

(ونستعين به استعانة) صادرة عن صميم القلب وكمال الرجاء والوثوق بإعانته ولذلك وصفها بكونها مثل استعانة **(راج لفضله مؤمّل لنفعه واثق بدفعه)** فإن المستعين المتّصف بهذه الأوصاف لا تكون استعانته إلاّ على وجه الكمال إذ رجاه للفضل وأمله لإيصال المنافع ووثوقه بدفع المضار إنما هو فرع المعرفة بفضله وإحسانه وبقدرته وقهره على كل شيء، وبأنه لا رادّ لحكمه ولا دافع لقضائه وأن بيده خزائن الملك والملكوت، ومعلوم أن من عرف الله تعالى بذلك يكون طلبه للإعانة آكد وأشد، وهذه الأوصاف الثلاثة في الحقيقة مظنّة للإعانة

باعتبار صفات العظمة والكمال في المستعان.

ثم وصفها بوصفين آخرين هما مظنّة للإعانة باعتبار وصف الذّل والاستكانة في المستعين وهو قوله: **(معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول)** فإن من اعترف لطوله وأفضاله وأذعن أي خضع وذلّ وانقاد على ربوبيته وأسرع إلى طاعته قولاً وعملاً فحقيق على الإعانة وجدير بالإفضال.

ثم أردف ذلك بالاعتراف بالإيمان الكامل فقال: **(ونؤمن به)** إيماناً كاملاً مستجمعاً لصفات الكمال وإنما يكون كذلك إذا كان مثل **(إيمان من رجاه)** للمطالب العالية **(موقناً)** بأنه أهله لقدرته على إنجاح المأمول وقضاء المسؤول **(وأناب إليه مؤمناً)** علماً منه بأن مرجع العبد إلى سيّده ومعوله إلى مولاه **(وخنع)** أي خضع **(له مذعناً)** بأن نفسه ذليل أسير في ربق الافتقار والإمكان وأن ربه جليل متصف بالعزة والعظمة والسلطان **(وأخلص له موحداً)** أي أخلص له العبودية حال كونه معتقداً بوحدانيته علماً منه بأن من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً **(وعظَّمه ممجداً)** أي عظَّمه بصفات العز والكبرياء والجلال حال التمجيد له بأوصاف القدرة والعظمة والكمال **(ولاذ به)** أي لجأ إليه **(راغباً مجتهداً)** أي راغباً في الإلجاء مجدّاً في الرغبة والالتجاء علماً منه بأنّه الملاذ والملجأ، هذا.

ولما حمد الله سبحانه واستعان به وآمن به أخذ في تنزيهه وتقديسه باعتبارات سلبيّة وإضافية هي غاية وصف الواصفين ومنتهى درك الموحّدين فقال:

(لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً) أي ليس له والد حتى يكون له شريك في العز والملك لجريان العادة بكون والد العزيز عزيزاً غالباً **(ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً)** أي ليس له ولد حتى يهلك ويرثه ولده كما هو الغالب عادة من موت الوالد قبل الولد ووراثة الولد عنه وبرهان تنزهه سبحانه عنهما أنهما من لواحق الحيوانية المستلزمة للجسميّة فهو يفيد لنفي تولده سبحانه عن شيء ونفي تولد شيء عنه بالمعنى المعروف في الحيوان.

ويدل على تنزهه سبحانه عن ذلك مطلقاً ما رواه في البحار والصافي من كتاب التوحيد للصّدوق بسنده عن وهب بن وهب القرشي قال: حدثني الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه عليه السلام: أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلّموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده في النار، وأنه سبحانه قد فسر الصمد فقال: الله أحد الله الصمد، ثم فسره فقال: لم

يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا ينشعب منه البدوات كالسِنة والنوم والخطرة والهمّ والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والشامة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف، أو لطيف، ولم يولد لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتميز من القلب، وكالنار من الحجر، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا علم شيء، مبدع الأشياء وخالقها ومنشيء الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفواً أحد[١].

(ولم يتقدمه وقت ولا زمان) قال الشارح المعتزلي: الوقت هو الزمان وإنما خالف بين اللفظين وأتى بحرف العطف تفنناً، وقال الشارح البحراني: الوقت جزء الزمان، وقال العلامة المجلسي ﷺ: ويمكن حمل أحدهما على الموجود والآخر على الموهوم، وعلى أي تقدير فهو خالقهما ومبدعهما ومقدم عليهما فكيف يتصور تقدمهما عليه تعالى.

(ولم يتعاوره) أي لم يختلف ولم يتناوب عليه **(زيادة ولا نقصان)** لاستلزامهما التغير المستلزم للإمكان المنزه قدسه عز وجل عنه.

فإن قلت: كان اللازم أن يقال زيادة ونقصان لأن التعاور يقتضي الضدين معاً كما أن الاختلاف كذلك تقول: لم يختلف زيد وعمرو ولا تقول: لم يختلف زيد ولا عمرو.

قلت: أجاب عنه الشارح المعتزلي بأن مراتب الزيادة لما كانت مختلفة جاز أن يقال: لا يعتوره الزيادة، وكذلك القول في جانب النقصان وجرى كل واحد من النوعين مجرى أشياء متنافية يختلف على الموضع الموصوف بها.

(بل ظهر للعقول) وتجلى للبصائر **(بما أرانا من علامات التدبير المتقن)** المحكم **(و)** آيات **(القضاء المبرم)** في الأنفس والآفاق في أصناف الموجودات وأنواع المصنوعات المبدعة على أحسن نظام وأتقن انتظام على ما عرفت تفصيلاً وتحقيقاً في شرح المختار التاسع والأربعين.

---

(١) التوحيد: ٩١ ح٥، وبحار الأنوار: ٣/ ٢٢٤ ح١٤.

ونزيد عليه إيضاحاً وتأكيداً ما قاله الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر في حديثه المعروف: يا مفضل أول العبر والأدلة على الباري جل قدسه تهيئته هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأملت العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسّماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخاير، وكلّ شيء فيها لشأنه معد، والإنسان كالمملك ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه، وضروب النبات مهيّأة لمآبه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه، ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة وأن الخالق له واحد، وهو الذي ألفه ونظمه بعضاً إلى بعض جلّ قدسه وتعالى جده. وكرم وجهه ولا إله غيره، تعالى عما يقول الجاحدون وجلّ وعظم عما ينتحله الملحدون(١)، هذا.

ولما ذكر إجمالاً أنه تعالى تجلى للعقول بما أظهر من آيات القدرة وعلامات التدبر أراد أن يشير إلى بعض تلك الآيات تفصيلاً وهو خلق السماوات.

فقال **(فمن شواهد خلقه)** أي آيات الإبداع وعلامات التدبّر المحكم أو ما يشهد من الخلق بوجوده سبحانه وتدبيره وعلمه أو ما حضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من آيات تدبيره تعالى **(خلق السماوات)** وتخصيصها من بين سائر الشواهد بالبيان لكونها من أعظم شواهد القدرة، وأظهر دلائل الربوبية، وأوضح علائم التدبيرحيث خلقت **(موطدات)** أي محكمات الخلقة مثبتات في محالها على وفق النظام والحكمة **(بلا عمد)** ترونها ولادسار ينتظمها **(قائمات)** في الجو **(بلا سند)** يكون عليه استنادها وبه اعتماد **(دعاهن)** سبحانه فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً **(فأجبن طائعات)** كما قال حكاية عنها وعن الأرض: قالتا أتينا طائعين.

ولفظ الدّعاء والإجابة في كلام الإمام عليه السلام إما محمولان على حقايقهما نظراً إلى أن للسماوات أرواحاً مدبرة عاقلة كما هو قول بعض الحكماء والمتكلمين أو نظراً إلى أنه تعالى خاطبها وأقدرها على الجواب.

وإما محمولان على المجاز والاستعارة تشبيهاً لتأثير قدرته تعالى فيها وتأثرها عنها بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: كن فيكون، وهذا هو الأظهر.

ويؤيده ما حكي عن ابن عباس في تفسير الآية المتقدّمة أعني قوله: أتينا طائعين، أنه قال: أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وأتت الأرض بما فيها من الأنهار

(١) شرح أصول الكافي: ١/١٠٨، والتوحيد: ١٢.

والأشجار والثمار، وليس هناك أمر ما بقول حقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبر سبحانه عن اختراعه للسماوات والأرض وإنشائه لهما من غير تعذر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال إفعل فيفعل من غير تلبّث ولا توقف ولا تأن وهو كقوله: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

ومن ذلك علم أن قوله: (**مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات**) أراد به انقيادهن من غير توّقف ولا إبطاء في الإصابة وخضوعهن في رق الإمكان والحاجة واعترافهن بلسان الذّل والافتقار بوجوب وجود مبدعها وعظمة سلطان مبدئها.

(**ولولا**) اعترافهن و(**إقرارهن له بالربوبية**) والقدرة والعظمة ولأنفسهن بالإمكان والذل والحاجة (**وإذعانهن بالطواعية**) والامتثال لبارئهن (**لما جعلهن موضعاً لعرشه**).

قال الشارح البحراني: إقرارهنّ بالرّبوبية راجع إلى شهادة لسان الحال الممكن بالحاجة إلى الرب والانقياد لحكم قدرته، وظاهر أنه لولا إمكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرض ولم يكن أهلاً لسكنى الملائكة وصعود الكلم الطيّب المشار إليه بقوله: (**ولا مسكناً لملائكته**) ولعل المراد بهم المقرّبون أو الأكثر الطيّب المشار إليه بقوله: (**ولا مسكناً لملائكته**) ولعلّ المراد بهم المقرّبون أو الأكثر لأنّ منهم من يسكن الهواء والأرض والماء (**ولا مصعداً للكلم الطيّب**) وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ (**والعمل الصالح**) الصادر (**من خلقه**) وهو الخيرات والحسنات من الفرائض والمندوبات.

والمراد لصعودهما صعود الكتبة بصحائف الأعمال إليها وإليه الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، هذا.

وقد تقدّم في تذييلات الفصل الثامن من الخطبة الأولى وفي شرح الفصل الرابع من الخطبة التسعين فصل واف في عجائب خلقة السماء وما أبدعه الله سبحانه فيها من دلائل القدرة وآيات التدبير والحكمة فانظر ماذا ترى، ولشرافتها وكون مادتها أقبل خصّ عليه السلام هنا طاعتها بالذكر وإن كانت الأرض مشاركة لها في الطاعة مذكورة معها في الآية.

ولما ذكر خلق السماوات وكونها من شواهد الرّبوبية وأدلة التوحيد استطرد إلى ذكر النجوم والكواكب لما فيها من بدائع التدبير وعجائب التقدير، وقد مر في الفصل الثامن من فصول المختار الأوّل والفصل الرابع من المختار التسعين وشرحيهما منه عليه السلام وهنا جملة وافية من الكلام عليها وأشار هنا إلى بعض منافعها فقال:

(**جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران**) أي جعلها علامات يهتدي بها المتحيّرون كما قال عز من قائل: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] (**في مختلف فجاج الأقطار**)

أي يستدلّ بها الحيارى في اختلاف فجاج الأقطار وتردّدها، أو في محل اختلافها أو في حال مخالفة الفجاج الموجودة في أقطار الأرض ونواحيها وذهب كل منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر.

(لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم) أي شدة ستر الليل ذي الظلمة لم تكن مانعة من إضاءة النجوم، وعلى رواية (ادلهمام) بالنصب فالمعنى أن ضوء نورها لم يمنع من ظلمة الليل.

(ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس) أي أثواب سواد الليال المظلمة شديدة الظلمة لم تكن مستطيعة من **(أن ترد ما شاع)** وظهر **(في السماوات من تلألؤ نور القمر)** ولمعانه.

قال الشارح المعتزلي بعد روايته عن البعض نصب لفظ الادلهمام: وهذه الرواية أحسن في صناعة الكتابة لمكان الازدواج أي لا القمر والكواكب تمنع الليل من الظلمة، ولا الليل يمنع الكواكب والقمر من الإضاءة.

أقول: ومحصل مقصود الإمام عليه السلام إن الله سبحانه لما قدر بلطيف حكمته أن يجعل الليل سباتاً وراحة للخلق جعلها مظلمة لأن كثيراً من الناس لولا ظلمتها لم يكن لهم هدء ولا قرار حرصاً على الكسب والجمع والادخار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والراحة لسكون أبدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعم وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء.

ولما كان شدّة ظلمتها وكونها داجية مدلهمة مانعة عن جميع الأعمال وربما كان الناس محتاجين إلى العمل فيها لضيق الوقت عليهم في تقضي الأعمال بالنهار أو شدة الحر وإفراطه المانع من الزرع والحرث وقطع الفيافي والأسفار جعل ببديع صنعه فيها كواكب مضيئة وقمراً منيراً وليهتدي بها في ظلمات البر والبحر والطرق المجهولة، ويقام بالأعمال من الزرع والغرس والحرث وغيرها عند مسيس الحاجة، وجعل نورها ناقصاً من نور الشمس كيلا يمنع من الهدوء والراحة.

(فسبحان من) جعل النور والظلام على تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه وسبحان من هو بكل شيء محيط حتى لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء و**(لا يخفى عليه سواد غسق داج)** أي ظلمة مظلمة والعطف للمبالغة من قبيل شعر شاعر **(ولا ليل ساج)** أي ساكن وفي الإسناد توسع باعتبار سكون الناس وهدوئهم فيها **(في بقاع الأرضين المتطاطئات)** المنخفضات **(ولا في يفاع السفع المتجاورات)** أي في مرتفع الجبال المتجاورة.

وإنما عبر عن الجبال بالسفع لأن لونها غالباً مشرب حمرة، ولا يخفي ما فيما بين لفظ

البقاع واليفاع من جناس الخط وهو من محاسن البديع حسبما عرفته في ديباجة الشرح.

(و) لا يخفي عليه عزّ وجلّ أيضاً **(ما يتجلجل)** ويصوت **(به الرعد في أفق السماء)** وأراد بتجلجله تسبيحه المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

قال الطبرسي: تسبيح الرعد دلالته على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكأنه هو المسبّح، وقيل: إن الرّعد هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته فهو يسبح الله ويحمده[١].

وقال الرازي: في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أقوال.

الأول: إن الرعد اسم ملك من الملائكة والصّوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل عن ابن عباس، أنّ اليهود سألت النبي ﷺ عن الرّعد ما هو فقال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله قالوا: فما الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره السحاب، وعن الحسن: «أنه خلق من خلق الله ليس بملك[٢].

فعلى هذا القول: الرعد هو الملك الموكل بالسحاب وصوته تسبيح الله تعالى وذلك الصّوت أيضاً يسمى بالرعد ويؤكد هذا ما روي عن ابن عباس كان إذا سمع الرّعد قال: سبحان الذي سبحت له، وعن النبي ﷺ قال: إن الله ينشىء السحاب الثقال فينطق أحسن المنطق ويضحك أحسن الضحك، فنطقه الرعد وضحكه البرق[٣].

واعلم أن هذا القول غير مستبعد، وذلك لأن عند أهل السنة البنية ليست شرطاً لحصول الحياة، فلا يبعد من الله تعالى أن يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق في أجزاء السحاب، فيكون هذا الصوت المسموع فعلاً له.

وكيف يستبعد ذلك؟ ونحن نرى أن السمندر يتولد في النار، والضفادع تتولد في الماء البارد، والدودة العظيمة ربما تتولد في الثلوج العظيمة.

وأيضاً فإذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود عليه السلام ولا تسبيح الحصى في زمان محمد ﷺ فكيف يستبعد تسبيح السحاب.

وعلى هذا القول فهذا الشيء المسمّى بالرعد ملك أو ليس بملك فيه قولان:

أحدهما: أنه ليس بملك لأنّه عطف عليه الملائكة فقال: والملائكة من خيفته.

(١) بحار الأنوار: ٥٦/ ٣٥٦، وتفسير مجمع البيان: ٦/ ٢٢.
(٢) جامع البيان: ١/ ٢١٨ بتفاوت.
(٣) بحار الأنوار: ٥٦/ ٣٥٧.

والثاني: أنّه لا يبعد أن يكون من جنس الملائكة وإنما حسن أفراده بالذكر على سبيل التشريف كما في قوله: وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل، وفي قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح.

القول الثاني: أن الرّعد اسم لهذا الصوت المخصوص ومع ذلك فإن الرّعد يسبّح الله سبحانه، لأن التسبيح والتقديس وما يجري مجراها ليس إلاّ وجود لفظ يدلّ على حصول التنزيه والتقديس لله سبحانه وتعالى، فلما كان هذا الصوت دليلاً على وجود موجود متعال عن النقص والإمكان كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً وهو معنى قوله: وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده.

والقول الثالث: إنّ المراد من كون الرّعد مسبّحاً أن من يسمع الرّعد فإنّه يسبّح الله تعالى، فلهذا المعنى أُضيف هذا التسبيح إليه.

(و) لا يعزب عنه **(ما تلاشت)** واضمحلّت عنه **(بروق الغمام)** يعني أنّه سبحانه عالم بالأقطار التي يضمحلّ عنها البرق بعد ما كانت مضيئة به، وتخصيص ما تلاشت عنه بالذكر مع اشتراك غير المتلاشية عنه معه في إحاطة علمه سبحانه به كالأول، لأن علمه بما ليس بمضيء بالبرق أعجب وأغرب، وأما ما هو مضيء به ولم يضمحل عنه فيمكن إدراك غيره سبحانه له من أولي الأبصار الصحيحة، هذا.

وأعجب من ذلك ما في نفس البرق من عظيم القدرة ودلالته على عظمة بارئه.

قال الفخر الرازي: واعلم أن أمر الصاعقة عجيب جداً، وذلك لأنها نار تتولد من السحاب وإذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر، وأحرقت الحيتان في قعر البحر والحكماء بالغوا في وصف قوتها، ووجه الاستدلال أن النار حارة يابسة وطبيعتها ضد طبيعة السحاب، فوجب أن تكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة أضعف من طبيعة النيران الحادثة عندنا، لكنه ليس الأمر كذلك، فإنها أقوى نيران هذا العالم، فثبت أن اختصاصها بمزيد تلك القوة لا بد وأن يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار (و) لا يغيب عنه **(ما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء)** أي الرياح الشديدة المنسوبة إلى الأنواء وانصباب الأمطار.

والنوء سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين التي عرفتها تفصيلاً في شرح الفصل الرابع من فصول المختار التسعين في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق من ساعته مقابلاً له في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة إلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً.

وفي البحار من معاني الأخبار مسنداً عن الباقر عليه السلام قال: ثلاثة من عمل الجاهلية: الفخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، والاستسقاء بالأنواء[1].

قال الصدوق رحمه الله أخبرني محمد بن هارون الزنجاني عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد أنه قال: سمعت عدّة من أهل العلم يقولون: إن الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كلّ ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمّى وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلّها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة وكانت في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لا بد أن يكون عند ذلك رياح ومطر، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ فيقولون مطرنا بنوء الثريا والدّبران والسماك، وما كان من هذه النجوم فعلى هذا فهذه هي الأنواء وأحدها نوء وإنما سمّي نوء لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق بالطلوع وهو ينوء نوء، وذلك النهوض هو النوء فسمّى النجم به وكذلك كل ناهض ينتقل بإبطاء، فإنّه ينوء عند نهوضه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾[2].

وفيه عن الجزري في النهاية قال: قد تكرر ذكر النوء والأنواء في الحديث ومنه الحديث: «مطرنا بنوء كذا» قال: وإنما غلظ النبي صلى الله عليه وآله في أمر الأنواء، لأن العرب كانت تنسب المطر إليها، فأما من جعل المطر من فعل الله وأراد بقوله: فطرنا بنوءِ كذا أي في وقت كذا وهو هذا النوء الفلاني فإن ذلك جائز، أي إن الله تعالى قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات، انتهى[3].

وقال ابن العربي: من انتظر المطر منها على أنها فاعلة من دون الله أو يجعل الله شريكاً فيها فهو كافر، ومن انتظر منها على إجراء العادة فلا شيء عليه هذا.

ومن ذلك كله علم أن إضافته عليه السلام العواصف إلى الأنواء من جهة أن العرب تضيف الآثار العلوية من الرّياح والأمطار وكذلك الحر والبرد إليها.

(ويعلم مسقط القطرة ومقرها) أي محلّ سقوطها وموضع قرارها **(ومسحب الذّرة ومجرّها)** أي محل سحب صغار النمل وجرّها **(وما يكفي البعوضة من قوتها)**.

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ١٠/ ١٥٨، والتفسير الأصغى: ٢/ ٨٧١.
(٢) معاني الأخبار: ٣٢٦، ومستدرك سفينة البحار: ١٠/ ١٥٨.
(٣) عيون المعبود: ١٠/ ٢٨٦، ولسان العرب: ١/ ١٧٧.

قال الدّميري في حياة الحيوان: البعوضة واحدة البعوض والبعوض على خلقة الفيل إلاّ أنّه أكثر أعضاء من الفيل، فإن للفيل أربع أرجل وخرطوماً وذنباً، وله مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان وأربعة أجنحة، وخرطوم الفيل مصمت وخرطومه مجوّف نافذ للجوف فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدّم وقذف به جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ولذلك اشتدّ عضها وقويت على خرق الجلود الغلاظ، ومما ألهمه الله أنه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان لا يزال يتوخى بخرطومه المسام التي يخرج منها العرق لأنها أرق بشرة من جلد الإنسان فإذا وجدها وضع خرطومه فيها، وفيه من الشره أن يمصّ الدّم إلى أن ينشق ويموت أو إلى أن يعجز عن الطيران وذلك سبب هلاكه.

قال: والبعوضة على صغر جرمها قد أودع الله في مقدم دماغها قوّة الحفظ وفي وسطه قوة الفكر، وفي مؤخّره قوة الذكر، وخلق لها حاسّة البصر، وحاسّة اللّمس، وحاسّة الشم، وخلق لها منفذاً للغذاء، ومخرجاً للفضلة، وخلق لها جوفاً وأمعاء وعظاماً، فسبحان من قدر فهدى، ولم يخلق شيئاً من المخلوقات سدى.

(و) يعلم **(ما تحمل الأنثى)** من البعوضة ومن غيرها **(في بطنها)** كما قال عز من قائل: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾.

ثمّ عاد إلى حمد الله سبحانه باعتبار تقدم وجوده على سائر مخلوقاته فقال: **(والحمد لله الكائن)** أي الموجود **(قبل أن يكون كرسي أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو أنس)** لا يخفى ما في هذه العبارة من حسن التأدية.

والمراد بالجان إما إبليس أو أبو الجن، وبهما فسّر قوله تعالى: والجان خلقناه من قبل من نارالسموم، قال الرازي في تفسير هذه الآية: اختلفوا في أن الجان من هو قال عطا عن ابن عباس: يريد إبليس وهو قول الحسن ومقاتل وقتادة وقال ابن عباس في رواية أخرى: الجان هو أبو الجن وهوقول الأكثرين وسمّى جاناً لتواريه عن الأعين كما سمّى الجنّ جنّاً لهذا السّبب والجنين متوار في بطن أمّه ومعنى الجان في اللّغة الساتر من جنّ الشيء إذا ستر فالجان المذكور هنا يحتمل أن يكون جاناً لأنه يستر نفسه عن بني آدم، أو يكون الفاعل يراد به المفعول كما في ماء دافق وعيشة راضية.

وفي البحار من العلل والعيون عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم أبي الجن فقال شومان: وهو الذي خلق من مارج[1].

---

(١) علل الشرائع: ٢/ ٥٩٣، وعيون أخبار الرضا: ٢/ ٢١٩ ح١.

قال الطبرسي: من مارج من نار أي نار مختلط أحمر وأسود وأبيض عن مجاهد وقيل المارج الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه[١].

وقال البيضاوي في تفسير قوله: من نار السموم، من نار شديد الحر النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيط كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجرّدة فضلاً عن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فإنها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي، وقوله: من نار، باعتبار الغالب كقوله: خلقكم من تراب[٢].

ثمّ نزهه تعالى باعتبارات سلبية:

أحدها: أنّه **(لا يدرك بوهم)** كما نقل عن الباقر عليه السلام من قوله: كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم. **(و) الثاني**: أنه **(لا يقدر بفهم)** أي لا يحد بفهم العقول، والمراد به وبسابقه تنزيهه سبحانه عن إدراك العقول والأوهام لذاته وقصورها عن الوصول إلى حقيقته، وقد مرّ برهان ذلك في شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى وغيره أيضاً.

وأقول: هنا إن الجملة الثّانية يحتمل أن تكون تأكيداً للجملة الأولى، ويحتمل أن تكون تأسيساً.

أما التأسيس: فعلى أن يراد بالجملة الأولى عدم إمكان إدراك القوة الوهمية له وهي قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلّقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته، وهذه القوة هي التي تحكم في الشاة بأن الذئب مهروب عنه وأن الولد معطوف عليه، وهي حاكمة على القوى الجسمانية كلها مستخدمة إياها استخدام العقل للقوى العقلية، ويراد بالجملة الثانية عدم إمكان تقديره وتحديده بالقوة العقلية.

أما عدم إمكان إدراك الأوهام فلأن مدركاتها منحصرة على عالم المحسوسات والأجسام والجسمانيات، والله سبحانه متعال عن ذلك.

وأما عدم إمكان تحديد العقول فلأنّه لا جزء له وما لا جزء له لا حد له حتى يمكن تحديده.

وأيضاً فهو سبحانه غاية الغايات فليس لذاته حدّ ونهاية حتى يكون له حد معين وقدر

(١) بحار الأنوار: ٦٠/ ٥٩، وتفسير مجمع البيان: ٩/ ٣٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠/ ٥٠.

معلوم يمكن تقديره وتحديده كما لسائر الممكنات، قال عز من قائل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له مروية عن التوحيد: لما شبّهه العادلون بالخلق المبعض المحدود في صفاته ذي الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته وكان عزَّ وجلَّ الموجود بنفسه لا بأداته انتفى أن يكون قدّروه حق قدره فقال: تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الانداد وارتفاعها عن قياس المقدرين له بالحدود من كفرة العباد: وما قدروا الله حق قدره[1].

فقد علم بذلك أنّه لا يقدر بالحدود والنهايات الجسمانية كما أنه لا يقدر ولا يحد بالحد العقلي المركب من الجنس والفصل.

وأما التأكيد: فعلى أن يراد بالوهم في الجملة الأولى المعنى الأعم من القوة الوهميّة المتعلّقة بالمحسوسات جميعاً والقوة العقليّة المتعلقة بالمعقولات وإطلاق الوهم على ذلك المعنى شائع في الاستعمال وأرد في كثير من الأخبار.

قال بعض المحققين: إعلم أن جوهر الوهم بعينه هو جوهر العقل ومدركاته بعينه هو مدركات العقل، والفرق بينهما بالقصور والكمال، فما دامت القوة العقلية ناقصة كانت ذات علاقة بالمواد الحسية منتكسة النظر إليها لا تدرك المعاني إلاّ متعلّقة بالمواد مضافة إليها، وربما تذعن لأحكام الحس لضعفها وغلبة الحواس والمحسوسات عليها، فتحكم على غير المحسوس حكمها على المحسوس، فما دامت في هذا المقام أطلق عليها اسم الوهم، فإذا استقام وقوى صار الوهم عقلاً وخلص عن الزيغ والضلال والآفة والوبال، انتهى.

وعلى ذلك فيكون المقصود بالفهم في الجملة الثانية المعنى الأعم أيضاً، ويكون حاصل المراد بالجملتين عجز الأوهام أي القوة الوهمية والعقلية جميعاً عن إدراك ذاته وتعقل حقيقته، لأن تعلقه إما بحصول صورة مساوية لذاته تعالى، أو بحضور ذاته المقدّسة وشهود حقيقته، والأول محال إذ لا مثل لذاته وكل ماله مثل أو صورة مساوية له فهو ذو ماهية كلية وهو تعالى لا ماهية له، والثاني محال أيضاً إذ كل ما سواه من العقول والنفوس والذّوات والهويات فوجوده منقهر تحت جلاله وعظمته وسلطانه القهار عين الخفاش في مشهد نور الشمس، فلا يمكن للعقول لقصورها عن درجة الكمال الواجبي إدراك ذاته على وجه الاكتناه، والإحاطة بنعوت جلاله وصفات جماله.

---

(١) التوحيد: ٥٥، وبحار الأنوار: ٤/ ٢٧٧.

فاتضح من ذلك كلّه أنه سبحانه لا يدرك بالأوهام، ولا يقدر بالأفهام جل شأنه وعظم سلطانه.

(و) **الثالث**: أنّه **(لا يشغله سائل)** عن سائل آخر كما يشغل السائل من المخلوق عن توجهه إلى سائل آخر، وذلك لقصور ذواتنا وقدرتنا وعلمنا، وأما الله الحي القيوم فلكمال ذاته وعموم قدرته وإحاطته فلا يمنعه سؤال عن سؤال ولا يشغله شأن عن شأن.

ألا ترى أنه يرزق الخلائق جميعاً على قدر استحقاقهم في ساعة واحدة، وكذا يحاسبهم يوم القيامة دفعة كما قال عز من قائل في سورة النحل: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي كرجع الطرف على الحدقة إلى أسفلها أو هو أقرب لأنه يقع دفعة وقال في سورة القمر: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾، قال القمي: يعني يقول كن فيكون.

(و) **الرابع**: إنه **(لا ينقصه نائل)** وعطاء كملوك الدنيا إذ مقدوراته تعالى غير متناهية فكرمه لا يضيق عن سؤال أحد، ويده بالعطاء أعلى من كل يد، وهو نظير قوله في الفصل الأوّل من المختار التسعين: لا يعزه المنع والجمود ولا يكديه الإعطاء والجود، وقد مر في شرحه رواية الحديث القدسي وهو قوله سبحانه: يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر أي لا تنقصه شيئاً فإن المخيط وإن كان يرجع بشيء محسوس قليل، لكنّه لقلّته لا يعدّ شيئاً فكأنّه لم ينقص منه شيء.

(و) **الخامس**: إنّه **(لا ينظر بعين)** أي ليس إدراكه بحاسة البصر وإن كان بصيراً لتنزّهه عن المشاعر والحواس.

(و) **السادس**: إنه **(لا يحدّ بأين)** لأن الأين عبارة عن نسبة الجسم إلى المكان وهو سبحانه منزه عن ذلك لبراءته عن التحيز.

روى في البحار من التوحيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله يهودي يقال له شجت فقال: يا محمد جئت أسألك عن ربك فإن أجبتني عما أسألك عنه وإلاّ رجعت، فقال له: سل عما شئت، فقال: أين ربك؟ فقال: هو في كل مكان وليس هو في شيء من المكان بمحدود، قال: فكيف هو؟ فقال: وكيف أصف ربّي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه[1].

---

(١) الكافي: ١/ ٩٤ ح٩، والتوحيد: ٣١٠.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً: من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنّه في شيء فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً[١].

قوله عليه السلام: محصوراً أي عاجزاً ممنوعاً عن الخروج عن المكان، أو محصوراً بذلك الشيء ومحوّياً به فيكون له انقطاع وانتهاء فيكون ذا حدود وأجزاء وقوله: محمولاً أي محتاجاً إلى ما يحمله.

قال الصدوق رحمه الله: الدليل على أن الله عزّ وجلّ لا في مكان إن الأماكن كلّها حادثة وقد قام الدليل على أن الله عزّ وجلّ قديم سابق للأماكن، وليس يجوز أن يحتاج الغني القديم إلى ما كان غنيّاً عنه، ولا أن يتغيّر عما لم يزل موجوداً عليه فصحّ اليوم أنه لا في مكان كما أنه لم يزل كذلك[٢].

وتصديق ذلك ما حدّثنا به القطان عن ابن زكريا القطان عن أبي حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن سليمان المروزي عن سليمان بن مهران قال: قلت لجعفر ابن محمد عليه السلام: هل يجوز أن نقول إن الله عز وجل في مكان؟ فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك إنه لو كان في مكان لكان محدثاً، لأن الكائن في مكان محتاج إلى المكان والاحتياج من صفات الحدث لا القديم.

(و) السابع: أنه **(لا يوصف بالأزواج)** وهي نفي الكمية المنفصلة عنه أي ليس فيه اثنينية وتعدد.

وقال العلامة المجلسي رحمه الله: أي لا يوصف بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج أو ليس فيه تركب وازدواج أمرين أو بان له صاحبة.

(و) الثامن: إنه **(لا يخلق بعلاج)** أي لا يحتاج في خلقه للمخلوقات إلى مزاولة ومعالجة آلة وحيلة كسائر أرباب الصنيع، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

(و) التاسع: أنه **(لا يدرك بالحواس)** لاختصاص إدراكها بالأجسام والجسمانيات والله سبحانه منزه عن الجسميّة ولو حقها.

روى في البحار من التوحيد عن عبد الله بن جوين العبدي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقول: «الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس ولا يدرك بالحواس الخمس ولا يقع عليه الوهم ولا تصفه الألسن وكلّ شيء حسسته الحواس أو لمسته الأيدي فهو مخلوق».

---

(١) الهداية: ١٧، والكافي: ١/١٢٨ ح٩.

(٢) التوحيد: ١٧٨ ح١٠، وبحار الأنوار: ٣/٣٢٧ ح٢٦.

(و) العاشر: أنه **(لا يقاس بالناس)** أي لا يشبه شيئاً من خلقه في جهة من الجهات كما يزعمه المشبهة والمجسّمة.

روى في البحار من التوحيد بسنده عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من شبّه الله بخلقه فهو مشرك إنّ الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء وكلّما وقع في الوهم فهو بخلافه»[١].

قال الصّدوق رحمه الله الدليل على أن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات أنه لا جهة لشيء من أفعاله إلا محدثة، ولا جهة محدثة إلا وهي تدل على حدوث من هي له، فلو كان الله جلّ ثناؤه يشبه شيئاً منها لدلت على حدوثه من حيث دلت على حدوث من هي له، إذ المتماثلين في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث تماثلاً منها وقد قام الدليل على أن الله عزّ وجلّ قديم، ومحال أن يكون قديماً من جهة حادثاً من أخرى[٢].

ومن الدليل على أن الله تبارك وتعالى قديم أنّه لو كان حادثاً لوجب أن يكون له محدث، لأن الفعل لا يكون إلا بفاعل ولكان القول في محدثه كالقول فيه وفي هذا وجود حادث قبل حادث لا إلى أول وهو محال، فيصح أنه لا بد من صانع قديم وإذا كان ذلك كذلك فالذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدل عليه يوجب قدم صانعنا ويدل عليه.

والحادي عشر: أنه متكلّم لا كتكلّم المخلوقين وإليه أشار بقوله: **(الذي كلّم موسى)** عليه السلام في شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة **(تكليماً)** أتى به تأكيداً ودفعاً لتوهم السامع التجوز في كلامه سبحانه، وقد عرفت تحقيق معنى كلامه وكونه متكلماً في شرح المختار المائة والثامن والسبعين.

وقوله: **(وأراه من آياته عظيماً)** يحتمل أن يراد بها الآيات التسع المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]، قال الصادق عليه السلام: هي الجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والبحر والحجر والعصا ويده[٣]، رواه في الصافي من الخصال عنه عليه السلام ومن العياشي عن الباقر عليه السلام مثله.

وفيه من قرب الإسناد عن الكاظم عليه السلام وقد سأله نفر من اليهود عنها فقال: العصا وإخراجه يده من جيبه بيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم ورفع الطور والمن والسلوى آية

---

(١) التوحيد: ٨٠ ح٣٦، والإرشاد: ٢/ ٢٠٤.

(٢) التوحيد: ٨١ ح٣٦، وبحار الأنوار: ٣/ ٢٩٩ ح٣٠.

(٣) الخصال: ٤٢٣ ح٢٤، وبحار الأنوار: ١٣/ ١٣٦ ح٤٥.

واحدة وفلق البحر قالوا: صدقت.

وأن يراد بها الآيات التي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات الست ومن رؤيته ناراً بيضاء تتقد من شجرة خضراء لا خضروية الشجر تطفى النار ولا النار توقد الشجرة.

قال الباقر عليه السلام: فأقبل نحو النار يقتبس فإذا شجرة ونار تلتهب عليها فلما ذهب نحو النار يقتبس منها أهوت إليه ففزع وعدا ورجعت النار إلى الشجرة فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة، فرجع الثانية ليقتبس فأهوت إليه فعدا وتركها ثم التفت وقد رجعت إلى الشجرة، فرجع إليها الثالثة فأهوت إليه فعدا ولم يعقب أي لم يرجع فناداه الله عز وجل أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين قال موسى: فما الدليل على ذلك؟ قال عز وجل: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ قال: هي عصاي قال: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [طه: ١٩ ـ ٢٠]، ففزع منها وعدا فناداه الله عز وجل ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ هذا[(١)].

ويؤيد الاحتمال الثاني أي كون المراد من الآيات الآيات الظاهرة عند التكلم قوله عليه السلام: **(بلا جوارح ولا أدوات ولا نطق ولا لهوات)** إذ الظاهر تعلقه بالتكليم وعلى الاحتمال الأول يلزم الفصل بين المتعلق والمتعلق بالأجنبي.

والمراد به أن كلامه مع موسى ليس ككلام البشر صادراً عن الحنجرة واللسان واللهوات أي اللحمات في سقف أقصى الفم وعن مخارج الحروف وغيرها بل تكلّم معه بأن أوجد الكلام في الشجرة كما هو صريح قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ هذا.

وفي كلامه دلالة على عدم جواز وصفه بالنطق ولعله لصراحة النطق في إخراج الحروف من المخارج، بخلاف الكلام.

ويستفاد من خطبة له عليه السلام آتية في الكتاب ومروية في الاحتجاج أيضاً عدم جواز وصفه باللّفظ أيضاً بخلاف القول حيث قال فيها: لا يخبر لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق وأدوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ.

ولعلّ السّر فيه أيضاً صراحة التلفظ في اعتماد اللفظ على مقطع الفم واستلزامه للأدوات دون القول.

ثمّ نبّه على عجز القوى البشريّة عن وصف كماله تعالى بقوله: **(بل إن كنت صادقاً أيها**

---

(١) بحار الأنوار: ١٣/ ٣٠، وتفسير القمي: ٢/ ١٤٠.

المتكلّف) أي المتحمل للكلفة والمشقة **(لوصف ربك)** في وصفه **(فصف)** بعض خلقه وهو **(جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين)** والأمر للتعجيز كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

قال الشارح البحراني: هي صورة قياس استثنائي متصل نبّه به على عجز من يدّعي وصف ربه كما هو، وتقديره إن كنت صادقاً في وصفه فصف بعض خلقه وينتج باستثناء نقيض تاليه أي لكنّك لايمكنك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى، بيان الملازمة أن وصفه تعالى إذا كان ممكناً لك فوصف بعض آثاره أسهل عليك، وأما بطلان التالي فإن حقيقة جبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة المقربين غير معلومة لأحد من البشر، ومن عجز عن وصف بعض آثاره فهو عن وصفه أعجز.

أقول: ويشهد بما ذكره هنا من عدم إمكان وصف الملائكة على ما هي عليه ما تقدم منه ﷺ ومنا في الفصل الخامس من فصول المختار التسعين وشرحه، فقد مضى هناك أنموذج من وصف الملائكة يتحيّر فيه العقول ويدهش الأفهام ويقشعر الجلود فكيف إذا أري البلوغ إلى غاية أوصافهم.

وقوله: **(في حجرات القدس)** أي منازل الطهارة عن العلاقات العنصرية ومقار التنزه عن تعلقات النفس الأمّارة.

وقوله: **(مرحجنين)** أي خاضعين تحت سلطانه وعظمته وقال العلامة المجلسي ﷺ: أي ما يلين إلى جهة التحت خضوعاً لجلال الباري عزّ سلطانه، ويحتمل أن يكون كناية عن عظمة شأنهم وإزانة قدرهم أو عن نزولهم وقتاً بعد وقت بأمره تعالى.

حال كونهم **(متولهة عقولهم)** أي متحيرة متشتتة **(أن يحدوا أحسن الخالقين)** أي يدركوا حقيقته بحد ويعرفوا كنه ذاته سبحانه وهونظير قوله ﷺ في الفصل التاسع من المختار الأول: لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر.

ولما نبه على عجز العقول عن وصف كماله أردفه بالتنبيه على ما يدرك من جهة الوصف فقال: **(وإنما بالصفات)** ويعرف بالكنه **(ذوو الهيئات والأدوات)** والجوارح والآلات التي يحيط بها الإفهام، فيدركون ويعرفون من جهتها.

(و) كذا يدرك **(من ينقضي إذا بلغ أمد حده بالفنا)** أي من ينقضي ويفني إذا بلغ غايته، فإنه تقف الأفهام عليه وتحلله إلى أجزائه فتطّلع على كنهه، فأمّا الله سبحانه فلتنزهه عن الهيئات والصّفات الزائدة ووجوب وجوده وعدم إمكان تطرق الفناء والعدم عليه، فيستحيل

الاطّلاع على كنه ذاته وحقيقة صفاته.

ثمّ عقب ذلك التنزيه بالتوحيد وقال: **(فلا إله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام وأظلم بظلمته كل نور)** لا يخفى حسن المقابلة والتطبيق بين القرينتين.

والنور والظلام في القرينة الأولى يحتملان المحسوس وغيره، فإن أريد به الظلام المحسوس فالمراد إضاءته بأنوار الكواكب والنيرين، وإن أريد به الظلام المعقول أعني ظلمة الجهل فالمراد إضاءته بأنوارالعلم والشرائع.

وأما القرينة الثانية والمقصود بها أن جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة مضمحلة في نور علمه وظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده وكمال جوده هكذا قال الشارح البحراني.

وفيه إنه عليه السلام لم يقل أظلم بنوره كل نور بل قال: أظلم بظلمته، وهو ينافي هذا المعنى فالأنسب أن يراد بالنور والظلمة الوجود والعدم، ويصح ذلك التأويل في القرينة الأولى أيضاً فيكون الإضاءة والإظلام فيهما كناية عن الإيجاد والإعدام.

قيل: ويحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله: بظلمته، راجعاً إلى كل نور لتقدمه رتبة فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ إلى أن النور هو ما ينسب إليه تعالى فتلك الجهة نور وأما الجهات الراجعة إلى الممكنات فكلّها ظلمة.

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن حضرت است، روايت شده از نوف بكالى كه گفته: خطبه فرمود ما را به اين خطبه امير مؤمنان (عليه السلام) در كوفه، درحالتى كه ايستاده بود آن حضرت بر سنگى كه نصب كرده بود آن سنگ را از براى او جعدة بن هبيره مخزومى پسر خواهر آن حضرت، درحالتى كه در تن مبارك او درّاعه اى از پشم و دوالهاى شمشير او از ليف خرما بود و بر دو پاى آن حضرت بود نعلينى از ليف و گويا پيشانى مبارك او از كثرت سجود مانند زانوى شتر بود، پس فرمود آن بزرگوار:

حمد و ثناء معبود به حقّى را سزا است كه به سوى او است بازگشت هاى مخلوقات و عواقب امورات، حمد مى كنيم ما او را بر بزرگى احسان او و برهان نورانى او و بر افزونى هاى فضل و منت او، چنان حمدى كه بشود از براى حقّ او قضا و از براى شكر او اداء و به سوى ثواب او نزديك كننده و زيادتى نيكويى او را واجب سازنده و طلب اعانت مى كنيم از او مثل طلب اعانت كسى كه اميددارنده فضل او باشد، آرز كننده منفعت او، اعتمادكننده به دفع او، اعتراف كننده به افضال و كرم او، گردن نهنده بر او با كردار و گفتار.

و ايمان مى آوريم او را مثل ايمان آوردن كسى كه اميدوار باشد به او، درحالتى كه يقين كننده باشد وبازگردد به سوى او، در حالتى كه ايمان آورنده باشد وخضوع و خشوع كند او را، درحالتى كه گردن نهنده باشد واخلاص ورزد از براى او، در حالتى كه موحّد باشد و تعظيم كند او را، در حالتى كه تمجيدكننده شود و پناه ببرد به او، درحالتى كه رغبت كننده و سعى نماينده باشد.

متولد نشد حق سبحانه و تعالى تا اين كه در عزّت شريك داشته باشد و پسر ندارد تا اين كه ميراث برده شده و هالك گردد و مقدّم نشده بر او هيچ وقت و زمانى و نوبه نوبه فراهم نيامده او را هيچ زيادتى و نقصانى، بلكه آشكار شد به عقلها با آن چه نمايان كرد ما را از علامات تدبير محكم و قضاء متقن.

پس از جمله شواهد خلق او است خلقت آسمان ها، درحالتی که ثابت و محکم اند بی ستونی و ایستاده اند بدون تکیه گاهی؛ دعوت فرمود آنها را، پس اجابت کردند، در حالتی که اطاعت کننده بودند و انقیادنماینده، بدون این که توقّف داشته باشند یا تأخیرکننده باشند و اگر نبود اقرار آنها به ربوبیّت او و انقیاد آن ها به طاعت او، نمی گردانید آن ها را محلّ عرش خود و نه مسکن از برای فرشتگان و نه محلّ صعود کلمات طیّبات و اعمال صالحه از خلق.

گردانید ستاره های آسمان ها را علامت ها تا راه بیابد با آن ها شخص متحیّر سرگردان در محل اختلاف راه های اطراف زمین، مانع نشد از روشنی نور آن ستاره ها شدّت تاریکی شب تیره و متمکّن نشد لباس های سیاه ظلمت های با شدّت از این که برگرداند آن چه که شایع و ظاهر شده در آسمان ها از درخشیدن نور ماه.

پس تنزیه می کنم آن کسی را که پوشیده نمی شود بر او سیاهی ظلمت باشدّت و نه سیاهی شب آرمیده در بقعه های زمین ها که منخفض و پست اند ونه در کوه های بلند سیاه رنگ مایل به سرخی که قریب به یکدیگرند و مخفی نمی شود بر او آن چه که آواز کند بر او رعد در افق آسمان و آن چه که متلاشی و نابود می شود از او برق های ابر و بر آن چه می افتد از برگ درختان که زایل می گرداند آن برگ را از محلّ افتادن تندبادها که حاصل می شود به سبب سقوط نجوم ساقط از منازل قمر و به سبب ریخته شدن باران از آسمان و می داند جای افتادن قطره های باران و قرارگاه آن را و محلّ کشیدن مورچه های کوچك و مکان جرّ آن را و چیزی را که کفایت کند پشه را از خوراك آن و چیزی که حمل نموده است آن را ماده در شکم خود.

ستایش مرخدای را است که موجود بود پیش از این که بوده باشد کرسی یا عرش یا آسمان یا زمین یا جان یا انسان، درك نمی شود آن پروردگار با وهم و گمان و اندازه کرده نمی شود با فهم عقل ها و مشغول نمی گرداند او را سائلی از سائل دیگر و کم نمی گرداند بحر کرم او را هیچ عطایی و نگاه نمی کند با چشم و محدود نمی گردد با مکان و موصوف نمی شود با جفت ها و نمی آفریند به معالجه و مباشرت و ادراك نمی شود با حواس ظاهره و باطنه و قیاس کرده نمی شود به

خلق، آن چنان پروردگاری که سخن گفت با جناب موسی (عليه السلام) سخن گفتنی و نمایانید او را از علامت های قدرت خود چیز بزرگی بی اعضا و جوارحی و بدون نطق و گوشت پاره هایی که در آخر دهن است و با آن نطق حاصل می شود.

بلکه اگر راست گوینده باشی تو ای مشقت کشنده در وصف پروردگار خود، پس وصف کن جبرئیل و میکائیل و لشکرهای فرشتگان را که مقرّب درگاه اویند در منزل های قدس و طهارت خاضع و مایلند به زیر از خضوع، درحالتی که متحیّر است عقل های ایشان در این که حدی قرار بدهند بهترین آفرینندگان را و جز این نیست که ادراك می شود با صفت ها صاحبان صورت ها و آلت ها و آن کسی که منقضی می شود به فنا و نیستی زمانی که برسد به غایت حد خود، پس نیست هیچ معبود به حقّی غیر او که روشن فرمود با نور خود هر تاریکی و تاریك گردانید با تاریکی خود هر روشنی را.

الفصل الثاني

أُوصيكُمْ عِبادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذي أَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ، وأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ، وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجدُ إِلى الْبَقاءِ سُلَّماً، أَوْ لدَفْعِ الْمَوْتِ سَبيلاً، لَكانَ ذٰلِكَ سُلَيْمانُ بْنُ داوُدَ عليه السلام الَّذي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مع النُّبُوَّةِ وعَظيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَىٰ طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفِناءِ بِنِبالِ الْمَوْتِ، وأَصْبَحَتِ الدِّيارُ مِنْهُ خالِيَةً، وَالْمَساكِنُ مُعَطَّلَةً، وورِثَها قَوْمٌ آخَرُونَ، وإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أَيْنَ الْعَمالِقَةُ وَابْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَراعِنَةُ وَأَبْناءُ الْفَراعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحابُ مَدائِنِ الرَّسِّ؟ الَّذينَ قَتَلوا النَّبِيِّينَ، وأَطْفَؤُا سُنَنَ الْمُرْسَلينَ، وأَحْيُوا سُنَنَ الْجَبّارينَ، وأَيْنَ الَّذين سارُوا بِالْجُيُوشِ، وهَزَمُوا الأُلُوفَ، وعَسْكَرُوا الْعَساكِرَ، ومَدَّنُوا الْمَدائِنَ(١).

اللغة

(الرياش) والريش ما ظهر من اللباس، وقيل: الرياش جمع الريش هو اللباس الفاخر و**(المعاش)** والمعيشة مكتسب الإنسان الذي يعيش به و**(السلم)** كسكر ما يرتقى عليه و**(القسى)** جمع القوس و**(النبل)** السّهام العربيّة لا واحد لها من لفظها و**(العمالقة)** والعماليق أولاد عمليق وزان قنديل أو عملاق كقرطاس وهو من ولد نوح عليه السلام حسبما تعرف و**(الفراعنة)** جمع فرعون و**(الرّس)** بتشديد السّين نهر عظيم بين أذربيجان وأرمينية وهو المعروف الآن بالأرس مبدؤه من مدينة طراز وينتهي إلى شهر الكرّ فيختلطان ويصبان في البحر، وقال في القاموس: بئر كانت لبقيّة من ثمود كذبوا نبيهم ورسّوه في بئر و**(مدن)** المدائن تمديناً مصّرها.

الإعراب

(الباء) في قوله بنبال الموت زائدة في المفعول، و**(المدائن)** مفعول لقوله مدّنوا لا فيه كما هو واضح.

المعنى

أعلم أنه لما افتتح الخطبة بتحميد الله سبحانه وتمجيده وذكر جملة من صفات جلاله ونعوت جماله وأشار إلى عجائب قدرته وبدائع حكمته في ملكه وملكوته في الفصل السابق منها، أتبعه بهذا الفصل تذكرة وموعظة للمخاطبين، فأوصى بما لا يزال يوصي به وقال:

(١) مستدرك سفينة البحار: ٩/٤٥٧، وشرح نهج البلاغة ١٠/٩٢.

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله) التي هي الزاد وبها المعاد زاد مبلغ ومعاد منجح وهي أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك.

وإنما عقب بالموصول أعني قوله **(الذي ألبسكم الرياش وأسبغ عليكم المعاش)** تأكيداً للغرض المسوق له الكلام، وتنبيهاً على أنه سبحانه مع عظيم إحسانه ومزيد فضله وإنعامه حيث أنعم عليكم باللباس والرياش وأكمل عليكم المعاش الذين هما سبب حياتكم وبهما بقاء نوعكم، كيف يسوغ كفران نعمته بالعصيان، ومقابلة عطوفته بالخطيئة، بل اللازم مكافأة نعمائه بالتقوى، وعطاياه بالحسنى.

ثمّ لما كان رأس كلّ خطيئة هو حب الدنيا وكان عمدة أسباب الغفلة والضلالة الركون إليها وطول الأمل فيها نبّه على فنائها وزوالها بقوله: **(ولو أن أحداً يجد إلى البقاء سلّما)** ووسيلة **(أو لدفع الموت سبيلاً)** وسبباً **(لكان ذلك سليمان بن داود** عليه السلام**)** لأنّه **(الذي)** اختص من سائر الخلق لكمال السّلطنة والملك العظيم حيث **(سخر ملك الجن والإنس)** والوحش والطير فهم يوزعون حسبما تعرفه تفصيلاً عن قريب **(مع النبوّة وعظيم الزلفة)** والقربى إلى الحق سبحانه.

ومعلوم أن النبوة والتقرب والمنزلة من الوسائل إلى البقاء لاستجابة الدعاء معهما فهما مظنتان للتوصل إليه في الباطن، كما أن الملك والسلطنة مظنة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر، لكنّه مع نبوّته وعظم سلطانه وقدرته على ما لم يقدر عليه غيره لم يجد وسيلة إلى البقاء، فليس لأحد بعده أن يطمع في وجدانه.

أما إنه عليه السلام لم يجد وسيلة إلى ذلك (فـ) ـلانه **(لما استوفى طعمته)** أي رزقه المقدر **(واستكمل مدّته)** المقرّرة **(رمته قسي الفناء بنبال الموت)** إسناد الرمي إلى القسي من المجاز العقلي والنسبة إلى الآلة، قال الشارح البحراني: ولفظ القسي والنبال استعارة لمرامي الأمراض وأسبابها التي هي نبال الموت **(وأصبحت الديّار منه خالية والمساكن معطلة ورثها قوم آخرون)**.

روى في البحار من العلل والعيون عن أحمد بن زياد الهمداني عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عليّ بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر[1] بن محمد عليهما السلام قال: إن سليمان بن داود عليه السلام قال: ذات يوم لأصحابه: إن الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي سخّر لي الريح والإنس والجن والطير والوحوش وعلّمني منطق الطير وآتاني كل شيء ومع جميع ما أوتيت

(١) «عن أبيه جعفر» في نسخة.

من الملك ما تم لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلا يرد علي ما ينغص على يومي، قالوا: نعم.

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتي فرحاً بما أعطي، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللّباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلما بصر به سليمان عليه السلام قال: من أدخلك إلى هذا القصر؟ وقد أردت أن أخلو فيه اليوم فبإذن من دخلت؟ فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت، فقال عليه السلام: ربه أحق به مني فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك قال: امض لما أمرت به فهذا يوم سروري وأبى الله عزّ وجلّ أن يكون لي سروري دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متكيء على عصاه.

فبقي سليمان متكئاً على عصاه وهو ميّت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدرون أنه حي، فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال: أن سليمان قد بقي متكئاً على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب إنه لربنا الذي يجب علينا أن نعبده، وقال قوم: إن سليمان ساحر إنه يرينا أنه واقف ومتكيء على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك، فقال المؤمنون: إن سليمان هو عبد الله ونبيّه يدبّر الله بما شاء.

فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة فدبت في عصاه، فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان من قصره على وجهه فشكر الجن للأرضة صنيعها فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلا وعنده ماء وطين، وذلك قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ يعني عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾[1] [سبأ: ١٤].

ثمّ نبّه عليه السلام على الاعتبار بأحوال القرون الخالية والأمم الماضية فقال: **(وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة)** وأشار إلى وجه العبرة على سبيل الاستفهام التقريري قصداً للتذكير والتذكّر بقوله: **(أين العمالقة وأبناء العمالقة)**.

قال الشارح المعتزلي: العمالقة أولاد لاوز بن أرم بن سالم بن نوح عليه السلام كان الملك باليمن والحجاز ما تاخم ذلك من الأقاليم فمنهم عملاق بن لاوز، ومنهم طسم بن لاوز أخوه، ومنهم جديس بن لاوز أخوهما، وكان العز والملك بعد عملاق بن لاوز في طسم، فلما ملكهم عملاق بن طسم بغى وأكثر الفساد في الأرض حتى كان يطأ العروس ليلة هدائها إلى بعلها وإن كانت بكراً افتضها قبل وصولها إلى البعل، ففعل ذلك بامرأة من جديس يقال

(١) الكافي: ٨/ ١٤٤ ح١١٤، وعلل الشرائع: ١/ ٧٤ ح٢.

لها غفيرة بنت غفار، فخرجت إلى قومها وهي تقول:

لا أحـــد أذلّ مـــن جـديـــس أهـــكـــذا يـفـعـــل بـــالـــعـــروس

فغضب لها أخوها الأسود بن غفار وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم وأهل بيته فصنع الأسود طعاماً ودعى العملاق إليه ثم وثب به وبطسم فأتى على رؤسائهم ونجا منهم رباح بن مز فصار إلى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن، فاستغاث به على جديس فسار ذو جيشان في حمير فأتى بلاد جوّ وهي قصبة اليمامة واستأصل جديس كلها وأخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم إلا اليسير منهم ثم ملك بعد طسم وجديس وباز بن إيم[١] لاوز بن أرم فسار بولده وأهله ونزل برمل عالج فبغوا في الأرض حيناً حتّى أفناهم الله، ثم ملك الأرض بعد باز عبد صحم بن أثيف بن لاوز فنزلوا بالطائف حيناً ثم بادوا[٢].

قال الشارح: وممن يعدّ من العمالقة عاد وثمود.

فأمّا عاد فهو ابن عويص بن أرم بن سام بن نوح كان يعبد القمر يقال إنه كان رأى من صلبه أولاداً وأولاد أولاد أربعة آلاف، وأنه نكح ألف جارية وكان بلاده الأحقاف المذكورة في القرآن، وهي من شجر عمّان إلى حضرموت، ومن أولاده شداد بن عاد صاحب المدينة المذكورة في سورة الفجر.

وأما ثمود فهو ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت دياره بين الشام والحجاز إلى ساحل بحر الحبشة.

(أين الفراعنة وأبناء الفراعنة) وهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف عليه السلام، ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى، ومنهم فرعون بن الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وأخرب بيت المقدس.

(أين أصحاب مداين الرّس) وستعرف أبناءهم في التذييل الآتي، وهم **(الذين)** جحدوا رب العالمين و**(قتلوا النبيين)** مظلومين **(وأطفؤا سنن المرسلين)** وشرائع الدّين **(وأحيوا سنن الجبّارين)** وبدع الشياطين **(وأين)** الملوك **(الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف)** وفتحوا الأمصار **(وعسكروا العساكر)** وجمعهوهم **(ومدنوا المدائن)** وبنوها.

---

(١) في نسخة: «بن».

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٩٤.

وينبغي تذييل هذا الفصل من الخطبة بأمرين:

الأول

في نوادر أخبار ملك سليمان بن داود عليه السلام المشار إليه في هذا الفصل

قال تعالى في سورة النمل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥ ـ ١٦].

وفي سورة سبأ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢].

قوله سبحانه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ قال الصادق عليه السلام في رواية إكمال الدين: إن داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان لأن الله عزّ وجل أوحى إليه يأمره بذلك فلما أخبر بني إسرائيل ضجّوا من ذلك وقالوا: يستخلف علينا حدثاً وفينا من هو أكبر منه، فدعى أسباط بني إسرائيل فقال لهم: قد بلغني مقالتكم فأروني عصيكم فأي عصا أثمرت فصاحبها وليّ الأمر بعدي، فقالوا: رضينا، وقال: ليكتب كلّ واحد منكم اسمه على عصاه، فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثمّ أدخلت بيتاً وأغلق الباب وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل فلما أصبح صلّى بهم الغداة ثم أقبل ففتح لهم الباب فأخرج عصيهم وقد ورقت عصا سليمان وقد أثمرت، فسلّموا ذلك لداود عليه السلام(١).

وفي البحار من محاسن البرقي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: استخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة، ومكث في ملكه أربعين سنة(٢).

وقوله: «علمنا منطق الطير» قيل: إن النّطق عبارة وهو مختص بالإنسان إلاّ أن سليمان لما فهم معنى صوت الطير سماه منطقاً مجازاً، وقال عليّ بن عيسى: إن الطّير كانت تكلم سليمان عليه السلام معجزة له كما أخبر عن الهدهد، ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس الذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة، ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم يفهم هي عنا، لأن أفهامها مقصورة على تلك الأمور

(١) بحار الأنوار: ١٣/٤٤٧، وكمال الدين وتمام النعمة: ١٥٦.

(٢) مشكاة الأنوار: ٤٣٦، وبحار الأنوار: ١١/٥٦ ح٥٤.

المخصوصة، ولما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها.

قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي من كل شيء تؤتى الأنبياء والملوك، وقيل: من كل شيء يطلبه طالب لحاجته إليه وانتفاعه به.

وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [النمل: ١٦] قال الطبرسي: أي وسخرنا لسليمان الريح مسير غدو تلك الريح المسخّرة مسير شهر ومسير رواحها مسير شهر والمعنى أنها كنانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للرّاكب قال قتادة: كانت تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار، وقال الحسن: كانت تغدو من دمشق فيقبل باصطخر من أرض أصفهان وبينهما مسيرة شهر للمستريح، وتروح من اصطخر فتبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر تحمله الريح مع جنوده أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢] أي أذبنا له عين النحاس وأظهرناها له.

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ المعنى وسخرنا له من الجن من بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدمي بين يدي الآدمي بأمر ربه تعالى، وكان يكلّفهم الأعمال الشاقة، وفيه دلالة على أنه قد كان من الجن من هو غير مسخر له.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي من يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرناهم لسليمان عما أمرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار في الآخرة عن أكثر المفسرين، وقيل: نذقه العذاب في الدنيا وأن الله سبحانه وكلّ بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم من طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾ [سبأ: ١٣] وهي البيوت الشريفة الشريعة قيل: وهي القصور والمساجد يتعبّد فيها عن قتادة والجبائي، قال: وكان مما عملوا بيت المقدس وقد كان الله عزّ وجلّ سلط على بني إسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والأهلين ويتضرّعوا إلى الله تعالى لعله يرحمهم، وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد، وارتفع داود عليه السلام فوق الصّخرة فخرّ ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسجدوا معه، فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون.

فلما أن شفع الله جمعهم داود في بني إسرائيل بعد ثلاث وقال لهم: إن الله تعالى قد منّ عليكم ورحمكم فجدّدوا شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ففعلوا، وأخذوا في بناء بيت المقدس فكان داود عليه السلام ينقل الحجارة لهم على عاتقه، وكذلك خيار بني إسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود عليه السلام يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة، فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن تمام بنائه يكون على يد ابنه سليمان.

فلما صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفاه الله تعالى واستخلف سليمان فأحبّ إتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين فقسم عليهم الأعمال يخصّ كلّ طائفة منهم بعمل، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح وجعلها اثنا عشر ربضاً وأنزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط.

فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها، وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها، وفرقة يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب، وفرقة يأتونه بالدّر من البحار فأوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى يصيروها ألواحاً ومعالجة تلك الجواهر واللآلي.

وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي، وسقفه بألواح الجواهر، وفضّض سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت والجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروز، فلم يكن في الأرض بيت أبهى منه ولا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر.

فلما فرغ منه جمع إليه خيار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه الله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً.

فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني إسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والدر واليواقيت والجواهر، فحملها إلىٰ دار مملكته من أرض العراق.

قال سعيد بن المسيّب: لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبيه داود عليه السلام إلا فتحت الأبواب ففرغ له عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار ولا يأتي ساعة من ليل ونهار إلا ويعبد الله فيها.

«وتماثيل» يعني صوراً من نحاس وشبه وزجاج كانت الجن تعملها، ثمّ اختلفوا فقال بعضهم: كانت صوراً للحيوانات، وقال آخرون: كانوا يعملون صور السّباع والبهائم على كرسيّه ليكون أهيب له.

فذكروا أنّهم صوّروا أسدين أسفل كرسيّه ونسرين فوق عمودي كرسيه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما، وإذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظلّلاه من الشّمس، ويقال: إن ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس.

فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بني إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان، فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدها فوقع مغشياً عليه فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي[(١)].

قال الحسن: ولم يكن يومئذ التصاوير محرمة وهي محظورة في شريعة نبيّنا ﷺ، فإنه قال: لعن الله المصوّرين، ويجوز أن يكره ذلك في زمن دون زمن، وقد بيّن الله سبحانه أن المسيح عليه السلام كان يصور بأمر الله من الطين كهيئة الطير وقال ابن عباس: كانوا يعملون صور الأنبياء والعبّاد في المساجد ليقتدى بهم.

وروى عن الصادق عليه السلام أنه قال: والله ما هي تماثيل النساء والرجال ولكنها الشجر وما أشبهه[(٢)].

«وجفان كالجواب» أي صحاف كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع وكان سليمان عليه السلام يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان، فإنه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم، وقيل: إنه كان يجمع على كلّ جفنة ألف رجل يأكلون بين يديه.

«وقدور راسيات» أي ثابتات لا يزلن عن أمكنتهنّ لعظمهن، عن قتادة وكانت باليمن وقيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم وكان سليمان عليه السلام يطعم جنده.

وفي البحار عن صاحب الكامل قال: لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان عليه السلام على بني إسرائيل وكان عمره ثلاث عشر سنة، وأتاه مع الملك النبوة وسخر له الجن والأنس والشياطين والطير والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام الأنس والجن متى يجلس فيه، قيل: إنه سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه وأعاده الله إليه وكان أبيض جسيماً كثير الشعر يلبس البياض، وكان يأكل من كسبه، وكان كثير الغزو، وكان إذا أراد الغزو أمر فعمل بساط من خشب يسع عسكره، فيركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون إليه، ثمّ أمر الريح فسار في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك، وكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سرية وأعطاه الله أخيراً أنه لا يتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح فيعلم ما يقول[(٣)].

وفيه من كتاب قصص الأنبياء بالإسناد عن أبي حمزة عن الأصبغ بن نباته قال: خرج

---

(١) بحار الأنوار: ١٤/ ٧٨، والتبيان: ٨/ ٣٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٤/ ٧٨، وتفسير مجمع البيان: ٨/ ٢٠٣.

(٣) بحار الأنوار: ١٤/ ٧٩ ح٢١.

سليمان بن داود من بيت المقدّس مع ثلاثمائة ألف كرسي عن يمينه عليها الأنس وثلاثمائة ألف كرسي عن يساره عليها الجن، وأمر الطير فأظلّتهم وأما الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن، ثم رجع وبات في اصطخر، ثم غدا فانتهى إلى جزيرة بركاوان، ثمّ أمر الريح فخفضتهم حتى كادت أقدامهم يصيبها الماء، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟ فنادى ملك: لثواب تسبيحة واحدة أعظم مما رأيتم(١).

وفيه منه عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان ملك سليمان ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر(٢).

وفيه عن الطبرسي قال: قال محمد بن كعب: بلغنا أن سليمان بن داود عليه السلام كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون للأنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيه ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرّخاء فتسير به، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتك(٣).

وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخ في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع فيه منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلّها الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليهم الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح، ومن الرواح إلى الصباح.

وفيه من تفسير الثعلبي قال: وروى أن سليمان عليه السلام لما ملك بعد أبيه أمر باتخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء وأمر بأن يعمل بديعاً مهولاً بحيث أن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب(٤).

قال: فعمل له كرسي من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفظوه بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نسران من ذهب بعضها مقابلاً

---

(١) بحار الأنوار: ١٤/ ٧٢ ح١٠، ومستدرك سفينة البحار: ٥/ ١٢٢.

(٢) الخصال: ٢٤٨ ح١١٠، وميزان الحكمة: ٤/ ٣١٣٥.

(٣) بحار الأنوار: ١٤/ ٨١ ح٢٣، ومستدرك سفينة البحار: ٤/ ٢٣٨.

(٤) بحار الأنوار: ١٤/ ٨٤، وتفسير القرطبي: ١٥/ ٢٠٢.

لبعض، وجعلوا من جنبي الكرسي أسدين من الذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث يظل عريش الكروم النخل والكرسي.

قال: وكان سليمان عليه السلام إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كلّه بما فيه دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتهما ويبسط الأسدان أيديهما فتضربان الأرض بأذنابهما، فكذلك كل درجة يصعدها سليمان عليه السلام.

فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأس سليمان ثم يستدير الكرسي بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والأسدان ما يلات برؤوسها إلى سليمان ينضحن عليه من أجوافها المسك والعنبر.

ثم تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فيفتحها سليمان ويقرأها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء، ويجلس عظماء بني إسرائيل على كراسي من الذهب المفصصة بالجوهر وهي ألف كرسي عن يمينه، وتجيء عظماء الجن وتجلس على كراسي الفضة على يساره وهي ألف كرسي حافين جميعاً به ثم يحف بهم الطير فتظلهم وتتقدم إليه الناس للقضاء.

فإذا دعي البيّنات والشهود لإقامة الشهادات دار الكرسي بما فيه مع جميع ما حوله دوران الرحا المسرعة ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما فيفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولا يشهدون إلا بالحق[١].

وفي البحار من كتاب تنبيه الخاطر روى أن سليمان بن داود عليه السلام مرّ في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وعن شماله بعابد من عباد بني إسرائيل فقال: والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكاً عظيماً، فسمعه سليمان فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود إن ما أعطي ابن داود تذهب وإن التسبيحة تبقى[٢].

وكان سليمان إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والإشراف حتى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم ويقول مسكين مع المساكين.

ومن إرشاد القلوب كان سليمان مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر وإذا جنّه الليل شدّ يديه إلى عنقه فلا يزال قائماً حتى يصبح باكياً وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده

(١) بحار الأنوار: ١٤/ ٨٥، وقصص الأنبياء: ٤١٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٤/ ٨٣ ح٢٧، وتاريخ مدينة دمشق: ٢٢/ ٢٧٥.

وإنما سأل الملك ليقهر ملوك الكفر[١].

الثاني
في بيان مدائن الرس وقصة أصحابها

قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ [الفرقان: ٣٨] وفي سورة ق: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ [ق: ١٢] قال الطبرسي: أي وأهلكنا عاداً وثمود وأصحاب الرس، وهو بئر رسّوا فيها نبيهم أي ألقوه فيها عن عكرمة.

وقيل: أنهم كانوا أصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذبوه فانهار البئر وانخسف بهم الأرض فهلكوا عن وهب.

وقيل: الرس قرية باليمامة يقال لها فلج قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عن قتادة.

وقيل: كان لهم نبي يسمّى حنظلة فقتلوه فأهلكوا عن سعيد بن جبير والكلبي.

وقيل: هم أصحاب رس والرس بئر بإنطاكية فيها حبيباً النجار فنسبوا إليه عن كعب ومقاتل.

وقيل: أصحاب الرس كان نساؤهم سحّاقات عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي البحار من تفسير علي بن إبراهيم: أصحاب الرس هم الذين هلكوا لأنهم استغنوا الرجال بالرجال والنساء بالنساء[٢].

ومن معاني الأَخبار: معنى أصحاب الرس أنهم نسبوا إلى نهر يقال له: الرّس من بلاد المشرق[٣].

وقد قيل: إنّ الرّس هو البئر وأن أصحابه رسّوا نبيّهم بعد سليمان بن داود عليه السلام وكانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبرة يقال لها شاه درخت كان غرسها يافث ابن نوح فأنبتت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وكان نساؤهم يشتغلن بالنساء عن الرجال فعذّبهم الله عزّ وجلّ بريح عاصف شديد الحمرة وجعل الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقد وأظلّتهم سحابة سوداء مظلمة فانكفت عليهم كالقبة جمرة تلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار.

---

(١) بحار الأنوار: ١٤/ ٨٣ ح٢٩، ومستدرك سفينة البحار: ٥/ ١٢٥.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣٢٣، وقصص الأنبياء: ٤٤٠.

(٣) علل الشرائع: ١/ ٤١ ح١، وبحار الأنوار: ١٤/ ١٤٩ ح١.

ومن العرائس للثعلبي قال: قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَبَ ٱلرَّسِّ﴾ وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَبُ ٱلرَّسِّ﴾ اختلف أهل التفسير وأصحاب الأقاصيص فيهم.

فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكلّ أخبر بطائفة من حديث: أصحاب الرّس بقية ثمود وقوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] وكانوا بفليج اليمامة نزولاً على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهو بئر وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان، وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعدا في السماء ميلاً، وكانت العنقاء تنتابه وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسمّوها العنقاء لطول عنقها وكانت تكون في ذلك الجبل تنقض على الطير تأكلها، فجاعت ذات يوم فاعوزها الطير فأنقضت على صبي فذهبت به، ثم إنها انقضت على جارية حين تزعزعت فأخذتها فضمّتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين، فشكوا إلى نبيهم فقال: اللهم خذها واقطع نسلها وسلّط عليها آية يذهب بها، فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر فضربتها العرب مثلاً في أشعارها وحكمها وأمثالها ثمّ إنّ أصحاب الرّس قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله تعالى.

وقال بعض العلماء: بلغني أنه كان رسّان.

وأما أحدهما: فكان أهله بدو وأصحاب غنم ومواش فبعث الله إليهم نبياً فقتلوه ثم بعث إليهم رسولاً آخر وعضده بولي فقتلوا الرّسول وجاهدهم الولي حتى أفحمهم وكانوا يقولون إلهنا في البحر وكانوا على شفيرة وكان يخرج إليهم شيطان في كلّ شهر خرجة فيذبحون ويتخذونه عيداً فقال لهم الولي أرأيتم إن خرج إلهكم الذي تدعونه إليّ وأطاعني أتجيبونني إلى ما دعوتكم إليه؟ فقالوا: بلى، وأعطوه على ذلك العهود والمواثيق.

فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكباً أربعة حيتان وله عنق مستعلية وعلى رأسه مثل التاج، فلما نظروا إليه خروا له سجّداً وخرج الولي إليه فقال: ائتني طوعاً أو كرهاً بسم الله الكريم، فنزل عند ذلك عن أخواته فقال له الولي ائتني عليهن لئلا يكون من القوم في أمري شك فأتى الحوت وأتين به حتى أفضين به إلى البر يجرّونه.

فكذّبوه بعد ما رأوا ذلك ونقضوا العهد فأرسل الله تعالى إليهم ريحاً فقذفهم في البحر ومواشيهم جميعاً وما كانوا يملكون من ذهب وفضة، فأتى الولي الصالح إلى البحر حتّى أخذ التبر والفضة والأواني فقسّم على أصحابه بالسويّة على الصّغير منهم والكبير وانقطع هذا النسل.

وأما الآخر: فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرّس ينسبون إليه وكان فيهم أنبياء كثيرة قلّ

يوم يقوم نبي إلاّ قتل وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينها وبين أرمنية فإذا قطعته مدبراً دخلت في حدّ أرمنيّة وإذا قطعته مقبلاً دخلت في حد أذربيجان يعبدون النيران وكانوا يعبدون الجواري «العذارى» فإذا تمت لإحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ، وكان يرتفع في كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله، وكان لا ينصب في بر ولا بحر إذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع إليهم.

فبعث الله تعالى ثلاثين نبياً في شهر واحد فقتلوهم جميعاً، فبعث الله عزّ وجل نبياً وأيده بنصره وبعث معه ولياً فجاهدهم في الله حق جهاده.

فبعث الله تعالى إليه ميكائيل حين نابذوه وكان ذلك في أوان وقوع الحب في الزرع، وكانوا إذ ذاك أحوج ما كانوا إلى الماء، ففجر نهرهم في البحر فانصبت ما في أسفله وأتي عيونه من فوق فسدّها وبعث إليه خمسمائة ألف من الملائكة أعواناً له ففرقوا ما بقي في وسط النهر.

ثمّ أمر الله جبرئيل فنزل فلم يدع في أرضهم عيناً ولا نهراً إلا أيبسه بإذن الله عزّ وجلْ وأمر ملك الموت فانطلق إلى المواشي فأماتهم ربضة واحدة، وأمر الرياح الأربع الجنوب والشمال والدّبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله عز وجل عليهم السّبات، ثم حفت الرياح الأَربع المتاع أجمع فنهبته في رؤوس الجبال وبطون الأودية.

فأمّا ما كان كم جليٍ أو تبرٍ أو آنيةٍ فإن الله تعالى أمر الأرض فابتلعته فأصبحوا ولا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون ولا ماء يشربونه ولا طعام يأكلونه، فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم إلى غار في جبل له طريق إلى خلفه فنجوا وكانوا أحداً وعشرين رجلاً وأربع نسوة وصبيين وان عدّة الباقين من الرجال والنساء والذراري ستمائة ألف فماتوا عطشاً وجوعاً ولم يبق منهم باقية.

ثمّ عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين أن يجيبهم(١)، بزرع وماء وماشية ويجعله قليلاً لئلا يطغوا، فأجابهم الله تعالى إلى ذلك لما علم من صدق نيّاتهم وعلم منهم الصّدق وألوا أن لا يبعث رسولاً ممن قاربهم إلا أعانوه وعضدوه، وعلم الله منهم الصّدق فأطلق الله لهم نهرهم وزادهم على ما سألوا، فقام أولئك في طاعة الله عزّ وجل ظاهراً وباطناً حتى مضوا وانقرضوا.

وحدث بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر ونافقوه في الباطن فأملى الله تعالى

---

(١) «ينجيهم» في نسخة.

لهم وكان عليهم قادراً، ثم كثرت معاصيهم وخالفوا أولياء الله تعالى فبعث الله عز وجل عدوهم ممن فارقهم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلّط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحداً وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها أحد.

ثمّ أتى الله بقرن بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين سنين ثم أحدثوا فاحشة جعل الرجل بنته وأخته وزوجته فينيلها جاره وأخاه وصديقه يلتمس بذلك البر والصلة.

ثم ارتفعوا من ذلك إلى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنوا بالرجال فجاءت النساء شيطانهن في صورة وهي الدلهاث بنت إبليس وهي أخت الشيصاء وكانت في بيضة واحدة فشهّت إلى النساء ركوب بعضهن بعضاً وعلمهن كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهن بعضاً من الدلهاث، فسلّط الله على ذلك القرن صاعقة في أول اللّيل وخسفا في آخر الليل، وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت مساكنهم ولا أحسب منازلهم اليوم تسكن[1].

وفي البحار من كتابي العيون والعلل عن الهمداني عن علي عن أبيه عن الهروي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن علي عليهما السلام قال:

أتى علي بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف تميم يقال له عمرو فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله عز وجل إليهم رسولاً أم لا؟ وبماذا أهلكوا؟ فإني أجد في كتاب الله تعالى ذكرهم ولا أجد خبرهم.

فقال له علي عليه السلام: لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي إلاّ عنّي، وما في كتاب الله عزّ وجل آية إلا وأنا أعرف تفسيرها وفي أي مكان نزلت من سهل أو جبل وفي أي وقت من ليل أو نهار وإن ههنا لعلما جما ـ وأشار إلى صدره ـ ولكن طلابه يسير وعن قليل يندمون لو فقدوني.

كان من قصّتهم يا أخا تميم أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها روشاب[2] كانت انبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان، وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك بعد سليمان بن داود عليه السلام.

---

(١) قصص الأنبياء: ٤٤٢، وبحار الأنوار: ١٤/ ١٥٩.

(٢) «دوشاب» في نسخة.

وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطىء نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر ولا أعمر منها تسمى أحداهنّ أبان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسة اسفندار، والسادسة فروردين، والسابعة اردى بهشت، والثامنة خرداد، والتاسعة مرداد، والعاشرة تير، والحادي عشرة مهر، والثاني عشرة شهريور.

وكانت أعظم مدائنهم اسفندار وهي التي ينزلها ملكهم، وكان تركوز بن غابور بن يارش بن شازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم وبها العين والصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة، وأجروا إليها نهراً من العين التي عند الصنوبرة.

فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة وحرّموا ماء العين والأنهار فلا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هو حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم.

وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجمع إليه أهلها، فيضربون على الشجرة التي بها كلّة من حرير فيها من أنواع الصور ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونهما قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرّوا سجداً يبكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم.

فكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصّبي أن قد رضيت عنكم فطيبوا نفساً وقرّوا عيناً فيرفعون رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف ويأخذون الدستبند فيكون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون.

وإنما سمت العجم شهورها بأبان ماه وآذرماه وغيرهما اشتقاقاً من أسماء تلك القرى لقول أهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا.

حتّى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور وجعلوا له اثني عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق ويقرّبون لها الذبائح أضعاف ما قرّبوا للشجرة التي في قراهم.

فيجيء إبليس عند ذلك فيحرّك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلّم من جوفها كلاماً جهورياً ويعدهم ويمنيهم بأكثر ما وعدتهم ومنتهم الشياطين كلها فيرفعون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلّمون من الشرب والعزف.

فيكونون على ذلك اثنا عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون.

فلما طال كفرهم بالله عز وجل وعبادتهم غيره بعث الله عز وجل إليهم نبياً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب، فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل ومعرفة ربوبيّته فلا يتبعونه، فلما رأى شدة تماديهم في الغي والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والنجاح وحضر عيد قريتهم العظمى قال: يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي والكفر بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضرّ فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك.

فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كلها فهالهم ذلك وفظع بهم وصاروا فرقتين فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم أنه رسول رب السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى الله، وفرقة قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهائها لكي تغضبوا لها فتنصروا منه.

فأجمع رأيهم على قتله فاتخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه ثم أرسلوها في قرار العين إلى أعلا الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرانج(١) ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيّهم وألقموا فاها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا إذا رأت أنّا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان.

فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيّهم عليه السلام وهو يقول سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدّة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي حتى مات عليه السلام.

فقال الله جل جلاله لجبرئيل: يا جبرئيل أيظن عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي ن يقوموا بغضبي ويخرجوا من سلطاني كيف وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وأني حلفت بعزتي لأجعلنهم عبرة ونكالاً للعالمين.

فلم يرعهم في يوم عيدهم ذلك إلا ريح عاصفة شديدة الحمرة فتحيّروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم إلى بعض، ثم صارت الأرض تحتهم حجر كبريت يتوقد وأظلتهم سحابة

(١) «البراع» في نسخة.

سوداء فألقت عليهم كالقبة جمراً يتلهّب(١) فذابت أبدانهم كما يذوب الرّصاص في النّار، فنعوذ بالله تعالى ذكره من غضبه ونزول نقمته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(٢).

الترجمة

فصل دويم از این خطبه در وصیّت به تقوی و پرهیزکاری است، می فرماید:

وصیّت می کنم شما را ای بندگان خدا به پرهیزکاری خداوندی که پوشانیده به شما لباس فاخر و واسع گردانیده بر شما اسباب معیشت را، پس اگر احدی می یافت به سوی بقا نردبانی یا از برای دفع مرگ وسیله و راهی، هرآینه بودی آن شخص سلیمان بن داوود (علیه السلام) که مسخّر شد از برای او پادشاهی جنّ و انسان با منصب پیغمبری و بزرگی قرب و منزلت، پس زمانی که استیفا نمود طعمه خود را و استکمال کرد مدّت عمر خود را، انداخت او را کمان های فنا به تیرهای مرگ و گردید شهرها از وجود او خالی و مسکن ها از او معطل و وارث گردید آن ها را قوم دیگر و به درستی که مر شما را در روزگارهای سابقه هرآینه عبرتی است.

کجایند طایفه عمالقه و پسران عمالقه؟ کجایند فراعنه و پسران فراعنه؟ کجایند اصحاب مدین های رسّ که کشتند پیغمبران را و خاموش کردند روشنایی طریق های مرسلین را و زنده کردند طریق های گردن کشان را؟ و کجایند آن کسانی که سیر کردند با لشگرها و غلبه کردند با هزاران قشون و جمع آوردند لشگرها و بنا کردند شهرها را؟

(١) «يلتهب» في نسخة.

(٢) ميزان الحكمة: ٢/ ١٥١٢، والكنى والألقاب: ١/ ١٨٤.

الفصل الثالث منها

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَها، وأَخَذَها بِجَمِيعِ أَدَبِها، مِنَ الإِقْبالِ عَلَيْها، والْمَعْرِفَةِ بها، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضالَّتُهُ الَّتي يَطْلُبُها، وحاجَتُهُ الَّتي يَسْأَلُ عَنْها، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذا اغْتَرَبَ الإِسْلامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرانِه بَقِيَّةٌ مِنْ بَقايا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلائِفِ أَنْبِيائِهِ.

ثُمَّ قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَواعِظَ الَّتي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِياءُ أُمَمَهُمْ، وأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ ما أَدَّتِ الأَوْصِياءُ إِلىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ، وأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وحَدَوْتُكُمْ بِالزَّواجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، لِلَّهِ أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِماماً غَيْري يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، ويُرْشِدُكُمْ السَّبيلَ، أَلاَ إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيا ما كانَ مُقْبِلاً، وأَقْبَلَ مِنْها ما كانَ مُدْبِراً، وأَزْمَعَ التَّرْحالَ عِبادُ اللَّهِ الأَخْيارُ، وباعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لا يَفْنَىٰ.

ما ضَرَّ إِخْوانَنَا الَّذينَ سُفِكَتْ دِماؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَلاَ يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْياءً، يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، ويَشْرَبُونَ الرَّنِقَ، قَدْ وَاللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وأَحَلَّهُمْ دارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ، أَيْنَ إِخْوانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ ومَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ ابْنُ التَّيِّهانِ؟ وأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وأَيْنَ نُظَراؤُهُمْ مِنْ إِخْوانِهِمُ الَّذينَ تَعاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ.

قال: ثُمَّ ضرب يده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاءَ ثُمَّ قال عليه السلام: أَوْهِ عَلَىٰ إِخْوانِي الَّذين تَلواُ الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقامُوهُ، أَحْيُوا السُّنَّةَ، وأَماتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهادِ فَأَجابُوا، ووَثِقُوا بِالْقائِدِ فَاتَّبَعُوهُ، ثم نادى بأعلى صوته: الْجِهادَ الْجِهادَ عِبادَ اللَّهِ أَلاَ وإِنِّي مُعَسْكِرٌ في يَوْمي هذا فَمَنْ أَرادَ الرَّواحَ إِلى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ[1].

قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد عليه السلام في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلافِ، ولغيرهم على أعدادٍ آخر وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضَرَبَه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكانٍ.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٩٤، وشرح نهج البلاغة: ١٠/ ١٠٠.

اللغة

(**الجنّة**) بالضم نوع من السلاح (**عسيب الذنب**) قال الشارح المعتزلي أصله وقال الفيروزآبادي: العسيب عظم الذنب أو منبت الشعر منه و(**جران**) البعير صدره أو مقدم عنقه و(**الحدا**) سوق الإبل والغنا لها و(**الترحال**) مبالغة في الرحلة و(**الغصص**) جمع الغصة وهي ما يعترض في الحلق و(**الرنق**) بالفتح والتحريك الكدر من الماء، وفي بعض النسخ بالكسر ولا بأس به قال في القاموس: رنق الماء الكدر من الماء، وفي بعض النسخ بالكسر ولا بأس به قال في القاموس: رنق الماء كفرح ونصر رنقاً ورنقاً ورنوقاً كدر فهو رنق كعدل وكتف وجبل.

و(**ابن التيهان**) قال الشارح: بالياء المنقوطة باثنتين تحتها المشددة المكسورة وقبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها، وقال العلامة المجلسي رحمه الله: والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة وفتح التاء وكسرها معاً، وفي القاموس وتيهان مشددة الياء ويكسر وتيهان بالسكون.

و(**أوه**) على إخواني بسكون الواو وكسر الهاء كلمة توجع وفيها لغات أخر قال في القاموس: إوه كجير وحيث واين واه و إوه بكسر الهاء والواو المشددة واو بحذف الهاء واوه بفتح الواو المشددة واووه بضم الواو واه بكسر الهاء منونة واو بكسر الواو منونة وغير منوّنة وأوتاه بفتح الهمزة والواو المثناة الفوقية وأوياه بتشديد المثناة التحتية كلمة يقال عند الشكاية أو التوجع اه أوهاً واه تاوها وتاوّه قالها.

و(**تختطفها**) من الاختطاف وهو أخذ الشيء بسرعة وفي بعض النسخ تتخطفها.

الإعراب

قوله: (**بقية**) خبر لمبتدأ محذوف، وقوله: (**لله أنتم**) قد مضى تحقيق الكلام فيه في شرح المختار المائة والتاسع والسبعين، و(**ما**) في قوله ما ضر إخواننا، نافية ويحتمل الاستفهام على سبيل الإنكار، و(**إخواننا**) بالنصب مفعول ضر وفاعله ألا يكونوا وجملة (**يسيغون**) في محل النصّب صفة للأحياء، و(**الجهاد الجهاد**) بالنصب على الإغراء.

المعنى

أعلم أن السيدّ رحمه الله قد سلك في هذا الفصل من الخطبة مسلك الالتقاط وأسقط صدر الكلام فالتبس الأمر في قوله: (**قد لبس للحكمة جنّتها**) حيث اشتبه المرجع لفاعل لبس ولم يدر أن الموصوف بتلك الجملة وما ينلوها من هو، فمن ذلك فسره كل على زعمه واعتقاده.

قال العلامة المجلسي رحمه الله: إنه إشارة إلى القائم عليه السلام ونقله الشارح المعتزلي عن

الشيعة الإمامية.

وقال الصّوفيّة: إنه عليه السلام يعني به ولي الله في الأرض وعندهم لا يخلو الدنيا من الأبدال والأولياء.

وقالت الفلاسفة: إن مراده عليه السلام به العارف.

وقالت المعتزلة: إنه يريد به العالم بالعدل والتوحيد وزعموا أن الله لا يخلي الأمة من جماعة من المؤمنين العلماء بالتوحيد والعدل وإن الإجماع إنما يكون حجة باعتبار قول أولئك، لكنه ما تعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع الجميع وإنما الأصل قول أولئك.

قال الشارح المعتزلي بعد نقل هذه الأقوال: وليس يبعد أن يريد عليه السلام به القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى وإن لم يكن الآن موجوداً، فليس في الكلام ما يدل على وجوده الآن، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا عليه، انتهى[(١)].

أقول: أما ما ذكره من كون المراد به القائم عليه السلام فهو كما ذكره غير بعيد لظهور اتصافه عليه السلام بهذه الأوصاف وكونه مظهراً لها، وأما ما زعمه كسائر المعتزلة من أنه عليه السلام غير موجود الآن وإنما يخلقه الله في آخر الزمان فهو زعم فاسد ووهم باطل، لقيام البراهين العقلية والنقلية على أن الأرض لو تبقى بغير حجة لانخسفت وساخت، وعلى أنه لا بد من وجوده في كل عصر وزمان، وأنه أما ظاهر مشهور أو غائب مستور، وأنّ لقائم من آل محمد صلى الله عليه وآله مخلوق من غابر الزمان وموجود الآن وهو غائب مستور لمصالح مقتضية لغيبته والانتفاع بوجوده الشريف حال الغيبة كالانتفاع بالشمس المجللة للعالم المحجوبة بالسحاب.

وبعد قيام الأدلة المحكمة على ذلك كله فلا يعبأ بالاستبعادات الوهمية للمنكرين والاستدلالات السخيفة الهينة للمبطلين على ما أشير إليها في كتب أصحابنا الأمامية المؤلفة في الغيبة مع أجوبتها المتقنة، وقد مضى طرف من الكلام على هذا المرام في شرح الفصل الأول من المختار المائة والثامن والثلاثين فليراجع ثمة، هذا.

والحكمة اسم لمجامع الخير كله قال أبو البقاهي: في عرف العلماء استعمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة قدر طاقتها.

وقال بعضهم: هي معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة وهي العلم النافع المعبّر عنها بمعرفة مالها ومعرفة ما عليها.

---

(١) بحار الأنوار: ٥١/ ١١٤، وشرح نهج البلاغة: ١٠/ ٩٦.

وقال ابن دريد: كل ما يؤدي إلى ما يلزمه أو يمنع من قبيح، وقيل: ما يتضمن صلاح النشأتين.

وقال في البحار: العلوم الحقة النافعة مع العمل بمقتضاها، قال: وقد يطلق على العلوم القابضة من جنابه تعالى على العبد بعد العمل بما علم.

أقول: والمعاني متقاربة وإليها يرجع تفاسيره المختلفة، فقد يفسر بأنه معرفة الله وطاعته، وقد يفسّر بأنه العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، وفسّر في قوله تعالى: ﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] بالنبوة وفي قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ٤٨] بالفقه والمعرفة، وفي قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ بالقرآن والشريعة، وفي قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] بتحقيق العلم واتقان العمل.

وفي الصافي من الكافي وتفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: قال: طاعة الله ومعرفة الإمام(١).

وعنه عليه السلام: معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار(٢).

وعن العياشي عنه عليه السلام: الحكمة المعرفة والفقه في الدين ومن فقه منكم فهو حكيم(٣).

وعن مصباح الشريعة عنه عليه السلام: الحكمة ضياء المعرفة وميراث التقوى وثمرة الصدق ولو قلت: ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت. قال الله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلا من استخلصته لنفسي وخصصته بها والحكمة هي الكتاب وصفة الحكيم الثبات عند أوائل الأمور والوقوف عند عواقبها وهو هادي خلق الله إلى الله(٤).

وعن الخصال عن النبي صلى الله عليه وآله: رأس الحكمة مخافة الله(٥).

وعنه وعن الكافي عنه صلى الله عليه وآله أنه كان ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقاه ركب فقالوا:

---

(١) شرح أصول الكافي: ١/ ١٣٦، وميزان الحكمة: ١/ ١١٩ ح١٤٣.
(٢) شرح أصول الكافي: ٩/ ٢٧٢ ح٢٠، وميزان الحكمة: ١/ ٦٧٢ ح٩١٩.
(٣) بحار الأنوار: ١/ ٢١٥ ح٢٥، وميزان الحكمة: ١/ ٦٧٢ ح٩١٩.
(٤) التفسير الصافي: ١/ ٢٩٩، والتفسير الأصفي: ١/ ١٢٩.
(٥) ميزان الحكمة: ١/ ٦٧٣ ح٩٢٢، والتفسير الصافي: ١/ ٢٩٩.

السلام عليك يا رسول الله، فالتفت إليهم وقال: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والتفويض إل الله، فقال رسول الله ﷺ علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون[1].

إذا عرفت ذلك فأقول: قوله: قد لبس للحكمة جنّتها الظاهر أنه أراد بجنة الحكمة مخافة الله كما أن النبي جعلها رأسها في رواية الخصال المتقدمة، فاستعار لفظ الجنة لها باعتبار أن مخافته سبحانه ووجود وصف التقوى الموجب لقمع النفس عن الشهوات وقلعها عن العلائق والأمنيات مانع عن كون الحكمة غرضاً عن الهام الهوى وعن وقوع الحكيم في الهلاكة والردى، كما أن الجنة وهو ما يستتر به السلاح كالدرع ونحوه مانعة للابسها عن إصابة سهام الأعداء.

فيكون محصل المعنى أن ذلك الحكيم قد اتصف بمخافة الله سبحانه وخشيته التي هي بمنزلة الجنة للحكمة لأجل حفظ حكمته وكونها وقاية لها عما يصادفها كما أن الجنة تحفظ الإنسان عن صدمات الأعداء.

وبما ذكرنا يظهر ما في كلام الشارح البحراني، فإنه قال: لفظ الجنة مستعار في الاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة الحقيقين والمواظبة على العمل بأوامر الله، ووجه الاستعارة أن بذلك الاستعداد يأمن إصابة سهام الهوى وثوران دواعي الشهوات القائدة إلى النار كما يأمن لابس الجنة من أذى الضرب والجرح، انتهى.

فإن مفاده كما ترى هو أن لفظ الجنة مستعار للاستعداد الحاصل من الزهد والعبادة والمواظبة على التكاليف الشرعية.

فيتوجه عليه حينئذ أولاً أن الاستعداد المذكور لا يكون جنة للحكمة على ما ذكره، إنما يكون جنة للإنسان من الوقوع في النار، وظاهر كلام الإمام يفيد تلبسه بجنة الحكمة لأجل الحكمة لا لأجل نفسه.

وثانياً أن الاستعداد والتهيّؤ للشيء قبل وجود الشيء، فلو جعل الجنة استعارة للاستعداد للحكمة لكان مفاد كلامه عليه السلام عدم اتصاف الرجل الموصوف بالحكمة فعلاً.

وبعبارة أخرى يدل على تلبسه واتصافه بالاستعداد فقط لا بالحكمة نفسها مع أن الغرض من الكلام الوارد في مقام المدح إفادة اتصافه بها وكونها حاصلاً له بالفعل لا بالقوة، إذ كمال المدح إنما هو في ذلك.

(١) المحاسن: ١/٢٢٦ ح١٥١، والكافي: ٢/٥٣ ح١.

ويدلّ على ذلك أيضاً أي على الاتصاف بالفعل صريح قوله: **(وأخذها بجميع أدبها)** أي أخذ الحكمة على وجه الكمال وقام بآدابها **(من الإقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها)** يعني أنه لما علم أنه لا خصلة أعظم وأشرف وأرفع وأبهى من الحكمة وعرف أنه من يؤتها فقد أوتي خيراً كثيراً أقبل بالكلية عليها وقصر همته ونهمته فيها وعرف شرفها وقدرها ونفاستها وتفرغ لها وتخلى عن جميع العلائق الدنيوية التي تضادها وتنحى عن كل ما سواها.

(فهي عند نفسه ضالته التي طلبها وحاجته التي يسأل عنها) ذلك مثل قوله عليه السلام في أواخر الكتاب: الحكمة ضالة المؤمن.

فإن قلت: قوله يطلبها ويسأل عنها صريحان في عدم حصولها له فعلاً فينافي ما استظهرت آنفاً من كلامه عليه السلام السابق.

قلت: لا منافاة بينهما لأنه عليه السلام استعار لها لفظ الضالة وجملة: يطلبها، وصف للمستعار منه لا للمستعار له، إذ من شأن الضلالة أن تطلب فهي استعارة مرشحة لا استعارة مجرّدة، والجامع شدة الشوق وفرط الرغبة والمحبّة لا الطلب كما زعمه الشارح البحراني حيث قال استعار لها لفظ الضالة لمكان إنشاده لها وطلبه كما تطلب الضالة من الإبل، نعم قوله عليه السلام: يسأل عنها ظهوره فيما أفاده الشارح، لكن تأويله على وجه يوافق ما ذكرناه سهل فتأمل، هذا.

ولا يخفى عليك أن جعل الكلام من باب الاستعارة إنما هو جرياً على مذاق الشارح البحراني، وإلاّ فقد علمت في ديباجة الشرح أنه من باب التشبيه البليغ حيث ذكر المشبه والمشبه به وحذف الأداة فيكون الوصف بالطلب ترشيحاً للتشبيه لا للاستعارة.

(فهو مغترب) يعني هذا الشخص يخفي نفسه ويختار العزلة، وهو إشارة إلى غيبة القائم عليه السلام **(إذا اغترب الإسلام)** أي إذا ظهر الجور والفساد وصار الإسلام غريباً ضعيفاً بسبب اغتراب الصلاح والسداد كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ[(١)].

ثمّ شبّه الإسلام بالبعير البارك في قلّة النفع والضعف على سبيل الاستعارة بالكناية فأثبت له لوازم المشبه به وقال: **(وضرب بعسيب ذنبه)** لأن البعير إذا أعيى وتأذى ضرب بذنبه **(وألصق الأرض بجرانه)** أي مقدّم عنقه فلا يكون له تصرف ولا نهوض، وقلّ أن يكون له نفع حال بروكه، هذا.

ولما وصفه عليه السلام بلبسه لجنة الحكمة وإيثاره العزلة والغيبة عرّفه بأنه **(بقية من بقايا**

(١) ميزان الحكمة: ٢/١٣٤٤، وصحيح مسلم: ١/٩٠.

حجته) على عباده و **(خليفة من خلائف أنبيائه)** في بلاده، وهذان الوصفان يقويان الظن بكون نظره عليه السلام بما أورده في هذا الفصل إلى القائم المنتظر عليه السلام وآبائه الطاهرين عليهم السلام.

قال الشارح المعتزلي: فإن قلت: أليس لفظ الحجة والخليفة مشعراً بما يقوله الإمامية أي كون المراد بها الإمام القائم عليه السلام.

قلت: لا لأن أهل التصوف يسمون صاحبهم حجة وخليفة وكذلك الفلاسفة وأصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين في كل عصر لأنهم حجج الله أي إجماعهم حجة وقد استخلفهم الله في أرضه ليحكموا بحكمه.

أقول: فيه أولاً منع صحة إطلاق حجة الله وخليفته على غير الأنبياء والأوصياء إذ العصمة منحصرة فيهم فيختص الحجيّة والخلافة بهم لمكان العصمة التي فيهم، وأما غيرهم فليس بمعصوم بالاتفاق فلا يكون قوله وفعله حجة، وحجية إجماع العلماء أيضاً باعتبار دخول قول المعصوم في جملة أقوالهم لا من حيث إن كلاً من العلماء من حيث إنه عالم قوله حجة.

وثانياً على فرض التنزل والتسليم لصحة إطلاقه على غيرهم أن أمير المؤمنين عليه السلام ليس بمعتزلي المذهب ولا صوفي المذاق ولا فلسفي المسلك، فلا يحمل لفظ الحجة والخليفة في كلامه عليه السلام على اصطلاحاتهم وإنما يحمل على المعنى الغالب إرادته من هذه اللفظة في كلماتهم عليهم السلام، وغير خفي على المتتبع بأحاديثهم وكثير الإنس بأخبارهم أنهم كثيراً ما يطلقون لفظ الحجج ويريدون به الأئمة الاثنى عشر، وقد يطلقونه ويريدون به سائر المعصومين من الأنبياء والأوصياء ويطلقون لفظ الحجة أيضاً أحياناً بالقرائن على العقل والقرآن، ولم نر إلى الآن أن يطلق هذا اللفظ في كلامهم على العارف أو العالم غير المعصوم أو أحد الأبدال المصطلح في لسان الفلاسفة والمعتزلة والمتصوفة.

وعلى ذلك فحيث ما أطلق لفظ حجة الله في كلامهم خالياً عن القرائن فلا بد من حمله على المعنى الكثير الدوران في ألسنتهم وهو الإمام، لأن الظن يلحق الشيء بالأعم الأغلب.

ومن هذا كله ظهر ما في كلام الشارح البحراني أيضاً فإنه بعد ما جعل قوله عليه السلام: قد لبس للحكمة جنتها إشارة إلى العارف مطلقاً ونفي ظهور كونه إشارة إلى الإمام المنتظر عليه السلام قال في شرح هذا المقام: قوله: بقية من بقايا حججه، أي على خلقه إذ العلماء والعارفون حجج الله في الأرض على عباده، وظاهر كونه خليفة من خلفاء أنبيائه لقوله صلى الله عليه وآله: العلماء ورثة الأنبياء، انتهى.

ويرد عليه مضافاً إلى ما مر أن استدلاله على خلافة العلماء والعرفاء بقوله: العلماء

ورثة الأنبياء واستظهاره من ذلك كون المراد بالخليفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام هؤلاء لا وجه له.

أما أولاً: فلأن الدليل أخص من الدعوى لإفادته وراثة العلماء فقط دون العرفاء مع أن المدّعي أعمّ.

وثانياً إن قوله عليه السلام: العلماء ورثة الأنبياء لم يرد به الوراثة الحقيقية قطعاً وإنما هو من باب التشبيه والمجاز يعني أن علومهم انتقل إليهم كما أن أموال المورث ينتقل إلى الوارث فكانوا بمنزلة الورثة.

وعلى ذلك فأقول: إن وراثة العلماء للأنبياء وخلافتهم عنهم على سبيل المجاز والاستعارة، ووراثة الإمام المنتظر عليه السلام وخلافته على سبيل الحقيقة، فلا بد من حمل لفظ الخليفة في كلامه عليه السلام عليه لا على العامل، لأن اللفظ إذا دار بين أن يراد منه معناه الحقيقي ومعناه المجازي فالأصل الحقيقة كما برهن في علم الأصول.

(ثم) أخذ عليه السلام في نصح المخاطبين وموعظتهم وتذكيرهم وتوبيخهم و**(قال عليه السلام: أيها الناس إني قد بثثت)** أي نشرت وفرقت **(لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء أممهم)** وهي المواعظ الجاذبة لهم إلى الله ومعرفته وطاعته والقائدة إلى النهج القويم والصراط المستقيم **(وأديت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم)** أي من الأسرار الإلهية والتكاليف الشرعية.

قال الشارح المعتزلي: والأوصياء الذين يأتمنهم الأنبياء على الأسرار الإلهية وقد يمكن أن لا يكونوا خلفاء بمعنى الإمارة والولاية، فإن مرتبتهم أعلى من مراتب الخلفاء، انتهى[1].

أقول: غرض الشارح من هذا الكلام إصلاح مذهبه الفاسد، فإن كلامه عليه السلام لما كان ظاهراً في وصايته المساوقة للخلافة والولاية كما هو مذهب الشيعة الإماميّة أراد الشارح صرفه عن ظاهره وأوله بما يوافق مذهب الاعتزال.

ومحصل تأويله أن الوصاية عبارة عن الائتمان على الأسرار الإلهية وهو غير ملازم للخلافة والولاية، فلا يكون في الكلام دلالة على خلافته عليه السلام وكونه أولى بالتصرف، وإنما يدل على كونه وصياً مؤتمناً على الأسرار فقط.

وفيه أولاً: أن النبي صلى الله عليه وآله **إذا ائتمن الوصي على الأسرار والأحكام وعلمه إياها.**

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/١٠٠.

فإما أن يكون غرضه من ذلك أداء وصيّة تلك الأسرار والأحكام إلى أمته وإبلاغها إليهم.

أو يكون غرضه منه كونه فقط عالماً بها ومكلّفاً في نفسه على العمل بتلك الأحكام والقيام بوظائف هذه الأسرار من دون أن يكون ماذونا في الأداء إليهم.

وظاهر كلامه عليه السلام بل صريحه كون وصايته على الوجه الأول وإلا لما جاز أن يؤدي ما أوصى به إلى المكلفين فحيث أداه إليهم علم منه كونه ماذوناً في الأداء ومكلّفاً به، وحيث كان مكلّفاً به وجب عليهم إطاعته وإلا لكان الأداء عبثاً، ولا ريب أن الوصي بهذا المعنى أي المؤتمن على الأسرار والأحكام والمكلف على أدائها إلى الإمة والواجب على الأمة قبول قوله وطاعته ملازم بل مرادف للخليفة والأمير والولي.

نعم الوصاية على الوجه الثاني غير ملازم للخلافة والولاية إلا أنّه غير مراد في كلامه عليه السلام قطعاً لما ذكرنا.

وثانياً: أن ما ذكره من أن الوصي أعلى مرتبة من الخليفة أي الأمير والولي فغير مفهوم المراد.

لأنه إن أراد بالخلافة والإمارة والولاية المعنى الذي يقول به الشيعة ويصفون أئمتهم به أعني النيابة عن الرسول صلى الله عليه وآله والسلطنة الإلهية والأولوية بالتصرف فلا نسلّم أن الوصاية وهي الائتمان بالأسرار أعلى رتبة منها بل الأمر بالعكس، لأن الوصاية بالمعنى المذكور من شؤونات الولاية المطلقة، والأولياء مضافاً إلى كونهم مؤتمنين على الأسرار أولو الأمر والنهي وأولى بالتصرّف في أموال المؤمنين وأنفسهم.

وإن أراد بها المعنى اللغوي أعني الإمارة على السرايا مثلاً والولاية أي كونه والياً على قوم أو بلد ونحوه فكون رتبة الوصاية أعلى من ذلك مسلم وغني عن البيان لأن الاطلاع والائتمان على الأسرار الإلهية لا نسبة لهما قطعاً إلى إمارة جيش وولاية قوم إلا أن الإمامية حيث يطلقون هذه الألفاظ في مقام وصف الأئمة عليهم السلام لا يريدون بها تلك المعاني قطعاً، فلا داعي إلى ما تكلّفه الشارح ولا حاجة إليه فافهم جيداً، هذا.

وقد مضى في شرح الصل الخامس من المختار الثاني عند شرح قوله عليه السلام: ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة، ما له مزيد نفع في هذا المقام فليراجع ثمة.

وقوله (**وأدّبتكم بسوطي**) الظاهر أنه كناية عن تأديبه لهم بالأقوال الغير اللينة (**فلم تستقيموا**) على نهج الحق (**وحدوتكم بالزواجر**) أي بالنواهي والإبعادات (**فلم تستوسقوا**) أي لم تجتمعوا على التمكين والطاعة (**لله أنتم**) أي تعجباً منكم (**أتتوقعون إماماً غيري**) استفهام

على سبيل التقرير لغرض التقريع أو على سبيل التقرير لغرض التقريع أو على سبيل الإنكار والتوبيخ.

فإن قلت: إن الاستفهام الذي هو للإنكار التوبيخي يقتضي أن يكون ما بعده واقعاً مع أنهم لم يكونوا متوقعين لإمام غيره إذ قد علموا أنه لا إمام وراءه.

قلت: نعم إنهم كانوا عالمين بذلك إلا أنهم لما لم يقوموا بمقتضى علمهم ولم يمحضوا الطاعة له عليه السلام نزلهم منزلة الجاهل المتوقع لإمام آخر، فأنكر ذلك عليهم ولامهم عليه.

وقوله عليه السلام: **(يطأ بكم الطريق)** أي يذهب بكم في طريق النجاة **(ويرشدكم السبيل)** أي يهديكم إلى مستقيم الصراط **(إلا أنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً)** وهو الصلاح والرشاد الذي كان في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله أو في أيام خلافته عليه السلام فيكون إشارة إلى قرب ارتحاله من دار الفناء **(وأقبل منها ما كان مدبراً)** وهو الضلال والفساد الذي حصل باستيلاء معاوية على البلاد **(وأزمع الترحال)** أي عزم على الرحلة إلى دار القرار **(عباد الله الأخيار وباعوا)** أي استبدلوا **(قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى)**.

لا يخفى ما في هذه العبارة من اللطافة وحسن التعبير في التنفير عن الدنيا والترغيب إلى الأخرى، حيث وصف الأولى مع قلّتها بالفناء، ووصف الثانية مع كثرتها بالبقاء ومعلوم أن العقلاء لا يرضون الأولى بالثانية بدلاً.

وأكّد هذا المعنى بقوله **(ماضر إخواننا)** المؤمنين **(الذين سفكت دماؤهم بصفين ألا يكونوا اليوم أحياء)** مثل حياتنا **(يسيغون الغصص)** ويتجرّعون الهموم من توارد الآلام **(ويشربون الرنق)** أي الكدر من كثرة مشاهدة المنكرات.

ولما نفى تضرّرهم بعدم الحياة نبّه على ما حصل لهم من عظيم المنفعة بالممات فقال ولـ**(قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم)** بغير حساب **(وأحلهم في دار الأمن)** مفتحة لهم الأبواب **(بعد خوفهم)** من سوء المال وفتن أهل الضلال.

ثمّ استفهم توجّعاً وتحسّراً عن السلّف الصالحين وقال: **(أين إخواني الذين ركبوا الطريق)** أي جادة الشريعة **(ومضوا على الحق)** أي المعرفة والولاية.

ثم استفهم عن بعض من مضى بعينه وسمّاه بخصوصه لكونه من أعيان الصحابة وأكابرهم فقال: **(أين عمار)** وهو ابن ياسر المعروف وأبوه عربي قحطاني وأمه أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ولدت عماراً فأعتقه أبو حذيفة فمن هناك كان عمار مولى لبني مخزوم.

قال الشارح المعتزلي: وللحلف والولاء الذين بين بني مخزوم وبين عمّار وأبيه ياسر كان اجتماع بني مخزوم على عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق في بطنه زعموا وكسروا ضلعاً من أضلاعه، فاجتمعت بنو مخزوم فقالوا: والله لئن مات لأقتلن به أحداً غير عثمان(١).

قال أبو عمرو بن عبد البر: كان عمار بن ياسر ممن عذب في الله ثم أعطاهم ما أرادوا بلسانه مع اطمئنان قلبه فنزل فيه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وهذا مما أجمع عليه أهل التفسير وهاجر إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين وشهد بدراً والمشاهد كلها وأبلى بلاء حسناً ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضاً ويومئذ قطعت أذنه.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ إنه عمار بن ياسر ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ أبو جهل ابن هشام.

وروى أبو عمر وعن عائشة أنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يقول: أشار أن أقول فيه لقلت الأعمار بن ياسر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه ملىء إيماناً إلى أخمص قدميه.

قال أبو عمرو ومن حديث خالد بن الوليد أن رسول الله ﷺ قال: من أبغض عماراً أبغضه الله.

قال: ومن حديث علي بن أبي طالب عليه السلام: أن عماراً جاء يستأذن رسول الله ﷺ يوماً فعرف صوته فقال: مرحباً بالطيب المطيب، يعني عماراً(٢).

قال: ومن حديث أنس عن النبي ﷺ: اشتاقت الجنة إلى أربعة: علي عليه السلام وعمّار، وسلمان، وبلال(٣).

قال أبو عمر: وفضائل عمار كثيرة يطول ذكرها.

أقول: وقد مضى جملة من فضائله ومجاهداته بصفيّن وكيفية شهادته رضي الله عنه هنالك في تذييل المختار الخامس والستين وكان سنّه يوم قتل نيفاً وتسعين.

(وأين ابن التيهان) واسمه مالك واسم أبيه مالك أيضاً، وقال أبو نعيم: أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك واسم التيهان عمرو بن الحارث كان رضي الله عنه أحد النقباء ليلة العقبة وشهد

---

(١) الغدير: ٩/١٦ ح٢، وشرح نهج البلاغة: ١٠/١٠٢.
(٢) المسترشد: ٦٥٦، وشرح الأخبار: ١/٤١١.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٠/١٠٤.

بدراً والأكثر على أنه أدرك صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وقتل بها، وقيل: توفي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال أبو عمرو: وهذا القول لم يتابع عليه قائله، وقيل: توفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين.

(وأين ذو الشهادتين) وهو خزيمة بن ثابت الأنصاري يكنى أبا عمارة شهد بدراً وما بعدها من المشاهد وشهد صفين مع علي عليه السلام فلما قتل عمار بن ياسر قاتل عليه السلام حتى قتل حسبما عرفته في تذييل المختار الخامس والستين.

وإنما لقب بذو الشهادتين لما رواه الصدوق في الفقيه بسنده عن عبد الله بن أحمد الذهلي قال: حدثنا عمارة بن خزيمة بن ثابت أن عمه حدّثه وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أن النبي صلى الله عليه وآله ابتاع فرساً من أعرابي فأسرع النبي صلى الله عليه وآله المشي ليقضيه ثمن فرسه فأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس وهم لا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وآله ابتاعه. حتى زاد بعضهم الأعرابي في السّوم على الثمن فنادى الأعرابي فقال: إن كنت مبتاعاً لهذا الفرس فابتعه وإلا بعته، فقام النبي صلى الله عليه وآله حين سمع الأعرابي فقال: أو ليس قد ابتعته منك، فطفق الناس يلوذون بالنبي صلى الله عليه وآله وبالأعرابي وهما يتشاجران، فقال الأعرابي: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتك، ومن جاء من المسلمين قال للأعرابي إن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن ليقول إلا حقاً حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع لمراجعة النبي صلى الله عليه وآله والأعرابي فقال خزيمة: إني أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي صلى الله عليه وآله على خزيمة فقال: بم تشهد؟ قال: بتصديقك يا رسول الله فجعل النبي صلى الله عليه وآله شهادة خزيمة بن ثابت شهادتين وسماه ذو الشهادتين[(١)].

وروى هذه القصة في الكافي بنحو آخر عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن معاوية بن وهب قال: كان البلاط حيث يصلى على الجنائز سوقاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يسمى البطحاء يباع فيها الحليب والسمن والأقط وأن أعرابياً أتى بفرس له فأوثقه فاشتراه منه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم دخل ليأتيه بالثمن فقام ناس من المنافقين فقالوا: بكم بعت فرسك؟ قال: بكذا وكذا، قالوا: بئس ما بعت، فرسك خير من ذلك وأن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إليه بالثمن وافياً طيباً، قال الأعرابي: ما بعتك والله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سبحان الله بلى والله لقد بعتني، وارتفعت الأصوات فقال الناس: رسول الله صلى الله عليه وآله يقاول الأعرابي، فاجتمع ناس كثير فقال أبو عبد الله: ومع النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل خزيمة بن ثابت الأنصاري ففرج الناس بيده حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أشهد يا رسول الله لقد اشتريته منه، فقال الأعرابي: أتشهد ولم تحضرنا، وقال له النبي صلى الله عليه وآله: أشهدتنا؟ فقال له: لا يا رسول الله ولكني علمت أنك قد

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٠٩، ووسائل الشيعة: ٢٧/ ٢٧٦.

اشتريت أفأُصدقك بما جئت به من عند الله ولا أصدقك على هذا الأعرابي الخبيث؟! قال: فعجب له رسول الله ﷺ فقال له: يا خزيمة شهادتك شهادة رجلين[١].

(وأين نظراؤهم) وأشباههم **(من إخوانهم الذين تعاقدوا)** وتعاهدوا **(على المنية)** وجدّوا في المقاتلة حتى قتلوا بصفين كابن بديل وهاشم بن عتبة وغيرهما ممن تقدم ذكره في تذييل المختار الخامس والستين **(وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة)** أي أرسلت رؤوسهم مع البريد للبشارة بها إلى الفسقة الطغام من أمراء الشام.

(قال) الراوي **(ثم ضرب** عليه السلام يده إلى لحيته فأطال البكاء) من تقلب الزمان وفقد الإخوان وتراكم الهموم والأحزان **(ثم قال)** توجعاً وتحسراً:

(أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه) أي أحسنوا تلاوته ومبانيه وفهموا مقاصده، ومعانيه وعملوا بمقتضاه ومؤداه **(وتدبروا الفرض فأقاموه)** أي تفكروا في علل الواجبات وأسرار العبادات فواظبوا عليها وقاموا بوظائفها تحصيلاً للغرض الأقصى منها وهو الزلفى إلى الله والقربى إلى رضوان الله الذي هو أشرف اللّذات وأعلى الدرجات و**(أحيوا السنة)**.

يحتمل أن يكون المراد بها المستحبات فيكون ذكرها بعد القرآن والفرض نظير ما روى عن النبي ﷺ إنما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل.

أي العلم النافع آية محكمة أي واضحة الدلالة أو غير منسوخة فإن المتشابه والمنسوخ لا ينتفع بهما غالباً، وفريضة عادلة أي الواجبات المصونة من الإفراط والتفريط، وسنة قائمة أي المندوبات الباقية غير المنسوخة، وعلى هذا الاحتمال فالمراد بإحياء السنة الإتيان بها والمراقبة عليها.

إلا أن الأظهر بقرينة المقابلة بينه وبين قوله: **(وأماتوا البدعة)** أن يراد بالسنّة مقابل البدعة، يعني السنّة التي سنّها رسول الله ﷺ والشريعة التي شرعها.

روى في البحار من معاني الأخبار مرفوعاً قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن السنّة والبدعة وعن الجماعة وعن الفرقة، فقال أمير المؤمنين: السنّة ما سنّ رسول الله ﷺ، والبدعة ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً.

---

(١) الكافي: ٧/٤٠١ ح١، ومجمع البحرين: ١/٦٤٣.

وعلى هذا فالمراد بإحياء السنّة أخذ أحكام الشرع والعمل عليها.

روى في البحار من المحاسن عن أبي جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تمسك بسنّتي في اختلاف أمتي كان له أجر مائة شهيد(١).

والمراد بإماتة البدعة إبطالها وتركها والإعراض عنها وعن أهلها.

روى في البحار من تفسير علي بن إبراهيم قال في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [يونس: ٢٧] هؤلاء أهل البدع والشبهات والشهوات يسوّد الله وجوههم ثم يلقونه(٢).

وفيه من ثواب الأعمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام(٣).

(دعوا للجهاد فأجابوا) ونهضوا إليه **(ووثقوا)** أي اطمأنوا واتكلوا **(بالقائد)** أراد به نفسه الشريف لكونه قائداً لهم إلى سبيل الحق **(فاتبعوه)**.

(ثم) إنه عليه السلام لما رغّب المخاطبين ورهب ووعظ وذكر وبشر وأنذر وتوجع من مفارقة أصحابه وتحسر تخلص إلى أصل غرضه.

و**(نادى بأعلا صوته: الجهاد الجهاد عباد الله)** أي أسرعوا إليه وأنهضوا به **(أو وإنّي معسكر في يومي هذا)** أي جامع للعساكر في المعسكر **(فمن أراد الرواح إلى الله)** أي الذهاب إلى الفوز برضوانه أو إلى لقائه تعالى بالشهادة **(فليخرج)**.

(قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام) راية **(في عشرة آلاف ولقيس بن سعد)** ابن عبادة **(في عشرة آلاف)** وكان سعد أبو قيس رئيس الخزرج ولم يبايع أبا بكر ومات على عدم البيعة والمشهور أنهم قتلوه لذلك وأحالوا قتله على الجن وافتروا شعراً من لسان الجن كما مر في المقدمة الثالثة من مقدمات الخطبة الثالثة وفي التنبيه الأول من شرح المختار السابع والستين.

وقال الشارح المعتزلي: سعد هو الذي حاول إقامته في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبايع أبا بكر حين بويع وخرج إلى حوران فمات بها، قيل قتلته الجن لأنه بال قائماً في

(١) وسائل الشيعة: ١٦/ ١٧٥ ح٢١٢٧٧، وبحار الأنوار: ٢/ ٢٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢/٢٩٨ ح٢٠، والتفسير الصافي: ٢/ ٤٠٠ ح٢٧.

(٣) المحاسن: ١/ ٢٠٨ ح٧٣، ووسائل الشيعة: ١٦/ ٢٦٨.

الصحراء ليلاً ورووا بيتي شعر قيل إنهما سمعا ليلة قتله ولم ير قائلهما:

نحن قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم يخط فؤاده

ويقول قوم: إن أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلاً وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعته، وقد قال بعض المتأخرين:

يقولون سعد شكت الجن قلبه ألا ربما صحّحت ذنبك بالعذر

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ولكن سعداً لم يبايع أبا بكر

وقد صبرت من لذة العيش أنفس وما صبرت عن لذة النهي والأمر

وكان قيس من صحابة رسول الله ﷺ وكبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان طوالاً جواداً شجاعاً شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام حروبه كلها، وكان مخلصاً في اعتقاده ثابت الرأي في التشيع والمحبة(١).

وقد مر في التنبيه الثاني من شرح المختار السابع والستين ما يفصح عن جلالة شأنه ورفعة مقامه وأحببت أن أورد هنا رواية مفيدة لخلوص عقيدته على وجه الكمال مع تضمنها لإعجاز غريب لأمير المؤمنين عليه السلام.

فأقول: روى في البحار من كتاب إرشاد القلوب عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس قالا: كنا جلوساً عند أبي بكر في ولايته وقد أضحى النهار وإذاً بخالد بن الوليد المخزومي قد وافى في جيش قام غباره وكثر صهيل أهل خيله، وإذا بقطب رحى ملوى في عنقه قد قتل قتلاً فأقبل حتى نزل عن جواده ودخل المسجد ووقف بين يدي أبي بكر فرمقه الناس بأعينهم فهالهم منظره.

ثم قال: اعدل يا ابن أبي قحافة حيث جعلك الناس في هذا الموضع الذي ليس له أنت بأهل، وما ارتفعت إلى هذا المكان إلا كما يرتفع الطافي من السمك على الماء، وإنما يطفو ويعلو حين لا حراك به، مالك وسياسة الجيوش وتقديم العساكر وأنت بحيث أنت من دناءة الحسب ومنقوص النسب وضعف القوى وقلة التحصيل لا تحمى ذماراً ولا تضرم ناراً فلا جزي الله أخا ثقيف وولد صهاك خيراً.

إني رجعت متكفأ من الطائف إلى جدة في طلب المرتدين فرأيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه عتاة من الدين حماليق شزرت أعينهم من حسدك وبدرت حنقاً عليك

---

(١) الكافي: ٢/٧٣، وهذا لا يحضره الفقيه: ٤/٤٩٧.

وقرحت آماقهم لمكانك، منهم ابن ياسر والمقداد وابن جنادة أخو غفار وابن العوام وغلامان أعرف أحدهما بوجهه، وغلام أسمر لعله من ولد عقيل أخيه.

فتبين لي المنكر في وجوههم والحسد في احمرار أعينهم، وقد توشح علي بدرع رسول الله ﷺ ولبس رداءه السحاب ولقد أسرج له دابته العقاب، ولقد نزل عليّ على عين ماء اسمها روية، فلما رآني اشمأزّ وبربر وأطرق موحشاً يقبض على لحيته.

فبادرته بالسلام استكفاء واتقاء ووحشة، فاستغنمت سعة المناخ وسهولة المنزل فنزلت ومن معي بحيث نزلوا اتقاءً عن مراوغته، فبدأني ابن ياسر بقبيح لفظه ومحض عداوته فقرعني هزؤاً بما تقدمت به إلي بسوء رأيك.

فالتفت إليّ أصلع الرأس وقد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد أو كقعقعة الرعد فقال لي بغضب منه: أو كنت فاعلاً يا أبا سليمان؟

فقلت له: أي والله لو أقام على رأيه لضربت الذي فيه عيناك، فأغضبه قولي إذ صدقته وأخرجه إلى طبعه الذي أعرفه به عند الغضب.

فقال: يا ابن اللخناء مثلك من يقدر على مثلي أو يجسر أو يدير اسمي في لهواته التي لا عهد لها بكلمة حكمة، ويلك إني لست من قتلاك ولا من قتلى صاحبك وإني لأعرف بمنيتي منك بنفسك.

ثم ضرب بيده إلى ترقوتي فنكسني عن فرسي وجعل يسوقني دعا إلى رحى للحارث بن كلدة الثقفي، فعمد إلى القطب الغليظ فمدّ بكلتا يديه وأداره في عنقي ينفتل له كالعلك المسخن.

وأصحابي هؤلاء وقوف، ما أغنوا عني سطوته ولا كفوا عني شرته فلا جزاهم الله عني خيراً، فإنهم لما نظروا إليه كأنما نظروا إلى ملك موتهم، فوالذي رفع السماء بلا عمد لقد اجتمع على فك هذا القطب مائة[1] رجل أو يزيدون من أشد العرب فما قدروا على فكه فدلني عجز الناس عن فكه أنه سحر منه أو قوة ملك قد ركبت فيه، ففكه الآن عني إن كنت فاكه، وخذ لي بحقي إن كنت آخذه، وإلا لحقت بدار عزي ومستقر مكرمتي، قد ألبسني ابن أبي طالب من العار ما صرت به ضحكة لأهل الديار.

فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما ترى إلى ما يخرج من هذا الرجل كأن ولايتي ثقل على كاهله أو شجى في صدره.

---

(١) «ألف» في نسخة.

فالتفت إليه عمر فقال: فيه دعابة لا تدعه حتّى تورده فلا تصدره وحسد قد استحكما في خلده فجريا منه مجرى الدّماء لا يدعانه حتى يهنا منزلته ويورطاه ورطة الهلكة.

ثمّ قال أبو بكر لمن بحضرته: ادعوا لي قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، فليس لفك هذا القطب غيره.

قال: وكان قيس سيّاف النبي ﷺ وكان رجلاً طويلاً طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار وكان أشد الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

فحضر قيس فقال له: يا قيس إنك من شدة البدن بحيث أنت ففك هذا القطب من عنق أخيك خالد.

فقال قيس: ولم لا يفكه خالد عن عنقه؟

قال: لا يقدر عليه.

قال: فما لا يقدر عليه أبو سليمان وهو نجم عسكركم وسيفكم على أعدائكما كيف أقدر عليه أنا.

قال عمر: دعنا من هزئك وهزلك وخذ فيما حضرت له.

فقال: لمسألة تسألونها طوعاً أو كرهاً تجبروني عليه.

فقال له: إن كان طوعاً وإلا فكرهاً.

قال قيس: يا ابن صهّاك خذل الله من يكرهه مثلك إن بطنك لعظيمة وإن كرشك لكبيرة، فلو فعلت أنت ذلك ما كان منك.

فخجل عمر من قيس بن سعد فجعل ينكت أسنانه بأنامله.

فقال أبو بكر: وما بذلك منه، اقصد لما سئلت.

فقال قيس: والله لو أقدر على ذلك لما فعلت، فدونكم وحدادي المدينة فإنهم أقدر على ذلك منّي، فأتوا بجماعة من الحدّادين فقالوا: لا ينفتح حتى نحميه بالنّار.

فالتفت أبو بكر إلى قيس مغضباً، فقال: والله ما بك من ضعف من فكه ولكنّك لا تفعل فعلاً يعيبك فيه إمامك وحبيبك أبو الحسن، وليس هذا بأعجب من أن أباك رام الخلافة ليبتغي الاسم عوجاً فحد الله شوكته وأذهب نخوته وأعز الإسلام لوليّه وأقام دينه بأهل طاعته، وأنت الآن في حال كيد وشقاق.

قال: فاستشاط قيس بن سعد غضباً وامتلأ غيظاً، فقال: يا ابن أبي قحافة إن لك جواباً حمياً بلسان طلق وقلب جري، لولا البيعة التي لك في عنقي وسمعته مني والله لإن بايعتك يدي لم يبايعك قلبي ولا لساني ولا حجة لي في عليّ بعد يوم الغدير ولا كانت بيعتي لك إلاّ كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، أقول قولي هذا غير هائب منك، ولا خائف من معرتك، ولو سمعت هذا القول منك بداية لما فتح لك مني صالحاً.

إن كان أبي رام الخلافة فحقيق أن يرومها بعد من ذكرته، لأنه رجل لا يقعقع بالشنآن ولا يغمز جانبه كغمز التينة ضخم صنديد وسمك منيف وعز بازخ أشوس، بخلافك أيّها النعجة العرجاء والديك النافش لا عن صميم ولا حسب كريم وايم الله لأن عاودتني في أبي لألجمنّك بلجام من القول يمج فوك منه دماً، دعنا نخوض في عمايتك ونتردى في غوايتك على معرفة منا بترك الحق واتباع الباطل.

وأما قولك أن علياً إمامي ما أنكر إمامته ولا أعدل عن ولايته وكيف أنقض وقد أعطيت الله عهداً بإمامته وولايته يسألني عنه فأنا إن ألقى الله بنقض بيعتك أحب إليّ من أن أنقض عهده وعهد رسوله وعهد وصيّه وخليله.

وما أنت إلا أمير قومك إن شاؤوا تركوك وأن شاؤوا عزلوك، فتب إلى الله مما اجترمته وتنصل إليه مما ارتكبته، سلم الأمر إلى من هو أولى منك بنفسك، فقد ركبت عظيماً بولايتك دونه وجلوسك في موضعه وتسميتك باسمه، وكأنك بالقليل من دنياك وقد انقشع عنك كما ينقشع السحاب وتعلم أي الفريقين شرّ مكاناً وأضعف جنداً.

وأمّا تعييرك إيّاي بأنه مولاي هو والله مولاي ومولاك ومولى المؤمنين أجمعين آه آه أنى لي بثبات قدم أو تمكن وطأ حتى ألفظك لفظ المنجنيق الحجرة ولعل ذلك يكون قريباً وتكتفي بالعيان عن الخبر.

ثمّ قام ونفض ثوبه ومضى، وندم أبو بكر عما أسرع إليه من القول إلى قيس، الحديث(١).

قال نوف: (و) عقد (لأبي أيّوب الأنصاري) أيضاً (في عشرة آلاف) وأبو أيوب هو خالد بن زيد بن كعب الخزرجي من بنيى النجار شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة وشهد مع أمير المؤمنين مشاهده كلها وكان على مقدمته يوم النهروان.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩/١٦٨، والأنوار العلوية: ١٥٠.

(و) عقد **(لغيرهم على أعداد آخر وهو** عليه السلام يريد الرّجعة إلى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون) أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة صالح **(ابن ملجم)** المرادي **(لعنه الله)** حسبما عرفت تفصيل ضربته في شرح المختار التاسع والستين.

(فتراجعت العساكر) من المعسكر إلى الكوفة قال الرّاوي **(فكنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان)** كما قال الفرزدق:

فلا غرو للأشراف إن ظفرت لها ذئاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وقتل علي من حسام مصمم

والمراد من اختطاف الذئاب إما النهب والقتل والإذلال أو الإغواء والإضلال قال الشارح المعتزلي: يقال: إن هذه الخطبة آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام قائماً.

الترجمة

فصل سیّم از این خطبه اشارت است به صفات امام زمان (عليه السلام)، می فرماید که:

به تحقیق که پوشیده است آن بزرگوار از برای حفظ حکمت سپر و زره آن را و اخذ کرده حکمت را با جمیع آداب های آن که عبارتند از اقبال کردن بر آن و شناختن قدر و منزلت آن و فارغ شدن از برای آن، پس آن حکمت در پیش آن حضرت به منزله گم شده او است که طلب می نماید آن را و حاجت او است که سؤال می کند از آن، پس آن حضرت اختیار غربت و غیبت کننده است زمانی که غریب شود اسلام و بزند اطراف دم خود را و بچسباند به زمین سینه خود را، آن حضرت بقیّه ای است از باقی ماندگان حجّت خدا و خلیفه ای است از خلیفه های پیغمبران حق تعالی.

پس فرمود آن حضرت: ای مردمان، به درستی که من منتشر کردم از برای شما موعظه هایی که موعظه فرمودند با آن ها پیغمبران امت های خودشان را و رساندم به سوی شما چیزی را که رساندند وصی های پیغمبران به کسانی که بودند بعد از ایشان وادب دادم به شما با تازیانه خودم، پس مستقیم نشدید و راندم شما را به دلایل مانعه از راه ناصواب، پس منتظم نگشتید، تعجّب می کنم از شما، آیا توقع می کنید امامی را غیر از من که ببرد شما را به جادّه حق و ارشاد نماید شما را به راه راست.

آگاه باشید، به درستی که ادبار کرده است از دنیا چیزی که اقبال نموده بود و اقبال کرده است از آن چیزی که ادبار کرده بود و عزم به رحلت کردند بندگان پسندیده خدا و عوض کردند قلیل از دنیا را که باقی نخواهد ماند به کثیر از آخرت که فانی نخواهد شد، ضرر نرساند برادران ما را که ریخته شد خون های ایشان در جنگ صفین این که نشدند امروز زنده که گوارا کنند غصه ها را و بیاشامند آب کدورت آمیز اندوه را. به تحقیق قسم به ذات حق که ملاقات کردند پروردگار را، پس به تمام و کمال رسانید به ایشان اجرهای ایشان را و فرود آورد ایشان را در سرای امن و امان بعد از خوف و هراس ایشان.

کجایند برادران من که سوار شدند بر راه صدق و گذشتند بر طریق حق؟ کجا است عمار یاسر؟ کجا است ابی الهیثم بن التیهان؟ کجا است خزیمة بن ثابت ذوالشهادتین؟ و کجایند امثال ایشان از برادران مؤمنین ایشان که عهد بسته بودند با همدیگر بر مردن در راه دین و فرستاده شد سرهای ایشان با قاصد به سوی فاجران؟ پس از آن، زد آن حضرت دست خود را به محاسن شریف خود، پس بسیار گریست، بعد از آن فرمود:

آه بر برادران من که تلاوت کردند قرآن را، پس محکم ساختند آن را و تفکر کردند در واجبات، پس برپا داشتند آن را و زنده کردند سنّت پیغمبر را و کشتند بدعت را، خوانده شدند از برای جهاد، پس اجابت کردند و اعتماد نمودند به پیشوا، پس متابعت کردند او را.

بعد از آن ندا فرمود آن حضرت به آواز بلند و فرمود: بشتابید به سوی جهاد و قتال ای بندگان خدا، آگاه باشید که اردو درست کننده ام در همین روز، پس هرکه اراده کند توجّه نمودن به سوی پروردگار خود، پس باید که خارج بشود به اردوگاه.

گفت نوف بکالی: و عقد فرمود حضرت امیرمؤمنان از برای پسر خود امام حسین (عليه السلام) در ده هزار نفر و معین فرمود از برای قیس بن سعد بن عبادة در ده هزار و از برای ابوایوب انصاری در ده هزار و از برای سایرین بر شمارهای دیگر و اراده داشت که برگردد به سوی صفین، پس برنگردید روز جمعه همان هفته تا آن که ضربت زد آن بزرگوار را ملعون ابن ملجم مرادی، خدا لعنت کند او را، پس برگشتند لشگریان، پس شدیم ما به منزله گوسفندانی که گم کرده باشند شبان خود را، درحالتی که بربایند آن ها را گرگان از هر مکان.

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والثانية والثمانون من المختار في باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غيرِ رُؤْيَةٍ، الْخالِقِ مِنْ غَيرِ مَنْصَبةٍ، خَلَقَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّته، وَسادَ الْعُظَماءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ الَّذي أَسْكَنَ الدُّنْيا خَلْقَهُ، وبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطائِها، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرّائِها، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثالَها، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَها، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصاحِّها وأَسْقامِها، وحَلالِها وحَرامِها، وَمَا أَعَدَّ سُبْحَانَهُ لِلْمُطيعينَ مِنْهُمْ وَالْعُصاةِ مِنْ جَنَّةٍ ونارٍ، وكَرامَةٍ وهَوانٍ، أَحْمَدُهُ إِلىٰ نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلىٰ خَلْقِهِ، جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتاباً.

منها: في ذكر الْقرآن: فَالْقُرآنُ آمِرٌ زاجِرٌ، وَصامِتٌ ناطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِه، أَخذَ عَلَيْهِمْ ميثاقَهُ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْرَمَ بِهِ دينَهُ، وقَبَض نَبِيَّهُ ﷺ وَقَدْ فَرَغَ إِلى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكامِ الْهُدَىٰ بِهِ، فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحانَهُ ما عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دينه، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلاَّ وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بادِياً، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضاهُ فِيما بَقِيَ واحِدٌ، وسَخَطُهُ فِيما بَقِيَ واحِدٌ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَ عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَىٰ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّما تَسيرُونَ في أَثَرٍ بَيِّنٍ، وتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قالَهُ الرِّجالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفاكُمْ مَؤُنَةَ دُنْياكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَىٰ الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وأَوصاكُمْ بِالتَّقْوَىٰ وجَعَلَها مُنْتَهَىٰ رِضاهُ، وحاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي أَنْتُمْ بِعَيْنِه، ونَواصِيكُمْ بِيَدِه، وتَقَلُّبُكُمْ في قَبْضَتِه، إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِراماً، لا يُسقِطُونَ حَقًّا، وَلاَ يُثْبِتُونَ باطِلاً.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَةَ الْكَرامَةِ عِنْدَهُ في دارٍ اصْطَنَعَها لِنَفْسِه، ظِلُّها عَرْشُهُ، وَنُورُها بَهْجَتُهُ، وَزُوّارُها مَلائِكَتُهُ، وَرُفَقاءُها رُسُلُهُ، فَبادِرُوا الْمَعادَ، وسابِقُوا الآجالَ، فَإِنَّ الناسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ، ويَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ في مِثْلِ ما سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وأَنْتُمْ بَنُو سَبيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دارٍ لَيْسَتْ بِدارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بالارْتِحالِ، وأُمِرْتُمْ فِيها بِالزّادِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَىٰ النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوها في مَصائِبِ الدُّنْيَا أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصيبُهُ، وَالْعَثْرَةَ تُدْميه، والرَّمْضاءِ تُحْرِقُهُ، فَكَيْفَ إِذا كانَ بَيْنَ طابَقَيْنِ مِنْ نارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وقَرِينَ شَيْطانٍ، أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مالِكاً إِذا غَضِبَ عَلَىٰ النّارِ حَطَمَ بَعْضُها بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَإِذا زَجَرَها تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوابِها جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ، أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ الَّذي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطواقُ النّارِ بِعِظامِ الْأَعْناقِ، وَنَشَبَتِ الْجَوامِعُ حَتّىٰ أَكَلَتْ لُحُومَ السَّواعِدِ.

فَاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَرَ الْعِبادِ وَأَنْتُمْ سالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْم، وَفِي الْفُسْحَة قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا في فِكاكِ رِقابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهائِنُها، أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدامَكُمْ وَأَنْفِقُوا أَمْوالَكُمْ، وخُذُوا مِنْ أَجْسادِكُمْ ما تَجُودُوا بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ـ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ ـ وقال: ـ مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ـ فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكم مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمٰواتِ والْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزائِنُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّما أَرادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، فَبادِرُوا بِأَعْمالِكُمْ، تَكُونُوا مَعَ جِيرانِ اللَّهِ في دارِهِ، رافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وأَزارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ، وأَكْرَمَ أَسْماعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نارٍ أَبَداً، وصانَ أَجْسادَهُمْ أَنْ تَلْقَىٰ لُغُوباً ونَصَباً ـ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ـ أَقُولُ ما تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلَىٰ نَفْسي وأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنا ونِعْمَ الْوَكِيلُ[1].

اللغة

(**نصب**) نصباً من باب تعب أعيا وعيش ناصب وذو منصبة فيه كدّ وجهد ونصبه الهمّ أتعبه و(**هجمت**) عليه هجوماً من باب قعد دخلت على غفلة منه، وهجمت على القوم جعلت يهجم عليهم يتعدّى ولا يتعدى و(**المصاح**) جمع مصحة مفعلة من الصحّة كمضار جمع مضرّة، والصّوم مصحة بفتح الصاد وكسرها أي فيه صحة أو يصحّ به و(**سخط**) سخطاً من باب تعب غضب.

و(**رجع قول**) قال الشارح البحراني: أي المردد منه، ولعلّه وهم لأن الترديد معنى الترجيع مصدر باب التفعيل ومنه ترجيع الموت وهو تحريكه، وترجيع الأذان وهو تكرير فصوله، وفي القاموس الرجيع من الكلام المردد وإلى صاحبه والروث وكل مردود ولم يذكر

(١) ميزان الحكمة: ٤/٣٣٣٤، وشرح نهج البلاغة: ١٠/١٢٣.

في معاني رجع الترديد، فالظاهر أنه بمعنى النفع من قولهم ليس له منه رجع أي نفع وفائدة قال في القاموس: الرجع النفع ورجع كلامي فيه أفاد.

و(**يوشك**) أن يكون كذا بكسر الشين من أفعال المقاربة مضارع أو شك يفيد الدنو من الشيء، وقال الفارابي: الإيشاك الإسراع، وقال النحاة: استعمال المضارع أكثر من الماضي واستعمال اسم الفاعل قليل وقد استعملوا ماضياً ثلاثياً فقالوا: وشك مثل قرب وشكا، وفي القاموس وشك الأمر ككرم سرع كوشك وأوشك أسرع السير كواشك ويوشك الأمر أن يكون وأن يكون الأمر ولا تفتح شينه أو لغة رديئة.

و(**رهقت**) الشيء رهقاً من باب تعب قربت منه، قال أبو زيد: طلبت الشيء حتى رهقته وكدت آخذه أو أخذته، وقال: رهقته أدركته ورهقه الدّين غشيه و(**الطابق**) وزان هاجر وصاحب ورويا معاً الآجر الكبير، وظرف يطبخ فيه معرب تابه والجمع طوابيق و(**اليفن**) محركة الشيخ الكبير و(**لغب**) لغباً من باب قتل وتعب لغوباً أعيا وتعب.

الإعراب

(**الباء**) في قوله عليه السلام: بمعتبر، للمصاحبة أو التعدية، و(**من**) في قوله: من تصرف بيانية، و(**حلالها**) بالجر عطف على تصرف أو على إسقامها، وقوله: (**وما أعد الله**)، إما عطف على معتبر أو على عيوبها، و(**إلى**) في قوله: أحمده إلى نفسه، لانتهاء الغاية كما في نحو الأمر إليك أي منته إليك قال ابن هشام: ويقولون أحمد إليك الله، أي أنهى حمده إليك آه، وفي قوله: (**كما استحمده إلى خلقه**)، لانتهاء الغاية أيضاً أو بمعنى من كما في قول الشاعر:

تقول وقد عاليت بالكور فوقها أيسقى فلا يروي إلى ابن احمرا

أي مني، و(**من**) في قوله: فعظموا منه زائدة أي عظموه، و(**ما**) في قوله: ما عظم مصدرية، وحاجته بالنصب عطف على منتهى.

وقوله: (**من ألسنتكم الذكر**)، قال الشارح المعتزلي: (**من**) متعلّقة بمحذوف دل عليه المصدر المتأخر، تقديره: وافترض عليكم الذكر من ألسنتكم.

أقول: وكأنّه نظر إلى أن المصدر في تقدير أن والفعل، وأن موصول حرفي لا يتقدم معموله عليه فلا يجوز تعلّقه بنفس المصدر المذكور إلاّ أنه يتوجه عليه أن الظرف والجار والمجرور يتسع فيه ما لا يتسع في غيره كما صرح به المحققون من علماء الأدبية، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ فيصحّ فيهما تعلقهما بالمصدر المذكور ولا حاجة إلى التقدير.

وقوله: **(ضجيج حجر)** حال من اسم كان، وعلى القول بأن كان الناقصة وأخواتها لا تعمل في الحال كما نسب إلى المحققين من علماء الأدبية فلا بد من جعل كان تامة بمعنى وجد، وعلى ذلك فيكون قوله: بين طابقين ظرفاً لغواً متعلّقاً بكان.

وقوله: **(فالله الله)**، نصب على الإغراء أي اتقوا الله، وهذا الفعل المحذوف هو متعلّق قوله في الصحة أي اتقوه سبحانه في حال الصحّة، وقوله: **(قبل السقم)** إما بدل من قوله في الصحة أو حال مؤكدة من الصحة، وقوله: **(خذوا من أجسادكم)**، حرف من نشوية، وجملة: **(وافق بهم رسله)** استئناف بياني فكأنه سئل عن ثمرة الكون مع جيران الله فأجاب بأن ثمرته مرافقة الرسل وزيارة الملائكة وغيرهما.

وقوله: و**(نعم الوكيل)**، عطف إما على جملة هو حسبنا، فيكون المخصوص محذوفاً، وإما على حسبنا أي هو نعم الوكيل، فيكون المخصوص هو الضمير المتقدم وعلى التقديرين وهو من عطف الإنشاء على الأخبار ولا بأس به كما صرّح به ابن هشام وغيره.

المعنى

إعلم أن هذه الخطبة الشريفة مسوقة للثناء على الله سبحانه ووصف الكتاب العزيز وموعظة المخاطبين ووعدهم بالجنّة ووعيدهم من النار وافتتحها بما هو أحق بالافتتاح.

فقال: **(الحمد لله)** أي الثناء والذكر الجميل حق له سبحانه ومختص به لاختصاص أوصاف الجمال ونعوت الكمال بذاته وأشار إلى جملة من تلك الصّفات فقال: **(المعروف من غير رؤية)** أي معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، مشهود بما أبدعه من عجائب القدرة وشواهد العظمة في الأرضين والسماوات، وليست معروفيته كمعروفية الأجسام والجسمانيات، وذوي الكيفيات والهيئات بأن يعرف برؤية العيون بمشاهدة العيان لكونه تعالى شأنه منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان، وغيرها من لواحق الإمكان، وإنما تعرفه القلوب بحقائق الإيمان على ما عرفت ذلك كله تفصيلاً وتحقيقاً في شرح المختار التاسع والأربعين والمختار المائة والثامن والسبعين.

و**(الخالق من غير منصبة)** يعني أنه خالق للمخلوقات بلا آلات وأدوات فلا يلحقه ضعف وتعب وإعياء ونصب.

وإنما **(خلق الخلائق بـ)** نفس **(قدرته)** الباهرة ومشيته القاهرة المضمرة بين الكاف والنون، فأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون **(واستبعد الأرباب بعزته)** أي طلب العبودية من السادات والملوك بقهره وغلبته **(وساد العظماء بجوده)** إذ كل عظيم فهو بمقتضى إمكانه داخر عند وجوده مفتقر إلى إفاضته وجوده.

(وهو الذي أسكن الدنيا خلقه) وبث فيها من كل دابه **(وبعث إلى الجنّ والإنس رسله)** بمقتضى اللّطف والحكمة وواتر إليهم أنبياءه **(ليكشفوا لهم عن غطائها)** ويرفعوا عنها سترها وحجابها ويسفروا عن وجهها نقابها **(وليحذروهم)** منها و**(من ضرائها)** وليرغبوهم في الآخرة وفي سرائها **(وليضربوا لهم أمثالها)**.

لأن أكثر الأفهام لما كانت قاصرة عن إدراك ماهيات الأشياء إلا في مواد محسوسة جرت عادة الله سبحانه وعادة رسله وأنبيائه في تبليغ الأحكام وبيان التكاليف والكشف عن ماهيات الأشياء على ضرب الأمثال تقريباً للأفهام حسبما عرفت توضيح ذلك في شرح الفصل الثالث من المختار المائة والاثنين والسبعين.

ولما كان عمدة الغرض من بعث الرسل والأنبياء هو جذب الناس إلى طرف الحق، وكان حصول ذلك الغرض موقوفاً على التنفير عن الدنيا والترغيب إلى الأخرى لا جرم أكثروا لها من الأمثال المنفرة، فشبهوها في وقاحتها وقباحتها بالعجوز الهتماء[1] الشمطاء، وفي سرعة الفناء والانقضاء بالظل الزائل والضوء الآفل، وفي حسن صورتها وقبيح باطنها بالحية اللّين مسّها والقاتل سمّها إلى غير هذه من الأمثال المضروبة لها في الكتاب العزيز والأخبار وكلمات الأنبياء والأولياء الأخيار، وقد مضت جملة من تلك الأمثال في شرح الفصل الثاني من المختار الثاني والثمانين.

(وليبصّروهم عيوبها) حتّى يشاهدوا معايبها ويروا معاطبها ويعلموا أنّها وإن كانت يونق منظرها إلاّ أنها يوبق مخبرها مع تضمنها لقرب الزوال وأزف الانتقال وعلز القلق وألم المضض وغصص الجرض.

(وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها وإسقامها) أي ليدخلوا عليهم على حين غفلة منهم بما يوجب عبرتهم من تقلباتها وتصرفاتها على أهلها بالصحّة والسقم واللّذة والألم، فعن قليل ترى المرحوم مغبوطاً، والمغبوط مرحوماً وترى أهلها يمسون ويصبحون على أحوال شتى، فصحيح مشغوف بها مشغول بزخارفها، ومريض مبتلىً، وميّت يبكي، وآخر يعزّى، وعائد يعود وآخر بنفسه يجود، فإن في ذلك تذكرة وذكرى وعبرة لأولي النهي إذ على أثر الماضي يمضي الباقي، وسبيل السلف يسلك الخلف.

وقوله: **(وحلالها وحرامها)** قال الشارح المعتزلي: يقول عليه السلام ليدخلوا عليهم بما في تصاريف الدنيا من الصحة والسقم وما أحل وما حرم على طريق الابتلاء به.

---

(١) وهي التي لا أسنان لها.

وقال الشارح البحراني بعد ما وافق الشارح المعتزلي في هذا المعنى: ويحتمل أن يكون عطفاً على أسقامها باعتبار أن الحلال والحرام من تصاريف الدنيا، وبيانه أن كثيراً من المحرمات لنبي كانت حلالاً من نبي قبله وبالعكس، وذلك تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف أوقاتهم وأحوالهم التي هي تصاريف الدنيا، انتهى.

أقول: وأنت خبير بأن هذين المعنيين وإن كانا يصححان كون الحلال والحرام مما هجم به الأنبياء وكونهما من تصارف الدنيا إلاّ أنهما على هذين لا يكونان مما يوجب العبرة كما لا يخفى وقد جعلهما بياناً لقوله معتبر فلا بد أن يكون المعنى دخولهم على الأمم وتذكيرهم بتصاريف الحلال والحرام على وجه يوجب الاعتبار مثل أن يذكروهم.

بأن الاكتساب من الحلال يوجب في الدنيا زيادة المال وبركة له، وفي الآخرة يصون من غضب الرب، والاقتحام في الحرام يورث في الدنيا تلف المال وذهابه، وفي الآخرة يعقّب الحسرة والندامة والعطب.

وبأن الحلال ربما يتبدل بالحرام بالظلم والآثام كما قال عز من قائل: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وبأن الحرام قد يتبدّل بالحلال إذا اقتضت الضرورة كحالة الاضطرار والمخمصة ونحو ذلك مما يوجب الاعتبار بهما ويبعث على القناعة بالحلال والكف عن الحرام.

وأبلغ التذكر والعبرة بتصاريف الحلال والحرام ما نطق به القرآن قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ **(وما أعدّ)** الله **(سبحانه للمطيعين منهم)** أي من الجن والإنس **(والعصاة من جنة ونار)** نشر على ترتيب اللّف أي جنّة للمطيعين ونار للعاصين **(وكرامة)** ورضوان للأولين وذلة **(وهوان)** للآخرين.

(أحمده إلى نفسه) أي أحمده سبحانه متقرباً أو متوجهاً به إليه تعالى أو منهياً حمدي إلى نفسه أي يكون حمدي منتهياً إليه ومخصوصاً به عزّ وجلّ **(كما استحمد إلى خلقه)** أي يكون حمدي إياه في الكيفيّة والكميّة على الوجه الذي طلب الحمد موجّهاً طلبه إلى خلقه أو على الوجه الذي طلبه منهم والمآل واحد، والمراد بيان فضل الحمد وكونه على وجه الكمال وخلوصه عن شوب الشرك والرياء.

وقوله: **(جعل لكل شيء قدراً)** كقوله تعالى: قد جعل الله لكل شيء قدراً أي مقداراً معيناً من الكيفيّة والكميّة ينتهي إليه، وحداً محدوداً يقف عنده ذلك **(ولكل قدر أجلاً)** أي لكلّ شيء مقدر وقتاً مخصوصاً يكون فيه انقضاؤه وفناؤه إذا بلغه **(ولكلّ أجل كتاباً)** أي رقوماً

تعرفها الملائكة وتعلم بها انقضاء أجل من ينقضي أجله.

وقال الشارح البحراني: المراد بالكتاب العلم الإلهي المعبّر عنه بالكتاب المبين واللّوح المحفوظ المحيط بكلّ شيء، وفيه رقم كلّ شيء، انتهى والأظهر ما قلناه.

قال السيد عليه السلام **(منها)** أي بعض فصول هذه الخطبة الشريفة **(في ذكر القرآن)** وبعض أوصافه.

(فالقرآن آمر زاجر) وصفه بهما من باب التوسع والمجاز لأن الآمر والناهي هو الله سبحانه إلا أن القرآن لما كان متضمناً لأمره ونهيه أطلق عليه لفظ الآمر والناهي من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب كما قاله الشارح البحراني، أو من باب سيف قاتل، وإنما القاتل الضارب كما قاله الشارح المعتزلي يعني تسمية الآلة باسم ذي الآلة.

أقول: لما كان القرآن مظهراً لآمريته وزاجريته سبحانه يكفي هذا المقدار من العلاقة والارتباط في صحة التجوز، ولا حاجة إلى تمحل إدخالها في إحدى العلائق المعروفة، وقد عرفت تحقيق ذلك في ديباجة الشرح.

(وصامت ناطق) وصفه بالصّمت لأنه كلام مؤلف من حروف وأصوات صامتة لأن الغرض يستحيل أن يكون ناطقاً، لأن النطق إنما يحصل بالأداة واللهوات والكلام والحروف يستحيل أن يكون ذا أداة تنطق بالكلام.

ويحتمل أن يكون وصفه به من باب المجاز إن قلنا إن الصمت عبارة عن عدم النطق عمن من شأنه أن يكون ناطقاً بأن يكون النسبة بينهما مقابلة العدم والملكة، وعلى هذا فيكون وصفه به من باب الاستعارة تشبيهاً له بالحيوان الغير الناطق.

وأما وصفه بالنطق فهو من باب الاستعارة التبعيّة أو المكنية مثل قولهم نطقت المال بكذا والحال ناطقة بكذا، وقد عرفت شرحه في ديباجة الشرح في المسألة السابعة من مسائل المجاز، وفي التقسيم الثاني من تقسيمات الاستعارة فليراجع ثمة.

(حجة الله على خلقه) لأن الله سبحانه يحتجّ على العباد بما أتاهم وعرّفهم به وبالقرآن عرف الأحكام وأبان مسائل الحلال والحرام وأزال العذر به عن نفسه في عقاب العاصين أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين.

وأيضاً فهو معجزة للنبوة وحجة في صدقه «كذا» ـ أي النبي صلى الله عليه وآله ـ، وقد بعث رسوله صلى الله عليه وآله ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حي عن بينة، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

(أخذ عليهم ميثاقه) أي أخذ الميثاق والعهد من المكلّفين على العلم به وبأحكامه، والمراد به ما ورد في بعض الآيات وصدر عن لسان النبوة من الحث والترغيب عليه والأمر بإجلاله وإعظامه والقيام بمعالمه وأحكامه.

قال الشارح المعتزلي: ومن الناس من يقول: المراد بذلك قصّة الذرّية قبل خلق آدم عليه السلام كما ورد في الأخبار وفسر قوم عليه الآية، انتهى، والأولى ما قلناه[١].

(وارتهن عليه أنفسهم) لما كان ذمم المكلّفين مشغولة بما تضمّنه القرآن من التكاليف والأحكام وكان اللازم عليهم الخروج عن عهدة التكليف وتحصيل براءة الذمة شبههم بالعين المرهونة لدين المرتهن، فإن فك رهانتها موقوف على أداء حق صاحب الدين فكذا فك رهانة هؤلاء موقوف على عملهم بالتكاليف الشرعية والأوامر المطلوبة.

وهو نظير قول النبي صلى الله عليه وآله في الخطبة التي خطب بها في فضيلة شهر رمضان: أيها الناس إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من ذنوبكم فخففوا عنها بطول سجودكم[٢].

(اتمّ نوره) أي جعل نوره تامّاً كاملاً.

أما كونه نوراً فلأنه نور عقلي ينكشف به أحوال المبدأ والمعاد يهتدى به في ظلمات برّ الأجسام وبحر النفوس قال الله عز وجل: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة: ١٦].

وأما تماميّته فلكونه أكمل أسباب الهداية أما في بدو الإسلام فلكونه أقوى المعجزات الموجبة لخروج الناس من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام، وأما بعده فلبقائه بين الأمة إلى يوم القيامة واهتدائهم به إلى معالم الدّين ومناهج الشرع المبين يوماً فيوماً.

(و) بذلك الاعتبار أيضاً **(أكرم به دينه)** أي جعله مكرماً معزراً به **(وقبض نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به)** يجوز أن يكون الأحكام بكسر الهمزة أي فرغ من جعل الهداية بالقرآن محكمة أي متقنة مثبتة في قلوب المؤمنين لكن المضبوط فيما رأيته من النسخ بفتحها، فيكون المراد فراغته صلى الله عليه وآله من أحكام الهداية أي من التكاليف التي يتوقّف الهداية به عليها، مثل قراءته وتعليمه وتفسير معانيه وتوضيح مبانيه، والإلزام على العمل بأحكامه ونحو ذلك مما يحصل به الاهتداء.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ١١٧.

(٢) الأمالي: ١٥٤، ووسائل الشيعة: ٧/ ٢٢٧.

وكيف كان فالمراد أن النبي صلى الله عليه وآله لم يمض من الدنيا إلا بعد هداية الناس بالقرآن إلى معالم الإسلام.

روى في الكافي عن عبد العزيز بن مسلم عن الرضا عليه السلام أنه قال: إن الله لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً فقال عز وجل: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وأمر الإمامة من تمام الدين ولم يمض حتى بيّن لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم علياً عليه السلام إماماً وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلاّ بيّنه، فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر.

وقد مر تمام تلك الرواية في شرح الفصل الخامس من المختار الثالث.

(فعظّموا منه سبحانه ما عظّم من نفسه) أي عظموه عز وجل مثل تعظيمه لنفسه، والمراد به وصفه بصفات الجلال والإعظام وأوصاف الكمال والإكرام التي نطق بها الكتاب، وأفصحت عنها السّنة النبوية.

وعلل عليه السلام وجوب تعظيمه بقوله: **(فإنه لم يخف عنكم شيئاً من دينه)** وعلة ذلك باعتبار أن الشرعيات مصالح المكلّفين وإذا فعل الحكيم سبحانه بهم ما فيه صلاحهم فقد أحسن إليهم، ومن جملة الشرّعيات ما هو مقرب إلى الثواب مبعد من العقاب، وهذا أبلغ ما يكون من الإحسان والمحسن يجب تعظيمه وشكره بقدر الإمكان لاسيما إذا كان إحسانه بالنعم العظام والعطايا الجسام.

(و) أكد عدم إخفائه شيئاً من دينه بأنه **(لم يترك شيئاً رضيه)** وأدّى إلى ثوابه **(أو كرهه)** وقرب من عقابه **(إلا)** وعرّفه وبيّنه **(وجعل له علماً بادياً)** أي علامة ظاهرة **(وآية محكمة)** واضحة **(تزجر)** وتنهى **(عنه)** لكونه مكروهاً **(أو)** تأمر و**(تدعو إليه)** لكونه مرضيّاً.

ولما ذكر أن الله سبحانه قبض نبيه صلى الله عليه وآله بعد ما فرغ من بيان الأحكام وأنه لم يخف شيئاً من مراسم الدين ومعالم الإسلام فرّع عليه قوله: **(فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد)** يعني أن مرضيّه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي من الأحكام بين الأمة بعد مضي النبي صلى الله عليه وآله واحد، وكذلك مسخوطه فيها واحد.

وهذا هو مذهب أهل الصواب من المخطئة القائلين بأن لله سبحانه في كل واقعة حكماً معيّناً واحداً وأن المصيب إليه من المجتهدين واحد وغيره خاطىء.

خلافاً لأهل الخطأ من المصوبة القائلين بتعدد الأحكام وكثرتها واختلافها على اختلاف آراء المجتهدين، وقد عرفت تفصيل الكلام في تحقيق التخطئة والتصويب في شرح المختار الثامن عشر المسوق في ذم اختلاف العلماء في الفتوى، وهناك فوائد نفيسة نافعة لتوضيح المقام.

ولما ذكر أن حكم الله سبحانه واحد بالنسبة إلى الأشخاص نبه على اتحاده بالنسبة إلى الأزمان فقال: **(واعلموا أنه لن يرض عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم)** يعني أن ما كان محرّماً على السالفين الحاضرين في زمان رسول الله ﷺ فهو محرم على الغابرين العامين[١]، وما كان واجباً على الأوّلين فواجب على الآخرين، لأن شرع محمد ﷺ مستمر إلى يوم القيامة وحكمه على الواحد حكم على الجماعة، فلا يجوز تغيير الأحكام الثابتة بالكتاب والسنّة بالآراء والمقائيس والاستحسانات العقلية.

وهذا الكلام نظير ما تقدم منه ﷺ في الفصل الثاني من المختار المائة والخامس والسبعين من قوله: واعلموا عباد الله أن المؤمن يستحل العام ما استحل عاماً أول ويحرم العام ما حرم عاماً أول وإن ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئاً مما حرم عليكم ولكن الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حرم الله، وقد مضى منافي شرح هذا الكلام ما يوجب زيادة البصيرة في المقام، هذا.

وقد اضطرب أنظار الشارح البحراني والمعتزلي في شرح هذه الفقرة والفقرة السابقة عليه وقصرت يدهما عن تناول المراد كما يظهر ذلك لمن رجع إلى شرحيهما.

ثم إنه بين اشتراك المخاطبين مع السابقين الأولين في التكاليف والأحكام وأنه تعالى لا يرضى منهم إلا بما كان رضيه عنهم ولا يسخط عليهم إلا بما سخط به عن الأولين أكد ذلك بقوله **(وإنما تسيرون في أثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم)** وهو جملة خبرية في معنى الإنشاء.

يعني إذا كان تكليفكم متحداً مع السابقين فلا بدّ لكم أن تسلكوا منهجهم وتحذوا حذوهم وتسيروا في آثارهم البينة الرّشد وتعلموا بما علموه من الأحكام الواضحة من الكتاب والسنّة، وأن تتكلموا بقول نافع قد قالوه قبلكم وتنطقوا بكلام يعود منفعته وفائدته إليكم وإلى غيركم.

---

(١) «الغائبين» في نسخة.

وهو كل كلام يفضي إلى الحق ويهدي إلى الصراط المستقيم والنهج القويم، وتخصيصه بكلمة التوحيد أي لا إله إلا الله كما ذهب إليه الشارح المعتزلي لا دليل عليه مع اقتضاء الأصل عدمه فمحصّل المراد بالجملتين أمر المخاطبين بموافقة السلف الصالحين فعلاً وقولاً.

(قد كفاكم مؤنة دنياكم) قال الشارح البحراني: وتلك الكفاية إما بخلقها وإيجادها، وإما برزقه بكل ما كتب في اللّوح المحفوظ.

أقول: الأظهر هو الثاني وهو نظير قوله عليه السلام المتقدم في الفصل الأول من المختار التسعين: عياله الخلق ضمن أرزاقهم وقدّر أقواتهم، وقد تقدّم في شرحه فوائد نافعة ههنا.

وأقول مضافاً إلى ما سبق قال الإمام سيّد العابدين وزين الساجدين عليه السلام في دعائه التاسع والعشرين من الصحيفة الكاملة:

واجعل ما صرحت به من عدتك في وحيك واتبعته من قسمك في كتابك قاطعاً لاهتمامنا بالرزق الذي تكفّلت به، وحسماً للاشتغال بما ضمنت الكفاية له، فقلت وقولك الحق الأصدق وأقسمت وقسمك الأبر الأوفى «وفي السماء رزقكم وما توعدون» ثمّ قلت: «فورب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون».

قوله: «وفي السماء رزقكم» أي أسباب رزقكم بأن يرسل سبحانه الرياح فتثير السحاب فيبسطه في السماء فينزل الغيث والمطر فيخرج به من الأرض أنواع الأقوات والملابس والمعائش.

وقيل: وفي السماء تقدير رزقكم أي ما قسمته لكم مكتوب في أم الكتاب الذي هو في السماء.

وفي حديث أهل البيت عليهم السلام: أرزاق الخلائق في السماء الرابعة تنزل بقدر وتبسط بقدر[(١)].

وقال الصادق عليه السلام: الرزق المطر ينزل من السماء فيخرج به أقوات العالم[(٢)].

وقوله: «وما توعدون» قال الصادق عليه السلام هو أخبار القيامة والرجعة والأخبار التي في السماء[(٣)]، وقيل: هو الجنّة فوق السماء السابعة وتحت العرش، ثم أقسم سبحانه بأن ما

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ١٣٥، وتفسير نور الثقلين: ٤/ ٥٧٩ ح٨٩.
(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣٣٠، والتفسير الصافي: ٥/ ٧١.
(٣) التفسير الأصفى: ٢/ ١٢٠٨.

ذكره من أمر الرزق الموعود لحق مثل ما أنكم تنطقون، قال الزمخشري: وهذا كقول الناس أن هذا الحق كما أنكم تنطقون، قال الزمخشري: وهذا كقول الناس أن هذا الحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ههنا، قيل إنه لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم.

ونقل في الكشاف عن الأصمعي قال: أقبلت من جامع البصرة وطلع أعرابي على قعود فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمان، قال: اتل عليّ، فتلوت: والذاريات، فلما بلغت قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها ووضعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولّى.

فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق، فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفرّ فسلّم عليّ واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعد ربّنا حقاً، ثم قال: وهل غير ذلك؟ فقرأت ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣] فصاح وقال: يا سبحانه من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدّقوه بقوله حتى ألجاوه إلى اليمين، قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه(١).

(وحثكم على الشكر) لطفاً بكم ورأفة لكم ورحمة عليكم، لأن شكره سبحانه موجب لزيادة نعمته كما أن كفرانها موجب لنقصانها قال عز من قائل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

(وافترض من ألسنتكم الذكر) أي أوجب عليكم أن تذكروه سبحانه بألسنتكم كما قال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وقد مضى تفصيل الكلام في ذكره تعالى والأدلة الواردة في فضله والحث والترغيب عليه في التنبيه الثاني من شرح الفصل السادس من فصول المختار الثاني والثمانين.

(وأوصاكم بالتقوى) في قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] وغيرها من الآيات التي تقدمت في شرح المختار الرابع والعشرين.

(وجعلها منتهى رضاه) فإنّها لما كانت موصلة إلى الله سبحانه مؤدّية إلى رضوانه موجبة لمحبته ورضاه صح بهذا الاعتبار جعلها منتهى رضاه من خلقه كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) كتاب التوابين: ٢٧٥ ح١١٢، وتفسير القرطبي: ١٧/ ٤٢.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤] وقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

(و) جعلها **(حاجته من خلقه)** استعار لفظ الحاجة لتأكد الطلب أي طلبه المؤكد فإنه سبحانه لما بالغ في الحث والحضّ عليها وتكرر منه تعالى طلبها والأمر به في غير واحدة من الآيات شبهها بالحاجة التي يفتقر إليها المحتاج ويبالغ في تحصيلها والوصول إليه والجامع المطلوبية المتأكدة.

ولمّا نبّه على كونها سبباً للوصول إلى رضوانه وغاية المطلوب من خلقه عقبه بالأمر بها فقال: **(فاتقوا الله الذي أنتم بعينه)** أي بعلمه فأطلق العين وأريد العلم مجازاً من باب تسمية المسبب باسم السبب، أو اللازم باسم الملزوم إذ رؤية الشيء سبب للعلم به ومستلزم له.

وفي الإتيان بالموصول تأكيد الغرض المسوق له الكلام، فإنه لما أمر بالتقوى وكانت التقوى حسبما قاله الصادق عليه السلام: عبارة عن أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك، أتى بالجملة الموصولة الوصفية تنبيهاً على أن الله عالم بكم خبير بأحوالكم بصير بأعمالكم سميع لأقوالكم، ومن كان هذا شأنه فلا بد أن يتقى منه حق تقاته إذ لا يعزب عنه شيء من المعاصي ولا يخفى عليه شيء من الخطايا كما يخفى على سائر الموالي بالنسبة من عبيدهم.

وأكده أخرى بقوله: **(ونواصيكم بيده)** يعني أنه قاهر لكم قادر عليكم متمكن من التصرف فيكم كيف شاء وأي نحو أراد لا راد لحكمه ولا دافع لسخطه ونواصيكم بيد قدرته، لا يفوته من طلب ولا ينجو منه من هرب.

وأكده ثالثة بقوله: **(وتقلبكم في قبضته)** أي تصرفكم في حركاتهم وسكناتكم تحت ملكه وقدرته واختياره.

وقوله: **(إن أسررتم علمه وإن أعلنتم كتبه)** هو أيضاً في معنى التأكيد وأن غير الأسلوب على اقتضاء التفنن، يعني أنه عالم بالسرائر خبير بالضمائر سواء عليه ما ظهر منكم وما بطن لا يحجب عنه شيء مما يسر وما يعلن كما قال عز من قائل: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ١٠] هذا.

ويدل قوله: إن أعلنتم كتبه بمفهومه على أنه لا يكتب ما لا يعلن وإن كان يعلمه، فيفيد عدم المؤاخدة على نيّة المعصية بمجرّدها، وقد مضى تحقيق الكلام فيه في شرح الفصل الخامس من المختار الثالث فليتذكر.

وبذلك ظهر ما في قول الشارح المعتزلي حيث قال: إن قوله عليه السلام: إن أسررتم آه،

ليس يدل على أن الكتابة غير العلم، بل هما شيء واحد ولكن اللفظ مختلف انتهى فتدبر.

وعقب قوله: كتبه بقوله: **(قد وكل بكم حفظة كراماً)** من باب الاحتراس فإنه لما كان بظاهره متوهماً لكونه تعالى شأنه بنفسه كاتباً أتى بهذه الجملة دفعاً لذلك التوهّم، وتنبيهاً على أن الموكل بذلك الملائكة الحافظون لأعمال العباد.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١] وهم طائفتان ملائكة اليمين للحسنات وملائكة الشمال للسيئات قال عز وجل: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧] هذا.

وفي وصف الحفظة بالكرام وتعظيمهم بالثناء تفخيم لما وكلوا به وأنه عند الله تعالى من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام، وفيه من التهويل من المعاصي ما لا يخفى.

ولهذه النكتة أيضاً وصفهم ثانياً بقوله: **(لا يسقطون حقاً ولا يثبتون باطلا)** أي لا يسقط من قلمهم ما هو ثبت له أو عليه، ولا يكتبون ما لا أصل له، ومن المعلوم أن المكلّف إذا التفت إلى ذلك وتنبّه على شدة محافظة الحفظة عليه وعلى أنهم لا يتركون شيئاً مما هو له أو عليه كان ذلك أقوى داعياً له على الإزعاج عن المعاصي والإقلاع عن السيئات.

قال الصادق عليه السلام: استعبدهم الله أي الكرام الكاتبين بذلك، وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة وعن معصيته أشد انقباضاً، وكم من عبد همّ بمعصيته فذكر مكانهم فارعوى، وكيف فيقول ربي يراني وحفظتي عليَّ بذلك تشهد[(١)]، هذا.

ولما أمر بالتقوى وأردفه بذكر ما يحذر من تركها عقبه بذكر ما يرغب في الملازمة عليها فقال: **(واعلموا أن من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن)** الموجبة للضلالة **(ونوراً من الظلم)** أي من ظلمات الجهالة، وهو اقتباس من الآية الشريفة في سورة الطلاق قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢].

روى في الصافي عن القمي عن الصادق عليه السلام: في دنياه، ومن المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قرأها فقال: مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وعنه عليه السلام إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس كفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية، فما زال يقولها ويعيدها[(٢)].

(ويخلده فيما اشتهت نفسه) وهو أيضاً اقتباس من الآية في سورة الأنبياء قال تعالى:

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ٩٥، وبحار الأنوار: ١٠/ ١٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٧/ ٢٨١، وتفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٣.

﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٢ ـ ١٠٣].

(وينزله منزل الكرامة عنده) أي في منزل أهله معززون مكرمون عنده سبحانه **(في دار اصطنعها لنفسه)** أي اتخذها صنعه وخالصته واختصها بكرامته كما قال سبحانه لموسى بن عمران: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ قيل: هو تمثيل لما أعطاه الله من التقريب والتكريم.

قال الشارح البحراني: والدار التي اصطنعها لنفسه كناية عن الجنة المحسوسة أشرف دار رتبت لأشرف المخلوقات، وأما المعقولة فيعود إلى درجات الوصول والاستغراق في المعارف الإلهية التي بها السعادة والبهجة واللذة التامة، وهي جامع الاعتبار العقلي لمنازل أولياء الله وخاصته ومقامات ملائكته ورسله، ومن المتعارف أن الملك العظيم إذا صرف عنايته إلى بناء دار يسكنها هو وخاصته أن يقال أنه تختص بالملك وأنه بناها.

وقوله: **(ظلها عرشه)** يدل على أن الجنّة فوق السماوات وتحت العرش وإليه ذهب الأكثر.

قال الرازي في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]: وههنا أسئلة: «إلى أن قال»:

السؤال الثالث: أنتم تقولون أن الجنّة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء.

والجواب أن المراد من قولنا أنها في السماء أنّها فوق السماوات وتحت العرش قال في صفة الفردوس: سقفها عرش الرحمن، وقال: وسئل أنس بن مالك عن الجنة في الأرض أم في السماء؟ قال: فأي أرض وسماء تسع الجنة، قيل: فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع وتحت العرش.

وقال العلامة المجلسي رحمه الله في البحار بعد ذكر الآيات والأخبار في وصف الجنة ونعيمها:

إعلم أن الإيمان بالجنّة والنار على ما وردتا في الآيات والأخبار من غير تأويل من ضروريات الدين ومنكرهما أو مؤلهما بما أوّلت به الفلاسفة خارج من الدين.

وأما كونهما مخلوقتان الآن فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلا شرذمة من المعتزلة، فإنهم يقولون: سيخلقان يوم القيامة، والآيات والأخبار المتواترة دافعة لقولهم مزيفة لمذهبهم والظاهر أنه لم يذهب إلى هذا القول السخيف أحد من الإمامية إلا ما ينسب إلى السيد الرضي رضي الله عنه[1].

---

(١) قال الفيض الكاشاني في كتاب عين اليقين: كلّ من الجنّة والنار المحسوسين عالم مقداري صوري إحداهما

وأما مكانهما فقد عرفت أن الأخبار تدل على أن الجنة فوق السماوات السبع والنار في

صورة رحمة الله والأخرى صورة غضبه.
قال استادنا مدّ ظلّه: إنّ جهنّم ليست بدار حقيقيّة متأصّلة لأنّها صورة غضب الله، كما أنّ الجنّة صورة رحمة الله وقد ثبت أنّ رحمة الله ذاتية واسعة كلّ شيء والغضب عارضي وكذا الخيرات صادرة بالذات والشرور واقعة بالعرض فعلى هذاالأبدان تكون الجنّة موجودة بالذات والنار مقدّرة التبع.
وقال أيضاً: إنّ جهنّم من سنخ الدُّنيا وأصلها فمادّتها هي تعلّق النفس بأمور الدُّنيا من حيث هي دنيا وصورتها هي صورة الهيئات المؤلمة والأعدام والنقائص فإنّ الاعدام والنقائص وإن كانت من حيث هي أمور سلبية غير مؤثّرة ولا مُعذّبة إلاّ أنّ صورها الحضورية وحصولها الخارجيّة ضرب من الوجود للشيء الموصوف بها وهي من هذه الجهة شرور حقيقيّة حاصلة للشيء ألا ترى أنّ تفرّق الاتّصال مع أنّه أمر عدمي لأنّه عبارة عن زوال الاتّصال عمّا من شأنه الاتصال ففيه غاية الألم للحسّ اللاّمس به لأنّه عدم محسوس مشهود للنفس وإذا كان العدم موجوداً كان شرّاً حقيقيّاً ويكون إدراكه اللمسي إدراك أمر مناف حاصل بنفسه للمدرك لأنّ العلم الشهودي هو بعينه نحو وجود المعلوم الخارجي والمعلوم بهذا العلم إذا كان عدماً خارجيّاً كان ذلك العدم مع كونه عدماً أمراً موجوداً فيكون شرّاً حقيقيّاً ففيه غاية الألم ونهاية الشرّية.
قال: فصورة جهنّم في الآخرة هي صورة الآلام التي هي اعدام ونقائص حاصلة للنفس فالنفوس الشقية ما دامت على فطرة تدرك بها النقائص والاعدام الموصوفة بها التي من شأن تلك النفوس أن تتّصف بمقابلاتها تكون لها آلام شديدة بحسبها فتلك الآلام باقية فيها إلى أن يزول عنها إدراكها امّا بتبدّل فطرتها إلى فطرة أدنى وأخسّ من تلك الفطرة أو بزوال تلك النقائص والاعدام بحصول مقابلاتها من جهة ارتفاع حال تلك النفوس وقوّة كمالاتها واشتغالها بإدراك أُمور عالية كانت تعتقدها من قبل وصارت ذاهلة عنها ممنوعة عن إدراكها لانصراف توجّهها عنها إلى تلك الشواغل الحسّية فعلى التقديرين يزول العذاب ويحصل الراحة.
والحاصل أنّ جهنّم هي صورة الدنيا من حيث هي دنيا حالّة في موضوع النفس يوم القيامة فتلك الصورة الجحيميّة مشتملة على جميع ما في السماء والأرض من حيث نقائصها وشرورها لا من حيث كمالاتها وخيراتها فإنّها من حيث كمالاتها وخيراتها هي من الجنّة، فالنفس ما دامت في هذا العالم تدرك الموجودات العالمية بهذه الحواس البدنية وكلّ ما يدرك بهذه الحواس يكون مخلوطاً غير متميّز حقّه من باطله وصحيحه من فاسده مخلوطة غير متميّزة حقّها من باطلها وصحيحها من فاسدها فيرى الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض على صورة مخلوطة مشتبهة فيزعم أنّ لها بقاءً وثباتاً وأنّ ضوء الشمس والقمر والكواكب بحسب الحقيقة على هذه الهيئة وأنّها ذاتية لتلك الأجرام قائمة بها لا بغيرها، فإنّ السماء والأرض كلّ منهما على هذه الهيئة التي يدركها الحسّ من البقاء والثبات والارتفاع والانخفاض والوضع والترتيب، فإذا جاء يوم القيامة تبدّلت هذه الأشياء غيرها وانفصل ما لها عمّا ليس لها وامتاز حقّها من باطلها ونورها العرضي من ظلمتها الأصلية وخبيثها من الطيّب كما قال تعالى: (وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب).
فصورة جهنّم عبارة عن الحقيقة الأصلية لهذا العالم متميّزة عمّا هو خارج عنها من الخيرات والكمالات فإذا قامت القيامة واستقرّت كلّ طائفة في دارها ورجعت كلّ صورة إلى حقيقتها فيكون الحكم في أهل الجنّة بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي في النشأة الآخرة ويكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي في مادّة هذا العالم الذي أودع الله في حركات الأفلاك وفي الكواكب الثابتة والسبعة المطموسة أنوارها، فهي كواكب لكنّها مطموسة الأنوار في القيامة، وكذا الشمس شمس لكنّها منكسفة النور؛ لأنّ أنوارها مستفادة من مبادئها الأصلية فهي بالحقيقة قائمة بتلك المبادئ لا بهذه الأجرام.

الأرض السابعة، ونقل عن شارح المقاصد أنه قال: لم يرد نقل صريح في تعيين مكان الجنة والنار، والأكثرون على أن الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش تشبثاً بقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٤ - ١٥] وقوله عليه السلام سقف الجنة عرش الرحمن، والنار تحت الأرضين السبع، والحق تفويض ذلك إلى علم العليم الخبير انتهى[(١)].

وذهب بعضهم إلى أنها في السماء الرابعة نسبه الطبرسي في مجمع البيان إلى صحيح

وروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له ضوءهما من نور عرشه وحرّهما من جهنّم وإذا كانت القيامة عاد إلى العرش نورهما وعاد إلى النار حرّهما فلا يكون شمس ولا قمر.

وقال في الباب الستّين من الفتوحات: يقرب حكم النار من حكم الدُّنيا فليس بعذاب خالص ولا بنعيم خالص ولهذا قال تعالى: (لا يموت فيها ولا يحيى)وسبب ذلك أنّه بقى ما أودع الله عليهم في الأفلاك وحركات الكواكب من الأمر الإلهي وتغيّر منه على قدر ما تغيّر من صور الأفلاك بالتبديل ومن صور الكواكب بالطمس والانتشار فاختلف حكمها بزيادة ونقص وغير ذلك.

وقال في معرفة جهنّم: اعلم عصمنا الله وإيّاك أنّ جهنّم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة وسمّيت جهنّم لبُعد قعرها يقال: بئر جهنا مر إذا كانت بعيدة القعر وهي تحوي على حرور وزمهرير، ففيها البرد على أقصى درجاته والحرور أقصى درجاته وبين أعلاها وقعرها خمس وسبعون إلى مائة من السنين واختلف الناس فيها هل خلقت بعد أو لم تخلق والخلاف مشهور فيها، وكذلك اختلفوا في الجنّة، وامّا عندنا وعند أصحابنا أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين:

أمّا قولنا مخلوقتان فكرجل يبني داراً فأقام حيطانها كلّها الحاوية عليها خاصّة فيقال هي دار فإذا دخلتها لم تر إلاّ سوراً دائراً على فضاء وساحة ثمّ بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت وغرف وسرادق ومسالك ومخازن، وما ينبغي أن يكون فيها وفي دار حرورها هواء محرق لا جمر لها سوى بني آدم والأحجار المتّخذة آلهة والجنّ لهبها.

قال تعالى: (وقودها الناس والحجار) وقال: (إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم)وقال: (فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون)وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجنّ والإنس الذين يدخلونها وقد خلقها الله تعالى من صفة الغضب وجميع ما يخلق فيها من الآلام والمحن التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهي ولا يكون ذلك إلاّ عند دخول الخلق فيها متى دخولها.

وأمّا إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله منغمسون ملتذّون يسبّحون لا يفترون يقول الله تعالى: ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى، فإنّ الغضب هاهنا هو عين الألم فمن لا معرفة له ممّن يدّعي طريقتنا ويريد أن يأخذ الأمر من التمثيل والمناسبة فيقول: إنّ جهنّم مخلوقة من القهر الإلهي وانّ الاسم القاهر هو المتجلّي ولو كان الأمر كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عمّا وجدت له من التسلّط على الجبابرة ولم يمكن لها أن يقول هل من مزيد ولا أن يقول آكل بعضي بعضاً، فنزول الحقّ إليها برحمته التي وسعت كلّ شيء وسع لها المجال في الدعوى والتسلّط على الجبابرة والمتكبّرين فالناس غالطون في شأن خلقها.

(١) بحار الأنوار: ٢٠٦/٨، ونور البراهين: ٣٠٢/١ ح٢٢.

الخبر، والله أعلم.

(ونورها بهجته) قال الطريحي والبهجة الحسن ومنه رجل ذو بهجة، والبهجة السرور ومنه الدعاء: وبهجة لا تشبه بهجات الدنيا، أي مسرة لا تشبه مسرات الدنيا، وفيه: سبحان ذي البهجة والجمال، يعني الجليل تعالى انتهى.

أقول: فعلى المعنى الأول فالمراد أن نور الجنة أي منورها جماله سبحانه عظمته التي تضمحل الأنوار دونها، فأهل الجنة مستغرقة في شهود جماله، ونفوسهم مشرقة بإشراق أنوار كماله كما قال عز من قائل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] أي منورها، فإنّ كلّ شيء استنار منهما واستضاء فبقدرته وجوده وأفضاله.

روى في البحار من تفسير علي بن إبراهيم القمي عن أبيه عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لله كرامة في عباده المؤمنين في كل يوم جمعة فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكاً معه حلة فينتهي إلى باب الجنة فيقول: استأذنوا لي على فلان فيقال هذا رسول ربك على الباب فيقول لأزواجه أي شيء ترين علي أحسن، فيقلن يا سيدنا والذي أباحك الجنة ما رأينا عليك شيئاً أحسن من هذا بعث إليك ربّك فيتزر بواحدة ويتعطف بالأخرى فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى الموعد فإذا اجتمعوا تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فإذا نظروا إليه خروا سجداً، فيقول: عبادي ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم سجود ولا يوم عبادة قد رفعت عنكم المؤونة، فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل مما أعطيتنا، أعطيتنا الجنة، فيقول: لكم مثل ما في أيديكم سبعين ضعفاً، فيرجع المؤمن في كل جمعة سبعين ضعفاً مثل ما في يديه وهو قوله: **﴿ولدينا مزيد﴾** وهو يوم الجمعة إن ليلها ليلة غراء ويومها يوم أزهر فأكثروا فيها من التسبيح والتكبير والتهليل والثناء على الله والصلاة على محمد وآله.

قال: فيمرّ المؤمن فلا يمر بشيء إلا أضاء له حتى ينتهي إلى أزواجه، فيقلن: والذي أباحنا الجنة يا سيدنا ما رأيناك قط أحسن منك الساعة فيقول: إني قد نظرت بنور ربي، الحديث.

قال العلامة المجلسي رحمه الله قوله: (تجلى لهم الرب) أي بأنوار جلاله وآثار رحمته وأفضاله (فإذا نظروا إليه) أي إلى ما ظهر لهم من ذلك[1].

وعلى المعنى الثاني فالمراد أن نور الجنة وأهلها ابتهاج الله سبحانه بها وبهم أما وصفه

---

(١) بحار الأنوار: ٨/ ١٢٧.

سبحانه بالابتهاج والبهجة فلما قال الحكماء والمتكلمون المثبتون له تعالى اللّذة العقلية من أن أجل مبتهج هو المبدأ الأول بذاته لأن الابتهاج واللذة عبارة عن إدراك الكمال فمن أدرك كمالاً في ذاته ابتهج به والتذ وكماله تعالى أجل الكمالات وإدراكه أقوى الإدراكات فوجب أن يكون لذاته أقوى اللذات.

قال صدر المتألهين: أجل مبتهج بذاته هو الحق الأول، لأنه أشد إدراكاً لأعظم مدرك له الشرف الأكمل والنور الأنور والجلال الأرفع، وهو الخير المحض وبعده في الخيرية والوجود والإدراك هو الجواهر العقلية والأرواح النورية والملائكة القدسية المبتهجون به تعالى، وبعد مرتبتهم مرتبة النفوس البشرية والسعداء من أصحاب اليمين على مراتب إيمانهم بالله.

وأما المقربون من النفوس البشرية وهو أصحاب المعارج الروحانية فحالهم في الآخرة كحال الملائكة المقربين في العشق والابتهاج به تعالى.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أن ابتهاج الله بمخلوقاته راجع إلى ابتهاجه بذاته، لأنه لما ثبت أنه أشد مبتهج بذاته لماله من الشرف والكمال كان ذاته أحب الأشياء إليه، وكل من أحب شيئاً أحب جميع أفعاله وآثاره لأجل ذلك المحبوب، وكل ما هو أقرب إليه فهو أحب إليه وابتهاجه به أكمل.

فثبت بذلك أن الله سبحانه ومبتهج بالجنة وأهلها لأنها دار كرامته ورحمته وأقرب المجعولات إليه، وكذلك أهلها لأنهم مقربو حضرته ومحبوبون إليه ومكرمون لديه كما أنهم مبتهجون به سبحانه ومحبون إياه.

وأما أن بهجته تعالى نور لها أي لأهلها فلكون محبته وابتهاجه سبباً لاستنارة نفوسهم بما يفاض عليهم من الأنوار الملكوتية التي تغشى أبصار البصائر ويستغرق في الابتهاج بها الأولياء المقربون، وعلى ذلك فتسمية البهجة بالنور من باب تسمية السبب باسم المسبب، هذا.

وإنما خصّ بهجته بالذكر لأنها حسبما عرفت ملازمة للمحبة، ومحبته تعالى لهم ورضوانه عنهم أعظم الخيرات وأفضل الكمالات.

روى في البحار عن العياشي عن ثوير عن علي بن الحسين عليه السلام قال: **إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل ولي الله إلى جناته ومساكنه، واتكى كل مؤمن منهم أريكته حفته خدامه وتهدلت عليه الثمار وتفجرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزرابي، وصففت له النمارق وأتته الخدام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك قال: ويخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله، ثم إن الجبار يشرف عليهم فيقول**

لهم: أوليائي وأهل طاعتي وسكان جنتي في جواري ألا هل أنبئكم بخير مما أنتم فيه؟ فيقولون: ربنا وأي شيء خير مما نحن فيه؟ نحن فيما اشتهت أنفسنا ولذت أعيننا من النعم في جوار الكريم، قال فيعود عليهم بالقول، فيقولون: ربنا نعم، فأتنا بخير مما نحن فيه، فيقول لهم تبارك وتعالى: رضاي عنكم ومحبتي لكم خير وأعظم مما أنتم فيه، فيقولون: نعم يا ربنا رضاك عنا ومحبتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا، ثم قرأ علي بن الحسين عليه السلام هذه الآيـــة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[١] [التوبة: ٧٢].

قوله: **(وزوارها ملائكته)** يعني أن الملائكة يزورون ساكنيها تعظيماً لهم وتشريفاً وتكريماً حسبما عرفت الإشارة إليه في الرواية التي رويناها من روضة الكافي في شرح الفصل التاسع من المختار الأول.

(ورفقاؤها رسله) كما قال عز ومن قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النســاء: ١٣] رغب الله تعالى وكذا أمير المؤمنين أهل الطاعة والتقوى بهذا الوعد وما أحسنه من وعد وهو كونهم رفيق النبيين الذين هم في أعلا عليين والصديقين الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم، والشهداء المقتول أنفسهم وأبدانهم بالجهاد الأكبر والأصغر والصالحين الذين صلحت حالهم واستقامت طريقتهم.

روى في الصافي من الكافي عن الصادق عليه السلام: المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى لله بشروطه التي اشترطها عليه فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له، وذلك ممن لا يصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفته الريح انكفى، وذلك ممن يصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة ويشفع له وهو على خير[٢].

وفيه من الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام: لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٦٩] الآية، فرسول الله صلى الله عليه وآله في الآية النبيون ونحن في هذا الموضع الصديقون والشهداء وأنتم الصالحون فتسمّوا بالصلاح كما سماكم الله[٣]، هذا.

ولجزالة هذا الوعد أعني مرافقة النبيين عقب الله تعالى قوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾

(١) درر الأخبار: ١٠٠، وبحار الأنوار: ٨/١٤١ ح٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٤/١٩٢ ح٢، وشرح الأخبار: ٣/٥٠٩ ح١٤٥٩.

(٣) الكافي: ٨/٣٦، وفضائل الشيعة: ٢٤.

بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ **وقد مضى بعض الكلام في وصف الجنة ونعيمها في شرح الصل الثالث من المختار الثامن والمائة، رزقنا الله نيلها بمنه وجوده.**

ثم إنه عليه السلام لما أمر بالتقوى ونبه على فضلها وعظم ما يترتب عليها من الثمرات الدنيوية والأخروية رتب عليه قوله: **(فبادروا المعاد وسابقوا الآجال)** أي سارعوا إلى المعاد بالمغفرة والتقوى لأنها خير الزاد واستبقوا إلى الآجال بالخيرات وصالح الأعمال.

والمراد بالمعاد هو العود إلى الفطرة الأولى بعد الانتقال منها والنزول إلى الدنيا فالإشارة إلى الابتداء بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ١٠] والإشارة إلى الانتهاء ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٩] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦ ـ ٢٧] فالبدو والرجوع متقابلان قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فالعمد الخاص الأول للإنسان هو الجنة التي كان فيها أبونا آدم عليه السلام وأمنا حوّا، والوجود بعد العدم هو الهبوط منها إلى الدنيا ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ والعدم الثاني من هذا الوجود هو الفناء في التوحيد، والأول هو النزول والهبوط، والثاني هو العروج والصعود، والبداية النزول عن الكمال إلى النقص، والنهاية المعاد من النقصان إلى الكمال وإليه الإشارة بقوله: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٨] هذا.

ولما أمر عليه السلام بالمبادرة إلى المعاد والمسابقة إلى الآجال علله بقوله: **(فإن الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ويرهقهم الأجل)** يعني أنه تقريب انقطاع آمالهم الخادعة ومفاجأة آجالهم المستورة **(و)** أن **(يسد عنهم باب)** الإنابة و**(التوبة)** ومن كان هذا شأنه فلا بد أن يتقي ربه وينصح نفسه ويقدم توبته ويغلب شهوته ويستغفر من خطيئته ويستقيل من معصيته، فإنّ أجله مستور عنه وأمله خادع له، والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمّنيه التوبة ليسوفها حتى يهجم منيته عليه أغفل ما يكون عليها.

(فقد أصبحتم في مثل ما سأل إليه الرجعة من كان قبلكم) أي أصبحتم في حال الحياة والصحة وسلامة المشاعر والقوى والبنية وسائر الأسباب التي يتمنى من كان قبلكم الرجعة إليها لتدارك ما فات وإصلاح الزلات والهفوات، وقال: **رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، ولكنهم قد حيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون.**

فالآن والخناق مهمل، والرواح مرسل، في راحة الأجساد، وباحة الاحتشاد وانتظار التوبة، وانفساح الحوبة، لا بد من اغتنام الفرصة والإنابة من الخطيئة قبل الضنك والضيق،

والروع والزهوق، وقبل أن يروع من الرجعة ويعظم الحسرة ويتفاقم المحنة.

(وأنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم) شبههم بأبناء السبيل تنبيهاً على أن كونهم في هذه الدّار بالعرض وأن وطنهم الأصلي هو الدار الآخرة وأنهم مسافرون إليها.

(و) قوله: **(قد أوذنتم منها بالارتحال وأمرتم فيها بالزاد)** قد تقدم في شرح المختار الثالث والستين وغيره توضيح معنى الفقرة الأولى، ومر غير مرة أن المراد بالزاد الذي أمروا بأخذها هو التقوى قال عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والغرض من هاتين الفقرتين وسابقتهما التنفير عن الدنيا والترغيب إلى الأخرى وتنبيه المخاطبين من نوم الغفلة والجهالة وإرشادهم إلى الاستعداد وتهيئة الزاد لسلوك مسالك الآخرة.

وبيان ذلك بلسان الرمز والإشارة أن لله تعالى عالمين: عالم الدنيا وعالم الآخرة ونشأتين: الغيب والشهادة والملك والملكوت، وأن الناس في مبدأ تكونهم مخلوقون من مواد العالم الأسفل ولهم الارتقاء بحسب الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها إلى جوار الله سبحانه فإنّه سبحانه برحمته وعنايته، خلق الأنبياء وبعثهم ليكونوا هداة الخلق إلى معادهم وقوادهم في السفر إليه وسابقوهم إلى منازلهم، كرؤساء القوافل وأنزل الكتب ليعلمهم ويبين لهم كيفية السفر والارتحال وأخذ الزاد والراحلة وتعريف الأحوال عند الوصول إلى منازلهم في الآخرة.

والخلق ما داموا في الدنيا ولم يصلوا إلى أوطانهم الأصلية، فهم في الظلمات على حالات متفاوتة مختلفة، فمنهم نائمون، الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا، الدنيا منام والعيش فيها كالأحلام، ومنهم موتى لقوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١].

فمن مات عن هذه الحياة المجازية الموسومة باللعب واللهو كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] فقد انتبه عن نوم الغفلة وحيّ بالحياة الأبدية.

فإن الموت على ضربين أحدهما الإرادي المشار إليه بقوله عليه السلام: موتوا قبل أن تموتوا، والآخر الطبيعي وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

فكل من مات بالموت الإرادي أي قلع قلبه عن العلائق والأمنيات ونهى نفسه عن الهوى والشهوات فقد حيّ بالحياة السرمدية الطبيعية.

قال أفلاطون: مت بالإرادة تحيى بالطبيعة، وكل من مات بالموت الطبيعي فقد هلك هلاكاً أبدياً عقلاً وضل ضلالاً بعيداً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، هذا.

ولما أمر عليه السلام بالتقوى وبشر بما رتب عليها من الثواب وحسن المآب أردف ذلك بالإنذار والوعيد من أليم السخط والعذاب فقال: **(واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار)** التي قعرها بعيد وحرّها شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يفتر عذابها، ولا يموت ساكنها، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً.

روى في البحار من تفسير علي بن إبراهيم عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله خوفني فإن قلبي قد قسى، فقال: يا أبا محمد استعد للحياة الطويلة، فإن جبرئيل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيىء وهو متبسّم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً فقال: يا محمد قد وضعت منافخ النار، فقال صلى الله عليه وآله: وما منافخ النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمد إن الله عزّ وجلّ أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتى ابيضّت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى احمرت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى اسودّت، فهي سوداء مظلمة لو أن قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها ولو أن سربالاً من سرابيل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه.

قال عليه السلام فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: ربكما يقرئكما السلام ويقول: قد أمنتكما أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه فقال أبو عبد الله عليه السلام: فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرائيل متبسماً بعد ذلك.

ثم قال: إنّ أهل النار يعظمون النّار، وإن أهل الجنة يعظمون الجنّة والنعيم وإن جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا علاها قمعوا بمقامع الحديد، فهذه حالهم وهو قول الله عز وجل: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ٢٢] ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم، قال أبو عبد الله عليه السلام حسبك؟ قلت: حسبي حسبي[1].

(فارحموا نفوسكم) إلى مصير هذه النّار التي علمت وصفها وعرفت حال أهلها **(فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا)** ولم تصبروا على أهون مصائبها وأحقر آلامها **(أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء)** أي الأرض الشديدة الحرارة **(تحرقه فكيف)** حاله وتحمّله **(إذا كان بين طابقين من نار)** يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم

(١) بحار الأنوار: ٨/ ٢٨٠ ح١، ودرر الأخبار: ١٠٢.

ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون.

(ضجيج حجر) أشير إليه في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] قال ابن عباس وابن مسعود: إنها حجارة الكبريت لأنها أحر شيء إذا أحميت وقيل: إنهم يعذبون بالحجارة المحمية بالنار.

(وقرين شيطان) وهو المشار إليه في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦ ـ ٣٧] قال ابن عباس وغيره: أي شيطانه الذي أغواه وإنما سمي قرينه لأنه يقرن به في العذاب.

وفي البحار من تفسير علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ قال عليه السلام أما أهل الجنة فزوجوا الخيرات الحسان وأما أهل النار فمع كل إنسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم[(١)].

(أعلمتم أن مالكاً) وهو اسم مقدم خزنة النار والملائكة الموكلين لأمرها قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦] روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم[(٢)].

وفي البحار من تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام في خبر المعراج قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: فصعد جبرئيل وصعدت حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا وهو ضاحك مستبشر حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه كريه المنظر ظاهر الغضب فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة.

فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فإنّي قد فزعت منه، فقال: يجوز أن تفزع منه فكلّنا نفزع منه إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنّم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معيصيته فينقتم الله به منهم ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك، ولكنه لا يضحك فسلّمت عليه فردّ السلام عليّ وبشرني بالجنة.

---

(١) بحار الأنوار: ٧/١٠٧ ح٢٩، وتفسير القمي: ٢/٤٠٧.

(٢) الدر المنثور: ٦/١٤٥.

فقلت لجبرئيل وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]: ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال له جبرئيل: يا مالك أر محمداً صلى الله عليه وآله النار، فكشف منها غطاءها وفتح باباً منها فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت، فقلت: يا جبرئيل قل له: فليرد عليها غطاءها، فأمرها فقال لها: ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه، الحديث، فقد علم به زيادة قوته وشدة غيظه وغضبه(١).

(إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه) أي أكله أو كسره ومنه الحطمة اسم من أسماء جهنم قال تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤] أي ليطرحنّ فيها قال مقاتل: وهي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ولتفخيم أمرها قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝﴾ المؤججة أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنها ليست كنيران الدنيا.

(وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعاً من زجرته) ولما حذر من أهوال الجحيم وأفزعهم بذكر وصف مالك خازنها حذرهم بأسلوب آخر وأيهم بقوله:

(أيها اليفن) أي الشيخ **(الكبير الذي قد لهزه)** أي خالطه **(القتير)** والمشيب، وتخصيصه بالخطاب من بين سائر المخاطبين لكونه أولى بالحذر والإقلاع عن المعصية والخطأ لإشراف عمره على الزوال والانقضاء وقرب تورّطه في ورطات الأخرى.

(كيف أنت) استفهام على سبيل التقرير تقريعاً على المعصية **(إذا التحمت)** أي التصقت وانضمت **(أطواق النار بعظام الأعناق)** كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝﴾ [غافر: ٧٠ ـ ٧٢].

(ونشبت الجوامع) أي عقلت الأغلال الجامعة بين الأيدي والأعناق **(حتى أكلت لحوم السواعد)** قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝﴾ قال الطبرسي: أي تأخذهم الزبانية فيجتمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغل، وفي سورة الفرقان: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ۝﴾ قال الطبرسي مقرنين أي مصفدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال.

(فالله الله) أي اتقوه سبحانه يا **(معشر العباد وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم)** أي في زمان صحتكم قبل أن ينزل بكم السقم **(وفي الفسحة قبل الضيق)** أي في سعة الأعمار قبل أن تبدل بالضيق **(فاسعوا في فكاك رقابكم)** من النار بالتوبة والتقوى **(من قبل أن تغلق رهائنها)**

---

(١) تفسير الميزان: ١٣/ ١٠، وبحار الأنوار: ٨/ ٢٩١، ح٣٠.

أصل غلق الرهن عبارة عن بقائه في يد المرتهن لا يقدر راهنه على انتزاعه.

قال ابن الأثير: وكان من فعل الجاهلية أن الراهن إذا لم يؤد ما عليه في الوقت المعيّن ملك المرتهن الرهن فأبطله الإسلام.

إذا عرفت ذلك فأقول: إن ذمم المكلّفين لكونها مشغولة بالتكاليف الشرعية المطلوبة منهمْ فكأنها رهن عليها، وكما أن انتزاع الرهن من يد المرتهن والتمكن من التصرف فيه موقوف على أداء الدين، فكذلك تخليص الرقاب موقوف على الخروج من عهدة التكاليف، فمن أجل ذلك أمر عليه السلام بالسعي في فكاكها واستخلاصها وعلى ذلك فالإضافة في رهائنها من قبيل إضافة المشبه به إلى المشبه وذكر الغلق ترشيح للتشبيه.

ولما أمر بالسعي في الفكاك إجمالاً أشار إلى ما به يحصل الفك تفصيلاً ولكمال الاتصال بين الجملتين ترك العاطف فقال:

(أسهروا عيونكم) أي بالتهجد وصلاة الليل وسائر النوافل وقد تقدم بعض الأخبار في فضلها في شرح الفصل السادس من المختار الثاني والثمانين.

وأقول هنا مضافاً إلى ما سبق: روى الصدوق في ثواب الأعمال عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «شرف المؤمن صلاة الليل وعز المؤمن كفه عن الناس»(١).

وفيه عن معاوية بن عمار عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطردة الداء عن أجسادكم»(٢).

وبهذا الإسناد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: صلاة الليل تبيض الوجه وصلاة الليل تطيب الريح، وصلاة الليل تجلب الرزق(٣).

وفيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «قيام الليل مصحة للبدن، ورضاء الرب، وتمسك بأخلاق النبيين، وتعرض لرحمة الله تعالى»(٤).

وعن إبراهيم بن عمر ورفعه إلى أبي عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

---

(١) الرسالة السعدية: ١٣٢، وثواب الأعمال: ٤١.

(٢) منتهى المطلب: ١/ ١٩٥، ومن لا يحضره الفقيه: ١/ ٤٧٢ ح١٣٦٣.

(٣) علل الشرائع: ٢/ ٣٦٣ ح١، وثواب الأعمال: ٤١.

(٤) وسائل الشيعة: ٥/ ٢٧٢ ح١٣، وتحف العقول: ١٠١.

ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ قال: صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار[١].

وفيه عن أبيه قال: حدثني سعد عبد الله عن سلمة بن الخطاب عن محمد بن الليث عن جعفر بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام أن رجلاً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قيام الليل بالقرآن، فقال له عليه السلام أبشر:

من صلى من الليل عشر ليله لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله[٢] عزّ وجلّ لملائكته اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما أنبت من النباتات في النيل[٣] من حبة وورقة وشجرة وعدد كل قصبة وخوطة ومرعى.

ومن صلى تسع ليله أعطاه الله عشر دعوات مستجابات وأعطاه كتابه بيمينه يوم القيامة.

ومن صلى ثمن ليله أعطاه الله عز وجل أجر شهيد صابر صادق النية وشفع في أهل بيته.

ومن صلى سبع ليله خرج من قبره يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يمرّ على الصراط مع الآمنين.

ومن صلى سدس ليله كتب مع الأوابين وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ومن صلى خمس ليله زاحم إبراهيم خليل الله في قبته.

ومن صلى ربع ليله كان أول الفائزين حتى يمر على الصراط كالريح العاصف ويدخل الجنة بغير حساب.

ومن صلى ثلث ليله لم يلق ملكاً[٤] إلا غبطه بمنزلته من الله عز وجل وقيل له: ادخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت.

ومن صلى نصف ليله فلو أعطي ملأ الأرض ذهباً سبعين ألف مرة لم يعدل أجره، وكان له بذلك أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل.

ومن صلى ثلثي ليله كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل أحد عشر مرات.

---

(١) الهداية: ١٥١، وكشف اللثام: ٢/ ٥٣٢.

(٢) «يقول الله» في نسخة.

(٣) «الليل» في نسخة.

(٤) «لم يبق ملك» في نسخة.

ومن صلى ليلة تامه تالياً لكتاب الله عز وجل ذكره راكعاً وساجداً وذاكراً أعطى من الثواب أدناها أن يخرج من الذنوب كما ولدته أمه ويكتب له عدد ما خلق الله من الحسنات ومثلها درجات، ويبثّ النور في قبره وينزع الإثم والحسد من قلبه، ويجار من عذاب القبر ويعطي براءة من النار ويبعث من الآمنين ويقول الرب تبارك وتعالى لملائكته: ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيى ليله ابتغاء مرضاتي أسكنوه الفردوس وله فيها مائة ألف مدينة في كل مدينة جميع ما يشتهي الأنفس وتلذ الأعين وما لا يخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة[1].

(وأضمروا بطونكم) أي بالصيام والجوع وقد مضى الأخبار في فضل الصوم في شرح المختار المائة والتاسع **(واستعملوا أقدامكم)** أي في القيام إلى الصلوات أو مطلق القربات كاستعمالها في تشييع الجنائز والسعي إلى المساجد والمشي إلى المشاهد المشرفة ونحوها.

روى في ثواب الأعمال بإسناده عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ ليهم أن يعذب أهل الأرض جميعاً حتى لا يتحاشى منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات، فإذا نظر إلى الشيب ناقلي أقدامهم إلى الصلاة والولدان يتعلّمون القرآن رحمهم فأخّر ذلك عنهم[2].

(وأنفقوا أموالكم) أي في الزكاة والصدقات وصنائع المعروف، وقد عرفت فضل هذه كلها في شرح المختار المائة والتاسع أيضاً **(وخذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم)** وهو كناية عن إتعاب الأبدان وإذابتها بالعبادات والرياضات وسلوك مسالك الخيرات، ومعلوم أن الأخذ من الأجساد بهذه القربات جود بها على النفوس ولذلك قال: جودوا بها عليها **(ولا تبخلوا بها عنها)** ثم استشهد على ما رامه بكلام الحق سبحانه وقال:

(فقد قال الله سبحانه) في سورة محمد ﷺ: **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** قال في مجمع البيان: أي إن تنصروا دين الله ونبي الله بالقتال والجهاد ينصركم على عدوكم ويثبت أقدامكم أي يشجعكم ويقوي قلوبكم لتثبتوا، وقيل: ينصركم في الآخرة ويثبت أقدامكم عند الحساب وعلى الصراط، وقيل: ينصركم في الدنيا والآخرة ويثبت أقدامكم في الدارين وهو الوجه.

قال قتادة: حق على الله أن ينصر من نصره لقوله: إن تنصروا الله ينصركم وأن يزيد من شكره لقوله: لئن شكرتم لأزيدنكم، وأن يذكر من ذكره لقوله: فاذكروني أذكركم.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٤٧٦، وأمالي الصدوق: ٣٦٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢٣٩ ح٢٣، ووسائل الشيعة: ٦/ ١٨٠ ح٧٦٧٥.

(وقال) في سورة الحديد: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ⑪﴾ ونحوه في سورة البقرة إلا أن فيها بدل قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: أضعافاً كثيرة.

قال في مجمع البيان: ثم حث الله سبحانه على الإنفاق فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ أي ينفق في سبيل الله وطاعته، والمراد به الأمر **(قرضاً حسناً)** والقرض الحسن أن ينفق من حلال ولا يفسده بمنٍ ولا أذى، وقيل: هو أن يكون محتسباً طيباً به نفسه، وقيل: هو أن يكون حسن الموقع عند الإنفاق فلا يكون خسيساً، والأولى أن يكون جامعاً لهذه الأمور كلّها فلا تنافي بينها ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ أي يضاعف له الجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي جزاء خالص لا يشوبه صفة نقص، فالكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان ذلك الأجر يعطي النفع العظيم وصف بالكريم والأجر الكريم هو الجنّة(١).

ولما كان ظاهر النصرة موهماً لكونها من الذلّة، وظاهر القرض موهماً لكونه من القلة أردف ذلك من باب الاحتراس بقوله: **(فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قل)** أي ليس استنصاره واستقراضه من أجل الذلّة والقلّة حسبما زعمته اليهود وقالوا: إنا يستقرض منا ربنا عن عوز فإنما هو فقير ونحن أغنياء فأنزل الله سبحانه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ بل سمى نصرة دينه ونبيّه نصره له والإنفاق في سبيله قرضاً تلطّفاً للدّعاء إلى فعلهما وتأكيداً للجزاء عليهما، فإن النصر يوجب المكافأة والقرض يوجب العوض.

وإليه أشار بقوله استنصركم وله جنود السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم يعني أنه عزيز في سلطانه أي قادر قاهر لا يتمكن أحد أن يمنعه من عذاب من يريد عذابه، ذو قدرة على الانتقام من أعدائه، وأنه حكيم في أفعاله واضع كلا منها في مقام صالح له ولائق به.

واستقرضكم وله خزائن السماوات والأرض وهو الغني الحميد يعني غني بنفسه عن غيره مفتقر إلى شيء من مخلوقاته ومحمود في أفعاله وصنايعه وأحكامه وأوامره.

(وإنما أراد) باستقراضه واستنصاره **(أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً)** وقد مر في شرح المختار الثاني والستين معنى بلاء الله سبحانه أي ابتلاءه واختباره.

(فبادوا بأعمالكم) إلى آجالكم **(تكونوا مع جيران الله في داره)** والمراد بهم أولياؤه المتّقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واستعار لفظ الجيران لهم باعتبار شمول الألطاف والعنايات الخاصة الإلهيّة لهم كما أن الجار ينال الكرامة من جاره والإضافة فيه

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٩/ ٣٩٠.

وفي تاليه للتشريف والتكريم.

(**رافق بهم رسله وأزارهم ملائكته**) حسبما عرفت ذلك في شرح هذه الخطبة وغيرها (**وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبداً**) كما قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١].

قال الطبرسي: أي يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذي يحس[1].

روى في الصافي من المحاسن عن النبي ﷺ إنه قال لعلي عليه السلام: يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش يوم يفزع الناس ولا تفزعون ويحزن الناس ولا تحزنون، وفيكم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية، وفيكم نزلت: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ الآية[2].

وفيه من المحاسن عن الصادق عليه السلام قال: إن الله يبعث شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب أو غيره مبيضة وجوههم مستورة عوراتهم آمنة روعتهم قد سهلت لهم الموارد وذهبت عنهم الشدائد، يركبون نوقاً من ياقوت فلا يزالون يدورون خلال الجنة عليهم شرك من نور يتلألأ توضع لهم الموائد فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم﴾ الآية[3].

(**وصان أجسادهم أن تلقى لغوباً ونصباً**) كما قال سبحانه حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٥ ـ ٣٦].

قال في مجمع البيان: أي أنزلناهم دار الخلود يقيمون فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون عنها «من فضله» أي ذلك بتفضله وكرمه «لا يمسّنا فيه نصب» لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة «ولا يمسنا فيها لغوب» أي ولا يصيبنا فيها إعياء ومتعبة في طلب المعاش وغيره[4].

وفي الصافي عن القمي قال: النصب العناء واللغوب الكسل والضجر ودار المقامة دار البقاء، وقال صاحب الصافي: النصب التعب واللغوب الكلال إذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع

---

(١) بحار الأنوار: ٨/ ٢٥٢، وتفسير مجمع البيان: ٧/ ١١٦.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٥٧، وشرح الأخبار: ٣/ ٤٤٤ ح١٣٠٧.

(٣) المحاسن: ١/ ١٧٩ ح١٦٦، وبحار الأنوار: ٧/ ١٨٤ ح٣٥.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٨/ ٢٤٧، وتفسير الميزان: ١٧/ ٤٨.

نفي النصب بنفي ما يتبعه مبالغة[١].

(ذلك) المذكور من النعم العظيمة **(فضل الله)** أي تفضل منه سبحانه **(يؤتيه من يشاء)** من عباده **(والله ذو الفضل العظيم)** يتفضل بما لا يقدر عليه غيره ويعطي الكثير بالقليل **(أقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وأنفسكم)** في حفظها عن متابعة الهوى والشهوات ووقايتها من المعاصي والهفوات **(وهو حسبنا ونعم الوكيل)** ونعم المعين ونعم النصير.

(١) تفسير الصافي: ٤/ ٢٤٠، وتفسير القمي: ٢/ ٢٠٩.

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن وصیّ مختار و ولیّ پروردگار است، می فرماید:

حمد و ثنا مر خداوندی را سزا است که شناخته شده بدون رؤیت و خلق فرموده بدون رنج و مشقت، آفرید مخلوقات را به قدرت کامله خود و طلب بندگی نمود از سلاطین و ملوك، با عزّت قاهره خود و مالك واجب الاطاعة شد بر بزرگان، با بخشش فراوان خود و او است آن کسی که ساکن فرمود در دنیا آفریدگان خود را و مبعوث کرد به سوی جنّ و انس پیغمبران خود را، تا این که کشف کنند مرایشان را از پرده های دنیا و بترسانند ایشان را از پریشانی های دنیا و بیان کنند از برای ایشان مثل های آن را و بنمایند بر ایشان عیب های آن را و تا هجوم آور بشوند بر ایشان با چیزی که باعث عبرت ایشان بشود از صحّت های آن و بیماری های آن وحلال آن و حرام آن و با آن چه که مهیّا فرموده خداوند تعالی از برای اطاعت کنندگان از ایشان ومعصیت کنندگان ایشان از بهشت و جهنّم و عزّت و خواری.

حمد می کنم او را، درحالتی که قصد تقرّب می کنم به سوی او، چنان حمدی که طلب کرده از مخلوقات خود، گردانید از برای هر چیزی اندازه معیّنی و از برای هراندازه مدّت مخصوصی و از برای هر مدّت نوشته مشخّصی.

بعضی دیگر از این خطبه در ذکر قرآن کریم است، می فرماید:

پس قرآن امرکننده است و نهی کننده و ساکت است به حسب ظاهر و ناطق است به حسب باطن، حجّت پروردگار است بر خلقان او، اخذ فرموده است بر او عهد و پیمان ایشان را و رهن کرده است در مقابل او نفس های ایشان را، تمام فرمود نور آن را و گرامی داشت با آن دین خود را و قبض فرمود نبیّ خود را در حالتی که فارغ شده بود به سوی خلق از احکام هدایت با آن.

پس تعظیم نمایید از حقّ سبحانه و تعالی مثل تعظیم کردن او ذات خود را، پس به درستی که پنهان نداشته است حق تعالی از شما چیزی را از دین و

فرونگذاشته چیزی را که پسندیده یا ناخوش گرفته مگر این که گردانیده از برای آن علامتی ظاهر و آیه ای محکم که منع نماید از آن یا دعوت کند به سوی او، پس رضای خدا در چیزی که باقی مانده یکی است و سخط و غضب او در چیزی که باقی مانده یکی است.

و بدانید که حق تعالی هرگز راضی نمی باشد از شما به چیزی که دشمن گرفته است آن را بر کسانی که بودند پیش از شما و هرگز غضب نمی کند بر شما به چیزی که رضا داشته به او از کسانی که بودند پیش از شما و جز این نیست که باید سیر نمایید در اثر واضح گذشتگان و تکلّم نمایید به کلام بامنفعت که گویا شدند به آن مردانی که پیش از شما بودند.

به تحقیق که کفایت کرد خداوند عالم معیشت دنیای شما را و تحریص فرمود شما را بر شکر و واجب کرد از زبانهای شما ذکر را و وصیّت فرمود شما را به تقوی و پرهیزکاری و گردانید آن را منتهی خوشنودی و حاجت خود از خلق، پس بپرهیزید از خدایی که شما در پیش نظر اویید و پیشانی های شما در ید قدرت او است و گردیدن شما در قبضه اقتدار او است، هرگاه پنهان دارید چیزی را در قلب خودتان، می داند آن را و اگر اظهار نمایید اعمال خود را، نویسد آن را. به تحقیق موکّل فرموده به آن نوشتن ملائکه که حافظانند با کرامت، درحالتی که اسقاط حق نمی کنند و اثبات باطل نمی نمایند، (یعنی چیز بی اصل را نمی نویسند).

و بدانید، به درستی که هرکس بترسد از خدا و صاحب تقوی باشد، قرار می دهد خدا از برای او بیرون آمدنی از فتنه ها و روشنی از ظلمت ها و مخلّد می نماید او را در چیزی که خواهش دارد نفس او و نازل می فرماید او را در منزل کرامت در نزد خود در خانه ای که اختیار فرموده آن را از برای خود، چنان خانه ای که سقف آن عرش او است و نور آن جمال او است و زیارت کنندگان آن ملك های او هستند و رفیق های آن پیغمبران او هستند.

پس بشتابید به سوی معاد و سبقت کنید به سوی اجل ها، از جهت این که مردمان نزدیك است که بریده شود از ایشان آرزوها و دریابد ایشان را اجل ها و بسته شود به روی ایشان دَرِ توبه.

پس به تحقیق که صباح کردید در مثل چیزی که سؤال کردند برگشتن به سوی

آن را اشخاصی که بودند پیش از شما و شما ابناءالسّبیل هستید بر سفر کردن از خانه که نیست خانه شما، به تحقیق که اعلام کرده شدید به کوچ کردن از آن ومأمور شدید در آن به أخذ کردن توشه.

و بدانید، به درستی که نیست مرا این پوست لطیف را صبر کردن بر آتش سوزان، پس رحم نمایید نفس های خود را، پس به درستی که شما تجربه نمودید نفوس خود را در مصائب و صدمات دنیا، پس دیده اید جزع و فزع یکی از شما را از خاری که برسد به او یا لغزیدنی که خون آلود سازد او را یا زمین بسیار گرمی که بسوزاند او را، پس چگونه باشد حال او زمانی که بشود در میان دو تابه یا دو طبقه از آتش که همخوابه سنگ سوزان باشد و همنشین شیطان؟ آیا دانسته اید این که مالك خازن جهنّم هر وقت غضب نماید بر آتش بشکند بعضی از آتش بعضی دیگر را و هرگاه زجر کند آتش را، برجهد شراره آن از میان درهای دوزخ از جهت جزع کردن آن از زجر او.

ای پیر بزرگ سال که آمیخته است به او پیری و سستی، چگونه است حالت تو زمانی که متّصل شود و پیوند گردد طوق های آتش به استخوان های گردن ها؟ و فرو روند غل های جامعه آتش در اعضاء تا این که بخورد گوشت های بازوها را؟ پس بترسید از خدا ای بندگان خدا، درحالتی که شما سلامت هستید در زمان صحّت پیش از بیماری و در فراخی و وسعت پیش از تنگی، پس سعی نمایید در گشادن و فكّ نمودن گردنهای خودتان پیش از این که بسته شود کردهای گردنها، بیدار کنید چشمهای خود را با تهجّد و قیام و تهی سازید شکم های خود را با گرسنگی و صیام و استعمال نمایید قدم های خود را در خیرات و انفاق کنید مال های خود را در زکات و صدقات و اخذ نمایید از بدن های خودتان تا بخشش نمایید با آن ها بر نفس های خود و بخل نورزید به آنها.

پس به تحقیق که فرموده است حق تعالی در کلام مجید خود: "إن تَنصروا الله يَنصُركم وَ يُثبِّت أقدامَكم"؛ یعنی "اگر یاری کنید خدا را، یاری می کند خدا شما را و ثابت می فرماید قدم های شما را در مواضع لغزیدن".

و باز فرموده: "مَن ذَا الذّي يُقرِضُ اللهَ قَرضاً حَسناً فَيُضاعِفَه لَه وَ لَه أجرٌ كَريم"؛ یعنی "کیست آن کسی که قرض دهد خدا را قرض دادن نیکو، پس زیاده

گرداند آن را از برای او و مر او را است اجر با کرامت».

پس یاری نخواست خدای تعالی از شما از بابت ذلّت و قرض طلب نکرد از شما از جهت کمی و قلّت، یاری خواست از شما، در حالتی که از برای او است لشگرهای آسمان ها و زمین و حال آن که او است صاحب عزّت و حکمت و طلب قرض نمود از شما، در حالتی که از برای او است خزانه های آسمان ها و زمین و حال آن که او است بی نیاز و ستوده و جز این نیست که اراده فرموده که امتحان نماید شما را که کدام از شما نیکوتر است از حیثیّت عمل.

پس مبادرت نمایید به سوی عمل های خودتان تا باشید با همسایه های خدا در خانه خدا که رفیق ساخته ایشان را با پیغمبران خود و به زیارت ایشان امر نموده فرشتگان را و گرامی داشته گوش های ایشان را از اینکه بشنوند آواز آتش را و نگه داشته جسدهای ایشان را از آن که برسد به مشقّت و کسالت، این فضل و احسان خدا است که عطا می فرماید آن را به هرکس که می خواهد از بندگان خود و خداوند است صاحب فضل عظیم. من می گویم چیزی را که می شنوید و خدا است یاری خواسته شده؛ یعنی از او استعانت می کنم بر نفس خودم و بر نفس های أمّاره شما و او است کفایت کننده ما و چه خوب وکیل است.

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والثالث والثمانون من المختار في باب الخطب

قاله للبرج بن مسهر الطائي وقد قال له بحيث يسمعه: لا حكم إلا لله، وكان من الخوارج:

أُسْكُتْ قَبَّحَكَ اللَّهُ يا أَثْرَمُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ، حَتّىٰ إذا نَعَرَ الْباطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْماعِزِ(١).

اللغة

(البرج) بضم الباء الموحدة والراء المهملة ثم الجيم و**(مسهر)** بضم الميم وكسر الهاء و**(قبحك الله)** بالتخفيف والتشديد أي نحاك وقيل: من قبحت الجوزة كسرتها و**(الثرم)** بالفتح سقوط الأسنان و**(ضؤل)** الرجل بالضم ضؤلة نحف وحقر، وضؤل رأيه صغر و**(الماعز)** واحد المعز من الغنم اسم جنس وهو خلاف الضان.

الإعراب

جملة **(قبحك الله)** دعائية لا محل لها من الإعراب وقوله: **(كنت فيه ضئيلاً شخصك)**:

يجوز أن يكون كان ناقصة اسمها تاء الخطاب وضئيلاً خبرها وفيه متعلقاً به مقدماً عليه للتوسع **(وشخصك)** بالرفع فاعل ضئيلاً قام مقام الضمير الرابع للجر إلى الاسم من أجل إضافته إلى كاف الخطاب الذي هو عين الاسم أو أنه بدل من اسم كان.

ويجوز أن تكون تامة و**(ضئيلاً)** حالاً من فاعلها و**(شخصك)** فاعل الحال وبإضافته إلى كاف الخطاب استغنى أيضاً عن الرابط للحال أو أنه حال من شخصك مقدم على صاحبه **(وشخصك)** بدل من فاعل كان، وهذا مبني على ما هو الأصح من مذهب علماء الأدبية من أن العوامل اللفظية كلها تعمل في الحال إلا كان وأخواتها وإلاّ فيجوز على تقدير كون كان ناقصة جعل ضئيلاً حالاً أيضاً فيكون فيه خبرها ويكون ظرفاً مستقراً، فافهم جيّداً.

(١) بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٦٥ ح٥٩٨، وشرح نهج البلاغة: ١٠/ ١٣٠.

المعنى

اعلم أن الكلام حسبما أشار إليه السيد **(قاله للبرج بن مسهر الطائي)** على وجه التعريض والتحقير **(وقد قال له)**: البرج بشعار الخوارج **(بحيث يسمعه لا حكم إلا الله)** أي لا لك، وفي نسخة الشارح البحراني: لا حكم إلا الله أي لا أنت **(وكان)** البرج ذلك **(من الخوارج)** من شعرائهم المشهورة.

فقال عليه السلام: **(اسكت قبحك الله)** أي نحاك عن الخير أو كسرك **(يا أثرم)** أي الساقط الثنية دعاه بآفته إهانة وتحقيراً كما هو العادة في تنقيص صاحب العاهات وإهانتهم، فيقال: يا أعور ويا أعرج ونحو ذلك **(فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه)** أي في ظهور الحق وقوة الإسلام وزمان العدل **(ضئيلاً شخصك)** أي حقيراً خامل الذكر **(خفياً صوتك)** كناية عن عدم التفات أحد إلى أقواله وعدم الاستماع والتوجه إليها **(حتى إذا نعر الباطل)** أي صاح.

قال الشارح البحراني: استعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة لشبهه في قوته وظهوره بالرجل الضائل الصائح بكلامه عن جرأة وشجاعة.

(نجمت نجوم قرن الماعز) أي طلعت بلا شرف ولا سابقة ولا شجاعة ولا قدم، بل بغتة وعلى غفلة كما يطلع قرن الماعز، والغرض من التشبيه توهين المشبه وتحقيره حيث شبهه بأمر حقير.

الترجمة

از جمله كلام آن والامقام است مر برج بن مسهر الطائى را و به تحقيق گفت آن ملعون مرآن حضرت را به حيثى كه مى شنوانيد او را كه: هيچ حكم نيست مگر خداى را و بود آن ملعون از جلمه خوارج نهروان، آن حضرت فرمود:

ساكت باش، دور گرداند خدا تو را از خير اى دندان افتاده، پس قسم به خدا كه به تحقيق ظاهر شد حق، پس بودى تو در آن حقير و نحيف، شخص تو خفى و پنهان بود آواز تو تا اين كه نعره زد باطل، طلوع كردى و ظاهر شدى مثل ظاهر شدن شاخ بز.

هذا آخر المجلد العاشر من هذه الطبعة الجديدة القيمة، وقد وفق لتصحيحه وترتيبه وتهذيبه العبد ـ الحاج السيد إبراهيم الميانجي ـ عفى عنه وعن والديه، في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ـ ١٣٨٢ ـ وسيليه إنشاء الله الجزء الحادي عشر وأوله: «المختار المائة والرابع والثمانون» والحمد لله رب العالمين.

محتوى الجزء العاشر من كتاب منهاج البراعة شرح نهج البلاغة

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والواحد والستون من المختار في باب الخطب ٥

اللغة ٥

الإعراب ٦

المعنى ٧

لطيفة ١١

الترجمة ١٦

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والثانية والستون من المختار في باب الخطب ١٧

اللغة ١٨

الإعراب ١٨

المعنى ١٨

الترجمة ٢٥

ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والثالث والستون من المختار في باب الخطب ٢٧

اللغة ٢٨

الإعراب ٢٨

المعنى ٢٨

الترجمة ٣٥

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها خلقة الطاووس وهي المائة والرابعة والستون من المختار في باب الخطب ٣٧

الفصل الأول ٣٧

اللغة ٣٩

الإعراب ٤١

المعنى ٤١

الترجمة ٥١

الفصل الثاني منها في صفة الجنة ٥٥

اللغة ٥٥

الإعراب ٥٥

المعنى ٥٦
الترجمة ٦٢
ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والخامسة والستون من المختار في باب الخطب ٦٣
الفصل الأول ٦٣
الفصل الثاني منها ٦٣
اللغة ٦٣
الإعراب ٦٤
المعنى ٦٤
الفصل الأول ٦٤
والفصل الثاني منها ٦٥
الأول في قصة قوم سبأ وسيل الجنتين ٦٨
الثاني في قصة تيه بني إسرائيل ٧٠
الترجمة ٧٣
ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والسادسة والستون من المختار في باب الخطب ٧٧
اللغة ٧٧
الإعراب ٧٧
المعنى ٧٨
الترجمة ٨٣
ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والسابع والستون من المختار في باب الخطب ٨٤
اللغة ٨٤
الإعراب ٨٤
المعنى ٨٦
الترجمة ٩٠
ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والثامنة والستون من المختار في باب الخطب ٩١
اللغة ٩١
الإعراب ٩٢
المعنى ٩٢
الترجمة ٩٥
ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والتاسع والستون من المختار في باب الخطب ٩٦

اللغة ٩٦
الإعراب ٩٦
المعنى ٩٧
الترجمة ١٠٢
ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والسبعون من المختار في باب الخطب ١٠٣
اللغة ١٠٣
الإعراب ١٠٣
المعنى ١٠٤
تذييل ١٠٧
الترجمة ١٠٩
ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والحادية والسبعون من المختار في باب الخطب ١١٠
اللغة ١١٠
الإعراب ١١١
المعنى ١١١
الفصل الأول ١١١
الفصل الثاني منها ١١٣
الفصل الثالث منها ١١٣
تنبيهان ١١٩
التنبيه الثاني ١٢٢
الترجمة ١٣٢
ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والثانية والسبعون من المختار في باب الخطب ١٣٤
اللغة ١٣٤
الإعراب ١٣٥
المعنى ١٣٥
الترجمة ١٤٦
ومن خطبة له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله وهي المائة والثالثة والسبعون من المختار في باب الخطب ١٤٨
اللغة ١٤٨
الإعراب ١٤٨
المعنى ١٤٩

الترجمة ١٥١

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والرابعة والسبعون من المختار في باب الخطب ١٥٢

اللغة ١٥٢

الإعراب ١٥٢

المعنى ١٥٣

الفصل الأول ١٥٣

الفصل الثاني ١٥٤

تبصرة ١٥٦

الترجمة ١٦١

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والخامسة والسبعون من المختار في باب الخطب ١٦٢

الفصل الأول ١٦٢

اللغة ١٦٣

الإعراب ١٦٤

المعنى ١٦٤

الترجمة ١٧٧

الفصل الثاني منها ١٨٠

اللغة ١٨١

الإعراب ١٨١

المعنى ١٨٢

الترجمة ٢٠٤

ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين وهو المائة والسادس والسبعون من المختار في باب الخطب ٢٠٧

اللغة ٢٠٧

الإعراب ٢٠٧

المعنى ٢٠٧

الترجمة ٢٠٩

ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والسابعة والسبعون من المختار في باب الخطب ٢١٠

اللغة ٢١٠

الإعراب ٢١١

المعنى ٢١١

أولها ٢١١
الفصل الثاني ٢١٥
الفصل الثالث ٢١٥
الفصل الرابع ٢١٦
الترجمة ٢١٨
ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والثامن والسبعون من المختار في باب الخطب ٢٢٠
اللغة ٢٢٠
الإعراب ٢٢٠
المعنى ٢٢١
تنبيه ٢٢٤
تكملة ٢٣٠
الترجمة ٢٣٢
ومن خطبة له عليه السلام في ذم أصحابه وهي المائة والتاسعة والسبعون من المختار في باب الخطب ٢٣٣
اللغة ٢٣٣
الإعراب ٢٣٤
المعنى ٢٣٧
الترجمة ٢٤٤
ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والثمانون من المختار في باب الخطب ٢٤٦
اللغة ٢٤٦
الإعراب ٢٤٧
المعنى ٢٤٧
الترجمة ٢٥٤
ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والواحدة والثمانون من المختار في باب الخطب ٢٥٥
الفصل الأول ٢٥٥
اللغة ٢٥٦
الإعراب ٢٥٧
المعنى ٢٥٧
الترجمة ٢٧٦

الفصل الثاني ٧٩
اللغة ٧٩
الإعراب ٧٩
المعنى ٧٩
وينبغي تذييل هذا الفصل من الخطبة بأمرين: ٨٣
الأول في نوادر أخبار ملك سليمان بن داود عليه السلام المشار إليه في هذا الفصل ٨٣
الثاني في بيان مدائن الرس وقصة أصحابها ٨٩
الترجمة ٩٥
الفصل الثالث منها ٢٩٦
اللغة ٢٩٧
الإعراب ٢٩٧
المعنى ٢٩٧
ومن خطبة له عليه السلام وهي المائة والثانية والثمانون من المختار في باب الخطب ٣١٧
اللغة ٣١٨
الإعراب ٣١٩
المعنى ٣٢٠
الترجمة ٣٤٨
ومن كلام له عليه السلام وهو المائة والثالث والثمانون من المختار في باب الخطب ٣٥٢
اللغة ٣٥٢
الإعراب ٣٥٢
المعنى ٣٥٣
الترجمة ٣٥٣

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٥٠٣
التاريخ ٢٩/ ١/ ٢٠٠٥